المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية القرآن الكريم
قسم التفسير

مَفَاتِحُ الرِّضْوانِ فِي تفسير الذكر بالآثارِ والقرآن

للإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (رحمه الله)

من أول (سورة صٓ) إلى نهاية (سورة الدخان)

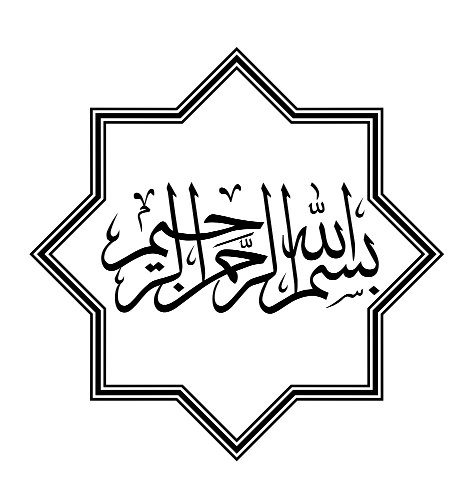
-دراسة وتحقيق ومقارنة بكتاب إرشاد العقل السليم "لأبي السعود"-رحمه الله-

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة (الماجستير)

إعداد الطالب
حامد بن مرزوق الحمياني المطيري

إشراف
د. علي بن غازي التويجري

العـام الجامعي
١٤٢٨/١٤٢٩هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

الْمُقَدِّمَةُ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعــد:

فقد بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم بكتابه المبين رحمة للناس وهدى للعالمين، فاستجاب له صحابته الكرام رضوان الله عليهم وآمنوا به وصدقوه وفهموا كتاب الله عز وجل لأنه بلسان عربي مبين، وما أشكل عليهم فهمه فقد سألوا عنه الرسول صلى الله عليه وسلم فبينه لهم أتم البيان، وفسره لهم أحسن التفسير، فقاموا من بعده بالرسالة وبلغوها للعالمين، ولما توسعت رقعة الإسلام في عهد الصحابة الكرام، ودخل كثير من الأعاجم الإسلام احتاج الناس إلى أن يفسر لهم كثير من معاني القرآن، فقام الصحابة ومن بعدهم التابعون بتفسير كتاب الله عز وجل، وتبيينه للناس، وهكذا فعل كثير من العلماء على مدى العصور والسنوات.

ومن العلماء الذين تصدوا لتفسير كتاب الله عز وجل: الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني رحمه الله برحمته الواسعة، فقد ألف كتاباً في تفسير القرآن بالقرآن، وسماه: **(مفاتح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن)**. ومن عنوان هذه الكتاب تبرز أهميته حيث إنه تفسير للقرآن بالقرآن وقليل هي التفاسير التي عُنيت بهذا الباب، وقد أبدع الصنعاني رحمه الله فيه، وتميز بسلاسة أسلوبه ووضوح معانيه، لهذا السبب وقع اختياري على هذا الكتاب أطروحتي للماجستير فيه، تحقيقاً ودراسة، وكان من توفيق الله عز وجل لي: أن زميلي الشيخ: أمين عايش المزيني حفظه الله قد عثر على جزء من مخطوط: مفاتح الرضوان يبلغ المئتين لوحاً تقريباً لم يحقق، فدلني عليه وشاطره معي، وقد استفدنا من فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله الزهراني حيث إنه هو الذي ابتدأ تحقيق هذا الكتاب، وهو

الذي أحضره من صنعاء، فجزاه الله عنا خيراً.

وقد كان ترتيب العمل في تحقيق الكتاب على النحو التالي:

- أول من استفتح تحقيق الكتاب هو الدكتور: عبـــد الله الزهـــراني في أطروحتـــه للماجستير حيث قام بتحقيق الكتاب من أول سورة الشعراء إلى آخر سورة الروم، تحقيقاً ودراسة مع مقارنته بتفسير ابن كثير، وقد نوقشت عام ١٤١٠هـــ.

- ثم جاءت بعده الأخت: هدى القباطي رحمها الله حيث حققت من أول الكتاب إلى نهاية سورة الحج مع مقارنته بتفسير فتح القدير للشوكاني في أطروحتها للماجســـتير، وقد نوقشت عام ١٩٩٦م.

- كما قام الشيخ: أمين بن عايش المزيني حفظه الله بتحقيق جزء مـــن الكتـــاب، وذلك في أطروحته للماجستير من أول سورة لقمان إلى آخر سورة الصـــافات، تحقيقـــاً ودراسة، ومقارنته بتفسير معالم التنـــزيل للبغوي، وقد نوقشت عام ١٤٢٨هـــ.

- وقد عمل الشيخ: محمد صبحي حلاق على تحقيق الكتاب من أولـــه إلى أوائـــل سورة لقمان و لم ينته بعد.

كما يقوم الدكتور عبد الله الزهراني حالياً بتحقيق جزء من الكتاب، وهو من سورة الأحقاف إلى نهاية الموجود منه، وقد بقي بعد هؤلاء الفضلاء جزء من الكتاب مـــن أول سورة ﴿صٓ﴾ إلى آخر سورة الدخان، يقع في خمسة وتسعين لوحاً، فآثرت أن يكون من نصيبـــي ومقارنته بكتاب إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، واخترت هذا الكتاب؛ لأن الصنعاني لا يكاد يخرج عنه، فقد تبين لي بعد المقارنة أن الصنعاني رحمه الله كثيراً ما ينقل من تفسير أبي السعود، وقد بينت ذلك في مبحـــث المقارنـــة بـــين الكتـــابين في الدراسة[1].

وقد قسمت عملي في تحقيق هذا المخطوط إلى: مقدمة ذكرت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطتي فيه، ثم ختمتها بشكر وتقدير.

---

(١) انظر: ص ٤٥.

ثم ذكرت تمهيداً للكتاب.

ثم قسمت بحثي إلى بابين:

الباب الأول: الدراسة.

وقد حاولت فيها أن أطرق الموضوعات التي لم تُطرق من قبل، أو كـــان الضـــوء المسلط عليها أقل من حجم الموضوع، وتحاشيت الموضوعات التي أشبعت بحثاً والتي لـــن آتي فيها بجديد.

وقد جعلت الدراسة على فصلين:

الفصل الأول: دراسة المؤلف.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: ترجمة موجزة للمؤلف، نظراً لسبق دراستها دراسة وافية.

المبحث الثاني: جهوده في التفسير وعلوم القرآن.

المبحث الثالث: اعتقاده لمعتقد السلف وما لاقاه بسبب ذلك.

المبحث الرابع: موقفه من الزيدية.

الفصل الثاني: دراسة الكتاب.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تاريخ كتابته.

المبحث الثاني: توثيق نسبته إلى المؤلف.

المبحث الثالث: موارد المؤلف في الكتاب.

المبحث الرابع: وصف نسخ المخطوط.

المبحث الخامس: المقارنة بين منهج الصنعاني وبين منهج أبي السعود في التفسير مـــن سورة ص إلى نهاية سورة الدخان، وذلك من خلال بيان أوجـــه الاتفـــاق، وأوجـــه الافتراق، وما يتميز به كل منهما، وما يؤخذ على كل منهما.

الباب الثاني: النص المحقق.

ويتضمن نص المؤلف في تفسيره من أول سورة ﴿ص﴾ إلى نهاية سورة الدخان.

يلي ذلك الفهارس العلمية التي ستكون على النحو التالي:

١- فهرس الأحاديث.

٢- فهرس الآثار.

٣- فهرس الأبيات الشعرية.

٤- فهرس الأعلام.

٥- فهرس مصادر المؤلف ومراجعه التي نص على ذكرها في كتابه هذا.

٦- فهرس مصادر ومراجع التحقيق.

٧- محتوى الموضوعات.

هذا، وقد كان منهجي في البحث على النحو التالي:

١- عزوت الآيات إلى سورها، فبعد الآية أكتب اسم السورة، ورقم الآية بخط أصغر دون وضعها في الحاشية لكثرتها، عدا الآيات الخاصة بالقسم المحقق؛ حيث إن المؤلف يقطعها كلمات لزوم التفسير.

٢- عند وجود الخطأ في الآية فإني أصوبه دون أن أشير إلى ذلك في الحاشية، وذلك لكثرة الأخطاء الواردة في كتابة الآيات.

٣- التزمت برسم المصحف الشريف في رسم الآيات.

٤- خرَّجت الأحاديث والآثار الواردة، فإن كان الحديث أو الأثر في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به، وإن لم يكن فيهما خرجته من السنن والمسانيد والمعاجم حسب الطاقة، ونقلت حكم من حكم عليه من العلماء ممن عُرف في هذا الشأن إن وجد، وإن لم أجد من حكم عليه تتبعت رجال السند، ونقلت كلام أهل الجرح والتعديل عليهم واكتفيت بذلك دون إطلاق حكم مني على الحديث.

٥- درجت عند تخريج الأحاديث والآثار على أن أذكر رقم الجزء والصفحة ورقم

الحديث إن وجد، ثم أذكر الكتاب والباب الذي ورد فيه الحديث ليســـهل علـــى الباحث الرجوع إليه.

٦- ترجمت للأعلام التي تحتاج إلى ترجمة وتركت بعضها اكتفاءً بشهرته.

٧- في ترجمتي للأعلام، اعتمدت على كتاب السير للإمام الذهبي رحمه الله كأصل، مـــع الرجوع إلى كتاب أو كتابين معه.

٨- عند الإحالة إلى المراجع أذكر ما اشتهر به الكتاب، فإن اشتهر باسمـــه كالتقريـــب، والكشاف ذكرته به، وإن اشتهر بمؤلفه نسبته إليه كتفسير الطبري وابن كثير.

٩- راعيت -في الغالب- عند ذكر المراجع والإحالة عليها أقدمية الكتـــاب ومؤلفـــه، فالكتاب الذي مؤلفه متقدم قدَّمته في الذكر على من جاء بعده، فمثلاً الحديث الذي أخرجه أحمد والبخاري والطبراني، خرَّجته من مسند أحمد، ثم من صحيح البخاري، ثم من معجم الطبراني، ودرجت على ذلك في جميع المراجع.

١٠- قمت بنسخ النص وكتابته وفق قواعد الإملاء الحديثة.

١١- قمت بنقط الكلمات التي أغفل الناسخ نقطها، وصححت التي نُقِطـــت خطـــأً، وتحريت الصواب في ذلك ولم أشر إليه لكثرته.

١٢- أشرت لما في حواشي المخطوط من العناوين أو التعليقات في الحاشـــية في مكانهـــا المناسب.

١٣- قمت بإثبات التصحيحات الموجودة في حاشية المخطوط داخل النص، وأشرت إلى ذلك في الحاشية.

١٤- قمت بإثبات بعض الكلمات التي أجزم بأنها ساقطة أو أنها ضرورية للمعنى داخـــل النص، ووضعتها بين معقوفتين، فإن كانت الكلمة ضمن نص أورده المؤلف فإنني أشير في الحاشية إلى ذلك، وإن لم تكن ضمن نص منقول أثبتها وأقول في الحاشية: وما أثبت يقتضيه السياق، أو نحوها من العبارات.

١٥- في حالة وجود سقط أو خلل في الكلام لم أتمكن من معرفته أُشير إليه في الحاشـــية مع ذكر معناه إن تبين لي، وإلاّ قلت: هكذا في الأصل ولم يتبين لي أو نحوها مـــن

العبارات.

١٦- اجتهدت في تصحيح الأخطاء الإملائية والنحوية التي أجزم بخطئها، ووجهت ما يحتمل وجهاً في الحاشية مع إبقائه في الأصل.

١٧- شرحت المفردات الغريبة التي تحتاج إلى شرح.

١٨- عَرّفت بالبلدان الواردة في الكتاب والتي تحتاج إلى ذلك.

١٩- عَرّفت بعض المصطلحات التي تحتاج إلى تعريف.

٢٠- قمت بالتعليق على بعض المسائل التي أرى أنها تحتاج إلى ذلك وناقشت ما يحتاج منها لمناقشة، سواء كانت عقدية أو فقهية أو غيرها.

٢١- عند توثيق كلام المؤلف وثقت ما صرح بنقله عن غيره أو ألمح إليه بقوله: وقيل كذا وكذا، أو ما كان من جهة الإعراب، أو أشار إلى الخلاف فيه.

٢٢- أثبتّ أرقام ألواح المخطوط عند نهاية كل لوح داخل النص، ورمزت للوح المواجهة بالحرف (أ) وللذي في ظهره بالحرف (ب)، واستخدمت حرف (ل) رمزاً للوح فيكون هكذا [ل ١٣٠/أ] مثلاً.

المصاعب التي واجهتني:

هذا، وقد واجهتني بعض المصاعب في تحقيقي للمخطوط، أبرزها: عدم وجود نسخ أخرى له مما حداني في بعض الأحيان أن أصوّب بعض العبارات والكلمات ممن ينقل عنهم الصنعاني، كتفسير أبي السعود، وغيره.

ثم إنني أحمد الله عز وجل على ما يسره من إتمام هذا البحث، فله الحمد كله، وإليه يرجع الأمر كله علانيته وسره، فأهلٌ هو أن يحمد وأهل هو أن يشكر، ثم الشكر بعد ذلك لمن قام معي في البحث خير قيام وسار معي أفضل السير، فقومني وأرشدني وصوبني وسددني؛ ذلكم هو مشرفي في البحث فضيلة الدكتور/ علي بن غازي التويجري، الذي فتح لي بيته ومكتبته وأتحفني بصحبته ورأيه، وأعارني ما احتجت إليه من كتبه، ويعلم الله كم استفدت منه وتعلمت، فجزاه الله عني خير الجزاء، وجعل ذلك في ميزان حسناته، آمين.

ثم الشكر يتواصل لكل من ساعدني في البحث من أهلٍ وأقارب وزملاء، وأخـــص بالشكر منهم: زميلي الشيخ: أمين عايش المزيني حفظه الله، فلقد كان له علي فضل بعد الله في كثير من الأمور، فجزاه الله عني خيراً، وجعل ما قام به في ميزان حسناته.

وفي الختام فهذا هو البحث قد اكتسى حلته النهائية وقد اجتهـــدت فيـــه مقاربـــة الصواب، فإن وُفِّقت فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وإن جانبته فإنما هـــي الـــذنوب فأستغفر الله وأتوب إليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيـــد

إن أصح طرق التفسير هي أن يفسر القرآن بالقرآن كما ذكر ذلك شيخ الإســـلام ابن تيمية بقوله: "فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أُجمل في مكان فإنه قد فُسّر في موضع آخـــر، ومـــا اختصر من مكان فقد بُسط في موضع آخر"[1]،

وإذا كانت هذه الطريقة هي أصح الطرق فقد سار عليهـــا الصـــنعاني رحمـــه الله مما أعطى هذا التفسير أهمية، وجعله يأخذ مصافه بين كتب التفســـير المعـــدودة الـــتي اعتنت بتفسير القرآن بالقرآن كتفسير ابن كثير رحمه الله، وتفسير أضواء البيان للشنقيطي رحمه الله. ولتفسير القرآن بالقرآن أهمية عظمى، أجملها في عدة نقاط:

١- أن تفسير القرآن بالقرآن من السهولة بمكان ولا يحتاج إلى عناء، فمثلاً قوله تعـــالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هُلُوعاً﴾ (المعارج: ١٩) فنجد تفسير معنى الهلوع في الآيتين التي تليها، وهي قوله تعالى: ﴿إذا مسّه الشر جزوعاً • وإذا مَسَّه الخير منوعاً﴾ (المعارج: ٢٠، ٢١)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحـــة:٦)، فلو سأل سائل: ما هو الصراط المستقيم لجاء الجواب في الآية بعدها: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة: ٧)، ولمعرفة من هم الذين أنعم الله عليهم، جاء الجواب في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُـــنَ أُوْلَئِـــكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩).

٢- أن هذا النوع من التفسير لا يحتاج إلى البحث عن الأسانيد بخلاف غيره كتفســـير القرآن بالسنة فإننا إذا أردنا أن نقول به لابد من التأكد من صحة إسناده إلى الـــنبي

(١) مجموع الفتاوى: ٣٦٣/١٣.

صلى الله عليه وسلم.

٣- أنه يبين وجوه أخرى تزيد في المعنى فيفصل المجمل ويشرح المبهم، ويقيـد المطلـق وهكذا.

٤- أن تفسير القرآن بالقرآن يزيد صلة الباحث بكتاب الله حيث إنه يحتاج للبحث عن الآيات وربطها ببعض مما يكون له الأثر في زيادة الإيمان.

٥- أن تفسير القرآن بالقرآن يعد آمن طرق التفسير، ويليه في الدرجة: تفسير القـرآن بحديث النبي صلى الله عليه وسلم.

أسأل الله أن ينفعنا بالقرآن وأن يرفعنا بالقرآن.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباب الأول
الدراســـــة

وفيه فصلان:

الفصل الأول: دراسة المؤلف.

الفصل الثاني: دراسة الكتاب.

الفصل الأول
دراسة عن المؤلف

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: ترجمة موجزة للمؤلف.

المبحث الثاني: جهوده في التفسير وعلوم القرآن.

المبحث الثالث: اعتقاده لمعتقد السلف وما لاقاه بسبب ذلك.

المبحث الرابع: موقفه من الزيدية.

المبحث الأول: ترجمة موجزة للمؤلف

اسمه ونسبه:

هو الإمام العلامة محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الكُحْلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم. مجتهد من بيت الإمامة في اليمن يلقب "المؤيد بالله" ابن "المتوكل على الله". ويتصل نسبه بالحسن بن علي رضي الله عنهما. وعُرِف بالأمير كأهل بيته نسبة إلى جدهم الكبير الأمير يحيى بن حمزة بن سليمان[1].

مولده:

ولد بمدينة كُحْلان عفَّار[2] ليلة الجمعة نصف جمادى الآخرة عام ١٠٩٩هـ آخر القرن الحادي عشر.

نشأته:

نشأ الصنعاني في بيت علم وصلاح، وقد توسم فيه والده العالم الجليل إسماعيل بن صلاح الأمير الذكاء النادر فأولاه جل اهتمامه وعكف على تدريسه، فحفظ القرآن مبكراً ثم انتقل به والده إلى صنعاء عام ١١١٠هـ[3] ، وأخذ عن والده في الفقه والنحو والبيان، واستمر في القراءة في شتى الفنون على والده وعلى علماء صنعاء. وفي عام

(١) انظر ترجمته في: البدر الطالع ٥٢/٢ (٤١٧)، والروض النضير ١٧٧/ب، وديوان ابن الأمير ص٧، والأعلام للزركلي ٣٨/٦، وعنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر النجدي ١٠٢/١، ونشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، لمحمد بن زبارة الصنعاني ٢٩/٣، وغيرها.

(٢) وهي مدينة بينها وبين صنعاء أربعة وعشرون فرسخاً، وتقع غربها نحو الشمال، وفيها حصن كحلان الشهير الذي بناه أبو حسان أسعد بن أبي يعفر آخر ملوك بني يعفر، انظر: تاريخ ابن خلدون ٢٩٢/٢، ومعجم البلدان ٤٣٩/٤، وهجر العلم ومعاقله في اليمن لإسماعيل بن علي الأكوع ١٨٠٨/٤.

(٣) انظر: هجر العلم ومعاقله ١٨١٥/٤، ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص٦٨، ونشر العرف ٣٠/٣.

١١٢٢هـ حج أول حجة له[١]، ثم توجه بعد قضاء فريضته إلى المدينة النبوية وأخذ عن خطيب الحرم النبوي الشيخ عبد الرحمن بن الخطيب بن أبي الغيث[٢] أوائل الصحيحين وغيرهما، وقد أجازه إجازة عامة، وكذلك أخذ عن الشيخ طاهر بن إبراهيم بن حسن الكردي المدني[٣][٤].

وكان في كل حجة يحجها يلتقي بعلماء الحجاز فيأخذ عنهم ويناظرهم؛ ففي حجته الثانية عام١١٣٢هـ التقى بالشيخ الحافظ أبي الحسن السندي وقد كانت بينهما مباحثة ومراسلة علمية[٥]. ورجع إلى صنعاء فعكف على نشر السنة النبوية والتدريس والفتيا والتأليف والإرشاد.

وفي عام١١٣٤هـ حج الحجة الثالثة ولقي فيها بعض العلماء. ثم حج حجته الرابعة والأخيرة عام ١١٣٩هـ وأقام بعد الحج مدة في الطائف ثم انتقل إلى شهارة[٦] عام ١١٤٠هـ ومكث فيها مدرساً ومفتياً ومؤلفاً إلى عام ١١٤٨هـ حيث رجع إلى صنعاء وأقام فيها بقية عمره يدرس ويفتي ويؤلف ويرشد وينشر العلم والسنة ويخطب بعض الجمع في جامع الروضة من أعمال صنعاء[٧].

شيوخه:

كان للإمام الصنعاني رحمه الله مشايخ كُثُر تلقى عنهم العلوم والمعرفة وكان من

---

(١) انظر: الديوان ص٩، وكتاب ابن الأمير وعصره لمجموعة من الباحثين ص١٢٨.

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) ستأتي ترجمته.

(٤) المصادر السابقة.

(٥) انظر: نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف لمحمد بن محمد زبارة الصنعاني ٣١/٣، وكتاب ابن الأمير وعصره ص١٢٨، وديوان الأمير ص ١٠.

(٦) حصن عظيم من حصون صنعاء باليمن. انظر: معجم البلدان ٣٧٤/٣.

(٧) انظر: نشر العرف ٣٢/٣، وديوان الأمير ص ١٠.

أولهم: والده: إسماعيل بن صلاح الأمير[1]؛ فقد تتلمذ عليه في الفقه والنحـو والبيـان وأصول الدين[2].

وكذلك درس على الشيخ عبد الخالق بن الزين المزجـاجي[3] صـحيح البخـاري ومسلم وسنن أبي داود وأجازه[4].

وقد درس الصحيحين أيضاً على خطيب المسجد النبوي الشيخ عبد الـرحمن بـن الخطيب بن أبي الغيث[5].

وفي حجته الثانية زار المدينة والتقى بالشيخ الحافظ أبي الحسن بـن عبـد الهـادي السندي[6]، وقد تأثر به كثيراً، وجرت بينهما مناظرات ومراسلات علمية[7].

ومنهم: زيد بن محمد بن الحسن بن القاسم[8].

---

(١) هو العلامة المفضال أبو محمد إسماعيل بن صلاح الأمير الحسني، ولد في مدينة كُحلان سنة ١٠٧٢هـ، درس الفقه والفرائض وغيرها من العلوم، واشتهر بالكرم ولين الجانب، مات في صنعاء سنة ١١٤٦هـ.
انظر: البدر الطالع، الملحق لمحمد بن محمد زيارة ٢/٢٥٤.

(٢) انظر: ابن الأمير وعصره ص١٢٥، ونشر العرف ٣/٣٠.

(٣) هو الشيخ عبد الخالق بن الذين بن محمد بن الصديق المزجاجي الحنفي الزبيدي، أخذ عن والده وعمه وجماعة من الأكابر، وأخذ عنه جماعة من أعيان علماء صنعاء، مات بصنعاء سنة ١١٥٢هـ.
انظر: البدر الطالع، الملحق لمحمد زبارة ٢/٢٩٥.

(٤) انظر: نشر العرف ٣/٣٠.

(٥) لم أجد له ترجمة.

(٦) هو الإمام العالم العامل أبو الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي السندي الأصل والمولد، الحنفي، نزيل المدينة المنورة، المحقق المدقق الفهامة ارتحل إلى تستر وأخذ عن جملة من الشيوخ، ثم رحل إلى المدينة المنورة وتوطنها، وأخذ عن جملة من مشايخها، ودرس بالحرم النبوي الشريف، من مؤلفاته: الحواشي الستة على الكتب الستة، مات بالمدينة سنة ١١٣٨هـ.
انظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ٤/٦٦.

(٧) انظر: ابن الأمير وعصره ص١٢٨، ونشر العرف ٣/٣١.

(٨) هو شيخ مشايخ صنعاء في العلوم الآلية بأسرها زيد بن محمد بن الحسن بن القاسم بن محمد، ولد سـنة ١٠٧٥ه، وأخذ العلم عن جماعة من أعيان العلماء، وبرع في كثير من العلوم خصوصاً علم المعاني والبيان من تآليفـه: تشييد أركان القبتين، ورسالة في تبين الفرقة الناجية، وجواب عن النبراس، وغيرها، مات سنة ١١٢٣ه. =

ومنهم: صلاح بن الحسين الأخفش[1].

ومنهم: عبد الله بن علي الوزير[2].

ومنهم: علي بن محمد العنسي[3].

وممن لازمهم الصنعاني من العلماء: الشيخ محمد بن أحمد الأسدي[4]، وقد قرأ عليه شرح العمدة لابن دقيق العيد واستثارته مباحث الكتاب وأعجبته فوضع حاشية عليه وسماها: (العدة على شرح العمدة)[5].

ومنهم: الحسن بن حسين شاجور[6]، وقد أخذ عنه ابن الأمير علم القراءات[7].

تلامذته:

تلامذة ابن الأمير كثيرون، منهم:

- أولاده الثلاثة: ١- إبراهيم[8].

=

انظر: البدر الطالع ١/١٧٨، والأعلام للزركلي ٣/٦١، ومعجم المؤلفين، لكحالة ٤/١٩١.

(١) هو صلاح بن حسين بن يحيى بن علي الأخفش الصنعاني العالم المحقق الزاهد المشهور المتقشف، أخذ العلم عن جماعة من علماء عصره، وبرع في النحو والصرف والمعاني والبيان وأصول الفقه، من مؤلفاته: نزهة الطرف في الجار والمجرور والظرف، وله رسالة في الصحابة، مات سنة ١١٤٢هـ.
انظر: البدر الطالع ١/٢٠٦، والأعلام للزركلي ٣/٢٠٧، ومعجم المؤلفين ٥/٢١.

(٢) هو عبد الله بن علي بن أحمد بن محمد الحسني المعروف بالوزير، مؤرخ أديب يماني من رجال الإفتاء، له شعر، ولد سنة ١٠٧٤هـ، وتوفي بصنعاء ١١٤٧هـ، من مؤلفاته: جامع المتون في أخبار اليمن الميمون.
انظر: البدر الطالع ١/٢٦٩، الأعلام للزركلي ٤/١٠٧، ومعجم المؤلفين ٦/٨٦.

(٣) هو علي بن محمد بن أحمد العنسي الصنعاني الشاعر البليغ والقاضي المشهور، أخذ عن جماعة من علماء عصره، واشتغل بالتدريس في النحو والمنطق، مات سنة ١١٣٩هـ.
انظر: البدر الطالع ١/٣٢٥، ونشر العرف ٢/٢٥١، والأعلام للزركلي ٥/١٥، ومعجم المؤلفين ٧/١٨١.

(٤) لم أجد له ترجمة.

(٥) انظر: ابن الأمير وعصره ص١٢٩.

(٦) لم أجد له ترجمة.

(٧) انظر: ابن الأمير وعصره، ص ١٢٩.

(٨) هو الإمام العالم الخطيب الواعظ المفسر إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن صلاح ابن الأمير الصنعاني، ولد =

٢- وعبد الله[1].

٣- والقاسم[2].

- عبد القادر بن أحمد الكوكباني[3].
- أحمد بن محمد بن عبد الهادي بن صالح قاطن[4].
- أحمد بن صالح بن محمد بن أبي الرجال[5].

=

بصنعاء سنة ١١٤١هـ، ودرس على والده علوم الآلة والحديث والتفسير، استنابه والده في الخطابة، ودرس على جماعة من المشايخ، وكان من أهل الصلاح والعبادة، مات بمكة سنة ١٢١٣هـ.

انظر: نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر ٢٨/١، والأعلام للزركلي ٧٠/١، ومعجم المؤلفين ٨٦/١.

(١) هو علامة اليمن عبد الله بن محمد بن إسماعيل ابن الأمير الصنعاني، ولد بصنعاء سنة١١٦٠ه، ونشأ في حجر والده، وعنه أخذ العلم وكان يقابل معه مؤلفاته، وحفظ المتون واشتغل بالعلوم، وأخذ عن جماعة من الأعيان، توفي في صنعاء سنة ١٢٤٢هـ، من تآليفه: نظم بلوغ المرام، ورياض الربيع في المعاني والبيان والبديع.

انظر: نيل الوطر ٩٧/٢، والأعلام للزركلي ١٣١/٤، ومعجم المؤلفين ١١٠/٦.

(٢) هو القاسم بن محمد بن إسماعيل ابن الأمير الصنعاني، ولد سنة ١١٦٦هـ، بصنعاء، ونشأ بها، وأخذ العلم عن والده، ثم أخذ عن أخيه عبد الله، وغيرهما، كان إماماً في فنون عديدة مع تعبده وزهده. مات بصنعاء سنة ١٢٤٦هـ.

انظر: نيل الوطر ١٨٠/٢، والبدر الطالع ٣٨٨/١.

(٣) هو عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر بن الناصر الكوكباني، ولد سنة ١١٣٥هـ، بكوكبان، ونشأ بها، وأخذ عن أهلها، ثم رحل إلى صنعاء وذمار وغيرها من مدن اليمن، ثم مكة والمدينة، وحصل علوماً جمة، من أشهر تلاميذه: الإمام الشوكاني، من مؤلفاته: شرح نزهة الطرف، وفلك القاموس، وغيرهما، مات سنة ١٢٠٧هـ.

انظر: البدر الطالع ٢٥١/١، ونيل الوطر ٤٥/٢، والأعلام للزركلي ٣٧/٤، ومعجم المؤلفين ٢٨٢/٥.

(٤) هو أحمد بن محمد بن عبد الهادي بن صالح بن عبد الله بن أحمد قاطن الحبابي الكوكباني الصنعاني ولد سنة ١١١٨هـ، أخذ عن جماعة من علماء صنعاء وغيرها، واشتغل بالتدريس والإقراء، من مؤلفاته: اختصار الإصابة، وكتاب آخر ذكر فيه تراجم لأهل عصره، مات سنة ١١٩٩هـ.

انظر: البدر الطالع ٧٨/١، والأعلام للزركلي ٢٤٤/١، ومعجم المؤلفين ١٢٥/٢.

(٥) هو أحمد بن صالح بن محمد بن أحمد بن صالح بن أبي الرجال الصنعاني، ولد سنة ١١٤٠هـ، ونشأ بصنعاء، =

- الحسن بن إسحاق بن المهدي[1].
- محمد بن إسحاق بن المهدي[2].

مؤلفاته:

مؤلفات ابن الأمير كثيرة جداً، وقد ذكر بعض الباحثين أنها قد جاوزت المائتي مصنف[3]، على الرغم من كثرة أسفاره وكثرة المحن التي تعرض لها.

ومن أشهر هذه المصنفات:

- سبل السلام شرح بلوغ المرام، شرح فيه بلوغ المرام من أحاديث الأحكام، لابن حجر العسقلاني.
- التنوير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير، شرح فيه الجامع الصغير للسيوطي .
- العدة شرح العمدة، وهو حاشية على إحكام الاحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد.

=

وأخذ عن جماعة من علمائها، وبرع في معارف كثيرة سيما النحو والصرف والمعاني والبيان والأصول والتفسير، مات سنة ١١٩١هـ. من مؤلفاته: حاشية على شرح الغاية، وحاشية على الكشاف.

انظر: البدر الطالع ١/٤٤، ومعجم المؤلفين ١/٢٥٢.

(١) هو الحسن بن إسحاق بن المهدي، ولد سنة ١٠٩٣هـ، ونشأ بصنعاء، وأخذ عن جماعة من علمائها، وفاق في غالب العلوم، وصنف تصانيف، منها: منظومة الهدي النبوي لابن القيم، ثم شرحها شرحاً نفيساً، مات سنة ١١٦٠هـ.

انظر: البدر الطالع ١/١٣٥، والأعلام للزركلي ٢/١٨٤، ومعجم المؤلفين ٣/٢٠٥.

(٢) هو محمد بن إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد، ولد سنة ١٠٩٠هـ، أخذ العلم عن جماعة من علماء صنعاء، مات سنة ١١٦٧هـ.

انظر: البدر الطالع ٢/٤٩، والأعلام للزركلي ٦/٣٠.

(٣) ذكر ذلك الدكتور عبد الله الجنيدي في تحقيقه لكتاب إيقاظ الفكرة ص ٣٥، ونقل ذلك الدكتور عبد الله الزهراني في أطروحة الماجستير ص١٣.

- ❖ توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، لمحمد بن إبراهيم الوزير، وهو من كتب علوم الحديث.
- ❖ منحة الغفار على ضوء النهار شرح الأزهار، للحسن بن أحمد الجلال.
- ❖ الروضة الندية شرح التحفة العلوية، في مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
- ❖ ثمرات النظر في علم الأثر.
- ❖ إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة شرح فيه حديث: (كل مولود يولد على الفطرة).
- ❖ الأنفاس الرحمانية على الإفاضة المدنية. جواب رسالة للشيخ أبي الحسن السندي.
- ❖ السيف الباتر في يمين الصابر والشاكر. اختصره من عِدَة الصابرين لابن القيم.
- ❖ حاشية على البحر الزاخر في الفقه.
- ❖ إرشاد النُّقَّاد إلى تيسير الاجتهاد[1].

وفاته:

توفي رحمه الله في صنعاء يوم الثلاثاء الثالث من شهر شعبان سنة ١١٨٢هـ عن ٨٣ عاماً[2].

---

(١) انظر: نشر العرف ٤٧/٣، ٤٦، ٤٥، والأعلام ٣٨/٦، ومجلة العرب العدد التاسع ص ٦٨٤-٦٨٨، والعدد العاشر ص٧٨٠-٧٨٤.

(٢) انظر: الديوان ص٤٧، والبدر الطالع ١٣٩/٢.

المبحث الثاني
جهوده في التفسير وعلوم القرآن

لقد بدأت علاقة الإمام الصنعاني رحمه الله بالتفسير مع بداية علاقته بالقرآن، فمع تلقيه للقرآن الكريم على يدي والده العالم[1]، أثر ذلك في مسار حياته، فبدأ تعلقه بالقرآن الكريم، وهذه فائدة حفظ القرآن الكريم على يدي عالم، وكما جاء عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً[2].

وقد ورد هذا أيضاً من قول أبي عبد الرحمن السلمي نفسه[3].

فليس المقصود من حفظ القرآن حفظ ألفاظه فقط، بل المقصود حفظه، وفهم معانيه والعمل به، وهذا دأب الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين والعلماء العاملين، ومنهم الصنعاني رحمه الله فاسمع إليه يوصي أحد طلابه قائلاً له:

واحرصْ هُديتَ للرشادِ يا عَلي ... علَى كتاب اللّه رَبِّك العَلِي

فَكُنْ على الدرسِ لهُ محافظاً ... وكنْ لهُ غيباً هُديتَ حافظا

فَكُلّ خيرٍ في كتابِ ربِّي ... حَسْبِي بِهِ في كلِّ أمرٍ حَسْبِي

واعملْ بما عَلمتَ إن عَلَمْتَا ... يَزِدْك ربي مِنْهُ ما أمّلتَا[4]

وكذلك يوصي في إحدى قصائده بقراءة القرآن بتيقظ فقال فيها:

---

(١) انظر: نشر العرف ٣/٣٠، وكتاب ابن الأمير وعصره ص ١٢٥.

(٢) أخرجه ابن سعد في طبقاته ٦/١٧٢، وانظر: تفسير ابن كثير ١/٤.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٣/٣٨٠ (٦٠٢٧) من طريق معمر عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي قوله.

(٤) الديوان ص ٤٧٤.

فاتـــلُ كتـــابَ اللّـــهِ مســـتيقظاً   فوعْظُـــه يَهْـــدِم شُـــمَّ الجبـــالِ[(١)]

وهكذا بهذه الروح المعنوية والنفس الأبية انطلق الإمام الصنعاني في رحاب كتاب الله فهماً ودرساً ومذاكرة وتعلماً وتعليماً.

ولم يكتف رحمه الله بفهمه المجرد لكتاب الله عز وجل، بل أضاف إلى ذلك استعانته بعلوم الحديث الشريف والتفسير النبوي كما قال في بعض قصائده:

عِلْمُ الكِتَــابِ وسُــنَّةٌ للمُصــطفى   هُــو أوّلٌ وَهِــي المحــلُّ الثَّــاني[(٢)]

ولا أدل على ذلك من كثرة استدلاله بالأحاديث المرفوعــة في تفســيره مفــاتح الرضوان، وأيضاً لم يغفل جانب تفسير الصحابة والتابعين، وما الشواهد والآثــار الــتي يوردها في تفسيره إلا دليلاً على ذلك، ولنضرب على هذا مثالاً من تفسيره.

فعند قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا﴾ (صّ: من الآية١٦) بدأ مباشرة بعد الآية بسرد الآثار التي تفسر معنى القِطّ، فقال: "أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابــن المنذر، وابن أبي حاتم، عن قتادة قال: نصيبنا وحظنا من العذاب..." إلخ. ثم بعد ذلــك ذكر المعنى اللغوي للقِطّ فقال: "هو القطعة من الشيء، قَطّه إذا قطعه"[(٣)]. وهذا شــاهدٌ بسيط على عناية الإمام الصنعاني رحمه الله بالآثار التفسيرية، وإلا فتفسيره ملــيء بهــا ويعرف هذا من دار في فلك هذا التفسير المبارك: مفاتح الرضوان.

وكذلك من قرأ ديوان الصنعاني رحمه الله فسيجد أنه يزخر بذكر الكتاب والســنة، وإليك مقتطفات من قصائده تدل على عنايته بالقرآن والسنة فمنها قوله:

لكَ الحمدُ للعلمِ الشَّــريفِ هَــديتني   ودَلّيتني مِنْ عَلى المقصــدِ الأســنى

هُديتُ إلى بحــرٍ مِنْ العلــمِ زاخــرٍ   ينابيعُهُ مِنْ قَــابِ قَوْســينَ أَوْ أَدْنى

---

(١) الديوان ص٣٣٥.

(٢) الديوان ص٤٠٧.

(٣) انظر: ص (٦٢) من النص المحقق.

علـــومِ كِتَاب اللّهِ والسنَّــــةِ الــتي حَوى كُلّ لفظٍ منها روضة غَنَّــا[1]

ومنها قوله في مدح أهل الحديث:

رَوَوْا وارتَوَوْا مِنْ بَحرِ عِلــمِ محمــدٍ ولَيستْ لَهُمْ تِلكَ المذاهبُ مِــنْ وِردِ
كَفَاهُمْ كِتَابَ اللّه والسنة التي كفتــهُ قَبْلهمْ صَحْبَ الرسولِ ذَوي المجــدِ[2]

ولقد اعتنى الإمام رحمه الله بالعلوم المساعدة المعينة على فهم كتاب الله عز وجـــل كعلوم اللغة، والصرف، والبلاغة ونحوها وهو طريق المفسرين قبله، فلا بد لمـــن تصـــدر لتفسير كتاب الله عز وجل أن يكون مُلِماً بتلك العلوم.

قال الزركشي رحمه الله: "التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنـــزل على محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحِكمه واستمداد ذلك من علـــم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات[3] ا.هـــ

هذا وبعد أن استجمع الإمام الصنعاني رحمه الله الشروط المطلوبة في المفسر، انطلـــق في رحاب القرآن العظيم ، يتلوه ويفسره ويدعو به ويعظ الناس ، فكان رحمه الله كمـــا قال هو عن نفسه:

خَدمـــتُ كتابَ اللّهِ والسّـــنّةَ الـــتي أَتتنا عنِ المختارِ مِنْ صَـــحْبِهِ الْغُـــرِّ
نَشَرتُ لِواها في ديـــاري و لم يَكُـــنْ لِواها بمنشورٍ وسائلْ مَـــنْ يـــدري
وأرجو بِأنْ يَبْقى الذي قَـــدْ نَشَـــرتُه بها دائـــماً حَتّى يدومَ إلى الحَشَـــرِ[4]

وكان له رحمه الله مجلسٌ في الجامع الكبير بصنعاء يدرس فيه التفسير كما قال: "لمـــا دَرّسنا في الجامع الكبير في التفسير على الكرسي تدريساً عاماً ممزوجاً بالوعظ والتذكير،

---

(١) الديوان ص ٤٠٣.

(٢) الديوان ص ١٦٨.

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن ١/٣٣.

(٤) الديوان ص ٢٣٦.

من سنة ١١٥٤هـ، وانتشر منه خير كثير من تعليم الشرائع وإشاعة السنة النبوية، وكان يحضره أمم من الناس لا يحصون، من كبير وصغير، وأقبل الناس على الطاعات، وعمرت بيوت الله بالصلوات في أوقاتها والجماعات"[١].

وله من الأبيات في هذا:

عندي كتابُ اللّهِ أشرفُ مُنـزلٍ	والمصطفى حَسْبِي بذينِ إمامُ
ولَكَمْ نشرتُ على المنابرِ منهما	وعَلى الكَراسي ما طوى الأعْلامُ
أَبْرزتُ منهُ على الأنامِ نفائساً	فَكأَنَّها للعالمينَ زمامُ
قادتْ إلى نهجِ الهدايةِ أمةً	فقوي بما أبرزتُه الإسلامُ
وأتى إلى الكرسيِّ كُلُّ موفقٍ	فَهُمُ قعودٌ حولَهُ وقِيامُ[٢]

ومن كتب التفسير التي دَرَّسها الإمام الصنعاني رحمه الله على هذا الكرسي في الجامع، كتاب معالم التنزيل للبغوي، والكشاف للزمخشري، وقد كان يمزج درسه بالمواعظ والزواجر[٣]. وبعد أن أتم الصنعاني رحمه الله حفظ كتاب الله، ودَرْس معانيه، وتعلم العلوم الشرعية كالحديث والفقه والنحو والصرف والبلاغة، وأصبحت عدته جاهزة لأن يكون أهلاً للانضمام إلى ركب المفسرين، شرع رحمه الله في تأليف تفسيره (مفاتح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن) فهو إذاً تفسير للقرآن بالقرآن، وهي أحسن الطرق في تفسير القرآن[٤]، ويقول هو عن هذا: "والقرآن الكريم قد جرت حكمة الله فيه أن يحكي بعض الأمور في بعض المواطن، وبعضها في بعض

---

(١) انظر: الديوان ص ٤٠٢.

(٢) انظر: الديوان ٣٨٦، ٣٨٥.

(٣) نشر العرف ٤٠/٣

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ٣٦٣/١٣، والبرهان ١٩٢/٢.

آخر، ويكتفي بما ذكر في كل موطن عما ذكر في الآخر، إذ هو كلام واحد يوضح بعضه بعضاً، ويُقَيِّده ويفصِّلُ إجماله" ا.هـ[(١)]

ولندرة هذه التفاسير أعني التي تفسر القرآن بالقرآن، وهي معدودة على الأصابع برزت أهمية هذا التفسير المبارك، الذي أخذ مصافَّه أولاً بين كتب التفاسير التي سلمت من التأويلات الباطلة، وثانياً بين كتب تفسير القرآن بالقرآن.

(١) انظر: مفاتح الرضوان بتحقيق الأخت هدى القباطي رحمها الله ٢/١٢١.

المبحث الثالث

اعتقاده لمعتقد السلف وما لاقاه بسبب ذلك

إن المتتبع لكتب الإمام الصنعاني رحمه الله، والدارس لها ليلمح من أول وهْلَة نور العقيدة السلفية الصافي يشع منها، وينبثق من ثناياها، ومن سبر الأغوار عَلِمَ أن ذلك النور مستمد من القرآن الكريم ومن سنة سيد المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، التي تضلّع منها الصنعاني رحمه الله، ولكي نتعرف عن كثب على عقيدة الإمام الصنعاني وتوجهاته سنتعرف أولاً على حالة عصره التي عاش فيه.

فالصنعاني رحمه الله عاصر الإمام محمد بن عبد الوهاب، وواجه ما واجهه، من تفشي عبادة القبور والتبرك بها والبدع والضلالات التي كان ثديها المرضع لها هو الجهل، وسيفها المسلَّط في وجوه من أنكر هو التقليد الأعمى للآباء، وسأترك المجال لإمامنا الصنعاني يبين لنا من خلال شعره واقع عصره فيقول:

بدأَ الدينُ غريباً مِثْلَما ... قَالهُ خيرُ الأنامِ الكُرَما
ولقد عاد كما قالَ لنا ... وَهُو الصَّادقُ حقاً كَلِما
قد رأينا كُلَّ ما فاهَ بهِ ... أنه أصدقُ شيءٍ كَلِما
فاغْتَرَبْنَا بَيْنَ إخوانٍ لنا ... وَقَرَاباتٍ وقومٍ عُظَمَا
فارحم اللهمَّ ما نحنُ به ... إذْ غَدَوْنَا مثلَ مَنْ في فيهِ مَا
غُربةٌ عَمّتْ وَجَاءتْ بِدَعٌ ... عَمّت الكونَ وزادتْهُ عَمى
ليتْ شعري الأمانيُّ ضلة ... تَنْشُر السّنّةَ يوماً عَلَما
ويكونُ النَّصْرُ فيه للهُدَى ... ويُوَلِّي غيرُه مُنْهَزِمَا
ونطوفُ البيتَ سبعاً لا نرى ... بدعةً فيهِ ونأتي زَمْزَما
ونصلّي فيه خَمْسَاً جَمْعَاً ... واحدٌ ما فيهِ تفريقٌ لما
قَدْ نهى اللّهُ تعالى عنهُ في ... سورةِ الشورى فَأيْنَ العُلَمَا

مَـــا لَكُـــمْ مـــزّقْتُمُ الـــدينَ أَمـــا	قَـــدْ نُهِيـــتُمْ عَنـــهُ نهيـــاً مُحْكَمـــا
وَكَـــــذا في كُــــلِّ أرضٍ بِــــدَعٌ	لا أَخُـــصُّ اليـــومَ هَـــذَا الحَرَمَـــا
إنَّمَـــــا هـــــذا مثـــــالٌ فـــــاعتبر	وعليـــهِ قِـــسْ تَجِـــدْهَا ظُلَمَـــا
ظُلمته قـــد عَمّـــت الأُفْـــقِ فَـــلا	تَنْظُـــرُ الأنـــوارَ إلاّ حُلُمَـــا[1]

ثم استمع إليه يصف حال عصره في كتابه تطهير الإعتقاد عن أدران الإلحاد فيقول: "فإن قلت: هذا أمر عمّ البلاد، واجتمعت عليه سكان الأغوار والأنجاد، وطبـق الأرض شرقاً وغرباً ويمناً وشاماً وجنوباً وعدناً، بحيث لا تجد بلدة من بلاد الإسـلام إلا وفيهـا قبور ومشاهد وأحياء يعتقدون فيها ويعظمونها، وينذرون لها، ويهتفون بأسمائها، ويحلفون بها، ويطوفون بفناء القبور، ويسرجونها ويلقون عليها الأوراد والريـاحين، ويلبسـونها الثياب، ويصنعون كل أمر يقدرون عليه من العبادة لها، وما في معناهـا مـن التعظـيم والخضوع والخشوع والتذلل والافتقار إليها، بل هذه مساجد المسلمين غالبها لا يخلو من قبر أو قريب منه، أو مشهد يقصده المصلون في أوقات الصلاة يصنعون فيه ما ذكـر أو بعض ما ذكر"[2].

ثم يقول في موضع آخر: "فاعلم أن هذه الأمور التي ندندن حول إنكارها، ونسعى في هدم منارها صادرة عن العامة، الذين إسلامهم تقليد لآبائهم بلا دليل، ومتابعتهم لهم من غير فرق بين دني ومثيل، ينشأ الواحد فيهم فيجد أهل قريته وأصحاب بلدته يلقنونه في الطفولة أن يهتف باسم من يعتقدون فيه، ويراهم ينذرون، ويعظمونه ويرحلون به إلى محل قبره، ويلطخونه بترابه، ويجعلونه طائفاً على قبره، فينشأ وقد قر في قلبه عظمة مـا يعظمونه، وقد صار أعظم الأشياء عنده من يعتقدونه، فنشأ على هذا الصغير، وشاخ عليه الكبير، ولا يسمعون من أحد عليهم من نكير"[3]. ا.هـ.

---

(١) انظر: الديوان ص ٣٦٣.

(٢) انظر: تطهير الإعتقاد عن أدران الإلحاد للمؤلف ص ٥٢.

(٣) المصدر السابق ص٥٣.

وقد لقي الصنعاني رحمه الله في سبيل نشر العقيدة الصحيحة من الأذى ما الله به عليم، وهذه الأبيات من قصيدة يبين لنا واقعه ومشاعره تجاه ما حصل له من ذلك الأذى، فاسمع إليه يقول:

فإنِّي قَدْ أوذيتُ فيكَ[1] لنُصْرَتِي ... لسُنَّتِكَ الغَرّاءِ في البَرِّ والبَحْرِ

وَكَمْ رَامَ أقوامٌ وَهَمُّوا بِسَفْكِهِمْ ... دَمِي فأبى الرحمنُ نَيْلي بالضّرِّ[2]

وقال في قصيدة أخرى:

أُلامُ عَلى محبتِهِ وهَدْيِي ... بسنَّتِهِ وأَنَّ بها غَرَامِي

وقد عُجنَتْ مَحبّته بلَحْمِي ... وقَدْ خُلِطَتْ بِسُنَّتِهِ عِظَامِي

فلستُ بتارِكٍ أبداً حِمَاهُ ... ولَو أنِّي لَقيتُ بِهِ حِمَامِي

وَأَنْكَرَ مَنْهَجِي قَومٌ حَيَارَى ... رَمَونِي بالسِّهَامِ مِن الملامِ

أَحَاطَ بهمْ سَرادقُ كُلُّ جَهْلٍ ... فَمَا يَمْشُونَ إلاَّ فِي التَّعَامِي

إلى أن قال:

أَرُومُ حياةَ سنَّتَهُ بِجَهْدِي ... فَرَامُوا أَنْ يُلَقُّونِي حِمَامِي

وَقَد عُودِيتُ فِيهِ فَمَا أُبَالِي ... بما لاقَيْتُ مِنْ كُرَبٍ عِظَامِ[3]

فبعد هذا كله يمكن أن يقال بحق: إن الصنعاني رحمه الله يعتبر مجدداً للدين في بلاد اليمن في ذلك العصر الذي امتلأ بالجهل والظلم، وقد واجه في سبيل دعوته محناً ومواقف عصيبة أشار إليها الشوكاني[4]، ومن ترجم للمؤلف في

---

(١) أي في النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) الديوان ص ٣٦١.

(٣) الديوان ص ٣٦٠.

(٤) انظر: البدر الطالع ١/ ٥٣، ٥٤.

كتبهم فليرجع إليها، فنسأل الله عز وجل أن يعظم له المثوبة والأجر، وأن يجزيه عن أمة الإسلام خير الجزاء، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الرابع
موقفه من الزيدية

الزيدية نسبة إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1]، وإليه تنسب الزيدية وكان أهل الكوفة قد وعدوه النصرة على الأمويين، ولما خرج لقتالهم خذلوه كما خذلوا جده الحسين بن علي رضي الله عنهما من قبل فتركوه لأنه لا يلعن الشيخين فقُتل[2].

وتعتبر الزيدية من فرق الشيعة، إلا أنها تخالف بقية فرق الشيعة في كثير من مسائلهم وأصولهم، وهي الأخف ضرراً من تلك الفرق، والأقرب إلى أهل السنة والجماعة؛ لأنهم يقرون بالخلافة لأبي بكر وعمر وعثمان ويترضون عنهم[3]، خلافاً لبقية الرافضة الأنجاس الذين يلعنون الصحابة.

ولأن الزيدية فرقة من فرق الشيعة فهم يرون الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها سواء من نسل الحسن أو من نسل الحسين[4]، ويقولون بعصمة أربعة من آل البيت هم علي وفاطمة والحسن والحسين[5]خلافاً لغلاة الرافضة كالاثني عشرية الذين يقولون بعصمة أئمتهم الاثنى عشر.

وأما في جانب الأسماء والصفات فالزيدية يوافقون المعتزلة فيها وذلك لأن زيد بن علي تتلمذ في الأصول على واصل بن عطاء[6].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ١٣/٣٦، ٣٥، والمصادر السابقة.

(٢) انظر: تاريخ الطبري ٤/٢٠٤.

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين، للأشعري ص ٦٥، والملل والنحل للشهرستاني ١/١٥٤، ومعجم ألفاظ العقيدة للفالح ص ٢١٧، ومسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة للقفاري ١/١٦٠.

(٤) انظر: الملل والنحل ١/١٥٤.

(٥) انظر: البحر الزاخر ص٩٦، والعلم الشامخ للمقبلي ص٣٨٦.

(٦) انظر: الملل والنحل ١/١٦٢، والعلم الشامخ للمقبلي ص ٣٨٦.

هذا وقد نشأ الإمام الصنعاني منذ طفولته في مجتمع يعتقد بمعتقد الزيدية ويدين بها[(١)]، وهذا المذهب يُحرِّم التقليد، ويفتح باب الاجتهاد[(٢)]، فمن هنا كان منطلق الإمام وتحرره من ذلك المذهب، فلما بلغ مرتبة الاجتهاد بحث ودرس وتأثر بعلم الحديث والسنة، خصوصاً بعد رحلته إلى الحج والتقائه بالشيخ السندي رحمه الله، فكان هذا له دور كبير في رجوع الإمام الصنعاني إلى مذهب أهل السنة والجماعة، ومما ساعد الإمام رحمه الله على الرجوع نبذه للتقليد[(٣)] فقد كان شديد النبذ له وفي هذا يقول في بعض أشعاره:

مَنْ قَالَ إنِّي تَابعٌ لمحمّدٍ ... ومُتَابِعُ الآثار والقُرآنِ

قالوا أَتَيْتَ عظيمةً في دِينِنا ... وَرَكِبْتَ مَتْنَ الجَهْلِ والخُذْلانِ

قَلِّدْ فُلاناً فِي الدِّيانَةِ واتَبِعْ ... فيما تدِينُ مَقَالَةً لِفُلانِ

قُلنا لهم لَسْنَا نَعِيبُ عَلى الذي ... قَدْ قَلَّدَ الأَمْواتَ في الأَدْيَانِ

لَكِنّ مَنْ عَرَفَ الأصولَ وَحَقَّقَ الـ ... آثارَ وَالتفسيرَ لِلقُرْآنِ

إلى أن قال:

أَيجوزُ أَنْ يَغْدُو أَسِيراً بَعْدَهَا ... وَيُقَادُ بِالتَّقْلِيدِ كَالعُمْيَانِ

ويُتَابِعُ الآبَاءَ فِي أَدْيَانِهِمْ ... هَذِي مقالةُ عَابِدِي الأَوْثَانِ[(٤)]

وبعد أن استقر الإمام الصنعاني رحمه الله على مذهب أهل السنة والجماعة أخذ في نشر الحق والصدع به، ونشر السنة في ربوع اليمن فتأثر الناس به ورجع كثيرٌ منهم إلى السنة الغراء، بل قد رجعت أسر بأكملها إلى الحق كما هو حال آل إسحاق وآل شرف الدين وآل المتوكل وغيرهم[(٥)]. ومن شعره في ذلك:

---

(١) انظر: البدر الطالع ٢/١٣٤.

(٢) انظر: كتاب الزيدية نظرية وتطبيق لعلي بن عبد الكريم ص ١١.

(٣) انظر: هجر العلم ومعاقله ٤/١٨٥١.

(٤) انظر: الديوان ص ٤٠٧.

(٥) انظر: هجر العلم ومعاقله ٤/١٨٥١.

كـــــان الحـــــديثُ بأرضِـــــكُمْ مُسْـــــتَغْرَباً وَاللّـــــهِ جِـــــدًّا
حـــــتى نَشَـــــرتُ فُنونَـــــهُ وَجلَـــوْتُ مِنـــهُ مَـــا تَصَـــدَّى
ولِدَرْسِـــــــهِ ولأَخْـــــــذِهِ مِـــنْ بَعـــدِنا كُـــلٌّ تَصَـــدَّى
وَتَنَـــــافَسَ العُلمـــــــاءُ في كُتْـــبِ الحـــديثِ هَـــوىً وَوَجْـــدَا
هــــــــذا بتَنَسّـــــــخٍ وذا بشِـــــرَائِها بِالَمـــــالِ نَقْـــــدَا
مَـــــا قُلـــــتُ ذَا فخـــــراً ولا أَرْجُـــــو بنشـــــر العِلْـــمِ جَـــدًّا
بـــــــل قُلْتُـــــــه مُتَحَـــــــدِّثاً بِنَعِـــيمِ مَـــنْ أَعْطَـــى وأَجْـــدَى[1]

---

(١) انظر: الديوان ص ١٣٤، ١٣٥.

الفصل الثاني
دراسة الكتاب

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تاريخ كتابته.

المبحث الثاني: توثيق نسبته إلى المؤلف.

المبحث الثالث: موارد المؤلف في الكتاب.

المبحث الرابع: وصف مخطوط الجزء المحقق.

المبحث الخامس: المقارنة بين منهج الصنعاني وبين منهج أبي السعود في التفسير من سورة صٓ إلى نهاية سورة الدخان.

المبحث الأول

تاريخ كتابته

لقد دأب الصنعاني رحمه الله على نشر العلم والتعليم، كما تقدم بيانه في مبحث جهوده في التفسير، ومع هذا النشر للعلم كان رحمه الله يدرّس التفسير في جامع صنعاء ويكتب ما يدرسه كما ذكره ناسخ المخطوطة بقوله:"انتهى الموجود من تفسير البدر المنير[١] رضوان الله ورحمته تغشاه، نُقل من الأم التي بخطه قدس الله روحه، وكان يكتبه رحمه الله أيام تدريسه في تفسير البغوي، يكتب كل يوم ما درسه، ولهذا تجده في بعض المواضع لم يكتب شيئاً لاشتغاله ورجاءِ لكَتْبِه بعد ذلك..."[٢].

هذا ولا يمكننا الجزم ببداية كتابته للتفسير، وقد ورد في عدة مواضع من تفسيره تاريخ لبعض السور، كسورة القصص جاء التاريخ أن تفسيرها كان في غرة عام١١٧٧هـ[٣]، وفي سورة ﴿يسٓ﴾ انتهى في الثالث عشر من ربيع الآخر عام١١٧٨هـ، والصافات في جمادى الآخرة ١١٧٨هـ، وسورة الزمر في رمضان١١٧٨هـ، وسورة الشورى في جمادى الثانية ١١٧٩هـ، وسورة محمد صلى الله عليه وسلم انتهى في عشرين من صفر١١٨٠هـ، وكما ترى أيها القاري الكريم أن هذا التاريخ الأخير هو الأقرب لتاريخ وفاة المؤلف رحمه الله عام١١٨٢هـ مما يدل على أن التفسير قد استمر مع المؤلف إلى آخر حياته، أما بدايته في كتابة التفسير فكما سبق لا يمكن الجزم بها، وإنما قد يقال: إن تدريسه

---

(١) هذا أحد ألقاب المؤلف.

(٢) مفاتح الرضوان ق٢١١/ب.

(٣) انظر: مفاتح الرضوان في القسم الذي حققه الدكتور عبد الله سوقان ص ٣٨٠.

للتفسير كان متأخراً، وقد قال الصنعاني رحمه الله في شعره:

وَرِثْتُ عُلُومَ الآلِ طُرّاً وبعدَهَا حَفِظتُ بحمْدِ اللّهِ سُنَّةَ أَحمدِ

ودرّسْتُ في العِلْمَيْنِ أعلامَ عَصْرِنا فَكلٌّ تلامِيذِي فَسَلْ وتَنشَّدِ

كَذلكَ تَفْسيرُ الكِتَابِ حَفِظْتُهُ ودرَّسْتُ في التَّفْسِيرِ كلَّ موحِّدِ

عَلَى كُلِّ كُرسيٍّ وَفي كُلِّ مَسْجدٍ فَكُلٌّ بما قُلْنَاهُ يَهْدِي ويَهْتَدِي[1]

(١) انظر: الديوان ص ١٨٥، ١٨٦.

المبحث الثاني

توثيق نسبته إلى المؤلف

هذا الكتاب (**مفاتح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن**) هو لمؤلفه محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني رحمه الله ولا شك في ذلك ولا ريب، وذلك لأدلة عدة ذكرها مستوفاة بما لا يترك مجالاً للشك الشيخ الدكتور عبد الله بن سوقان الزهراني في تحقيقه لجزء من هذا التفسير المبارك، وقد أجاد وأفاد، واختصر على من بعده الوهاد، ولم يدع لمشكك مجالاً للعناد[1].

أما الأدلة على نسبة الكتاب للصنعاني رحمه الله فكثيرة، استقصاها الدكتور عبد الله ابن سوقان الزهراني حفظه الله وسأذكر أهمها.

فمن الأدلة:

١- ذكر الصنعاني رحمه الله في تفسيره بعض كتبه التي ألفها وأحال عليها فمثلاً:

- السيف الباتر في يمين الصابر الشاكر[2]
- سبل السلام[3]
- الروضة الندية[4]
- والأنفاس الرحمانية[5]

٢- لا شك أن كتاب إيقاظ الفكرة هو للصنعاني، وقد أورد فيه عدة مسائل وكان له فيها اختيارٌ وترجيح ثم نجده بعد ذلك ذكر تلك المسائل في تفسيره مما يدل على أن

---

(١) انظر: مفاتح الرضوان، تحقيق عبد الله الزهراني ١/٣١ وما بعدها.

(٢) انظر: ص (٩٥) من هذا البحث.

(٣) انظر: مفاتح الرضوان بتحقيق الدكتور عبد الله الزهراني ص ٣٥٠.

(٤) انظر: مفاتح الرضوان بتحقيق الدكتور عبد الله الزهراني ص ٤١٠.

(٥) انظر: مفاتح الرضوان بتحقيق الشيخ أمين بن عايش ص ٣٥٧.

الكتابين منبعهما واحد، فمثلا:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (البقرة:٥٥) قال: "وفي الآية دليل على أنه صح إيمانهم قبل علمهم أن الله تعالى ليس بجسم ولا عرض فإنهم لا يعرفون مرئياً إلاّ الأجسام والأعراض، وهذا أحسن مما استدل به ابن عبد السلام وغيره على هذا بأنهم عبدوا العجل ولو كانوا علموا أن الله تعالى ليس بجسم لما عبدوه. وهذا الدليل بيّنا بطلانه في محل آخر... وحققناه في رسالة". ا.هـ[(١)].

والرسالة هي إيقاظ الفكرة وهذا الكلام موجود فيها[(٢)].

هذا وقد ذكر الشيخ عبد الله الزهراني أدلة كثيرة غير هذه فليرجع إليها.

وقد أثير حول الكتاب شبهتان على نسبة الكتاب، فأجاب الشيخ عليهما وسد الباب، نذكرهما ثم نفيض في الأدلة المقنعة لأولي الألباب.

الشبهة الأولى: أن إبراهيم ابن المصنف رحمه الله ترجم لوالده في كتابه الروض النضير و لم يذكر في ضمن مؤلفاته كتاب مفاتح الرضوان.

الشبهة الثانية: أن الشوكاني رحمه الله وهو ممن عاصر المؤلف وترجم له لم يذكر ذلك أيضاً بل عزى هذا الكتاب لابنه إبراهيم[(٣)].

وجواب الشبهة الأولى يُجمل في نقاط:

- أن إبراهيم ابن المصنف لما كتب في مؤلفات والده في كتابه الروض النضير بين أنه إنما جمع ذلك لنفسه حيث قال:" و لم أقصد بهذا الجمع إلا انتفاعي فإن طال بحث وأهمل آخر وحرر اليراع على صفحات الرقاع بما لا تقبله الأسماع فقد راق لجامعه الذي هو

---

(١) انظر: مفاتح الرضوان بتحقيق الأخت: هدى القباطي ١٥٧/٢.

(٢) انظر: إيقاظ الفكرة ص ٢٠٣ – ٢١٠، نقلاً عن رسالة الأخ عبد الله الزهراني في تحقيقه لمفاتح الرضوان، ٣٢/١.

(٣) انظر: البدر الطالع ٤٢٣/١.

المراد وأن يمن سبحانه بنفع الغير به فلا حجاب على دائرة فضل الوهاب والله يعطي من يشاء من فضله"[1].

ثم بين سبب ذلك الجمع فقال: "إذ أهم المقاصد فيه: التذكير لما يخاف عليه الذهاب من أبحاث يتعذر أو يتعسر وجودها في كتاب"[2].

- أنه لم يدَّع في كتابه الروض النضير الاستيعاب لكل ما ألفه والده.
- لقد زادت مؤلفات الصنعاني رحمه الله على أكثر من ٢٠٠ كتاب، ولم يذكر منها ابنه إبراهيم إلا تسعة وعشرين، وهذا بناءً على إحصاء الدكتور عبد الله الزهراني لها من الروض النضير[3]، مما يدل على أنه لم يقصد جمع كل المؤلفات وإنما قصد ما يخاف عليه الذهاب كما تقدم.
- وقد تقدم أن كتاب مفاتح الرضوان كان يُلْقى على شكل دروس في المسجد، وقد استمر تدريسه إلى قرب وفاة المصنف رحمه الله، فلعل هذا هو الذي جعل إبراهيم يُغْفِل ذكر الكتاب، لا سيما وأنه ألف الروض النضير في حياة والده.

وجواب الشبهة الثانية:

أن الشوكاني رحمه الله في كتابه البدر الطالع لم يشترط الاستقصاء ولم يذكر من مؤلفات الصنعاني رحمه الله إلا ستة كتب[4]، بينما مؤلفاته زادت على المائتين، فلا حجة لمن أنكر النسبة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) انظر: الروض النضير ل ١٦٧/أ.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: مفاتح الرضوان بتحقيق الدكتور عبد الله الزهراني ٣٩/١.

(٤) انظر: البدر الطالع ١٣٧/٢، ١٣٨.

المبحث الثالث
موارد المؤلف في الكتاب

من خلال عنوان هذا الكتاب "**مفاتح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن**" يمكننا معرفة أول مصدر اعتمد عليه المؤلف، ألا وهو القرآن الكريم إذ أن هذا التفسير هو تفسير للقرآن بالقرآن، ثم من خلال العنوان أيضاً تبين لنا أن المؤلف رحمه الله لم يقتصر على القرآن في تفسيره، بل استمد من معين السنة النبوية المطهرة وأقوال الصحابة والتابعين ما يدعِّم به المعاني والحقائق التي يريد إيضاحها، كما هو واضح لكل من يقرأ في هذا الكتاب.

هذا وقد اعتمد المؤلف رحمه الله في تلك الآثار اعتماداً كلياً على كتاب الدر المنثور للسيوطي رحمه الله، من غير أن يبين صحة ما ينقله من ضعفه في الأغلب، فلا تكاد تجد حديثاً أو أثراً إلا وهو بنصه في الدر المنثور.

وأما في تفسير الكلمات وتحليل المعاني، فإننا نجد أن الصنعاني رحمه الله قد أكثر النقل عن تفسير أبي السعود، فكثيراً ما ينقل عنه باللفظ[1]، وقد ينقل عنه بالمعنى أحياناً، ولا يصرح بالنقل منه إلا في النزر اليسير.

ومن الكتب التي نقل عنها الصنعاني رحمه الله: الكشاف للزمخشري، فأحياناً ينقل عنه ويعقب عليه[2] وأحياناً ينقل ولا يعقب حتى ولو كان المنقول خطأً عقدياً ناشئ عن اعتزال الزمخشري[3].

ويمكن ترتيب مصادر المؤلف على النحو التالي:

---

(١) كما في سورة غافر عند قوله تعالى: ﴿وقهم السيئات﴾ انظر: ص (٢٠٣).

(٢) كما في سورة غافر عند قوله تعالى: ﴿فاغفر للذين تابوا﴾ انظر: ص (٢٠١)

(٣) كما في سورة غافر عند قوله تعالى: ﴿وسعت كل شيء رحمة وعلماً﴾ انظر: ص (٢٠٠).

أولاً: كتب التفسير وعلوم القرآن:

- تفسير عبد الرزاق.
- تفسير الفريابي.
- تفسير عبد بن حميد.
- تفسير الطبري.
- تفسير ابن المنذر.
- تفسير ابن أبي حاتم.
- تفسير ابن مردويه.
- أسباب النــــزول للواحدي.
- تفسير البغوي.
- الكشاف.
- الدر المنثور.
- تفسير أبي السعود.

علوم القرآن:

- فضائل القرآن لأبي عبيد.
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج.
- الناسخ والمنسوخ للنحاس.
- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي .

ثانياً: كتب الحديث:

- مصنف عبد الرزاق.
- سنن سعيد بن منصور.
- مصنف ابن أبي شيبة.

- مسند الإمام أحمد.
- صحيح البخاري.
- الأدب المفرد للبخاري .
- صحيح مسلم .
- سنن ابن ماجه.
- سنن أبي داود.
- سنن الترمذي.
- السنة لابن أبي عاصم.
- مسند البزار.
- تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر.
- قيام الليل لمحمد بن نصر.
- سنن النسائي.
- مسند أبي يعلى.
- صحيح ابن حبان.
- معجم الطبراني الكبير.
- معجم الطبراني الأوسط.
- الصفات للدارقطني.
- المستدرك على الصحيحين للحاكم.
- مسند الفردوس للديلمي.
- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير.
- فتح الباري لابن حجر العسقلاني.

ثالثاً: **كتب الرجال والتراجم**:

- الكامل في الضعفاء لابن عدي.
- حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني.

- فضائل الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني.
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.
- تاريخ دمشق لابن عساكر.

رابعاً: كتب العقيدة:

- العظمة لأبي الشيخ.
- شعب الإيمان للبيهقي.
- البعث والنشور للبيهقي .
- الأسماء والصفات للبيهقي.

خامساً: كتب الوعظ والرقائق:

- الزهد لابن المبارك.
- الزهد للإمام أحمد بن حنبل.
- صفة الجنة لابن أبي الدنيا.
- الأهوال لابن أبي الدنيا.
- ذكر الموت لابن أبي الدنيا.
- نوادر الأصول للحكيم الترمذي.
- الروح لابن القيم.
- حادي الأرواح لابن القيم.
- البدور السافرة للسيوطي.

سادساً: كتب السيرة:

- دلائل النبوة للبيهقي.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض.
- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم.

سابعاً: كتب اللغة:

- القاموس المحيط للفيروزآبادي.

ثامناً: كتب المتفرقات:

- المجالسة للدينوري .
- الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي.
- زغل العلم للذهبي[1].
- السيف الباتر للمؤلف.
- الروضة الندية للمؤلف.

---

(١) في نسبة هذا الكتاب للذهبي رحمه الله نظر؛ لأن في الكتاب حطٌ وتنقيص لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهو شيخ الذهبي، وقد رافقه إلى مماته، وأثنى عليه في بقية كتبه، وقد حقق القول فيها الشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني في كتابه (التوضيح الجلي في الرد على النصيحة الذهبية المنحولة على الإمام الذهبي)، والله أعلم.

المبحث الرابع
وصف مخطوط الجزء المحقق

النسخة التي اعتمدت عليها نسخة مصورة من مكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم (١٩٤/تفسير) وهي من وقف الإمام يحيى بن محمد بن حميد الدين، ومكتوبة بخط نسخي جيد ومنقوط أحياناً، وكتبت آياتها بالمداد الأحمر وباقيها بالأسود، تبدأ بتفسير سورة لقمان وتنتهي بالآية الثالثة والعشرين من سورة الفتح وتقع في مائتين وإحدى عشرة لوحاً وفي كل لوح تقريباً عشرون سطراً، وهي منقولة من الأم التي بخط المؤلف، وقد انتهى الناسخ من كتابتها عام ١١٨٧هـ أي بعد وفاة المؤلف بخمس سنوات.

والجزء الذي قمت بتحقيقه من هذه النسخة هو من أول سورة ﴿صٓ﴾ من نهاية اللوح ٩٧/ب إلى آخر سورة الدخان اللوح ١٩٢/ب فعدد ألواحها ٩٥ لوحاً.

ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن الشيخ الدكتور عبد الله بن سوقان الزهراني حفظه الله هو الذي قام مشكوراً بتصوير هذه المخطوطة من الجامع الكبير بصنعاء وقد اطّلع بنفسه على النسخة المذكورة، وقد أتحفني بصورة منها فأجزل الله له المثوبة والأجر وجعل ذلك في موازين حسناته، آمين.

هذا وتوجد نسخ أخرى من هذا الكتاب، لكنها لا تتعلق بالجزء الذي أقوم بتحقيقه فأعرضت عن ذكرها[1].

---

(١) ومن أراد الاستزادة فليراجع مفاتح الرضوان بتحقيق الشيخ عبد الله بن سوقان الزهراني ١/٤٥.

المبحث الخامس
المقارنة بين منهج الصنعاني وبين منهج أبي السعود

بعد المقارنة بين تفسير إرشاد العقل السليم لأبي السعود، ومفاتح الرضوان للصنعاني رحمهما الله تبين لي عدة أمور:

١- أكثر الصنعاني رحمه الله النقل عن تفسير أبي السعود، فكثيراً ما ينقل عنه نفس العبارات بنفس التراكيب دون أن يشير إلى ذلك، إلا ما ندر جداً، فمثلاً عند قوله تعالى في سورة الزمرآيه٢١: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ نجد أن الكلام الذي عند الصنعاني رحمه الله على تفسير هذه الآية، منقول بنصه من إرشاد العقل السليم، ودليله: أن أبا السعود ذكر عند هذه الآية أنها استئناف ثم علّل بعلتين، فقال: "إما لتمثيل الحياة الدنيا في صورة الزوال..."إلخ. "أو للاستشهاد على تحقق الموعود من آثار قدرته وإحكام حكمته ورحمته"[1]. بينما الصنعاني رحمه الله نقل العلة الأولى دون الثانية مما يجعل القاري يسأل: أين بقية الكلام المدلول عليه بكلمة (إما)، وقد نبهت عليه في موضعه[2].

وكذلك عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ (غافر: من الآية ٦٧) قال أبو السعود[3]: "أي أطفالاً، والإفراد لإرادة الجنس أو لإرادة كل واحد من أفراده". وهذا الكلام بنصه عند الصنعاني[4]، والأمثلة على ذلك كثيرة، لدرجة أنني عندما استشكل قراءة كلمة من المخطوط لعدم وضوح الخط، أرجع إلى أبي السعود

(١) انظر: تفسير أبي السعود ٧/٢٤٩.

(٢) انظر: ص (١٤٨).

(٣) في تفسيره ٧/٢٨٣.

(٤) انظر: ص (٢٤٢).

فأجدها واضحة وذلك في الأغلب.

٢- امتاز تفسير الصنعاني رحمه الله بأنه تفسير للقرآن بالقرآن والآثار، فتجده يفسر الآية بالآيات من القرآن التي تتحدث عن نفس المعنى، فيلمّ بذلك أطراف القضية، أو القصة إن كانت الآيات في قصة معينة، فمثلاً في قوله تعالى في سورة غافرآية ٥٥: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ بين معنى أن وعد الله: نصره لأوليائه من خلال عدة آيات كقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ الآية (غافر: من الآية٥١) وقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا...﴾ (الصافات: من الآية ١٧١) إلى غيرها من الأمثلة الكثيرة التي تجعل هذا التفسير معدوداً في مصاف التفسير بالمأثور، بخلاف تفسير أبي السعود رحمه الله فإن عداده من كتب التفسير بالرأي ولا يشكل عليه ورود بعض الآثار والآيات التي يستشهد بها لأن الكلام على الأغلب.

٣- الملاحظ على تفسير أبي السعود أنه كثير العناية بالناحية البلاغية، وسبك العبارات وصوغها والكشف عن أسرار القرآن في إعجاز نظمه وبديع أسلوبه، خاصة في باب الفصل والوصل والإيجاز والإطناب والتقديم والتأخير والاعتراض والتذييل، كما أن له عناية بإبداء المعاني الدقيقة التي تحملها التراكيب القرآنية بين طياتها[1]، بخلاف الصنعاني في كتابه مفاتح الرضوان؛ فإنه ركز على المعنى العام للآية وما يفسرها من آيات وآثار دون الخوض في دقائق المعاني، ومثالاً على ذلك: انظر تفسير قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (الزمر: من الآية٦) عند الصنعاني رحمه الله[2] وعند أبي السعود[3].

٤- ومما ظهر لي أيضاً عند المقارنة بين الكتابين: أن أبا السعود قد سار في كتابه: إرشاد العقل السليم على طريقة واحدة بينما اختلفت الطريقة عند الصنعاني رحمه الله فقد

---

(١) التفسير والمفسرون للذهبي ٣٥٧/١.

(٢) انظر: ص (١٣٤) من النص المحقق.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ٣٧٩/٥، ٣٨٠.

ابتدأ كتابه بتفسير تحليلي إلى آية (١٠٧) من سورة البقرة، ثم انتقل بعد ذلك إلى التفسير الموضوعي ثم عاد بعد ذلك إلى الطريقة التحليلية، وأيضاً فإننا نجده في بعض الآيات يسهب في شرحها كما فعل في سورة النمل عند الآية ١٨، وأحياناً يتجاوز آيات كثيرة دون أن يشرحها.

٥- امتاز كتاب مفاتح الرضوان بسهولة عباراته ووضوح معانيه لكل من قرأه بخلاف إرشاد العقل السليم فإن في عباراته تعقيداً وصعوبةً إلا على الخواص، ويمكن أن يُرجع السبب في سهولة عبارات الصنعاني لأنه كان يلقي تفسيره على شكل دروس في المسجد فيحضره طلبة العلم والعوام.

٦- مما يلاحظ على تفسير الصنعاني أن في أسلوبه ركاكة في بعض الأحيان بخلاف تفسير أبي السعود الذي امتاز بقوة أسلوبه، ويرجع السبب في ذلك إلى أن أبا السعود قد قام بتبييض كتابه وقد نص على ذلك[1]، أما الصنعاني فلم يبيض تفسيره.

٧- يعتبر مفاتح الرضوان من تفاسير أهل السنة والجماعة موافقٌ ما جاء فيه من المسائل العقدية لمعتقد السلف الصالح إلا ما قل من المسائل التي خالف فيها ووافق المعتزلة كمسألة خلق أفعال العباد[2].

أما مسائل الأسماء والصفات فقد صرح فيها بقاعدة أهل السنة والجماعة مقرراً لها موافقاً إياها[3]. بخلاف تفسير أبي السعود الذي شُحن بتأويلات أهل الكلام، فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: من الآية ١٩٥) قال: "يريد بهم

(١) انظر: مفاتح الرضوان، تحقيق الأخ أمين المزيني ص ٢٩، والتفسير والمفسرون ١/٣٤٧.

(٢) قد قرر إنكار خلق أفعال العباد في كتابه إيقاظ الفكرة ٥٣٩- ٢٤٩ نقلاً عن مفاتح الرضوان، تحقيق عبدالله الزهراني ١/٣٦، وفي تفسيره أيضاً في سورة الصافات عند قوله تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾، انظر: مفاتح الرضوان في الجزء الذي حققه الشيخ أمين المزيني ص ٣٥٧.

(٣) انظر: كلامه في النص المحقق ص (٢٩٨) عند قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: من الآية١١).

الخير"[1]. وعند قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه:٥) قال: "والاستواء على العرش مجاز عن الملك والسلطان"[2].

٨- مما يقع أحياناً للصنعاني أنه ينقل الخطأ العقدي دون أن يعقب عليه، ولعل ذلك سببه أنه ناقل، وأنه لم يبيض كتابه حتى يتسنى له التعليق على ذلك الخطأ، ومثاله: ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (غافر: من الآية٦٨) قال: "وهو تمثيل لتأثير قدرته في المقدورات عند تعلق إرادته بها وتصوير لسرعة ترتيب المكونات على تكوينه من غير أن يكون هناك أمر ومأمور" وقد بينت الرد عليه في موضعه[3].

٩- مما توافقا فيه: عدم الحكم على الأحاديث والآثار التي يوردانها في كتابيهما وذلك في الأغلب، وإن كانت الأحاديث والآثار في مفاتح الرضوان أكثر.

١٠- اتبع أبو السعود الزمخشريَّ في ذكر فضائل السور في آخر كل سورة، بينما نجد أن الصنعاني لم يذكرها.

١١- ومما توافقا فيه أيضاً: الإقلال من الإسرائيليات وعدم الجزم بصحتها أو التعويل عليها، بل قد يوردها أبو السعود بصيغة التضعيف كروي أو قيل[4] وقد يصرح الصنعاني بتكذيبها وردها[5].

١٢- كذلك مما توافقا فيه: إقلالهما من المسائل الفقهية والخلافات المذهبية؛ فلا تكاد توجد في تفسيريهما.

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود ٢٠٥/١.

(٢) انظر: تفسير أبي السعود ٥/٦.

(٣) انظر: سورة غافر في النص المحقق ص (٢٤٣).

(٤) انظر: تفسير أبي السعود ٢٨٤/٦ عند قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾ (النمل: من الآية٣٥) قال: "روى أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري".

(٥) انظر: مفاتح الرضوان ص(٦٧) سورة ﴿ص﴾ قصة داود.

هذا الذي ظهر لي عند المقارنة بين الكتابين من أوجه اتفاقهمـــا، أو مـــن أوجـــه اختلافهما وأسأل الله عز وجل أن يجزل لهما المثوبة والأجر على ما قدما لهـــذا الـــدين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباب الثاني
النص المحقق

سورة صٓ مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿صٓ﴾، أظهر الأقوال: أنها اسم للسورة[1]، نحو ﴿يسٓ﴾، وغيرها، وكأنه -والله أعلم- افتتحت السورة بهذه الكلمة، رمزاً إلى كثرة الكلمات التي فيها من ذوات الصاد، كالمناص[2]، وخصمان[3]، ونبأ الخصم[4]، [ل٩٧/ب] وإذ يختصمون[5]، وقد تتبعت الكلمات ذوات الصاد فيها، وإذا هي نحو من خمسٍ وعشرين كلمة.

﴿**وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ**﴾، إقسامٌ به، كما في صدر سورة ﴿يسٓ﴾ حُذِفَ جوابه، وأقرب ما يقدّر: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[6]، كما هو صريحه، في سورة ﴿يسٓ﴾، إنك ممن ثبتت رسالته، وقامت عليها الأدلة، ووُصِفَ بذي الذكر، أي التذكير للعباد والموعظة، ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ (يونس: من الآية٥٧)، أو الشرف[7]، على، ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ (الزخرف: من الآية٤٤).

---

(١) وهذا القول مروي بسند ضعيف عن زيد بن أسلم ففي السند: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، انظر: التقريب ص ٥٧٨ (٣٨٩٠)، وهو أحد الأقوال التي ذكرها المفسرون في المراد بالحروف المقطعة، ومن الأقوال أيضاً: أنها اسم من أسماء القرآن، وقيل: فواتح يفتح الله بها القرآن، وقيل: هي اسم الله الأعظم، وقيل: هو قسم أقسم الله به، وقيل: غير ذلك، انظر: تفسير الطبري ١/١٠٠، وتفسير الثعلبي١/٦٢.

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ (ص: من الآية٣).

(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ (ص: من الآية٢٢).

(٤) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ (ص: ٢١).

(٥) يشير إلى قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلأِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (ص: ٦٩).

(٦) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ٧/٥١٠، وروح المعاني للآلوسي ٢٣/٢١٦.

(٧) وممن أشار إلى المعنيين (التذكير، والشرف): الطبري في تفسيره٢٣/١٣٩، وابن عطية في المحرر الوجيز٤/٤٩١، وابن الجوزي في زاد المسير٣/٥٥٨، وغيرهم.

﴿**بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾، بما جئتهم به من أدلة رسالتك، مضربون عن الامتثال والانقياد لما يجب عليهم الانقياد له، ﴿**فِي عِزَّةٍ**﴾، عزةِ كفرٍ وباطل وتكبّر عن اتباع الحق- من قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بالإثم﴾ (البقرة: من الآية٢٠٦)، وقولهم: ﴿لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾ (المنافقون: من الآية٨)- لا العزة الحقيقية المرادة من قوله ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ (فاطر: من الآية١٠)، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون: من الآية٨).

﴿**وَشِقَاقٍ**﴾، من قوله: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ (البقرة: من الآية١٣٧)، ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (الأنفال: من الآية ١٣) ﴿وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ﴾ (الحشر: من الآية٤)، والشقاق لله: الخلاف والعداوة.

﴿**كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ**﴾ ممن كان في عزة وشقاق، وهو نحو قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ (يس: من الآية٣١) ، وهو وعيد لهم، فإن أسباب إهلاك القرون من قبلهم، هو ما هم فيه[1]، ﴿**فَنَادَوْا**﴾، أي المهلكين عند حلول الهلاك، كما نادى فرعون عند إدراك الغرق له بقوله: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرائيلَ... ﴾ الآية (يونس: من الآية٩٠)، ونحو ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ -إلى قوله: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ﴾ (الأنبياء: من الآية ١١ إلى١٥)، والمراد: استغاثوا فلم يُغاثوا، ﴿**وَلاتَ**﴾، هي المشبَّهة بلَيْسَ، زيدت عليها تاء التأنيث، وخصت بنفي الأحيان[2]، كما هنا، ﴿**حِينَ مَنَاصٍ**﴾، أي ليس الحين حين نجاة، ولا إغاثة، ولا فرار، والتاء زائدة على قول، والجملة حالية أي: استغاثوا ولا إغاثة لهم[3]، والمناص

---

(١) أي من العداوة والخلاف للرسل وأتباعهم

(٢) انظر: الكشاف ٦٨/٤، والمحرر الوجيز ٤٩٢/٤.

(٣) انظر: الدر المصون للسمين الحلبي ٣٤٧/٩، وتفسير أبي السعود ٣٤٧/٥.

مصدر ميمي، من: ناصه إذا فاتــه [1].

﴿**وَعَجِبُوا**﴾، شروع في فروعِ [ل٩٨/أ]ما وصفهم تعالى به، من العزة والشقاق، فإن العَجَب ﴿**أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ**﴾ صادرٌ عن ذلك[2]، وإلا فإرسال الله تعالى إليهم رجلاً منهم يعرفون صدقه وأمانته وأنه قد لبث فيهم عُمراً من قبل ما فاه بأنه رسول ولا تكلم بذلك[3]، ﴿**وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ**﴾، بما أتى به من المعجزات ﴿**كَذَّابٌ**﴾، بما يدعيه من الرسالة.

مازال الكفار متواصين في رمي رسل الله بالسحر، كما قال فرعــون وقومــه في موسى وهارون: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ (طـه: من الآية ٦٣)، وقالوا في معجزاته، ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (يونس: من الآيــة٧٦)، وغير ذلك، مع علم قريش أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لا يعرف سحراً ولا تعلمه، ولا يتصف بالكذب، بل كانوا يسمونه الصادق الأمين ، فهم الكاذبون في قولهم : ﴿ساحرٌ كذاب ﴾ .

﴿**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**﴾، أخــرج ابــن أبي شــيبة[4]، وأحمد، وعبد بن حميد[5]، والترمذي وصححه، والنسائي، وابن جرير، وابن المنــذر[6]،

---

(١) لم أجد من نص عليه، سوى ابن عاشور في التحرير والتنوير ٢٠٨/١١، والشنقيطي في أضواء البيان ١٢/٧، وكلاهما من المتأخرين عن المؤلف.

(٢) أي عن العزة والشقاق، بمعنى: فإن عجبهم لما جاءهم منذر منهم صادرٌ عن عزة وشقاق.

(٣) كذا في الأصل ويبدو أن في الكلام سقطاً، ويستقيم لو أضفنا إليه عبارة: (ليس فيه شيء من العجب).

(٤) هو عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبة الواسطي الأصل ، الإمام العلم سيد الحفاظ، وصاحب الكتــب الكبار، من بيت علم هو أجلهم ولد سنة ١٥٩هــ، ثقة حافظ، توفي في المحرم سنة ٢٣٥هــ، انظر: تــاريخ بغداد للخطيب٦٦/١٠، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٢٢/١١ (٤٤)، وتقريب التهذيب ص ٥٤٠ (٣٦٠٠).

(٥) هو عبد بن حميد بن نصر الكسي، أبو محمد، ويقال له: الكشي، الإمام الحافظ الجوال، ويقال: اسمه عبــد الحميد، ولد بعد السبعين ومائة، وكان ممن جمع وصنف، ثقة حافظ، مات سنة ٢٤٩هــ، انظــر: الســير ٢٣٥/١٢ (٨١)، والتقريب ص ٦٣٤، (٤٢٩٤).

(٦) هو محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، الإمام الحافظ العلامة، شيخ الإسلام أبو بكر، الفقيه، ولــد في حدود سنة ٢٤١هــ، وله تفسير كبير في بضعة عشر مجلداً، يقضي له بالإمامة في علم التأويل، تــوفي ســنة ٣١٨ هــ، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٥٢/٤، والسير ٤٩٠/١٤ (٢٧٥).

وابن أبي حاتم[1]، والحاكم وصححه، وابن مردويه[2]، والبيهقي[3]، في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما مرض أبو طالب، دخل عليه رهط من قريش، فيهم أبو جهل، فقال: إن ابن أخيك شتم آلهتنا، ويفعل ويفعل، ويقول ويقول، فلو بعثت إليه فنهيته، فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فدخل البيت، وبينهم وبين أبي طالب قَدْرُ مجلس، فخشي أبو جهل أن يجلس إلى أبي طالب ويكون أرق عليه، فوثب فجلس في ذلك المجلس، فلم يجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجلساً قرب عمه، فجلس عند الباب، فقال له أبو طالب: أي ابن أخي، ما بال قومك يشكونك، يزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول؟ قال: وأكثروا عليه من القول، وتكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (يا عم، إني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها، تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم [ل٩٨/ب] بها العجم الجزية)، ففزعوا لكلمته ولقوله، فقال القوم كلهم: كلمة واحدة؟ نعم وأبيك عشراً، قالوا: فما هي؟ قال: (لا إله إلا الله) فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم ويقولون: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾؛ فنزل فيهم ﴿صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ -إلى قوله-: ﴿لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾[4] وقولهم:

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الحنظلي، المعروف بابن أبي حاتم، أبو محمد العلامة الحافظ ولد سنة ٢٤٠هـ، أو ٢٤١، له تفسير كبير في عدة مجلدات عامّته آثار بأسانيده من أحسن التفاسير، توفي في المحرم سنة ٣٢٧ هـ بالري وله بضع وثمانون سنة، انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١٠٣/٣ (٥٩٦)، والسير ٢٦٣/١٣ (١٢٩).

(٢) هو أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك الأصبهاني أبو بكر، الحافظ المجود العلامة، محدث أصبهان، صاحب التفسير الكبير، والتاريخ، ولد سنة ٣٢٣هـ، ومات سنة ٤١٠هـ، انظر: السير ٣٠٨/١٧ (١٨٨)، وطبقات المفسرين للداودي ٩٤/١ (٨٧).

(٣) هو أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوجِردي الخراساني أبو بكر البيهقي، الحافظ العلامة الثبت الفقيه، شيخ الإسلام، ولد سنة ٣٨٤هـ، في شعبان، بورك له في علمه وصنف التصانيف النافعة، توفي في العاشر من جمادى الأول، بنيسابور، سنة ٤٥٨، انظر: وفيات الأعيان ٧٧/١، الأنساب للسمعاني ٤٣٨/١، والسير١٦٣/١٨ (٨٦).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢١١/١٣ (٣٧٥٦١)، وأحمد في مسنده ٤٨٣/٢ (٢٠٠٨)، والترمذي في =

﴿عُجَابٌ﴾، أي بليغ في العجب، وذلك أنه خلاف ما ألفوا عليه آبائهم الذين أجمعوا على إلهة الأوثان وعبادتها، إذ مدار دينهم على تقليد الآباء.

﴿**وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ**﴾، الأشراف من قريش، قائلين: ﴿**أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ**﴾، أي اثبتوا على عبادتها، هو نحو قولهم: ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ (الفرقان: من الآية٤٢)، ﴿**إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ**﴾، تعليل للأمر بالصبر، أي إن هذا الذي شاهدناه من محمد لشيء يراد من محمد، من نفي آلهتنا، وإبطال أمرها.

﴿**مَا سَمِعْنَا بِهَذَا**﴾، أي جَعْلُ الآلهة إلهاً واحداً، ﴿**فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ**﴾، أخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن المنذر ، عن محمد بن كعب[1]، قال: ملة عيسى[2]. يريد لأنها آخر الملل، وقد جعلوا الله ثالث[1] ثلاثة.

=

سننه كتاب التفسير، باب ومن سورة (صٓ) ص٧٣٠ (٣٢٣٢)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب السير، باب ممن تؤخذ الجزية ٩٠/٨ (٨٧١٦)، وأبو يعلى في مسنده ص٥٣١ (٢٥٨٦)، والطبري في تفسيره ١٤٧/٢٣، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢٣٥/١٠ رقم (١٨٣٢٦)، وابن حبان في صحيحه ٣٧٣/٩، والحاكم في مستدركه كتاب التفسير، تفسير سورة (ص)٤٦٩/٢، والبيهقي في الدلائل ٣٤٥/٢، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٥٥/٥ لابن مردويه وابن المنذر مع من تقدم، وفي الإسناد يحيى بن عمارة، وقيل: ابن عباد، قال ابن حجر في التقريب: مقبول. ونقل الألباني كلامه في السلسلة الضعيفة ٩٢/١٣ ثم قال بعد قوله: (مقبول): "أي عند المتابعة، ولا متابع له مرفوعاً" ا.هـ فمن أجل ذلك ضعفه الألباني كما في تعليقه على سنن الترمذي، وكما في تعليقه الحسان على صحيح ابن حبان ٣٧٤/٩، وأما الترمذي فقال: حديث حسن صحيح. وقال الحاكم : "حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه". ووافقه الذهبي ، والله تعالى أعلم .

(١) هو محمد بن كعب بن سُليم، الإمام الحافظ العلامة الصادق أبو حمزة وقيل أبو عبد الله القرظي المدني كان من أئمة التفسير، ولد سنة ٤٠ هـ على الصحيح، وتوفي سنة ١٢٠هـ، انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٧٩/٨ (١٣٦١٠)، والسير ٦٥/٥ (٢٣)، والتقريب ص٨٩٦، (٦٢٩٧).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره، ١٤٩/٢٣، وإسناده قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثنا يحيى بن معين، قال: حدثنا ابن عيينة، عن ابن أبي لبيد، عن القرظي به، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم ٣٢٣٦/١٠ رقم (١٨٣٣٢)، ومحمد بن إسحاق هو الصَّغَاني، ويقال الصاغاني ، ثقة ثبت، انظر: السير ٥٩٢/١٢ (٢٢٤)، والتقريب ص ٨٢٤، (٥٧٥٨)، ويحيى بن معين، هو ابن عون الغطفاني، ثقة حافظ مشهور، إمام الجرح
=

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، عن قتادة[2] ﴿**فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ**﴾، في ديننا هذا ولا في ملتنا هذه[3]. ﴿**إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ**﴾، أي كذب اختلقه، ومن فروع العزة والشقاق قولهم: ﴿**أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ**﴾: على الْمُنْذِر منهم، ﴿**الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا**﴾، ونحن رؤساء الناس وأشرافهم، وهو نحو قولهم: ﴿لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ[4] عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف: من الآية٣١)، وهو من نحو عزة فرعون وشقاقه حيث قال: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ • فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ...﴾ الآية (الزخرف: من الآية ٥٢، ٥٣)، ومن نحو قول الملأ من قوم موسى لما قال لهم [5] : ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ . . .﴾ الآية (البقرة: من

=

والتعديل، شيخ المحدثين، انظر: السير ٧١/١١ (٢٨)، والتقريب ص١٠٦٧، (٧٧٠١)، وابن عيينة، هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران، قال الحافظ ابن حجر عنه: ثقة حافظ فقيه، إمامٌ حجة إلا أنه تغير حفظه بآخرة، وكان ربما دلس لكن عن الثقات، انظر: التقريب ص٣٩٥، (٢٤٦٤)، وابن أبي لبيد، هو عبد الله بن أبي لبيد، المدني، أبو المغيرة، ثقة رُمي بالقدر، انظر: التقريب ص٥٨٣ (٣٥٨٤)، وعزاه أيضاً لعبد بن حميد، وابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور ٥٥٨/٥.

(١) قوله: "ثالث" جاء ملحقاً في حاشية الأصل وعليها: "صح".

(٢) هو قتادة بن دِعامة بن قتادة بن عزيز ، وقيل: قتادة بن دعامة بن عكابة، حافظ العصر ، قدوة المفسرين والمحدثين أبو الخطاب السدوسي البصري الضرير الأكمه، ولد سنة ٦٠هـ ومات سنة ١١٧هـ، ثقة ثبت وكان يقول بشيء من القدر. انظر: الطبقات لابن سعد ٢٢٩/٧، سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ (١٣٢)، التقريب ص ٧٩٨ (٥٥٥٣).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١٥٠/٢٣.من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة به. إلا أن عنده: ولا في زماننا قط. والإسناد حسن كما في التفسير الصحيح للدكتور حكمت بشير ٢١٨/٤. وعزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور ٥٥٨/٥.

(٤) قوله: "هذا القرآن" جاء ملحقاً في حاشية الأصل وعليه "صح".

(٥) القائل لهم هنا ليس موسى عليه السلام بل هو نبيٌ بعده، بدليل قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلأِ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى...﴾ الآية (البقرة: من الآية٢٤٦).

الآية٢٤٧).

﴿**بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي**﴾، من القرآن والوحي، فقولهم: ﴿أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾، تهكُّمٌ به صلى الله عليه وآله وسلم، [ل٩٩/أ] فإنهم القائلون: ﴿هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (ص: من الآية٤)، ﴿**بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ**﴾، أي إذا ذاقوا عذابي تبيّن لهم حقيقة الحال، وفي الإتيان بـ(لما) دليل على أن عذابهم قريب الوقوع، والمراد: أنهم لا يصدقون حتى يمسَّهم العذاب [1].

﴿**أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ**﴾، التي منها النبوة، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ (الحجر: من الآية٢١)، والآية نحو آية الطور، ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ (الطور: من الآية٣٧)، والمراد بالرحمة هنا: النبوة، من قوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ (الزخرف: من الآية٣٢) ، حيث قالوا: ﴿لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف: من الآية٣١) ، والمراد: أن النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ...﴾ الآية (الأنعام: من الآية١٢٤)، وقد سمى الله النبوة رحمة: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ (الزخرف: من الآية٣٢) ، وسمى رسوله: رحمة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) ، وسمى القرآن: هدىً ورحمة، في عدة آيات [2]، فإنه ﴿**الْعَزِيزِ**﴾، الذي لا يُغالَب، ﴿**الْوَهَّابِ**﴾، يهب لمن يشاء ما يشاء.

﴿**أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا**﴾، فإذا كان لهم ذلك، ﴿**فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ**﴾، هو من نحو قول فرعون: ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود ٣٥٠/٥، وروح البيان للبروسوي ٧/٨.

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ٥٢) وقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ • هُدىً وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾ (لقمان ٢، ٣)

الأَسْبَابَ • أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾ (غافر: من الآيات٣٦، ٣٧)، أي فليصعدوا في المعراج، والطرقات التي يُتوصل بها إلى عرش الرحمن حتى يستولوا عليه و يدبروا أمر العالم وينزلوا الوحي على من يختارون، وفيه من التهكم بهم والإهانة لهم ما لا مزيد عليه، وذلك لأنهم اعترضوا على الله في تخصيص محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالإنزال من بينهم، جهلاً وضلالة، والله يعلم من يستحق الإنزال، ولذا قال تعالى لما قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام: من الآية١٢٤) ، وهو نحو قولهم: ﴿أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ (الأنعام: من الآية٥٣).

قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ (الأنعام: من الآية٥٣) ، ونحو قول من قال في تمليك الله طالوت: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ (البقرة: من الآية٢٤٧) ، فأجهل [ل٩٩/ب] خلق الله من اعترض على الله في تخصيصه لعبد من عباده بما شاءه من بعثته نبياً، أو جعله ملكاً، أو توسيعه عليه في رزق، أو جاهٍ، أو أي خصلة من خصال الخير، ومنه قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ (البقرة: من الآية٣٠) ، وأجاب عليهم بعلمه فقال: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[1]، (البقرة: من الآية٣٠) ، وما من عبد من العباد، إلا وهو معترض

---

(١) جعل المؤلف رحمه الله سؤال الملائكة في الآية التي ذكرها من الاعتراض على الله، وهذا غير صحيح، والصواب: أن سؤالهم إنما كان سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك، وهذا الذي يتناسب مع مقامهم، وقد قال سبحانه وتعالى عنهم: ﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: من الآية ٦). وانظر: في ذلك: تفسير البغوي١/٦١، وتفسير ابن كثير ١/١٠٦.

على ربه، بلسان حاله، أو بلسان مقاله، إلا الخُلّص من عباده، وقليل ما هم، وإلا فغالب العباد غير راض بقسمة الله تعالى[1]، والله قد قال: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً﴾ (الزخرف: من الآية٣٢) ، فصرح بأنه قسم بينهم معيشتهم، بأنهُ رفع بعضهم فوق بعض، وأن الحكمة في ذلك: اتخاذ بعضهم لبعض سخرياً[2].

﴿**جُنْدٌ**﴾، هم أي قريش، ﴿**مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الأَحْزَابِ**﴾، ونحو قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (القمر: ٤٥)، وهذا إخبارٌ عنهم بأنهم قد وقع عليهم الهزْم، وفي الآية الأخرى العِدة بأنه سَيُهْزم جمعهم، لأن ما وعد الله به فهو واقع لا محالة، وفيه الإخبار بأنهم لا يزالون في عزتهم الباطلة وشقاقهم حتى يغالبوا الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ويهْزِم الله جمعهم، وقد وقع يوم بدر وغيره، وزيادة كلمة: ﴿**مَا**﴾، لتعظيم الجند أي جند عظيم[3]، كما دل له ما في كتب السيرة أنه قال بعض الصحابة بعد عودهم من بدر محقراً لشأن قريش الذين كانوا في بدر: وهل لقينا إلا كذا. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أولئك الأحزاب)[4]، ولما

---

(١) انظر: نحواً من هذا الكلام في (زاد المعاد في هدي خير العباد) لابن قيم الجوزية ٢٢٩/٣.

(٢) أي تسخير بعضهم لبعض في أسباب المعاش، انظر: تفسير الطبري ٨٠/٢٥، ومعاني القرآن للنحاس ٣٥٢/٦. وقال الشوكاني في تفسيره: "وقيل: هو من السخرية التي بمعنى: الاستهزاء، وهذا، وإن كان مطابقاً للمعنى اللغوي، ولكنه بعيد من معنى القرآن، ومنافٍ لما هو مقصود السياق". انظر: فتح القدير للشوكاني ٧٧٣/٢.

(٣) قال أبو حيان في البحر المحيط: "وقيل (ما) زائدة ويجوز أن تكون صفة، أريد بها التعظيم، على سبيل الهزء بهم، أو التحقير، لأن (ما) الصفة تستعمل على هذين المعنيين"، البحر المحيط ٥١٣/٧.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ٨٦/١٧ رقم (٢٠١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني، وفيه حسين =

قال الله تعالى في صدر السورة: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾، إجمالاً فصّل بعض من كان قبلهم في عزة وشقاق وأنه أهلكهم فقال:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ﴾، واختلف في المراد؛ قيل: المراد به: الملك الثابت أصله من ثبات البيت المطنب بالأوتاد، واستعير لثبات الملك، ورسوخ السلطنة ، واستقامة الأمـــر[1]، [ل١٠٠/أ] قال:

وَلَقْد غَنَوْا فيها بأنْعَمِ عيشةٍ   في ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الأوْتَادِ[2]

وقيل: كان يمد يدي من يعذبه ورجليه، ويضرب عليها أوتاداً، ويتركه حتى يموت[3]، وقيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها[4].

﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لأَيْكَــةِ أُولَئِــكَ﴾ -أي الطوائـــف المذكورة- **﴿الأَحْزَابُ﴾**، أي الذين كذّبوا الرسل هم الأحـــزاب الـــذين

=

السلولي، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد للهيثمي ٥٥٧/٩، وللقصة شاهد مرسل عند الحـــاكم ٤٧٢/٣ أخرجه من طريقين عن عروة بن الزبير، في أحدهما أحمد بن عبد الجبار العطاردي، وقد ضعفه ابـــن عدي في الكامل ١٩٤/١، وكذلك ابن حجر في التقريب ص ٩٣ (٦٤)، إلا أنه قـــال: وسماعـــه للســـيرة صحيح، والطريق الآخر فيه ابن لهيعة، ضعفه ابن كثير في تفسيره ٧٨٩/١، وابن حجر في العجاب ١/ ٢١٤ ومع هذا فهو مرسل، قال الحاكم بعده: صحيح الإسناد وإن كان مرسلاً. ووافقه الذهبي ٤٧٢/٣.

(١) وهذا القول مروي عن الضحاك، انظر: تفسير الطبري ١٥٤/٢٣، ومعاني القرآن للنحاس ٨٤/٦، وتفسير القرطبي ١٤٨/١٥.

(٢) البيت للأسود بن يعفر النهشلي، من قصيدته التي مطلعها: (نام الخلي وما أحس رقاد)، انظـــر: الحماســـة المغربية ١٤٠٢/٢، ومعاني القرآن للنحاس ٥٨/٦، والبحر المحيط ٥١٤/٧.

(٣) وهو قول ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، ومجاهد، انظر: تفسير الطبري ١٥٤/٢٣، وتفســـير البغـــوي ٥٠/٤، وزاد المسير ٥٦١/٣.

(٤) وهو قول قتادة وعطاء، انظر: تفسير الطبري ١٥٤/٢٣، والكشف والبيان ٢٥٠/٥، والبحر المحيط ٥١٤/٧.

تحزبوا لتكذيب رسل الله كهؤلاء الأحزاب الذين تحزبوا على محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿**إِنْ كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ**﴾، أي وجب ولزم وثبت عقابهم، من قوله: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ (الزمر: من الآية١٩)، ﴿فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ﴾ (الأعراف: من الآية٣٠)، وهو هنا عقاب الدنيا، فقوم فرعون بالإغراق[1]، وأما عاد فأُهلكوا بريحٍ صرصرٍ عاتية[2]، وثمود أُهلكوا بالطاغية[3]، وقوم لوط بانقلاب قراهم، ورميهم بحجارة من السماء[4]، وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظُّلَّة إنه كان عذاب يوم عظيم[5].

﴿**وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلاءِ**﴾: كفار قريش بعد علمهم بقصص المكذبين قبلهم، ﴿**إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً**﴾، الأظهر: أنه أُريد بها ما في قوله تعالى، ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ -أي كفار قريش- ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ (فصلت: من الآية١٣)، ولذا ذكرهم هنا، ولا ينافيه قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ (الأنفال: من الآية ٣٣)، كما قيل؛ لأنه يخرجه من بين أظهرهم كما أخرج نوحاً، ولوطاً، وغيرهما من بين قومهم حيث حقّ عليهم العذاب، وقيل: المراد بالصيحة هنا: النفخة الثانية. وقيل: الأولى[6]، ﴿**مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ**﴾، من تأخر مقدار فواق وهو ما بين الحَلْبَتين[7]

---

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (الأنفال: من الآية ٥٤)

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ (الحاقة: ٦)

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ (الحاقة: ٥)

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ (الحجر: ٧٤)

(٥) كما في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الشعراء: ١٨٩)

(٦) اختلف المفسرون في المقصود بالصيحة هنا، فمن قائلٍ إنها النفخة الأولى، ومن قائلٍ إنها الثانية، واختار المؤلف رحمه الله، أنها عذاب، أو صاعقة، تصيبهم في الدنيا، وهو الصحيح إن شاء الله، لأن الله جل جلاله، لما ذكر تكذيب الأمم السابقة لرسلهم، وأخبرنا أنه عاقبهم، ولم يكن عقابهم بنفخة الصور، لا الأولى، ولا الثانية، ثم عطف عليه تهديد قريش، علمنا أنه هنا هددهم بما عذب به الأولين.

(٧) قال الفراء: "وأصله من الإفاقة في الرضاع، إذا ارتضعت البهيمة أمها، ثم تركتها، حتى تُنْزل شيئاً من اللبن، =

﴿**وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا**﴾، أخرج عبد بن حميد عن الحسن قال: عقوبتنا[1]. وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا﴾، أي: نصيبنا، وحظنا من العذاب قبل يوم القيامة. قد كان قال ذلك أبو جهل: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً [ل١٠٠/ب] فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم[2]. ومثله عن مجاهد[3]، وهذا يؤيد ما قدمناه[4]، والقَطُّ هو القطعة من الشيء، من قطَّه إذا قطعه[5]، ﴿**قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ**﴾، تهكماً وإلا فإنهم لا يقرون ببعث ولا حساب ولا عذاب.

﴿**اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ**﴾، قد كثر أمر الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر، ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ (النحل: من الآية١٢٧)، ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾ (المزمل: ١٠)، ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾ (الروم: ٦٠)، ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ

= فتلك الإفاقة"، معاني القرآن ٢/٤٠٠، وفي مفردات الراغب ص ٦٤٩: "وقيل: استفق ناقتك، أي اتركها حتى يفوق لبنها، وفوِّق فصيلك، أي اسقه ساعة بعد ساعة".

(١) أخرجه الثوري في تفسيره ص٢٥٧ عن الأشعث عن الحسن، به، وعزاه إلى الحسن: الثعلبي في تفسيره ٥/٢٥١، والبغوي ٤/٥٠، وابن كثير ٤/٤٥، وعزاه إلى عبد بن حميد السيوطي في الدر المنثور ٥/٥٥٩.
والأشعث هو ابن أبي الشعثاء سليم، ثقة كما في تقريب التهذيب ص ١٤٩ رقم (٥٣٠)، وسفيان هو ابن سعيد بن مسروق الثوري، ثقة إمام، انظر: تقريب التهذيب ص ٣٩٤ رقم (٢٤٥٨).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/١٥٩، بإسنادٍ حسن تقدم الكلام عليه، ص ٥٦، وهو في تفسير ابن أبي حاتم عن قتادة ١٠/٣٢٣٦ رقم (١٨٣٣٥)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور ٥/٥٥٨.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/١٥٨، من طريق عيسى بن ميمون، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، ورجاله ثقات، وإسناده صحيح، كما في العجاب ١/٢٠٤، والتفسير الصحيح ١/٥٦، وهو في تفسير مجاهد ٢/٥٤٨.

(٤) أي القول الذي ذهب إليه في تفسير الصيحة.

(٥) قال ابن منظور في لسان العرب: "قطَّه يقُطُّه قَطّاً: قطعه عرضاً"، ١١/٢١٧، وفي القاموس المحيط ص٧٠٤: "القَطُّ: القَطْعُ عامَّةً أو عَرْضاً، أو قطع شيء صُلْب كالحُقَّةِ".

أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (الاحقاف: من الآية٣٥).

﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ**﴾، الذي يلوح: أنه استئناف إخبارٌ له صلى الله عليه وآله وسلم عن قصة داود[1]، ﴿**ذَا الأَيْدِ**﴾: القوة، ﴿**إِنَّـهُ أَوَّابٌ**﴾، أخرج ابن جرير عن ابن عباس: الأواب المسبِّح[2]، ومثله أخرج ابن جرير عن مجاهد[3]. وأخرج الديلمي[4] عن مجاهد قال: سألت ابن عمر عن

(١) قوله: استئناف إخبار. ذكر أهل اللغة، أن واو الاستئناف تكون بين جملتين، ليس بينهما تعلّق في المعنى، ولا مشاركة في الإعراب، ومثلوا لها بـ (نور الشمس لا يخفى وسافر أبوك)، كما في الجنى الداني في حروف المعاني للحسن بن قاسم المرادي ص ١٦٣، أما هذه الجملة التي معنا، فهي متعلقة بما قبلها في المعنى، والإعراب، أما الإعراب فهو عطف فعل على فعل، وأما المعنى: أي اصبر على أذاهم، وقولهم لك، واستعن على هذا الصبر بتذكرك صبر داود، وقوته على الطاعة، ودليل ذلك: أنه قال بعده: ﴿ذا الأيد﴾ ومعناها: القوة على طاعة الله، وقد أشار الطبري إلى شيء من هذا المعنى، عند تفسير هذه الآية، فإنه ربط بين الجملتين في المعنى، والله أعلم، انظر: تفسير الطبري ١٦٠/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري بإسنادين، وكلاهما ليس عند هذه الآية، أما الأول فعند قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ١٩٢/٢١ بإسناد فيه عطية العوفي، وهو ضعيف، انظر: تفسير ابن كثير ٤٤٨/٤، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٤١٧/٢، والتفسير والمفسرون، لمحمد بن حسين الذهبي ٨٦/١.
وأما الإسناد الثاني، فذكره عند قوله تعالى: ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ ٣٦٤/٢٢ عن سليمان بن عبد الجبار، قال: حدثنا محمد بن الصلت، قال حدثنا أبوكُدَينة، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به. وسليمان بن عبد الجبار، هو ابن زريق الخياط، وهو صدوق، انظر: التقريب ص٤١٠ (٢٥٩٨) وأما محمد بن الصلت، فقد استشكله أحمد شاكر، في تعليقه على الطبري ٥٢٠/٣ قال رحمه الله: "فابن الصلت، يدور بين اثنين في هذه الطبقة: محمد بن الصلت بن الحجاج الأسدي، ومحمد بن الصلت التوزي، فلا أدري أيهما هو؟ أم هو غيرهما". ا.هـ.، قلت: الأسدي ثقة، انظر: التقريب ص٨٥٦ (٦٠٠٨)، والتوزي صدوق يهم. كذا في التقريب ص٨٥٦ (٦٠٠٩)، وأبو كُدينة، هو يحيى بن المهلب البجلي، صدوق. التقريب ص١٠٦٧ (٧٧٠٤)، وعطاء هو ابن السائب، صدوق اختلط. التقريب ص٦٧٨ (٤٦٢٥).

(٣) أخرجه الطبري عنه عند قوله تعالى: ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ ١٩٩/٢٦، وفي سنده: محمد بن حميد الرازي، وهو ضعيف، انظر: السير ٥٠٣/١١ (١٣٧)، والتقريب ص٨٣٩ (٥٨٧١)، ولعله يعتضد بما روي عن ابن عباس، في الأثر السابق، خصوصاً أن مجاهداً من تلاميذ ابن عباس والله أعلم.

(٤) الديلمي هو شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو، المحدث المؤرخ، أبو شجاع الديلمي الهمذاني، مؤلف كتاب "الفردوس" و"تاريخ همذان". متوسط الحفظ، وغيره أبرع منه وأتقن. مات في ١٩ رجب =

الأواب فقال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنه، فقال: (هو الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله)[1]. والمراد بالقوة: قوته في الدين،ثم ذكر تعالى ما امتنّ به عليه فقال:

﴿**إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ**﴾، ويفسر قوله في سبأ: ﴿أَوِّبِي مَعَهُ﴾ (سبأ: من الآية١٠)، ثم بين هنا من الوقت ما طوى هنالك، فقال: ﴿**بِالْعَشِيِّ**﴾ وهو من بعد الزوال، ﴿**وَالإِشْرَاقِ**﴾ هو أن تشرق الشمس، ويتناهى ضوؤها، وفسَّره ابن عباس رضي الله عنهما بصلاة الضحى[2]. وأخرج البغوي[3] من حديث أم هانئ[4] أن رسول الله صلى الله عليه وآله

=

سنة٥٠٩، وله أربع وستون سنة. انظر: السير ٢٩٤/١٩ (١٨٦)، وطبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي ٣١/٤ (١٠٤١).

(١) لم أعثر عليه في مسند الفردوس للديلمي، وقد عزاه له السيوطي في الدر المنثور ١٤٩/٧، ولم أعثر عليه مسنداً مرفوعاً، وإنما وجدته موقوفاً على مجاهد عند الطبري ٨٢/١٥، وعبد الرزاق في تفسيره ٣٧٦/٢. وعن عبيد بن عمير أخرجه ابن أبي شيبة ١٦٣/٧ رقم (٣٤٩٩٨)، ١٦٥/٧ رقم (٣٥٠١٣) وابن السري في الزهد ٤٥٨/٢ رقم (٩١٢) وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢٦٨/٣.

(٢) يشير إلى ما أخرجه الطبري في تفسيره ١٦١/٢٣عن عبد الله بن الحارث بن نوفل أن ابن عباس كان لا يصلي الضحى، قال: فأدخلته على أم هانئ، فقلت: أخبري هذا بما أخبرتني به، فقالت أم هانئ: دخل علي رسول الله ﷺ يوم الفتح في بيتي ، فأمر بماء فصُبّ في قصعة ، ثم أمر بثوب فأخذ بيني وبينه ، فاغتسل، ثم رشّ ناحية البيت فصلى ثمان ركعات، وذلك من الضحى قيامهن وركوعهن وسجودهن وجلوسهن سواء ، قريب بعضهن من بعض ، فخرج ابن عباس ، وهو يقول: لقد قرأت ما بين اللوحين ، ما عرفت صلاة الضحى إلا الآن: ﴿يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ والإشراق﴾، وكنت أقول: أين صلاة الإشراق، ثم قال بعد: هن صلاة الإشراق، وفي سنده صدقة بن عبد الله السمين الدمشقي وهو ضعيف لا يحتج به. انظر: السير٣١٤/٧ (١٠٤)، والتقريب ص٤٥١ (٢٩٢٩).

(٣) هو الحسين بن مسعود بن محمد الفراء الشافعي أبو محمد، الشيخ الإمام العلامة القدوة الحافظ شيخ الإسلام محيي السنة، المفسر صاحب التصانيف، كان يلقب بمحيي السنة وبركن الدين، توفي بمرو الروذ، مدينة من مدائن خراسان في شوال سنة٥١٦. انظر: السير ٤٣٩/١٩ (٢٥٨)، وطبقات الشافعية للأسنوي ١٠١/١ (١٧٧).

(٤) هي أم هانيء بنت أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمية ابنة عم النبي صلى الله عليه وسلم، اسمها: =

وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى فقال: (يا أم هانئ، هذه صلاة الإشراق)[1]، ﴿وَ﴾ سخرنا له، ﴿**الطَّيْرَ**﴾ تسبّح معه حال كونها، ﴿**مَحْشُورَةً**﴾ مجموعة وتقدم: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ (سبأ: من الآية١٠) وقيدت هنا بمحشورة، والقيد مراد هناك، وإنما طُويَ كما طوي هنا، ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (سبأ: من الآية١٠)، وسلف: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ (الأنبياء: من الآية٧٩)، في الأنبياء، ﴿**كُلٌّ**﴾ من الجبال والطير، ﴿**لَهُ**﴾ أي لله أو لداود، أي بسبب تسبيحه يسبحن [ل١٠١/أ] الله، ﴿**أَوَّابٌ**﴾ (ص: الآية١٩).

﴿**وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ**﴾: النبوة كما قال: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾ (النساء: من الآية٥٤)، ﴿**وَفَصْلَ الْخِطَابِ**﴾: الفاصل بين الحق والباطل، وقيل: البينة على المدعي واليمين على المنكر[2]. وقيل: كلمة (أما بعد)[3]، والكل محتمل، أو الكل

=

فاختة، وكانت زوج هبيرة بن عمرو بن عائذ المخزومي، عاشت بعد علي. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٨/٨ ، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر٣١٧/٨.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٤٠٦/٢٤ رقم (٩٨٦)، والثعلبي في تفسيره ٢٥١/٥ ، ٢٥٢، ومن طريقه: البغوي في تفسيره ٥١/٤، وفي الإسناد حجاج بن نصير، قال الهيثمي في المجمع ٤١٣/٢: "رواه الطبراني في الكبير وفيه حجاج بن نصير ضعفه ابن المديني وجماعة ووثقه ابن معين وابن حبان". ا.هـ. وضعفه ابن حجر في التقريب ص٢٢٥ (١١٤٨)، وقال الهيثمي في موضع آخر ١٥٨/٧: "رواه الطبراني في الأوسط، وفيه أبو بكر الهذلي، وهو ضعيف". وقال ابن حجر في الكاف الشاف ٧٥/٤ بعد أن ذكر رواية الطبراني والثعلبي والبغوي: "ورواه الحاكم من وجه آخر" -ثم ذكره وفي آخره- "فخرج ابن عباس وهو يقول : "هذه صلاة الإشراق". قال ابن حجر : "هذا موقوف وهو أصح".

(٢) وهو مروي عن قتادة، وشريح، انظر: تفسير الطبري ١٦٥/٢٣، ونسبه الثعلبي، والبغوي، إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه بغير إسناد، انظر: الكشف والبيان ٢٥٣/٥، وتفسير البغوي ٥٢/٤.

(٣) وهذا القول مروي عن الشعبي، انظر: تفسير الطبري ١٦٥/٢٣، وتفسير البغوي ٥٢/٤، وصححه ابن حجر في فتح الباري ٤٥٦/٦.

آتيناه.

﴿**وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ**﴾ أي الخصمين، ﴿**إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ**﴾، جمع الضمير لأن الغالب أنه ينضم إلى الخصوم غيرهم عند الاختصام ،أي تسوروا ومن معهم، ﴿**الْمِحْرَابَ**﴾ متعبد داود نحو: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ (آل عمران: من الآية٣٧)، ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ (آل عمران: من الآية٣٩)، والتّسور: صعود السور[1]، يقال: إنهما أرادا الدخول عليه فمنعهم الحراس لأنه كان يوم عبادته لا يوم قضائه فلما مُنعا دخلا من السور[2].

﴿**إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ**﴾ من دخولهما عليه، ﴿**مِنْهُمْ**﴾ لأنهم نزلوا من فوق في يوم احتجابه، ﴿**قَالُوا لا تَخَفْ**﴾ نحن، ﴿**خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ**﴾الباغي هو آخذ النعجة إلى نعاجه، أي فينا باغٍ ومبغيٌّ عليه، ﴿**فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ**﴾لا تَجُرْ في الحكم، ولا تتعدَّ عن الحق، وفيه أنه لا بأس بمثل هذا الخطاب للحاكم، ﴿**وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ**﴾ وسطه ومحجته، ضرَبه مثلاً لعين الحق ومحضه، ثم ذكر المدعي دعواه -ولعله الذي ساق الكلام من أوله-فقال:

﴿**إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً**﴾ هذا لا تعلّق له بالدعوى، بل إخبارٌ بأن لخصمه هذه العِدَّة، وإنما هو لبيان استكثار خصمه وطمعه في الازدياد، ﴿**وَلِيَ نَعْجَةٌ**﴾ أي شاة[3] ﴿**وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا**﴾ ملِّكني إياها، والمراد: اجعلني أكفلُها كما أكفل ما تحت يدي، ﴿**وَعَزَّنِي فِي**

---

(١) انظر: لسان العرب ٤٢٦/٦، والقاموس المحيط ص٤٣٦.

(٢) هو جزء من أثر مطول أخرجه الطبري ١٧٣/٢٣ من طريق أسباط عن السدي به، وهو إسناد حسن كما قال الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح ١٩٩/٤، وهو من أخبار بني إسرائيل.

(٣) قوله: "أي شاة" جاء ملحقاً بحاشية الأصل، وعليها: "صح".

﴿الْخِطَابِ﴾ غلبني في الحِجاج، فلم أقدر أن أُوْرِد عليه ما أرده به.

﴿قَالَ﴾ داود حاكماً بينهما، **﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾** أخوك صاحب النعاج الكثيرة، **﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾** أي بسؤاله إياك [ل١٠١/ب] نعجتك.

هنا أمران قالهما داود جعل سؤالهُ النعْجَةَ ظلماً، ومجرد السؤال لا يكون ظلماً، إلا أن يقال لما عزه في الخطاب استفيد منه أنه أخذها قهراً، ثم أجابه داود قبل سماعه جواب الخصم المدعى عليه[1]، والقول بأنه أجاب الخصم لكنه لم يحكه الله في القصة خلاف الظاهر[2][3].

وما أرى خطيئة داود والله أعلم، إلا نسبة الظلم إلى الخصم، وعدم طلبه الجواب على خصمه، ومسارعته إلى التظليم والحكم، ولا أرى القصة إلا حقيقيةً في أن رجلين اختصما إليه في نعاجٍ حقيقة كما ذكر الله تعالى، لا أنها كناية عن النساء، ولا ضَرْبِ مثلٍ؛ فإن كل ذلك مبنيٌ على صحة رواية قصته مع أوريا وامرأته، ولم يأت بها حديث نبوي، ولا عن صحابي[4]، ولا دلَّ عليها القرآن، ولو كان كما ذكره القُصاص من تلك القصة التي لا تكاد تقع مع الخلعاء من العباد، كيف مع الأنبياء الذين هم أدِلَّةُ العُبّاد والزُهّاد؟.

وفي الكشاف[5] أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[6]

---

(١) وهذا هو الأمر الثاني الذي أشار إليه المؤلف رحمه الله.

(٢) وممن أشار إلى هذا القول، الثعلبي في تفسيره ٢٥٨/٥، والزمخشري في الكشاف ٤م٨٣.

(٣) كتب في الحاشية عبارة: (قف على كلام حسن).

(٤) أخرج الطبري، عن ابن عباس، شيئاً من هذا، ولكنه بسند فيه عطية العوفي، وهو ضعيف راجع ص ٦٣، وكذلك أخرج عن أنس نحوه وفي سنده: يزيد الرقاشي، وهو ضعيف أيضاً، انظر: تفسير ابن كثير ٤٥/٤.

(٥) الكشاف ٧٨/٤.

(٦) الأولى أن يؤتى بلفظ الترضي ؛ لأن حق الصحابة جميعهم الترضي عنهم ، ولا يخص =

قال: من حدثكم بحديث داود الذي يرويه القصاص جلدته مائة وستين، وهو حد الفرية على الأنبياء عليهم السلام[1]. قال[2]: "وروي أنه حُدِّث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجلٌ من أهل الحق، فكذَّب المحدِّث به، وقال: إن كانت القصة على ما في كتاب الله فلا ينبغي أن يلتمس خلافها، وإن كانت على ما ذكرت وكف الله عنها ستراً على نبيه، فما ينبغي إظهارها عليه، فقال عمر: لسماعي هذا الكلام أحب إلي مما طلعت عليه الشمس". انتهى[3].

قلت: وهل يجوز أن ينسب إلى مؤمن محبته قتل مؤمن؟ فكيف إلى رسول من رسل الله ؟ولو كان شيء مما رواه القصاص لأشار الله إليه، كما قال في قصة يوسف، ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (يوسف: من الآية٢٤) وقال: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً...﴾ الآية (الأنبياء: من الآية٨٧)، وغيرها، ومما يدلُّ على كذب تلك الروايات: أنه تمثل له الشيطان حمامةً من ذهب... إلى آخر القصة التي يكذبها قول الله: ﴿إِنَّ

=

أحدٌ منهم دون غيره إلا بمخصص شرعي، حتى لو كان هذا المعنى صحيحاً، ومع ذلك فإن بعض الصحابة أفضل من علي كأبي بكرٍ وعمر، رضي الله عنهم جميعاً، وهذا بإجماع المسلمين، ولم يقل فيهما: عليهما السلام، بل رضي الله عنهما، وعن جميع الصحابة والله أعلم، وقد أشار ابن كثير رحمه الله إلى شيءٍ من هذا في تفسيره ٨٢٢/٣.

(١) أورد هذا الأثر الثعلبي في تفسيره ٢٥٨/٥، والزمخشري في كشافه ٧٨/٤، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤٩٩/٤، عن سعيد بن المسيب، والحارث الأعور، وقال الحافظ ابن حجر، في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، : "لم أجده" أ.هـ وهو معارضٌ للأصول فإن حد الفرية ثمانين جلدة بنص كتاب الله، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ (النور: من الآية٤)، إلا أن يقال باختلاف الفرية على الأنبياء عن غيرهم، وهذا لا دليل عليه، والله أعلم.

(٢) يعني الزمخشري.

(٣) ورد هذا الأثر في الكشاف٧٨/٤، وتفسير النسفي٤٣٣/٢، ونظم الدرر للبقاعي ٣٦٢/١٦، ولم أجد له سنداً.

عِبَادِي[1] لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الإسراء: من الآية٦٥)، ويكذبها قول إبليس[2]: ﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الحجر: ٤٠)، والمعلوم يقيناً أن أنبياء الله رؤوس المخلَصين، وأما قول أيوب: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (ص: الآية٤١) ، فيأتي فيه الكلام[3].

ثم كيف تنطبق القصة مثالاً لحال داود مع أوريا؟ فإنه يقول: ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ وداود لم يخاطب أوريا على ما ساقوه في القصة، بل على زعمهم أنه أمر بتقدمه في معارك القتال ليُقتل، ثم من أين أن لداود تسعاً وتسعين امرأة؟ فهذا الذي ساقوه من القصص لا يذعن به قلب مؤمن، ولا يطمئن به الخاطر، وإن مشى عليه الأول من المفسرين والآخر[4].

ويدل على أن خطيئة داود العجلة في الحكم: أن الله ناداه بعد التوبة عليه بقوله: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ...﴾ الآية (صٓ: من الآية٢٦) و لم يقل: يا داود اكتف بما لديك من النساء وإن أعجبك غيرهن. كما قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم في شأن النساء: ﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ...﴾ الآية[5] (الأحزاب: من الآية٥٢)، وحين بلغتُ

---

(١) [ل ١٠٢/أ].

(٢) يعني ما حكاه الله عز وجل من قول إبليس.

(٣) في هذه السورة ص ٣٨.

(٤) هذا على التغليب، وإلا فقد رد القصة جمع من العلماء، كأبي حيان في البحر المحيط ٥١٩/٧، وابن كثير في تفسيره ٤٧/٤، وقد أفاد الرازي، وأجاد، في ردها ببحث نفيس، فليرجع إليه في تفسيره (مفاتيح الغيب) ١٨٩/٢٦.

(٥) الذي يُفهم من سياق كلام المؤلف رحمه الله: أن هذه الآية نزلت عتاباً للنبي صلى الله عليه وسلم على شيء فعله؛ والحق: أنها نزلت مجازاةً لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضاً عنهن على حسن صنيعهن واختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة لمّا خيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترنه، فكان جزاؤهن أن الله تعالى قصره عليهن، ثم نُسخ هذا الأمر بعد ذلك، وأحل الله له أن يتزوج النساء. انظر: تفسير ابن كثير ٧٩٨/٣.

هنا -وأنا أعجب من جميع المفسرين[1]، أنهم بنوا الآية على ضرب المثل، والخَصْمَين على الملكين، والنعاج على النساء، بلا حديث نبوي، ولا يعرف هذا إلا من جهته صلى الله عليه وآله وسلم -راجعت شفاء القاضي عياض رحمه الله تعالى وإذا فيه:

"وأما قصة داود عليه السلام فلا يجب أن يُلْتفت إلى ما صدَّره فيها الإخباريون الذين ينقلون عن أهل الكتاب الذين بدَّلوا وغيروا، ولم ينص الله على شيء من ذلك، ولا ورد في حديث صحيح، والذي نص الله عليه قوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ -إلى قوله: ﴿وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ (صٓ: من الآية٢٥) فمعنى فتناه: اختبرناه". ثم قال: "وحكى السمرقندي[2] أن ذنبه الذي استغفر منه: قوله لأحد الخصمين: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ وظلَّمه[3] بقول خصمه". قال: و"[إلى نفي ما أضيف في الأخبار إلى داود][4] من ذلك ذهب أحمد بن نصر[5] وأبو تمام -يريد من علماء المالكية، واسمه: محمد الأبهري[6]- وغيرهما من المحققين إلى أنه لا يثبت في قصة داود وأوريا خبر"

---

(١) قوله هذا على الأغلب كما تقدم قريباً.

(٢) هو نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الحنفي الإمام الفقيه المحدث الزاهد، أبو الليث، ، صاحب كتاب "تنبيه الغافلين"، تروج عليه الأحاديث الموضوعة. توفي في جمادي الآخرة سنة ٣٧٥هـ. انظر: السير ٣٢٢/١٦، وطبقات المفسرين للأدنه وي ص٩١.

(٣) أي جعله ظالماً.

(٤) ساقطة من الأصل وأثبتها من الشفاء للقاضي عياض، وبها يستقيم الكلام.

(٥) هو أحمد بن نصر أبو جعفر الداودي فقيه من أئمة المالكية ، ألف كتاب "القاضي في شرح الموطأ" وكتاب "الأموال" في أحكام الأموال التي يتغلب عليها المسلمون ، توفي بتلمسان سنة ٤٠٢هـ. انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة إعلام مذهب الإمام مالك للقاضي عياض ٩٣/٥، والأعلام للزركلي ٢٦٤/١.

(٦) لم أجد من علماء المالكية من كنيته أبو تمام واسمه محمد الأبهري والذي وجدته أن أبا تمام هو علي بن محمد بن أحمد البصري وكان جيد النظر ، حسن الكلام حاذقاً بالأصول، وله كتاب مختصر في الخلاف سماه: نكت الأدلة. وقد تتلمذ على أبي بكر محمد بن عبد الله الأبهري، وهذا الأخير من أئمة المالكية، ثقة مأمون، زاهد =

[ل١٠٢/ب] ثم قال: "وقيل: إن الخصمين اللذين اختصما: رجلان في نعاج غنم على ظاهر الآية". انتهى(١). وأشار في الكشاف في آخر تفسير الآية أنه ما كان ذنب داود إلا أنه صدّق أحدهما على الآخر، وظلّمه قبل مسألته(٢).

﴿**وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾ هذا استطراد وموعظة ونصيحة وإخبارٌ عن الكثير من الخلطاء، وإلا فليس الخصمان من الخلطاء، بل مغتصب وغاصب، ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ فلا يبغي بعضهم على بعض، ﴿**وَقَلِيلٌ مَا هُمْ**﴾ أي قليل هم، وما زائدة(٣). وقد جرى داود على ما وصفه من قوله(٤): ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يوسف: ١٠٣)، ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ (الأعراف: من الآية١٠٢)، ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ: من الآية١٣).

﴿**وَظَنَّ دَاوُدُ**﴾ أي علم، ﴿**أَنَّمَا فَتَنَّاهُ**﴾، في هذه القصة والحكومة، وأنه(٥) افتتن عن تحقق ما بين الخصمين، وسارع فيما لم يكن له فيه المسارعة، ﴿**فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ**﴾، فيما فرَّط فيه من عدم الاستفصال، وفَعَل فِعْل المتقين الذين وصفهم الله بقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران: من الآية١٣٥)، ﴿**وَخَرَّ**

=

ورع. انظر: كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك ٧٦/٧، والسير ٣٣٢/١٦ (٢٤١).

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، ١٠٢/٢.

(٢) الكشاف ٨٥/٤.

(٣) انظر: تفسير القرطبي ١٧٢/١٥، والبحر المحيط ٥٢٣/٧، والدر المصون ٣٧٢/٩.

(٤) كأن في هذا الكلام سقطاً، ويفهم المعنى لو قلنا: (وقد جرى داود فيما وصفه من قوله: ﴿وقليل ما هم﴾ على ما في قوله تعالى: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾...إلخ.

(٥) في الأصل يشبه أن تكون: "وأن" والمثبت هو المناسب للسياق.

رَاكِعاً﴾، في الكشاف: "مصلياً لأن الركوع يجعل عبارة عن الصلاة"[1].

في البغوي: "قال الحسين بن الفضل[2]: سألني عبد الله بن طاهر[3] عن قوله: ﴿وَخَرَّ رَاكِعاً﴾ هل يقال للراكع: خر؟ قلت: لا، ومعناه: فخر بعد ما كان راكعاً أي سجد"[4].

أخرج الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه، والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إني رأيتني في هذه الليلة، فيما يرى النائم كأني أصلي عند شجرة، وكأنْ قرأت سورة السجدة فسجدت، فرأيت الشجرة كأنها سجدت لسجودي وهي تقول: اللهم اكتب لي بها عندك ذكراً، وضع عني بها وزراً، واجعلها لي عندك ذُخراً، وأعظم لي بها أجراً، وتقبَّل مني كما تقبَّلت من عبدك داود، قال ابن عباس: فقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السجدة، فسمعته [ل١٠٣/أ] يقول في سجوده كما أخبره الرجل عن قول الشجرة[5]. وفي رواية أخرجها

---

(١) الكشاف ٨٥/٤.

(٢) هو الحسين بن الفضل بن عمير بن القاسم بن كيسان، العلامة المفسر، الإمام اللغوي، المحدث، أبو علي البجلي الكوفي ثم النيسابوري، كان من العلماء الكبار العابدين ، مات سنة ٢٨٢هـ وهو ابن ١٠٤ سنين. انظر: السير ٤١٤/١٣ (٢٠٢)، وشذرات الذهب ١٧٨/٢، ولسان الميزان ٢٠١/٣ (٢٥٩٣).

(٣) هو عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ، الأمير العادل أبو العباس حاكم خراسان وما وراء النهر ، قلده المأمون مصر وأفريقية ثم خراسان، وكان ملكاً مطاعاً سائساً مهيباً جواداً، مات بالخانوق سنة ٢٣٠هـ وله ٤٨ سنة. انظر: تاريخ الطبري ٢٧٩/٥، والسير ٦٨٤/١٠ (٢٥٢).

(٤) أورده الثعلبي في تفسيره، هكذا بغير سند، وكذلك البغوي في تفسيره مثله بغير سند، و لم أعثر على إسناده، انظر: الكشف والبيان ٢٦٦/٥، وتفسير البغوي ٥٧/٤.

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب سجود القرآن، ص ١٨٩ (١٠٥٣)، والترمذي في سننه، كتاب الجمعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما يقول في سجود القرآن، ص ١٤٩ (٥٧٩)، وابن حبان في صحيحه، كتاب الصلاة، باب سجود التلاوة، ذكر ما يدعو المرء به في سجود =

أبو يعلى[1] عن أبي سعيد بالقصة، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم قرأ سورة، ﴿صٓ﴾ فأتى على السجدة، فقال في سجوده ما قالت الشجرة في سجودها[2].

وأخرج النسائي وابن مردويه بسند جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سجد في ﴿صٓ﴾. وقال: (سجد بها داود توبة ونسجدها شكراً)[3].

﴿**وَأَنَابَ**﴾، الإنابة: الرجوع، أي رجع إلى الله بتوبته، كأنَّ المذنب قد بعَّده ذنبه عن الله فقرَّبته إليه إنابته.

=

التلاوة ٣٦٦/٤ (٢٧٥٧)، والطبراني في الكبير ١٢٩/١١ (١١٢٦٢)، والحاكم في مستدركه، كتاب الإمامة وصلاة الجماعة، باب التأمين ٣٤١/١، والبيهقي في الدلائل ٢٠/٧، وقال الترمذي: "هذا حديث غريب من حديث ابن عباس لا نعرفه إلا من هذا الوجه". وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح رواته مكيّون لم يُذكر واحد منهم بجرح، وهو من شرط الصحيح، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، قال الألباني: "وهذا من عجائبه"، انظر: السلسلة الصحيحة٤٧٤/٦، لأن الذهبي تكلم على الحسن بن محمد في الكاشف ١٦٦/١ (١٠٧٠) وقال عنه: "غير حجة"، وفي التقريب ص٢٤٢ (١٢٩٢) قال ابن حجر: "مقبول"، وقد حسنه الألباني. انظر: تعليقه على سنن ابن ماجه ص١٨٩ (١٠٥٣)، وعلى سنن الترمذي ص١٤٩ (٥٧٩).

(١) هو أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي الإمام الحافظ، شيخ الإسلام، أبو يعلى، محدث الموصل، وصاحب المسند والمعجم. ولد في الثالث من شوال سنة ٢١٠هـ. انتهى إليه علو الإسناد، وازدحم عليه أصحاب الحديث، وعاش ٩٧ سنة. انظر: السير ١٧٤/١٤ (١٠٠)، وطبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي ٤٢٨/٢ (٦٩٤).

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده ص ٢٥٥ (١٠٧٠) والطبراني في الأوسط ٩٣/٥ (٤٧٦٨)، والثعلبي في تفسيره ٢٦٦/٥، وقال الهيثمي في المجمع ٤٧٥/٢: "رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط إلا أنه قال: قالتْ: اللهم اكتب لي بها أجراً. والباقي بنحوه، وفيه: اليمان بن نصر، قال الذهبي: مجهول"، ا.هـ. انظر: ميزان الاعتدال ٢٩١/٧ (٩٨٦٠) ولسان الميزان، ٥٤٧/٨ (٨٦٧٦).

(٣) أخرجه النسائي في سننه، كتاب الافتتاح ، باب سجود القرآن ص١٥٨ (٩٥٧)، وقال ابن كثير في تفسيره ٤٨/٤: "تفرد بروايته النسائي ورجال إسناده كلهم ثقات". وصححه الألباني. انظر: تعليقه على سنن النسائي وعلى مشكاة المصابيح٣٢٦/١ (١٠٣٨)، وعزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور ٥٧١/٥.

﴿**فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ**﴾ كما غفر لأبيه آدم حيث قال: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (طه: ١٢٢)، وكغيره من الرسل، ﴿**وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ**﴾، مرجع، وهو إلى الجنة.

أخرج أحمد في الزهد والحكيم الترمذي[١] وغيرهما عن مالك بن دينار[٢] في قوله: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ قال: يقام داود يوم القيامة عند ساق العرش، ثم يقول الرب: يا داود مجِّدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به في الدنيا. فيقول داود: كيف يا رب وقد سلبتنيه، فيقول: إني أرده عليك اليوم، فيندفع داود بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنة[٣].

﴿**يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ**﴾ آتاه الله أولاً الملك، كما قال: ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾

---

(١) هو محمد بن علي بن الحسن بن بشر أبو عبد الله، الحكيم الترمذي. كان ذا رحلة ومعرفة، قال الذهبي في السير: "لولا هفوة بدت منه". قلت: بينها في كتابه تذكرة الحفاظ ٢/٦٤٥، فقال: "وقالوا: زعم أن للأولياء خاتماً وأنه يفضل الولاية. واحتج بقوله عليه السلام: (يغبطهم النبيون والشهداء). وقال: لو لم يكونوا أفضل لما غبطوهم" ا.هـ وله مصنفات، ومنها: كتاب "نوادر الأصول" مشهور عاش إلى حدود ٣٢٠هـ، وعاش نحواً من ٩٠ سنة. انظر: حلية الأولياء ١٠/٢٣٣، السير ١٣/٤٣٩ (٢١٦)، ولسان الميزان ٧/٣٨٦ (٧٢٢٤).

(٢) هو مالك بن دينار علم العلماء الأبرار، معدود من ثقات التابعين، ولد في أيام ابن عباس. وليس هو من أساطين الرواية. وثقه النسائي وغيره، واستشهد به البخاري، وحديثه في درجة الحسن. توفي سنة ١٢٧هـ، وقيل ١٣٠هـ. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/١٣٩ (٥٥١) والسير ٥/٣٦٢ (١٦٤).

(٣) أخرجه أبو عوانة في مسنده ٢/٤٨٢ (٣٩١٦)، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة ص ٣٤٩، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/٣٢٤٠ (١٨٣٤٨) والبيهقي في البعث ص ٢٢٨ (٣٨٢) من طريق سيَّار بن حاتم، عن جعفر بن سليمان، عن مالك بن دينار من قوله، ولم أجده في الزهد للإمام أحمد بن حنبل، ولا في نوادر الأصول للحكيم الترمذي، وهو موقوف على مالك بن دينار، ولعله أخذه من الإسرائيليات، لا سيما وأنه كان يقرأ في التوراة والزبور كما أشار إليه إسماعيل العجلوني في كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ١/٢١٣، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم: السيوطي في الدر المنثور٥/٥٧٣.

(البقرة: من الآية ٢٥١)، ثم أخبر أنه آتاه النبوة...[1]، فجمع تعالى له الملك والحكمة والنبوة فهو خليفة وملك ونبي، ويحتمل أن المراد بالخليفة: الملك، ﴿**فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى**﴾ كأنه عليه السلام لما أكثر الشاكي بشكواه وتعرض لذكر ما ليس من دعواه بقوله: ﴿لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ فإن هذا ليس من الدعوى في ورد ولا صدر؛ إنما الدعوى: ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ أخذته حمية دينية فبادر بقوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ مع أنه لم يقل أخذ نعجته، إنما قال: سأله كفالتها، فقول داود إنه ظلمه [ل١٠٣/ب] لمجرد سؤاله ليس في موضعه، وهذا يزيدك قوةً لما قلناه من أن ذنبه ليس إلا عجلته بتظليم الخصم، وذلك جائز على الأنبياء، ونظيره: ما وقع لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم في قصة بني أبيرق[2]، وأنزل الله عليه، ﴿وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾ (النساء: من الآية ١٠٥) ، ﴿وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ (النساء: من الآية ١٠٧) وأمره بالاستغفار فقال: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾[3] (النساء: ١٠٦)، ﴿**فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾، وهو الحكم

---

(١) في الأصل (فقد آتينا آل داود الكتاب والنبوة وآتيناهم ملكاً عظيما)، ولا توجد آية بهذا اللفظ ولعله خطأ من الناسخ والله أعلم.

(٢) هم بطن من الأنصار، نسبة إلى الأبيرق، واسمه: الحارث بن عمرو بن حارثة بن الهيثم بن ظفر، وبنوه: بشر، وبشير، ومبشر، فأما بشير فكان من المنافقين، وهرب إلى مكة، وأقام يهجو المسلمين، وهو سارق درعي عم قتادة بن النعمان. انظر: الإكمال لابن ماكولا، باب (أبيرق، وأبيرد) ١/١٠، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ص ٤٤.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة النساء ص٦٧٩ (٣٠٣٦)، والطبراني في الكبير ١٩/٩ (١٥) كلاهما من حديث قتادة بن النعمان قال: كان أهل بيت يقال لهم: بنو أبيرق بشر وبشير ومبشِّر، وكان بشير رجلاً منافقًا، وكان يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينحله لبعض العرب ويقول: قال فلان كذا، وقال فلان كذا، فإذا سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الشعر قالوا والله ما يقول هذا الشعر إلا الخبيث، فقال: أو كلّما قال =

=

الرجل قصيدة قالوا: ابن أبيرق قالها؟ وكانوا أهل بيت فاقة وحاجة في الجاهلية والإسلام، وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير، فكان الرجل إذا كان له اليسار أكل البر، فقدم طعام من الشام، فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملاً من الدرمك، فجعله في مشربة له، وفي المشربة سلاح له درعان وسيفاهما وما يعلمهما، فعُدي عليه من تحت الليل، ونقبت المشربة، وأخذ الطعام والسلاح، فأتاني عمّي رفاعة، فقال: يا ابن أخي تعلم أنه عُدي علينا في ليلتنا هذه فنقبت المشربة، فذُهب بطعامنا وسلاحنا، فتحسسنا في الدار وسألنا فقيل: قد رأينا بني أبيرق، واستوقدوا في هذه الليلة، وما نرى فيما نرى إلا أنه على بعض طعامكم، وقد كان يقول بنو أبيرق، ونحن نسأل في الدار: والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل، رجل منا له صلاح وإسلام، فلما سمع بذلك لبيد اخترط سيفه وقال: أنا أسرق؟ والله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبيننّ هذه السرقة. قالوا: إليك عنا أيها الرجل، والله ما أنت بصاحبها، فسألنا في الدار حتى لم يشك أنهم أصحابها، فقال لي عمي: يا ابن أخي، لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له، فقلت: يا رسول الله، إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي رفاعة بن زيد فنقبوا مشربة له، وأخذوا سلاحه وطعامه، فليردد إلينا سلاحنا، أما الطعام فلا حاجة لنا به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سأنظر في ذلك) فلما سمع بذلك بنو أبيرق أتوا رجلاً منهم يقال له: أسيد بن عروة، وكلموه في ذلك واجتمع له ثلاثون من أهل الدار، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت.

قال قتادة: فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمته، فقال: (أعمدتم إلى قوم ذكر منهم إسلام وصلاح ترمونهم بالسرقة؟!) فرجعت ولوددت أني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، فأتاني عمي رفاعة فقال ابن أخي ما صنعت؟ فأخبرته ما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: الله المستعان، فلم نلبث أن نزل القرآن: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً﴾ بني أبيرق ﴿واستغفر الله﴾ أي مما قلت لقتادة ﴿إن الله كان غفوراً رحيماً • ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم﴾ بني أبيرق ﴿إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً • يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً • هاأنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم...﴾ الآية إلى قوله ﴿غفوراً رحيماً﴾ أي: لو أنهم استغفروا الله لغفر لهم ﴿ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليماً حكيماً • ومن يكسب خطيئةً أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتانا وإثماً مبيناً﴾ قولهم للبيد، ﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء﴾ إلى آخر الآية، فلما نزل القرآن أُتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسلاح، فرده إلى رفاعة. قال قتادة: فلما أتيت عمي بالسلاح وكان شيخاً قد عَمِي في الجاهلية، وكنت أرى إسلامه مدخولاً، فلما أتيته بالسلاح قال: ابن أخي هو في سبيل الله. فعرفت أن إسلامه كان صحيحاً، فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشركين فنزل على سُلافة بنت سعيد بن سُهيل، فأنزل الله فيه:

=

بالحق؛ فإنه سبيل الله الذي أمر به عباده، ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء: من الآية٥٨)، وقال: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (المائدة: من الآية٨)، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإحسان﴾ (النحل: من الآية٩٠)، ومن أسمائه الحسنى: العدل، والمحق[1] هو العدل وهو القسط، وبإتباع الهوى قتل متبعوه الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة: من الآية٨٧)، ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾ (الكهف: من الآية٢٨)، وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات: ٤٠-٤١) وفي الحديث الصحيح (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به)[2]، ﴿**إِنَّ**

=

﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾، فلما نزل على سُلافة بنت سعيد رماها حسان بن ثابت بأبيات من شعره، فأخذت رحله فوضعته على رأسها ثم خرجت به فرمت به في الأبطح، ثم قالت: أهديت لي شعر حسان؟ ما أتيتني بخير. -زاد الطبراني: وإنه نَفَتَ على قوم منهم ليسرق متاعهم فألقى الله عليه صخرة فكانت قبره. ا.هـ.

قال الترمذي: "هذا حديثٌ غريبٌ لا نَعْلَمُ أحداً أسنده غير محمد بن سلمة الْحَرَّانِيِّ. وَرَوَى يونس بن بكير وغير واحد هذا الحديث عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة مُرْسل، لم يذكروا فيه: عن أبيه عن جَدِّهِ"، ا.هـ، والحديث حسنه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي ص ٦٧٩، (٣٠٣٦).

(١) كذا في الأصل، والأظهر من حيث السياق والمعنى: (والحق) والله أعلم.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة ص٣٠، والخطيب البغدادي في تاريخه ١٣٢/٥، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وقال النووي في أربعينيته: "حديث حسن صحيح، رويناه في كتاب الحجة، بإسناد صحيح"، انظر: شرح الأربعين النووية ص ١٠٧، (٤١)، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: "رجاله ثقات". انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣٥٤/١٣، وقد رد ابن رجب تصحيح النووي في جامع العلوم والحكم وقال: "تصحيح هذا الحديث بعيد جداً من وجوه" ذكرها، انظر: جامع العلوم والحكم ٣٩٤/٢، وكذلك ضعف الحديث: الألباني رحمه الله في تحقيقه لمشكاة المصابيح وقال: "سنده ضعيف فيه نعيم بن حماد وهو ضعيف". انظر: مشكاة المصابيح ٥٩/١، وضعفه أيضاً في تعليقه على كتاب السنة وقال: =

الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾، فيه دليل على أنه لا يتبع الهوى إلا من نسي يوم الحساب، وأن الهوى يحول بينه وبين ذكرِهِ الحساب، إذ لو ذكر الحساب لما اتبع هواه، ولَمَّا ذكر تعالى تكذيبهم بالرسل والبعث ذكر أدلة البعث فقال: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً**﴾، كما هو قول من أنكر المعاد وقال: ﴿مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ (الجاثية: من الآية٢٤) ومن لازم هذا أنه لا حكمة لله في خلق ما ذَكَر،ولأنه ردٌ لصرائح قوله: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النحل: ٣)، في عدة آيات، ﴿**ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ وأما أهل الإيمان من الذين يتفكرون في خلق السماوات فهم يقولون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً﴾ (آل عمران: من الآية١٩١) ﴿**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ**﴾ فإنهم حسبوا أنه خلقهم والسماوات والأرض عبثاً وباطلاً، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٥) [ل١٠٤/أ]، ﴿أَيَحْسَبُ الإنسان أَنْ يُتْرَكَ سُدىً • أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾ -إلى قوله: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ (القيامة: من٣٦إلى٤٠)، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ (الدخان: الآية٣٨-٣٩)، قال أئمة التفسير: وهو الثواب على الطاعة، والعقاب على المعصية[1]، فهؤلاء الذين قالوا: خلق ذلك باطلاً، هم القائلون إنه لعبٌ ليس تحته حكمةٌ ولا مصلحةٌ ولا إعادةٌ ولا ثوابٌ ولا عقاب، ﴿**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ وضع الظاهر موضع المضمر زيادة في الوعيد والذم ﴿**مِنَ**

=

"رجاله ثقات غير نعيم بن حماد ضعيف لكثرة خطئه، وقد اتهمه بعضهم". انظر: كتاب السنة ص ٣٠.

(١) انظر: تفسير الطبري، ١٥٢/٢٥، وتفسير البغوي ١٥٤/٤.

النَّارِ﴾ حيث يقال لهم: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (المرسلات: ٢٩).

﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ﴾ هو استفهام إنكار[1] بالنظر إلى ما فطر الله العباد عليه وجبل عقولهم، من أنه لا يستقيم من عقلٍ ولا فطرةٍ صحيحةٍ التسويةُ بين المحسن والمسيء، ولا بين الشقي والتقي، وقد كرر تعالى هذا المعنى في القرآن؛ قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (القلم: ٣٥-٣٦)، ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ﴾ (السجدة: ١٨)، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: من الآية٩)، ومنه **﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾** أي هذا لا نجعله، ولا يطابق حكمتنا، كما أن عقولكم لا تقبله وتأباه ولا تفعله كما قيل:

أسأتَ إليَّ فاستوحشتَ مِنِّي وَلَوْ أَحْسَنتَ آنَسَكَ الجَمِيلُ[2]

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ [مبارك][3]﴾ قد وصف تعالى القرآن بالبركة في آيات، ففي الأنعام: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ (الأنعام: من الآية٩٢) ، وفي الأنبياء: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ (الأنبياء: ٥٠)، وفي هذه الآية.

ولا يحضرني أنه تعالى وصف غير القرآن بالبركة من الكتب السماوية، وبركة القرآن ظاهرة، وأدلة بركته ظاهرة، فإنه شفاء لما في القلوب، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً

---

(١) انظر: الكشاف ٨٧/٤، والبحر المحيط ٥٢٥/٧.

(٢) أورده صاحب كتاب السحر الحلال في الحكم والأمثال ص ٩٢ ولم يذكر قائله، وقريب منه: ما أورده صاحب الوافي بالوفيات في ترجمة سهلون الكسروي، حيث أورد له:

أسأت إلي فاستوحشت مني ولو أحسنت ما أعرضت عني

انظر: الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي ١٧/١٦.

(٣) ما بين المعقوفتين ليس في الأصل، والصواب إثباتها؛ فالمؤلف يتكلم عن وصف القرآن بالبركة، فلعله سهو من الناسخ بدليل قوله فيما بعد: "وفي هذه الآية".

وَرَحْمَةٌ﴾ (يونس: من الآية٥٧)، وشفاء للأبدان، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ﴾ (الإسراء: من الآية٨٢) وهو الذي يُخْرِج من الظلمات إلى النور، ويهدي إلى الصراط المستقيم. كما قال: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ[1] بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٦)، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: من الآية٩)، ﴿هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: من الآية٢)، ومن بركته: أنه يبشر المؤمنين كما قال: ﴿لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الكهف: من الآية٢).

ومن بركته: أنه اشتمل على الأدلة العقلية والسمعية، على كل مطلب من أصول وفروع، على كل نوع من أنواع العلوم، يعرفه من آتاه الله فهماً في معانيه، وتدبراً لخوافيه.

ومن بركته: أنه تاريخ أتى بأخبار الأمم الماضية، والقرون الخالية، وبأخبار مبدإ الخلائق ومنتهاها، وبالأخبار عن السماوات العلى، وعن ساكنها من الملأ الأعلى، وعن الجنات وغرفاتها، وعن النار ودركاتها، وعن النشر والحشر، وعما لا يدخل تحت الحصر، وبالجملة فهو مبارك في الأديان، وشفاء الأبدان، وفي نيل المعاش، فكم من تالٍ له بالأجرة وناسخ ومعلِّم[2]، وهو أيضاً ﴿**مُبَارَكٌ**﴾ في الدور الثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ،

---

(١) [ل ١٠٤/ب].

(٢) أما تعليم القرآن بالأجرة، ففيه خلاف بين السلف، فأجازه الجمهور ومنعه الحنفية ، والصحيح: ما ذهب إليه الجمهور، لقوة أدلتهم وصحتها، فقد استدلوا بما ثبت في صحيح البخاري، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله)، صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب، ١٨٣٣/٤ (٥٧٣٧) وبما أخرجه الشيخان، من حديث سهل بن سعد: (اذهب فقد أنكحتكها بما معك من القرآن)، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب التزويج على القرآن وبغير صداق ١٦٥٨/٣ (٥١٤٩)، وصحيح مسلم، كتاب النكاح، باب الصداق، وجواز كونه تعليم قرآن =

ودار الآخرة، ثم ذكر من حِكَمِ إنزاله حكمتين: ﴿**لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ**﴾: ليتفكروا فيها، ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: ٢٤) وبتدبر آياته يؤتون الأحكام التي دلّت عليه، والخيرات التي في معانيه، فقد اشتمل على كل خير ديني ودنيوي وبدني، ولقد عدل الناس عن تدبُّره، واستخراج أحكامه، وزُيِّن لهم أمران أحدهما أسهل من الآخر، وهو الاشتغال بالقراءات والوجوه، وإنفاق الساعات في إقامة حروفه، واختلاف القرّاء في ذلك، وهذا لا بأس بقدرٍ منه تقام به مخارج الحروف، وبيان حسن تأديته، وهو شيءٌ يُدرك في أيام قلائل، ولكن الغلو في كل شيءٍ أوجب لهم ذلك الابتداع وعدم الاتباع.

=

وخاتم حديد، ٩/١٨٠ (١٤٢٥)، وغير ذلك ، واستدل الحنفية على ما ذهبوا إليه، بحديث عبادة بن الصامت، أنه علم رجلاً من أهل الصفة القرآن، فأهدى له قوساً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن سرك أن تُطَوّق به طوقاً من نار فاقبلها) رواه أبو داود، كتاب الإجارة، باب كسب المعلم ص٥٢١ (٣٤١٦)، وصححه الألباني في تعليقه على سنن أبي داود، مع أن فيه الأسود بن ثعلبة، وهو مجهول كما حكم عليه الحافظ في التقريب ص ١٤٥ (٥٠٤)، فالله أعلم ، وعلى كل حال فإن أحاديث الجمهور أصح وقد أخرجها الشيخان ، فلا تعارض بحديث عبادة وقد ذكر النووي وجوهاً في الإجابة على حديث عبادة فليرجع إليها ، انظر: التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص ٤٦، وانظر: تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي ٦/٢٢١.

وأما تلاوته بالأجرة فقد أجازها بعضهم. والذي يظهر لي والله أعلم: أنها لا تجوز؛ لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ﴾ (هود: ١٥) ، ولأنها إجارة ليس فيها معاوضه، بخلاف التعليم ففيه منفعة التعلّم، وكذلك النسخ؛ ففيه معاوضة ظاهرة، وقد ذكر السيوطي إجماع العلماء على عدم جواز أخذ الأجرة على الإجازة، (الإتقان ٢٢٣/١)، فمن باب أولى تحريم أخذها على التلاوة، وقد قال الزركشي في البرهان: "روى البخاري في تاريخه الكبير، بسند صالح، حديث: (من قرأ القرآن عند ظالم ليرفع منه لعن بكل حرف عشر لعنات) (البرهان في علوم القرآن) للزركشي ٥٦٣/١.

وأما أخذ الأجرة على نسخ المصحف، فقد كرهها بعض الصحابة، كابن عباس، وابن عمر رضي الله عنهم، ولم ير غيرهم بها بأساً، كالحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد، انظر: الإتقان ٣٧٨/٢ وتفسير روح المعاني للآلوسي ٤١١/١.

وقد ذكر الذهبي[1] في زغل العلم شيئاً من هذا[2]، والثاني وهو شرٌّ شمل الأعلام من علماء الإسلام، وطال فيه الجدال والخصام، وسرى إلى التكفير وضرب الأجسام، وهو: هل القرآن مخلوقٌ أو قديم ؟[3]، فمن عرف ما

---

(١) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله: حافظ، مؤرخ، علامة محقق. مولده في دمشق عام ٦٧٣. تصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المائة، منها: "سير أعلام النبلاء"و"تذكرة الحفاظ" وغيرها. واختصر كثيراً من الكتب. توفي بدمشق عام ٧٤٨هـ. انظر: الوافي بالوفيات ١٦٤/٢، وشذرات الذهب ١٥٣/٦، والأعلام للزركلي ٣٢٦/٥.

(٢) انظر: كتاب زغل العلم ص ٢٥، ٢٦، وفي نسبته للذهبي نظر، راجع ص ٤٣.

(٣) هذه مسائل قد كثر فيها الجدال، بين أهل السنة والجماعة وبين أهل الزيغ والضلال، ويرجع الكلام فيها إلى الخلاف في صفة الكلام لله سبحانه وتعالى؛ فمن قال: إن كلام الله مخلوق قال: القرآن مخلوق. ومن قال: كلام الله قديم –ويعنون أنه قائم بالله أزلي، ليس له تعلّق بالمشيئة والإرادة –من قال هذا قال: القرآن قديم. وأهل السنة والجماعة لا يقولون بهذا ولا بذاك. وإنما يقولون: كلام الله قديم النوع حادث الآحاد؛ لأنه من صفات الأفعال، فهو سبحانه متصف بصفة الكلام أزلاً –وهذا معنى: قديم النوع–، وهو سبحانه يتكلم متى شاء وكيف شاء –وهذا معنى: حادث الآحاد–. ولكي تتضح المسألة أكثر سأذكر قول المعتزلة والأشاعرة وأبين منشأ ضلالهم.

فالمعتزلة ينفون الصفات عن الله سبحانه وتعالى؛ لاعتقادهم أن الصفات أعراض، وأن قيام العرض بالله يقتضي حدوثه، ومن هذه الصفات: صفة الكلام ، فقالوا: كلام الله شيء منفصل عنه، فهو مخلوق ، ومن هنا جاءت مقالتهم الضالة: إن القرآن مخلوق.

وأما الأشاعرة فيقولون: نثبت صفة الكلام لله سبحانه وتعالى ، لكن الكلام الذي نثبته هو الكلام النفسي القائم بذاته ولا ينفصل عنه، فالله سبحانه وتعالى متصف بصفة الكلام أزلاً، فمن هنا قالوا: القرآن قديم.

وأما أهل السنة فيقولون: القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، ولا يطلقون لفظ قديم إلا مع التوضيح والبيان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن السلف قالوا: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وقالوا: لم يزل متكلماً إذا شاء. فبينوا أن كلام الله قديم ، أي جنسه قديم لم يزل، ولم يقل أحد منهم: إن نفس الكلام المعين قديم ، ولا قال أحد منهم: القرآن قديم، بل قالوا: إنه كلام الله منزل غير مخلوق، وإذا كان الله قد تكلم بالقرآن بمشيئته كان القرآن كلامه وكان منزلاً منه غير مخلوق، ولم يكن مع ذلك أزلياً قديماً بقدم الله ، وإن كان الله لم يزل متكلماً إذا شاء فجنس كلامه قديم، فمن فهم قول السلف وفرق بين هذه الأقوال زالت عنه =

وقع في ذلك بين علماء الدين، وما جرى بسببه بين العلماء والسلاطين، علم أنها والله من خدع إبليس اللعين،[ل١٠٥/أ] فرَّق بها بين العباد، وأثار بها نار الفساد، وهي بدعة على التقديرين. والله سماه: كلام الله، وسماه بذلك: رسوله الذي نزل عليه ، ولكن الابتداع والغلو يبلغ بالعباد ما هو قرة عين لإبليس وكل المُرَّاد.

والحكمة الثانية: ﴿**وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ**﴾: أولوا العقول أي يتعظ به من ﴿كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (قَ: من الآية٣٧)، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: ١٩٠) ، فهم الذين جعله الله تعالى شفاهم، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً﴾ (فصلت: من الآية٤٤) وهم[1] الذين قالوا ﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ (فصلت: من الآية٥) وهم الذين قال فيهم: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً﴾ (الأنعام: من الآية٢٥)، والذين قال لهم: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً﴾ (الإسراء: ٤٥)، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً...﴾ الآية (الإسراء: من الآية٤٦)، وهم الذين يسمعون كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتلاوته، وإذا خرجوا من عنده، ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً﴾ (محمد: من الآية١٦).

﴿**وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ**﴾، ذكر منةً من مننه تعالى على عبده داود،

=

الشبهات في هذه المسائل المعضلة التي اضطرب فيها أهل الأرض" ا.هـ. انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥٤/١٢ ، وشرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي من ص ١٢٧إلى ١٥٢، وتيسير لمعة الاعتقاد للدكتور عبد الرحمن المحمود ص١٥٨.

(١) أي الذين لا يؤمنون به.

هبةِ ولدٍ له جعله نبياً مَلِكاً، إفضالاً منه تعالى من غير طلب كما طلب ذلك إبراهيم وزكريا[1]، ثم مدح سليمان فقال: ﴿**نِعْمَ الْعَبْدُ**﴾ أي سليمان وذكر علّة المدح بقوله، ﴿**إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾، كما قال في أبيه: ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (صٓ: من الآية١٧): رجَّاع إلى الله تعالى[2].

﴿**إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ**﴾ طوى العارض للعلم به، ﴿**بِالْعَشِيِّ**﴾ هو من بعد الزوال، ﴿**الصَّافِنَاتُ**﴾ جمع صافن، صفة للفرس الذي يقوم على ثلاثة أرجل ويقلب إحدى حوافره، وهي صفة النجيب من الخيل[3]، ﴿**الْجِيَادُ**﴾ جمع جواد، وهي السّراع في عدوها، وفي الكلام إيجاز، أي منشغلٌ بها حتى فاته ذكر الله تعالى.

﴿**فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ**﴾ قيل: هي[4] -فيه إبدال للام بالراء- أي الخيل[5]، وقيل: الخير: المال[6] من قوله: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ (العاديات:

---

(١) لا أعلم أن إبراهيم عليه السلام سأل الذرية من الله، وإنما سأل صلاح الذرية كما في قوله تعالى حكاية عنه: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾، وقوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾، أما زكريا فقد سأل الله ذلك كما في قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.

(٢) وقد تقدم معنا في البحث ص ٦٣، معنى الأواب بأنه المسبح، كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس، وتقدم أيضاً عن مجاهد معنى الأواب، هو الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله ص ١٣، وهنا فسره بقوله رجَّاع إلى الله تعالى، وقد ورد عن السلف تفسيرات أخرى مثل: المطيع، الراحم، وغيرها وهذا الاختلاف اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد فلا يضر ، ولعل سياق الآيات هو الذي يرجح معنى على معنى آخر، فمثاله في قوله تعالى عن داود ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ يترجح هنا معنى المسبح لذكر التسبيح بعده مباشرة في قوله: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾، وفي قوله تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (صٓ: ٣٠) يترجح أن معناه: رجَّاع عن الذنب لأنه ذكر بعده مباشرة انشغاله بحب الخيل عن الصلاة وتوبته من ذلك، والله أعلم.

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء ٤٠٥/٢، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٣٠/٤، ولسان العرب ٣٦٩/٧.

(٤) كذا في الأصل، ولعلها زائدة.

(٥) وهو قول قتادة، والسدي، انظر: تفسير الطبري ١٨٢/٢٣، وزاد المسير ٥٧١/٣.

(٦) قاله سعيد بن جبير، والضحاك، انظر: زاد المسير٥٧١/٣.

من الآية٨)، والخيل من المال، ولذا عدَّها تعالى مما زُين للناس في قوله: ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ (آل عمران: من الآية١٤)، فجعلها [ل١٠٥/ب] مما زَيَّنه للعباد، ﴿**عَنْ ذِكْرِ رَبِّي**﴾ وفُسِّر الذكر بصلاة العصر[1]، ﴿**حَتَّى تَوَارَتْ**﴾ الشمس المدلول عليها بذكر العشي، ﴿**بِالْحِجَابِ**﴾، ما يحجبها عن الأبصار.

﴿**رُدُّوهَا**﴾ أي الصافنات الجياد التي ألهته عن ذكر ربه، ﴿**عَلَيَّ فَطَفِقَ**﴾ أخذ، ﴿**مَسْحاً**﴾ يمسحها مسحاً، ﴿**بِالسُّوقِ**﴾ عقراً لها، ﴿**وَالأَعْنَاقِ**﴾، وأظهر الأقوال: أنه صنع بها ذلك -وكان جائزاً في شرعه- تقرباً إلى الله بلحومها[2]، لأنها كانت محبوبة لديه ولذا قال: ﴿حُبَّ الْخَيْرِ﴾ أي حبي إياها، فتقرب بها إلى الله لقوله: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ...﴾ الآية (آل عمران: من الآية٩٢) -وإن كانت في كتابنا- فهو معلوم أن إنفاق النفيس في كل شريعة يُرَغَّب فيه، ومنه حديث

---

(١) وهو مروي عن علي بن أبي طالب، وقتادة، والسدي انظر: تفسير الطبري ١٨٢/٢٣، والدر المنثور ٥٩٧/٥.

(٢) ومن الأقوال التي قيلت في معنى هذه الآية: ما أورده الطبري عن ابن عباس أنه قال: جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حباً لها. انظر: تفسير الطبري ١٨٣/٢٣. وأورد الثعلبي في تفسيره ٢٦٩/٥عن قومٍ قالوا: معناه: حبسها في سبيل الله وكوى سوقها وأعناقها بكي الصدقة، وما اختاره المؤلف هو الأقرب، وهو قول الجمهور. قال ابن الجوزي في تفسيره بعد أن ساق الأقوال السابقة: "والمفسرون على القول الأول، وقد اعترضوا على القول الثاني، وقالوا: أي مناسبة بين شغلها إياه عن الصلاة وبين مسح أعرافها حبًّا لها ؟!ولا أعلم قوله: "حُبًّا لها"يثبت عن ابن عباس. وحملوا قول مجاهد: "مسحها بيده"أي: تولَّى ضرب أعناقها.فإن قيل: فالقول الأول يفسد بأنه لا ذنب للحيوان، فكيف وجَّه العقوبة إليه وقصد التشفي بقتله، وهذا يشبه فعل الجبَّارين، لا فعل الأنبياء ؟فالجواب: أنه لم يكن ليفعل ذلك إلا وقد أُبيح له، وجائز أن يباح له ما يمنع منه في شرعنا، على أنه إذا ذبحها كانت قرباناً، وأكل لحمها جائز، فما وقع تفريط.قال وهب بن منبه: لَمَّا ضرب سوقها وأعناقها، شكر الله تعالى له ذلك، فسخر له الريح مكانها، وهي أحسن في المنظر، وأسرع في السير، وأعجب في الأحدوثة". زاد المسير ٥٧٢/٣.

الصحابي الذي دخل حائطه، ودخل في صلاة فنظر [دبسياً][1] متحيراً في مخرجه، فشغله عن كميّة صلاته، فانتبه، وتقرب إلى الله بالتصدق ببستانه، حديث معروف[2]، جعل صدقته عوض من تفريطه في عبادته.

﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ**﴾ لما كان الإنسان من حيث هو مخلوق للفتنة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإنسان مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾ (الإنسان: من الآية٢)، وقال: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (الأنبياء: من الآية٣٥)، وقال عن أبيه داود: ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ (ص: من الآية٢٤) وقال في موسى: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً﴾ (طه: من الآية٤٠) ، وأعم من ذلك: ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (الأنفال: من الآية٢٨)، إذ لا يخلو أحدٌ عن مال أو ولد.

﴿**وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً**﴾، أخرج الفريابي[3]، والحكيم الترمذي، والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما، في الآية قال: الجسد هو الشيطان

---

(١) في الأصل: "وسيا"، والمثبت من مصادر تخريج الحديث.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ ٤٢٨/١ (٢٣٣)، وابن المبارك في الزهد ١٨٥/١ (٥٢٦)، والبيهقي في سننه: ٣٤٩/٢ عن عبد الله بن أبي بكر: "أن أبا طلحة الأنصاري كان يصلي في حائطه، فطار دبسيٌّ فطفق يتردد يلتمس مخرجاً، فأعجبه ذلك ، فجعل يتبعه بصره ساعة، ثم رجع إلى صلاته فإذا هو لم يدر كم صلى ، فقال: لقد أصابتني في مالي هذا فتنة فجاء إلى رسول الله فذكر له الذي أصابه في حائطه من الفتنة ، وقال : "يا رسول الله هو صدقة لله فضعه حيث شئت".

قال ابن عبد البر في التمهيد ٣٨٩/١٧: "هذا الحديث لا أعلمه يروى من غير هذا الوجه وهو منقطع".

وقال المنذري: "وعبد الله بن أبي بكر لم يدرك القصة". انظر: الترغيب والترهيب، له ص١٢٧ (٧٨٣). وضعفه الألباني أيضاً في ضعيف الترغيب والترهيب (٢٨٦).

والدبسي: طائر صغير. قيل: هو ذكر اليمام، وقيل: إنه منسوب إلى طير دُبْس، والدُبْسة لون بين السواد والحمرة. وقيل: إلى دِبْس الرطب. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير٥٥٢/١.

(٣) هو محمد بن يوسف بن واقد بن عثمان الفريابي ، الإمام الحافظ، شيخ الإسلام ، أبو عبد الله الضبي ، مولاهم، نزيل قيسارية الساحل من أرض فلسطين. ولد سنة بضع وعشرين ومائة. والفريابي فيما يتبين صدوق لا بأس به. لم يكن يجيد الفرائض. مات في شهر ربيع الأول سنة ٢١٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي١١٤/١٠ (١١)، والمعرفة والتاريخ للفسوي ١٩٧/١.

الذي كان على كرسيه يقضي بين الناس أربعين يوماً[1].

وأخرج ابن جرير، والنسائي، وابن أبي حاتم، بسند قوي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أراد سليمان أن يدخل الخلاء، فأعطى الجرادة خاتمه، وكانت جرادة امرأته، وكانت أحب نسائه إليه، فجاء الشيطان فقال: هاتي خاتمي فأعطته، فلما لبسه دانت له الجن والإنس والشياطين، فلما خرج سليمان من الخلاء قال: هاتي خاتمي. قالت: قد أعطيته سليمان. قال: أنا سليمان. قالت: كذبتَ، لستَ سليمان، فجعل لا يأتي أحداً ويقول: أنا سليمان إلا كذَّبه، حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة فلما رأى ذلك علم أنه من أمر الله، وقام الشيطان يحكم بين الناس [ل١٠٦/أ]...الحديث[2]. وفيه أن الله تعالى رد على سليمان خاتمه

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة ص ٤٧١/٢ (٣٦٢٣)، قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين". ووافقه الذهبي، ولم أجده في نوادر الأصول، وأخرجه وكيع في أخبار القضاة ٢٩/١ من طريق الفريابي، وعزاه للفريابي: السيوطي في الدر المنثور ٥٨٠/٥.

(٢) أخرجه النسائي في سننه الكبرى، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وما كفر سليمان﴾ ١٢/١٠ (١٠٩٢٦)، والطبري في تفسيره ٥١٦/١، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢٤١/١٠، . وقال ابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ٩٠/٤: "أخرجه النسائي في التفسير من رواية المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وإسناده قوي" ا.هـ.

وهذا الأثر وما شاكله في قصة تسلّط الشيطان على كرسي سليمان عليه السلام قد رده جمع من العلماء؛ قال ابن كثير رحمه الله بعد أن أورد هذا الأثر المتقدم: "إسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قوي، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما إن صح عنه من أهل الكتاب، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام فالظاهر أنهم يكذبون عليه، ولهذا كان في هذا السياق منكرات" إلى أن قال: "وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف رضي الله عنهم كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين، وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب. "انظر: تفسير ابن كثير ٥٥/٤.

وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى: "فما يذكره المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ الآية، من قصة الشيطان الذي أخذ الخاتم وجلس على كرسي سليمان، وطرد سليمان عن ملكه؛ حتى وجد =

وملكه، وهرب الشيطان، ثم أمكن الله منه سليمان فعاقبه.

[أخرج][1] عبد الرزاق[2]، وابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما

=

الخاتم في بطن السمكة التي أعطاها له من كان يعمل عنده بأجر مطروداً عن ملكه، إلى آخر القصة– لا يخفى أنه باطل لا أصل له، وأنه لا يليق بمقام النبوة؛فهي من الإسرائيليات التي لا يخفى أنها باطلة". انظر: أضواء البيان للأمين للشنقيطي ٦١/٤.

وقال في موضع آخر: "وما روي عنه من السلف من جملة تلك الروايات، أن الشيطان أخذ خاتم سليمان، وجلس على كرسيه وطرد سليمان إلى آخره يوضح بطلانه: قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الحجر: ٤٢) واعتراف الشيطان بذلك في قوله: ﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الحجر: ٤٠)". أضواء البيان ٢٣/٧.

وكذلك أبطل تلك الروايات: الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى. انظر: تفسير سورة (صٓ) ص١٦٦.

ويبقى بعد ذلك تفسير الجسد في هذه الآية ما المراد به؟، فمن العلماء من اعتمد على تلك الروايات وفسر الجسد بالشيطان، منهم ابن حجر، وقال: "وهو المعتمد". انظر: فتح الباري ٥٦٢/٦. وقد قدمنا أنها روايات إسرائيلية ومن المعلوم أن الروايات الإسرائيلية لا تُقبل إذا خالفت ما جاء به شرعنا وقد خالفت هنا ما جاء به شرعنا من عصمة الأنبياء وعدم تسلط الشيطان عليهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الحجر: ٤٢) وفسره بعض العلماء بأنه شق الولد الذي جاء في الحديث الذي أخرجه الشيخان في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة –وفي رواية: تسعين امرأة، وفي رواية: مائة امرأة– تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله. فقيل له– وفي رواية: قال له الملك: قل إن شاء الله. فلم يقل. فطاف بهن فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لو قال: إن شاء الله لم يحنث، وكان دركاً لحاجته). وفي رواية (ولقاتلوا في سبيل الله فرساناً أجمعون) ا.هـ. بتصرف من أضواء البيان ٦٠/٤. وقد قال الشنقيطي بعد أن أورد الحديث: "فإذا علمت هذا فاعلم أن هذا الحديث الصحيح بين معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ الآية.وأن فتنة سليمان كانت بسبب تركه قوله: إن شاء الله، وأنه لم يلد من تلك النساء إلا واحدة نصف إنسان، وأن ذلك الجسد الذي هو نصف إنسان هو الذي ألقي على كرسيه بعد موته في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾". انظر: أضواء البيان٦١/٤.

(١) ما بين المعقوفتين في موضعه في الأصل بياض، وهي متكررة في عدة مواضع، فلعلها كتبت في أصل المخطوط بالحمرة في مواضع ولم تظهر في التصوير، وعلى كل حال فالسياق يدل عليها. والله تعالى أعلم.

(٢) هو عبد الرزاق بن همام بن نافع، أبو بكر الحميري ، الحافظ الكبير، عالم اليمن، مولاهم الصنعاني. ولد

=

قال: سألت كعب الأحبار[1] عن قوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ قال: شيطان أخذ خاتم سليمان الذي فيه ملكه، فقذف به في البحر، فوقع في بطن سمكة، فانطلق سليمان يطوف، إذ تُصدِق عليه بتلك السمكة، فاشتواها فأكلها، إذ فيها خاتمه، فرجع إليه ملكه[2].

وتطابقت الروايات على تفسير الجسد بالشيطان[3]، واختلف في اسمه فروي: صخر، وروي: آصف، وروي: حقيق[4]، وفي الجسد رواية أخرى، والأكثر ما ذكرناه، ﴿**ثُمَّ أَنَابَ**﴾: رجع إلى الله.

﴿**قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي**﴾ [أخرج][5] عبد بن

=

سنة١٢٦ وتوفي في شوال سنة ٢١١هـ، قال الحافظ ابن حجر: "ثقة حافظ، مصنف شهير، عمي في آخر عمره فتغير، وكان يتشيع". انظر: سير أعلام النبلاء ٥٦٣/٩ (٢٢٠)، وشذرات الذهب ٢٧/٢، والتقريب ص٦٠٧ (٤٠٩٢).

(١) هو كعب بن ماتع الحميري اليماني العلامة الحبر، كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر رضي الله عنه، فجالس أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويأخذ السنن عن الصحابة. وكان حسن الإسلام خبيراً بكتب اليهود، توفي بحمص ذاهباً للغزو في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه، انظر: السير ٤٨٩/٣ (١١١)، أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري ٤٦٠/٤ (٤٤٨٣).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١٢٠/٣ (٢٥٩٦)، من طريق إسرائيل عن فرات القزاز عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به، وإسرائيل هو ابن يونس بن أبي إسحاق الهمداني أبو يوسف الكوفي ثقة، تُكلم فيه بلا حجة. انظر: السير ٣٥٥/٧ (١٣٣)، والتقريب ص١٣٤ (٤٠٥). وفرات القزاز هو فرات بن أبي عبد الرحمن القزاز الكوفي ثقة، انظر: التقريب ص٧٧٩، وعزاه لابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور ٥٨١/٥. والكلام على هذا الأثر كالكلام على سابقه، وهو يؤيد ما ذكره ابن كثير رحمه الله أن ابن عباس رضي الله عنهما إنما تلقاه عن أهل الكتاب.

(٣) وهي الروايات التي ذكرها المؤلف، وقد تقدم تفصيل القول فيها، ص ٨٦.

(٤) واسم هذا الشيطان مما لا ينفع علمه ولا يضر جهله.

(٥) ما بين المعقوفتين بياض بالأصل، وانظر تعليق رقم (١) ص ٨٨.

حميد عن الحسن قال: لا تسلبنيه[1]. وفي الكشاف: "لا أُسلَبه ولا يقوم فيه غيري مقامي كما سُلبته مرةً وأُقيم غيري فيه مقامي"[2]، ﴿**إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**﴾، على قواعد الأدعية النبوية في التوسل إليه بالصفة التي تناسب المطلوب نحو: ﴿وارزقنا وأنت خير الرازقين﴾ (المائدة: من الآية ١١٤)، واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم[3].

﴿**فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ**﴾ أي يأمرها بما يشاء، فتجري حيث يشاء، قيل: لما تقرَّب إلى الله بالخيل عوضه الله عنها الريح[4].

﴿**رُخاءً**﴾ هي التي ليست باللينة ولا بالعاصف، وسبق في صفتها في الأنبياء[5]، قال في الكشاف: "فإن قلت كيف وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاء أُخرى؟ قلت: كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم فإذا أُمرت بكرسيه أبعدت به في مدة يسيرة كما قال: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ (سبأ: من الآية١٢)، فكان جمعها بين الأمرين: أن تكون رخاء في نفسها وعاصف في عملها، مع طاعتها لسليمان وهبوبها على ما يريد ويحتكم، آية مع آية ومعجزة مع معجزة". انتهى[6]، وطوى هنا قدر جريها وأتى به في

---

(١) عزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور ٥/٥٨٥، ولم أعثر على إسناده.

(٢) انظر: الكشاف ٤/٩٢.

(٣) وقد أشار إلى ذلك ابن القيم رحمه الله بقوله: "وإنما نبين ذلك بقاعدة قد أشرنا إليها مراراً، وهي أن من دعا الله تعالى بأسمائه الحسنى أن يسأل في كل مطلوب، ويتوسل إليه بالاسم المقتضي لذلك المطلوب المناسب لحصوله، حتى كأن الداعي مستشفع إليه متوسل إليه به، فإذا قال: ربِّ اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور، فقد سأله أمرين وتوسل إليه باسمين من أسمائه مقتضيين لحصول مطلوبه". انظر: بدائع الفوائد لابن القيم١/١٩٨، وإلى مثل هذا أشار الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في كتابه: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، ص١٧.

(٤) وهو قول الحسن وقتادة. انظر: تفسير الطبري ٢٣/١٨٨.

(٥) أي أنها عاصفة كما في قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨١).

(٦) انظر: الكشاف ٣/١٢٧.

آية سبأ: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ[1] وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ (سبأ: من الآية١٢)، [أخرج][2] عبد بن حميد وابن جرير عن الحسن قال: لما عقر سليمان الخيل أبدله الله خيراً منها وأسرع: الريح تجري بأمره حيث يشاء، رخاء ليست بالعاصفة ولا باللينة، بين ذلك[3]، ﴿**حَيْثُ أَصَابَ**﴾: حيث قصد وأراد.

﴿**وَالشَّيَاطِينَ**﴾ تقدم: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ (سبأ: من الآية١٢)، فهُم الشياطين، ﴿**كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ**﴾ صفتا مبالغة، وتقدم بيان البناء بقوله: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ (سبأ: من الآية١٣)، وتقدم: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ﴾ (الأنبياء: من الآية٨٢)، أي في البحار، يُخرجون له الجوهر واللؤلؤ.

﴿**وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ**﴾، في القيود، وهم مردة الشياطين، ﴿**هَذَا عَطَاؤُنَا**﴾ الذي طلبته، الذي لم نعطه أحداً قبلك، ولا نعطيه أحداً

---

(١) [ل ١٠٦/ب].

(٢) ما بين المعقوفتين بياض بالأصل، وانظر تعليق ١ ص ٨٨.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١٨٨/٢٣، مجموعاً من كلام الحسن من طريقين، فأما قوله: (أبدله الله خيراً منها و أسرع: الريح تجري بأمره حيث يشاء) فهو عنده عن الحسن من طريق محمد بن عبد الله بن بزيع، عن بشر بن المفضل، عن عوف، عن الحسن، به. ومحمد ثقة، انظر: التقريب ص٨٥٩ (٦٠٤٠)، وبشر بن المفضل ثقة، ثبت، عابد. انظر: السير ٣٦/٩ (٩)، والتقريب ص١٧١ (٧١٠).وعوف هو ابن أبي جميلة الأعرابي العبدي البصري، ثقة رمي بالقدر وبالتشيع. انظر: السير ٣٨٣/٦ (١٦١)، والتقريب ص٧٥٧ (٥٢٥٠).
وأما قوله: (رخاء ليست بالعاصفة ولا باللينة بين ذلك) فعند الطبري عن الحسن من طريق ابن بشار، عن أبي عامر، عن قرة، عن الحسن، به، وابن بشار هو محمد بن بشار البصري بندار ثقة. انظر: السير ١٤٤/١٢ (٥٢)، والتقريب ص٨٢٨ (٥٧٩١).وأبو عامر هو عبد الملك بن عمرو القيسي العقدي البصري، ثقة. انظر: السير ٤٦٩/٩ (١٧٣)، والتقريب ص٦٢٥ (٤٢٢٧). وقرة هو ابن خالد السدوسي البصري ثقة ضابط. انظر: السير ٩٥/٧ (٤١)، والتقريب ص٨٠٠ (٥٥٧٥)، وعزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور ٥٨٧/٥.

بعدك، ﴿**فَامْنُنْ**﴾ من المنة: العطاء، ﴿**أَوْ أَمْسِكْ**﴾ لا تعط، فقد فوضنا إليك التَّصَرُّف فيه، ﴿**بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾، عليك في أي الأمرين أتيت.

﴿**وَإِنَّ لَهُ**﴾ أي لسليمان، ﴿**عِنْدَنَا لَزُلْفَى**﴾: قربى، ﴿**وَحُسْنَ مَآبٍ**﴾، كما وعد به أباه داود[1].

﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ**﴾ عطف بيان لعبدنا[2]، وفي عنوان ذكره لعبدنا تعظيم له، ﴿**إِذْ نَادَى رَبَّهُ**﴾ تقدم في الأنبياء: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ (الأنبياء: من الآية٨٣)، وهنا ذكر من مسَّه بالضر فقال: ﴿**أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ**﴾ في القِصص والله أعلم بصحتها: أن إبليس طلب من الرب أن يسلطه على أيوب فأجيب بالتسليط على ماله وولده، ولم أسلطك على جسده، وأنه بث جنوده طائفة على زرعه، وطائفة على بقره، وطائفة على غنمه، وطائفة على أهله، فاجتاح جميع ما سُلط عليه، فقام أيوب يقول: أنا اليوم كيوم ولدتني أمي. وحلق رأسه، وقام يصلي، فرنّ إبليس رنةً سمعها أهل السماء وأهل الأرض، ثم طلب من الله أن يسلطه على جسده دون قلبه، فنفخ نفخةً، قرح ما بين قدمه إلى قرنه، فصار قرحةً واحدة، وألقي على الرماد حتى بدا حجاب قلبه. وفيه: أن امرأته قالت له: ادع الله أن يشفيك ويريحك، قال [ل١٠٧/أ]: ويحك كنا في النعيم سبعين عاماً، فاصبري حتى نكون في الضراء سبعين عاماً، فكان في البلاء سبع سنين. هذا مختصر ما أخرجه أحمد في الزهد وابن أبي حاتم وابن عساكر[3] عن ابن عباس رضي الله عنهما[4].

---

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ (ص: ٢٥)

(٢) انظر: الكشاف ٩٣/٤، وتفسير أبي السعود ٣٦٤/٥.

(٣) هو علي بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم ابن عساكر الدمشقي الشافعي، الإمام العلامة، محدث الشام، ثقة الدين صاحب"تاريخ دمشق". ولد في المحرم في أول الشهر سنة ٤٩٩هـ، وتوفي في رجب سنة ٥٧١هـ، انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ٢٢٤/١٨ (٤٣١٠)، والسير٥٥٤/٢٠ (٣٥٤).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢٤٤/١٠ (١٨٣٦٠) وذكره السيوطي بكامله في الدر المنثور ٥٨٩/٥، =

قيل: كان سبب ابتلائه: أنه أعجب بكثرة ماله، وقيل: استغاثه مظلوم فلم يغثه[1].

=

وقال: "أخرجه أحمد في الزهد"، و لم أقف عليه فيما رجعت إليه من مطبوعات كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل. وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق جزءاً منه ٦٤/١٠ عن ابن عباس وفي سنده: علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف. انظر: السير ٢٠٦/٥ (٤)، والتقريب ص٦٩٦ (٤٧٦٨)، وكذلك نسبه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في الدر المنثور ٥٨٩/٥.

وقد ذكر كثير من المفسرين الروايات والأخبار عن قصة أيوب عليه السلام، وأغلبها من الإسرائيليات، فنكل علمها إلى الله جل جلاله. قال ابن حجر رحمه الله: "وأصح ما ورد في قصته: ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن جريج، وصححه ابن حبان والحاكم من طريق نافع بن يزيد عن عقيل عن الزهري عن أنس أن أيوب عليه السلام ابتلي فلبث في بلائه ثلاث عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه، فكانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما للآخر: لقد أذنب أيوب ذنباً عظيماً وإلا لكشف عنه هذا البلاء، فذكره الآخر لأيوب، يعني فحزن ودعا الله حينئذ، فخرج لحاجته وأمسكت امرأته بيده فلما فرغ أبطأت عليه، فأوحى الله إليه أن اركض برجلك، فضرب برجله الأرض فنبعت عين، فاغتسل منها فرجع صحيحاً، فجاءت امرأته فلم تعرفه، فسألته عن أيوب فقال: إني أنا هو، وكان له أندران: أحدهما: للقمح والآخر: للشعير، فبعث الله له سحابة فأفرغت في أندر القمح الذهب حتى فاض، وفي أندر الشعير الفضة حتى فاض". انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ٥١١/٦. وكذا صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧).

وقال الشنقيطي في كتابه أضواء البيان: "وقد ذكروا هنا قصة طويلة تتضمن البلاء الذي وقع فيه، وقدر مدته (وكل ذلك من الإسرائيليات)...

وغاية ما دل عليه القرآن: أن الله ابتلى نبيه أيوب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وأنه ناداه فاستجاب له وكشف عنه كل ضر، ووهبه أهله ومثلهم معهم، وأن أيوب نسب ذلك في «ص» إلى الشيطان. ويمكن أن يكون سلطه الله على جسده وماله وأهله. ابتلاء ليظهر صبره الجميل، وتكون له العافية الحميدة في الدنيا والآخرة، ويرجع له كل ما أصيب فيه، والعلم عند الله تعالى وهذا لا ينافي أن الشيطان لا سلطان له على مثل أيوب، لأن التسليط على الأهل والمال والجسد من جنس الأسباب التي تنشأ عنها الأعراض البشرية كالمرض، وذلك يقع للأنبياء، فإنهم يصيبهم المرض، وموت الأهل، وهلاك المال لأسباب متنوعة. ولا مانع من أن يكون جملة تلك الأسباب تسليط الشيطان على ذلك للابتلاء". انظر: أضواء البيان٥١٥/٤.

(١) انظر: تفسير الثعلبي ٢٨٠/٥ ، والكشاف ٩٤/٤، والبيضاوي ٤٨/٥، وأبي السعود ٢٢٨/٧. و لم
=

﴿**بِنُصْبٍ**﴾ تعب، وقُرأ بفتح النون وبفتحتين، وبضمتين[1]. ﴿**وَعَذَابٍ**﴾ أي ألم، يريد مرضه. وهذا تفصيل للضر الذي عبَّر به في قوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ (الأنبياء: من الآية٨٣)، وهو بالفتح: الضرر في كل شيء، وبالضم: الضرر في النفس من مرض وهزال، وفرّق بين البنائين لافتراق المعنيين[2]، وقال تعالى في الأنبياء: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ (الأنبياء: من الآية٨٤) ، وبين هنا الاستجابة وكشف الضر فقال: ﴿**ارْكُضْ بِرِجْلِكَ**﴾: اضرب بها الأرض، ﴿**هَذَا مُغْتَسَلٌ**﴾ تغتسل به، ﴿**بَارِدٌ وَشَرَابٌ**﴾، تشرب منه، وفيما أخرجه من ذكرناه عن ابن عباس أنه جاءه جبريل فنحاه عن مكانه وقال: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ فركض برجله فنبعت عين، فقال: اغتسل فاغتسل منها ثم جاءه فقال: اركض برجلك، فركض، فنبعت عين أُخرى فقال له: اشرب منها. وألبسه الله حلةً من الجنة[3].

﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ**﴾ تقدم: ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ﴾ (الأنبياء: من الآية٨٤)، قيل: أحياهم الله له[4]، وقيل: جمعهم بعد تفرّقهم[5]، ﴿**وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ**﴾فكان له

=

أعثر على من قال بها.

(١) قرأها بفتح النون وسكون الصاد: أبو حيوة، ويعقوب في رواية، وهبيرة عن حفص وهي قراءة شاذة، وقرأها بفتح النون، وفتح الصاد: زيد بن علي، والحسن، والسدي، ويعقوب الجحدري، وهي من العشر المتواترة، وقرأها بضم النون وضم الصاد أبو جعفر، وشيبة، وأبو عمارة، عن حفص، وغيرهم، وهي من العشر المتواترة، وقرأ الجمهور بضم النون وسكون الصاد وهي من العشر المتواترة.انظر: الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٣٢٥/٣، والبحر المحيط لأبي حيان ٥٣٢/٧، والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة لعبد الفتاح القاضي ص٣٣٨.

(٢) انظر: الكشاف ١٢٧/٣، والبحر المحيط ٤٠٨/٦.

(٣) تقدم تخريجه ص ٩٣.

(٤) وهو مروي عن ابن مسعود، وابن عباس رضي الله عنهم، انظر: تفسير الطبري ٨٧/١٨.

(٥) وهو مروي عن الحسن، انظر: زاد المسير ٢٠٧/٣.

من الأولاد ضعف ما كان من قبل، ﴿**رَحْمَةً مِنَّا**﴾أي لأجل رحمة عظيمة، ﴿**وَذِكْرَى**﴾ أي تذكير، ﴿**لأُولِي الأَلْبَابِ**﴾، تقدم: ﴿رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: من الآية٨٤)، وهم أُولوا الألباب، وذلك أنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه بصبره، رغَّبهم في الصبر على شدائد الدنيا، وعرفوا قدر الصبر كما يقال:

وعاقبةُ الصَّبرِ الجميلِ جَميلةٌ وأحسنُ أخلاقِ الرجال التّصبُّر[1]

والله جعله معيناً للعباد قال: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ...﴾ الآية (البقرة: من الآية٤٥)، وقال لرسوله: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ (النحل: من الآية١٢٧)، وقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (الأحقاف: من الآية٣٥)، ووفينا الصبر [ل١٠٧/ب] وعدد آياته، والأحاديث، وفوائده في كتابنا: السيف الباتر[2].

﴿**وَخُذْ بِيَدِكَ**﴾ عطف على: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ أو: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ﴾[3]، ﴿**ضِغْثاً**﴾ هي الحزمة من الحشيش ونحوه، ﴿**فَاضْرِبْ بِهِ**﴾، امرأتك، وهو أنها ذهبت لحاجة فأبطأت، فحلف إن برئ ليضربنها مائة ضربة، فأمره الله تعالى أن يأخذ الضغث فيضربها به، ﴿**فَاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ**﴾: في يمينك، رخصة من الله تعالى، لطفاً بها وبه، وهذا بركة صبره كما علّله بذلك حيث قال: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً**﴾ تعظيماً لشأن الصبر،

---

(١) البيت لعلي بن الجهم يمدح المتوكل، انظر: روضة العقلاء لابن حبان ص ١٤٥، والتمثيل والمحاضرة ص٩٢، إلا أن عندهما الشطر الثاني من البيت هكذا:
وأفضل أخلاق الرجال التفضل

(٢) واسم الكتاب: السيف الباتر في يمين الصابر الشاكر وقد اختصره من عِدة الصابرين لابن القيم، انظر: كتاب نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف لمحمد بن محمد بن يحيى زبارة الصنعاني ٤٦/٣، وانظر: دراسة الأخت هدى القباطي رحمها الله لمفاتح الرضوان ٨٩/١.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ٣٦٥/٥، وروح المعاني ٢٧٥/٢٣.

ويكفي فيه مدح الله لأيوب، وذكر علّة نعمته بقولـه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً﴾ ولعزة الصابرين لم يأت في صفة عبد من العباد في القرآن بلفظ صبور بصيغة المبالغة، كما جاء شاكراً أو شكور، بل جاء: صبَّار لآيات: ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (إبراهيم: من الآية٥)، وفي الأدعية النبوية: (اللهم اجعلني صبوراً واجعلني شكوراً...) الحديث[1]، ﴿**نِعْمَ الْعَبْدُ**﴾ أي أيوب، ﴿**إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾، وفي صفة سليمان: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، والمراد: كثرة الرجوع إلى الله تعالى، توبةً من كل ذنب وطلباً لكل حاجة.

﴿**وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ**﴾ ابنه، ﴿**وَيَعْقُوبَ**﴾ ابنه والكل عطف بيان لعبادنا[2]، ﴿**أُولِي**[3] **الْأَيْدِي**﴾: القوة، كما وصف داود بأنه، ﴿ذَا الْأَيْدِ﴾ (صّ: من الآية١٧)، أي القوة في الطاعة لله، وفي الإبلاغ لما أُمروا بإبلاغه، نحو ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ (مريم: من الآية١٢)، وفي الخطاب لموسى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ (الأعراف: من الآية١٤٥)، ﴿**وَالْأَبْصَارِ**﴾ البصيرة: في الدين، وفي جهاد أعدائه، ولذا قال تعالى حاكياً عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ (يوسف: من الآية١٠٨)، لنور البصيرة تم الهدى والاهتداء، ولذا قال فيمن لا نور لبصيرته: ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: من الآية ٤٦)، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ (الأنعام: من الآية٢٥)، أي لئلا يستضيئوا بنور البصيرة.

---

(١) أورده ابن أبي حاتم في العلل ٤٥٢/٢ (١٩٧٨) ولفظه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال: علمني دعوة. فقال: (قل اللهم اجعلني صبوراً، اللهم اجعلني شكوراً، اللهم اجعلني في عيني صغيراً، وفي أعين الناس كبيراً)، وقال عقبه حاكياً عن أبيه: "هذا حديث منكر لا يعرف"، وأورده أيضاً: الديلمي في مسند الفردوس ٤٧٣/١، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٨٩/١٠ (١٧٤١٢) من دعائه صلى الله عليه وسلم لا من تعليمه ، وقال: "ضعيف". وقال الألباني في السلسلة الضعيفة ٣١٣/٢ (٩١١): "منكر".

(٢) انظر: تفسير الرازي ٢١٦/٢٦، وتفسير النسفي ٤٣٩/٢، وروح المعاني ٢٧٧/٢٣.

(٣) قوله: "أولي" جاء ملحقاً بالحاشية، وعليها: "صح".

وبالقوة في الدين والبصيرة، صبر إبراهيم صلى الله عليه وسلم على رميه في النار[1]، وعلى ذبحه ولده[2]. ويعقوب صبر على فراق ولده، [ل١٠٨/أ] حتى عمي[3] ولم يقل إلا: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ (يوسف: من الآية١٨)، حين أُخبر بأكل الذئب ليوسف، وحين أُخبر أن أخا يوسف سرق فقال في الموضعين: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ (يوسف: من الآية ٨٣).

﴿**إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ**﴾ هو من الإخلاص ومنه: ﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الحجر: ٤٠)، و﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف: من الآية٢٤)، وفسرها بقوله: ﴿**ذِكْرَى الدَّارِ**﴾، أي ذكرهم الدار الآخرة، فهي الدار المرادة من قوله: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ﴾ (القصص: من الآية٨٣)، وقوله: ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: من الآية٢٤)، ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ (العنكبوت: من الآية٦٤)، وذِكْرهم إياها هو بالعمل الموصل إليها، ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: من الآية٣٢)، والدار الآخرة تشمل النار وذكرها، باتقاء ما يُدخل العبد إياها، من معاصي الله تعالى، كما قال: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ (فصلت: من الآية٢٨)، وضد ذكر الدار نسيانها، ﴿الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾ (الجاثية: من الآية٣٤).

﴿**وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ**﴾ ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً

---

(١) كما قال تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ (الصافات: ٩٧)، وكما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: "حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين أُلقي في النار....إلخ"، انظر: صحيح البخاري ١٣٨٤/٣.

(٢) كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظر مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: ١٠٢).

(٣) كما قال تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (يوسف: ٨٤).

وَمِنَ النَّاسِ﴾ (الحج: من الآيـة٧٥)، فهم من جملة من اصطفاه الله تعالى من الناس، ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٣٣)، فهؤلاء هم آل إبراهيم، ﴿**الأَخْيَارِ**﴾ جمع خير، كشرّ وأشرار، وقيل خيّر بالتشديد، كميّت وأموات[١].

﴿**وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ**﴾ تقدم وصف الله تعالى له بـ ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً • وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً﴾ (مريم: ٥٤، ٥٥)، ﴿**وَالْيَسَعَ**﴾ هو أخطوب[٢]، استخلفه إلياس على بني إسرائيل، ثم جعله الله نبياً[٣]، واللام فيه دخلت كما دلت في:

رأيتُ الوليدَ بنَ اليزيدَ[٤]

﴿**وَذَا الْكِفْلِ**﴾ تقدم في سورة الأنبياء: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ • وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٥، ٨٦)، اختلف في ذي الكفل، قيل إدريس، وقيل: يوشع، وقيل: زكريا[٥]، سمّي به لأنه كان ذا حظ من الله تعالى، أو يكفل أمته، أو ضعف عمل أنبياء زمانه وثوابهم، والكفل يجيء لغة بمعنى النصيب، والكفالة، والضعف[٦] [ل١٠٨/ب]، ﴿**وَكُلٌّ**﴾ من الثلاثة المذكورة[١]، ﴿**مِنَ**

---

(١) انظر: إعراب القرآن للنحاس ص٧٥٦، والكشاف ٩٦/٤.

(٢) كذا في الأصل والصحيح : أن اليسع ابن أخطوب. انظر : تفسير الطبري ٣٠٣/٧، وقصص الأنبياء لابن كثير ٤٧٥/١.

(٣) انظر: تفسير البيضاوي ١٥٨/٨، وتفسير أبي السعود ٣٦٦/٥، ولم أعثر على إسناد له.

(٤) هذا البيت للشاعر ابن ميادة، والبيت بتمامه:

رأيت الوليد بن اليزيد مباركاً   شديداً بأحناء الخلافة كاهله

انظر: سر صناعة الإعراب لابن جني ٤٥١/٢، ولسان العرب ١٢٤/٦.

(٥) أشار في الكشاف ١٢٨/٣، إلى هذه الأقوال ولم يعزها إلى أحد، ولم أجد من نص عليها.

(٦) انظر: معاني القرآن للنحاس ١٢٦/٦، ومفردات الراغب ص ٧١٨، ولسان العرب ١٢٨/١٢، ١٢٩.

الأَخْيَارِ﴾، شمل ما تقدم من وصفه، بأنهم من الصابرين، ومن الصالحين.

﴿**هَذَا ذِكْرٌ**﴾ أي شرف عظيم كقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ (الزخرف: من الآية٤٤)، أو الإشارة إلى القرآن، من قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ...﴾ الآية (الحجر: من الآية٩)، أي لأولئك العظماء من أنبياء الله المسرود ذكرهم.

﴿**وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ**﴾ لما ذكر تعالى أن لداود حسن مآب، وذكر ذلك لسليمان، ذكر بعد ذلك التخصيص هذا التعميم؛ وهو أنه جعل للمتقين جميعاً حسن مآب ومرجع، أثبته بالإبدال عنه[2].

فقال: ﴿**جَنَّاتِ عَدْنٍ**﴾ نحو: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ (مريم: من الآية٦١) ، والعدن: الإقامة، ﴿**مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ**﴾، أبواب الجنات، وأبواب المساكن، وفي تفتح الأبواب لهم إشارة إلى تصرفهم وذهابهم وإتيانهم وتصرفهم في الجنة حيث شاؤا، ودخول الملائكة عليهم من كل باب بالألطاف والتحف من ربهم وتسليمهم عليهم، ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٤)، ويأتي: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر: ٧٣) ، ويأتي الكلام على الواو هنا، وحذفها في ذكر[3] أهل النار[4]، وأبواب الجنة مفتحة ليدخل الروح على ساكنيها، وهذه الصفة للجنَّات عكس صفة النار، أعاذنا الله منها؛ فإنه تعالى قال في صفتها: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ﴾ (الهمزة: ٨).

=

(١) أي المذكورة أسمائهم.

(٢) يعني أن قوله تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ بدل من ﴿لَحُسْنَ مَآبٍ﴾.

(٣) قوله: "ذكر" جاء ملحقاً في الحاشية وعليها: "صح".

(٤) يعني في قوله تعالى: ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا...﴾ الآية وذلك في سورة الزمر، آية ٧١.

[أخرج](1) عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿مُؤْصَدَةٌ﴾ قال: مُغلقة الأبواب(2).

[أخرج](1) الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: مُطْبَقة(3).

[أخرج](1) الطستي(4) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن نافع بن الأزرق(5) قال له: أخبرني عن قوله: ﴿مُؤْصَدَةٌ﴾ قال: مُطْبَقة. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت الشاعر يقول:

تَحِنُّ إِلى أَجْبَالِ مَكَّةَ [نَاقَتِي](6) وَمِنْ دُونِهَا أبوابُ صَنْعَاءَ مُوصَدَةَ(7)

---

(1) ما بين معقوفتين في موضعه بياضٌ في الأصل، وانظر تعليق ١ ص ٨٨.

(2) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٥٨/٣٠ بإسناد فيه عطية العوفي، وهو ضعيف كما تقدم، وهو في تفسير ابن أبي حاتم ٣٤٣٥/١٠ (١٩٣٣٣)، وعزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور ٥٩٨/٦.

(3) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٤٣٥/١٠ (١٩٣٣٤) وذكره ابن كثير رحمه الله، في تفسيره ٨٧٣/٤، عن ابن مردويه مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، من حديث أبي هريرة، وساق سنده، وفيه علي بن سراج المصري، ضعَّفه بعضهم لشربه المسكر، كما في شذرات الذهب لابن العماد الدمشقي ٢٥٢/٢، وقال الحافظ في لسان الميزان: "قلتُ: هذا ينبغي احتمال كونه كان يشرب النبيذ المختلف فيه". لسان الميزان ٥٤٢/٥ (٥٣٩٩)، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم: السيوطي في الدر المنثور ٥٩٨/٦.

(4) هو عبد الصمد بن علي بن محمد بن مُكرم، البغدادي الطستي الوكيل، أبو الحسين، المحدث الثقة المسند. روى عن أبي بكر بن أبي الدنيا وأقرانه، وعاش ٨٠ سنة، توفي في شعبان سنة ٣٤٦هـ. انظر: السير ٥٥٥/١٥ (٣٣١)، شذرات الذهب لابن العماد الدمشقي ٣٧٣/٢.

(5) هو نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري الوائلي، الحروري، أبو راشد، رأس الأزارقة، وإليه نسبتهم، كان أمير قومه وفقيههم، وكان جباراً فتاكاً، قاتله المهلب بن أبي صفرة، ولقي الأهوال في حربه، وقُتل يوم"دولاب" على مقربة من الأهواز. انظر: الأعلام ٣٥١/٧، وتاريخ الطبري ٤٢٤/٣.

(6) في الأصل: "يا فتى" والتصويب من مصادر التخريج وكتب الأدب التي أوردت البيت. انظر: إصلاح المنطق لابن السكيت ص١٦٠.

(7) هذا الأثر من مسائل نافع بن الأزرق، لابن عباس رضي الله عنهما، وهي مسائل أخرج جزءًا منها: الطبراني في معجمه الكبير ٢٤٨/١٠ (١٠٥٩٧)، وفي إسناده جويبر البلخي، وهو ضعيف جداً، انظر: التقريب =

[ل١٠٩/أ] ويأتي ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ • فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ (الهمزة: ٨،٩)[١]، وتغليق الأبواب يزيدهم هماً وغماً وحزناً، فهي عليهم مُطْبَقةٌ قد أُغلقت أبوابها، قال مقاتل: فلا يفتح لهم باب، ولا يخرج منها غمّ، ولا يدخل عليهم منها رَوْح آخر الأبد[٢].

وأبواب الجنة ثمانية، كما ثبتت به الأحاديث في الصحيحين وغيرهما[٣]. وفي الأحاديث المتفق على صحتها: (والذي نفسي بيده إن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة لَكما بين صنعاء وهَجَر[٤]، أو كما بين

=

ص٢٠٥ (٩٩٤)، والبيت تجده في إصلاح المنطق لابن السكيت ص١٦٠، وتفسير الكشاف ٨٠٣/٤، وأورد السيوطي في الإتقان رواية الطستي لهذه المسائل، انظر: الإتقان ٢٥٥/١، ولكن بإسناد فيه عيسى بن دأب، وهو منكر الحديث، انظر: التاريخ الكبير ٤٠٢/٦ (٢٧٨٢)، والجرح والتعديل ٣٧٢/٦ (١٠٨٦٥) وذكر السيوطي أيضاً رواية ابن الأنباري في كتابه الوقف والابتداء لقطعة من هذه المسائل في الإتقان ٢٨٢/١ وفي إسناده: محمد بن زياد اليشكري، وهو وضّاع، انظر: التاريخ الكبير ٨٣/١ (٢٢٦)، والجرح والتعديل ٣٤٤/٧ (١٢٩٥٥)، وقد أورد المبرد في الكامل في اللغة جزءاً من هذه المسائل من طريق أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي النسابة، عن أسامة بن زيد عن عكرمة، لكنه قال: حدَّث أبو عبيدة، ولم يبين الواسطة بينه وبين أبي عبيدة، ومن المعلوم أن أبا عبيدة توفي سنة ٢٠٨هـ، والمبرد ولد سنة ٢١٠هـ، فهناك واسطة مجهولة بينهما، إلا أن يقال: إنه أخذها من بعض كتب أبي عبيدة التي لم تصل إلينا، والله أعلم.

(١) وهذا الجزء من المخطوط مفقود عجَّل الله بظهوره.

(٢) أورده عن مقاتل: البغوي في تفسيره ٥٢٤/٤، وابن الجوزي في زاد المسير ٤٤٩/٤، كلاهما بغير سند، ومقاتل نفسه متهم بالكذب، وراوي التفسير عنه: أبو عصمة نوح بن أبي مريم أيضاً متهم بالكذب، انظر: العجاب ٢١٧/١، ٢١٨.

(٣) منها ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، بلفظ: (في الجنَّة ثمانيةُ أبواب، فيها باب يُسمَّى الريّان لا يَدخلهُ إلا الصائمون)، كتاب بدء الخلق، باب صفة أبواب الجنة ١٠٠٤/٢ (٣٢٥٧). ومسلم في صحيحه من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، بلفظ: (من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسَىٰ عبد اللّه وابن أمتِه وكلِمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الْجَنَّة حقٌّ، وأَن النار حق، أدْخله الله من أي أبواب الجنة الثَّمانية شاء) كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ٢٠٠/١ (٢٨).

(٤) هجر، مدينة، وهي قاعدة البحرين، وقيل: البحرين كلها. اختاره ياقوت الحموي في معجم البلدان ٤٥٢/٥
=

مكة وبُصرى)[(1)(2)] ويأتي استيفاء الكلام في آية المؤمن إن شاء الله تعالى.

﴿**مُتَّكِئِينَ فِيهَا**﴾، في النهاية[(3)]: "الاتكاء في العربية كل من استوى جالساً على وطاء متمكناً، والعامة لا تعرف المتكئ إلا من مال على أحد شقيه". وبيّن على ماذا يتكؤن في قوله: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ (الرحمن: ٥٤)، وقال: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ (يٓس: ٥٦).

﴿**يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ**﴾ نحو: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ (الدخان: ٥٥)، ونحو: ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (الزخرف: ٧٣)، وقال: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ • لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾ (الواقعة: ٣٢، ٣٣)، أي لا تكون في وقت دون وقت، ولا يمنع من أراد منها وقال: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ (الرحمن: ٥٢)، ويأتي في سورة الدهر زيادة في هذا إن شاء الله تعالى[(4)].

=

(١٢٦٣٧)، وقيل: هَجَرٌ اسم بلد معروف بالبحرين، وأما هَجَر التي تنسب إليها القلال الهجرية فهي قرية من قرى المدينة. النهاية في غريب الحديث ٨٩٤/٢، ولسان العرب ٣٦/١٥.

(١) بُصرى اسم قرية بالشام. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٥٢٢/١ (١٩٤٩)، وتاج العروس للزبيدي ٢٠٤/١٠، مادة (بصر)، وهو اسم لقرية أخرى بالعراق كما ذكر ذلك ياقوت الحموي في معجمه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ ١٤٥٨/٣ (٤٧١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، إلا أنه لم يقل: (لكما بين صنعاء وهجر) بل قال: (كما بين مكة وحمير). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة ٦٠/٣ (٣٢٨/١٩٤) إلا أنه بلفظ آخر وهو: (والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة إلى عضادتي الباب لكما بين مكة وهجر أو هجرٍ و مكة).

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١٩٢/١ بنحوه.

(٤) وهي سورة الإنسان، وتسمى: سورة هل أتى، انظر: زاد المسير ٤٢٧/٨، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري ١٢٥٧/٢، وذكر بعضهم أنها سورة الجاثية، نقله السيوطي عن الكرماني في العجائب، انظر: الإتقان =

﴿**وَشَرَابٍ**﴾، يشربونه نحو: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً • عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ (الإنسان: من الآية ٥، ٦)، وذكر تعالى أن لهم أنهاراً أربعة: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفّىً﴾ (محمد: من الآية١٥)، وقد بين تعالى في غيرها كيفية الشراب وأنه: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ • بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ...﴾ الآية (الواقعة: ١٧، ١٨)، وقوله: ﴿وَكَأْساً دِهَاقاً﴾ (النبأ: ٣٤).

﴿**وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ**﴾ قال تعالى في صفة الجنتين: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ (الرحمن: من الآية٥٦)، أي قَصَرن طرفهن على أزواجهن، فلا ينظرن سواهم، قد جُبِلْن على ذلك، ويأتي في سورة الرحمن زيادة [ل١٠٩/ب] البيان[1].

﴿**أَتْرَابٌ**﴾ لداتٌ لهم، فإن التّحابّ بين الأتراب أرسخ، أو بعضهن كبعض لا عجوز فيهن ولا صبية، واشتقاقه من التراب لأنه كان يمسهن في وقت واحد[2] ويأتي: ﴿عُرُباً أَتْرَاباً﴾ (الواقعة: ٣٧)، وفسر بمستويات في...[1]

=

١٢١/١، وروح المعاني للآلوسي٢٥ /١٩٠، والصحيح أن سورة الإنسان هي التي تسمى سورة الدهر، وإن صح أن سورة الجاثية تسمى أيضاً سورة الدهر لورود ذكره فيها في قوله تعالى: ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾ فالمقصود هنا هو سورة الإنسان فهي التي ورد فيها ذكر نعيم أهل الجنة عموماً: وخصوصاً الثمار التي يُتحف بها أهل الجنة مما يوافق الآيات التي أوردها المؤلف، وذلك في قوله: ﴿ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً﴾ ولذلك ورد في هذه السورة ذكر الدهر في أولها: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ والله تعالى أعلم.

(١) لكن الجزء الذي فيه سورة الرحمن مفقود.

(٢) يعني هنا أن معنى أتراب أي مستويات في السن، يقال: فلانة تِربةُ فلانة، والأتراب هن اللدات، كأنهن ولدن في وقت واحد، فمسهن التراب، أي خرجن من بطون أمهاتهن في وقت واحد، وهذا في المعنى اللغوي، وإلا فالحور العين لم يولدن أصلاً، انظر: تفسير الطبري ٣٠/٢٥، والكشاف ٩٧/٤.

وأزواجهن أبناء ثلاث وثلاثين سنة.

﴿**هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ**﴾، هو من أسماء يوم القيامة، كما يسمى يوم الفصل، ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ (الصافات: من الآية٢١)، وعَدُّه من أسمائه المسرودة في القرآن.

﴿**إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا**﴾ أي ما ذكر من جنات عدن، وفواكه كثيرة وشراب، وقاصرات الطرف، نحو قوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً﴾ (البقرة: من الآية٢٥)، ﴿**مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ**﴾ بل باقٍ أبد الآباد، وهو نحو آيات الخلود في جنات النعيم.

﴿**هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ**﴾ المنبعثين في الطغيان، وهو مقابل للمتقين، ﴿**لَشَرَّ مَآبٍ**﴾ مقابل لحسن مآب المتقين، وأُبدل عنه بعد إجماله قوله:

﴿**جَهَنَّمَ**﴾[2] كما أبدل من حسن المآب: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾.

﴿**يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾ ونحو: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ (الزمر: من الآية ١٦)، فالمهاد: الفراش كما قال: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ (الأعراف: من الآية٤١)، وهذا مقابل قوله في الفريق الآخر: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ فقد بين على ماذا الاتكاء في قوله: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ (الإنسان: من الآية١٣)، وفي قوله، ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ (الرحمن: من الآية٥٤).

﴿**هَذَا**﴾ مبتدأ ﴿**فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ**﴾ خبره، وما بينهما

=

(١) كُتِبَ فوق هذا المكان في الأصل (بياض). وقد ذكر المفسرون أن معنى أتراباً: مستويات في السن، انظر: تفسير الطبري ٢٢١/٢٧، وتفسير أبي السعود ١٩٠/٦.

(٢) بمعنى أن قوله: ﴿جَهَنَّمَ﴾ بدل من قوله: ﴿لَشَرَّ مَآبٍ﴾.

اعتراض، أو مقدم من تأخير أي: هذا حميم وغساق[1]، ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلا شَرَاباً • إلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقاً﴾ (النبأ: ٢٤، ٢٥)، فليذوقوه وهو مقابل لقوله في الفريق الأول: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ وقال: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (محمد: من الآية١٥)، والغسّاق ماء يسيل من صديد أهل النار، وقيل إنه عذاب لا يعلمه إلا الله[2] [أخرج][3] أحمد، والترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم والحاكم وصححه، وغيرهم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لو أن دَلْواً من غَسّاق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا)[4].

[أخرج][3] ابن جرير عن كعب: الغساق عينٌ من جهنم، يسيل إليها حُمَة [ل١١٠/أ] كل ذات حمة من حية أو عقرب أو غيرها فيستنقع[5].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٣٨/٤، ٣٣٩، وإعراب القرآن للنحاس ص ٧٥٧ ، ٧٥٨.

(٢) وهو مروي عن الحسن، انظر: الكشاف٩٧/٤، وروح البيان لإسماعيل البروسوي ٥١/٨، ولم أعثر على إسناده.

(٣) ما بين المعقوفتين بياضٌ في الأصل، وانظر تعليق ١ ص ٨٨.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٩٢/١٠ (١١١٧٤)، والترمذي في سننه، كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار ص٥٨٢ (٢٥٨٤)، والطبري في تفسيره ٢٠٩/٢٣، والحاكم في مستدركه، كتاب الأهوال ٦٤٤/٤ (٨٧٧٩)، والبيهقي في البعث ص ٢٩٠ (٥١٥)، وقال الحاكم: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه". ووافقه الذهبي، والحديث مداره على درّاج وقد ضُعِّف، انظر: ضعفاء العقيلي ٣٩٤/٢ (٤٧٢)والتقريب ص٣١٠ (١٨٣٣)، وكذلك رواية الترمذي إلا أنه قال: "هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد، وفي رشدين مقال"، وقد ضعفه أيضاً الحافظ ابن حجر في التقريب ص٣٢٦ (١٩٥٣)، وضعَّف الألباني هذا الحديث في المشكاة ١٥٨٢/٣ (٥٦٨٢)، وضعيف الجامع ص٦٩٣ (٤٨٠٣)، وعزاه لابن أبي حاتم: السيوطي في الدر المنثور ٥٩٤/٥.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٠٨/٢٣ من طريق ابن عوف، عن أبي المغيرة، عن صفوان، عن أبي يحيى عطية الكلاعي. وابن عوف هو محمد بن عوف بن سفيان الطائي ثقة حافظ، انظر: السير ٦١٣/١٢ (٢٣٨)، والتقريب ص٨٨٥ (٦٢٤٢)، وأبو المغيرة هو عبد القدوس بن الحجاج الخولاني الحمصي ثقة، انظر: السير ٢٢٣/١٠ (٥٨)، والتقريب ص٦١٨ (٤١٧٣)، وصفوان هو ابن عمرو بن هرم السَكْسَكِي، ثقة، انظر: =

﴿**وَآخَرُ**﴾ أي وذوقوا عذاباً آخر، ﴿**مِنْ شَكْلِهِ**﴾ من جنس العذاب الأول، في الشدة والفظاعة، ﴿**أَزْوَاجٌ**﴾، أخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، عن الحسن في الآية قال: ألوان من العذاب[1].

[أخرج][2] ابن جرير عن الحسن أنه قال: ذكر العذاب، فذكر السلاسل والأغلال وما يكون في الدنيا، ثم قال: ﴿وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ قال: آخر لم ير في الدنيا[3].

﴿**هَذَا فَوْجٌ**﴾ أي جماعة، وهذا حكاية ما يقول الخزنة للرؤساء الذين استكبروا والسادات، أي هؤلاء جماعة اتبعوكم، فضَلُّوا بإضلالكم، كما قال التابعون: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾ (الأحزاب: ٦٧)، وكما قالوا للذين استكبروا: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً﴾ (سبأ: من الآية ٣٣)، ﴿**مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ**﴾ داخلون في

=

السير ٣٨٠/٦ (١٦٠)، والتقريب ص٤٥٤ (٢٩٥٤)، وأبو يحيى عطية الكلاعي هو عطية بن قيس الكلابي ويقال الكلاعي، ثقة، انظر: السير ٣٢٤/٥ (١٥٨)، والتقريب ص٦٨١ (٤٦٥٥)، فالخبر ثابت عن كعب وهو ممن يروي الإسرائيليات.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١١٣/١٢ (٣٥١٦٨)، والطبري في تفسيره ٢١٠/٢٣، كلاهما من طريق ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن به، وابن علية هو إسماعيل بن إبراهيم ثقة حافظ، انظر: السير ١٠٧/٩ (٣٨)، والتقريب ص١٣٦ (٤٢٠)، وأبي رجاء هو محمد بن سيف الأزدي الحُدّاني، ثقة ، انظر: التقريب ص٨٥٣ (٥٩٨٦)، وتحقيق أحمد شاكر على تفسير الطبري ١١٠/١، وعزاه لابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور ٥٩٥/٥.

(٢) ما بين المعقوفتين بياضٌ في الأصل، وانظر تعليق ١ ص ٨٨.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٠٩/٢٣ قال: حُدِثت عن يحيى بن أبي زائدة ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن، به، ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة أبو سعيد الهمداني ثقة متقن، انظر: السير٣٣٧/٨ (٩٠)، والتقريب ص١٠٥٤ (٧٥٩٨) ومبارك بن فضالة بن أبي أمية، صدوق، يدلس ويسوي، انظر: التقريب ص٩١٨ (٦٥٠٦)، ولكن قال أحمد شاكر في تحقيقه على تفسير الطبري: "ثقة، من أخص الناس بالحسن البصري، جالسه ١٣ أو ١٤ سنة". ٤٦٥/١ ولم يفصح الطبري عن شيخه الذي حدَّثه.

صحبتكم أيها الطاغون إلى جهنم، فقال المُتَبَعون: ﴿**لا مَرْحَباً بِهِمْ**﴾ أي بالتابعين، ﴿**إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ**﴾، أي كما يصلاها الطاغون، وقيل: إنه من كلام الخزنة[1]، وأنه انتهى كلام الرؤساء إلى قوله: ﴿لا مَرْحَباً بِهِمْ﴾.

﴿**قَالُوا**﴾: الأتْبَاع الذين هم الفوج لرؤسائهم: ﴿**بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَباً بِكُمْ**﴾ أي أنتم أحق بالدعاء عليكم، وعللوا الأحقيّة بقولهم: ﴿**أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا**﴾ أي الصلْيَ بنار جهنم، بما كنتم في دار الدنيا تحثونا عليه من الكفر، واتخاذ الأنداد، ﴿**فَبِئْسَ الْقَرَارُ**﴾، جهنم، وتقدم: ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ﴾ (الأعراف: من الآية٣٨).

﴿**قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا**﴾ العذاب، ﴿**فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ**﴾، أجملوا هنا من قدم، وصرحوا بهم في قولهم، ﴿هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا﴾ (الأعراف: من الآية٣٨)، وطوى تعالى جواب المضلين لهم عليهم بقولهم: ﴿وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ...﴾ الآية (الأعراف: من الآية٣٩)، وفي قوله: ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (إبراهيم: من الآية٢١)، إلى آخر المقاولة، وطوى هنا[ل١١٠/ب] جوابه تعالى عليهم لما طلبوا منه تضعيف العذاب، فإنه أجاب عليهم في الأعراف، قال: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ (الأعراف: من الآية ٣٨).

﴿**وَقَالُوا**﴾ -أي الطاغون- ﴿**مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ**﴾، [أخرج][2] عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن عساكر، عن مجاهد في قوله: ﴿مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ﴾ قال: ذلك قول أبي جهل ابن هشام في

---

(١) انظر: الكشاف ٩٨/٤، والبحر المحيط ٥٣٩/٧، ولم أعثر على قائله.

(٢) ما بين المعقوفتين بياضٌ في الأصل، وانظر تعليق ١ ص ٨٨.

النار، يقول: مالي لا أرى بلالاً وعماراً وصهيباً وخباباً وفلاناً وفلاناً[1].

﴿**أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّاً**﴾ قال: أتخذناهم سخرياً وليسوا كذلك؟ ﴿**أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ**﴾، أم هم في النار ولا نراهم. وسبحان الله كم بهؤلاء من الجهالة، حتى لم يعلموا أن أولئك قد نالوا القدح المعلّى، ونزلوا من الجنات الدرجات العلى.

﴿**إِنَّ ذَلِكَ**﴾ أي ما ذكرناه من قولنا: هذا فوجٌ، إلى آخر المقاولة، ﴿**لَحَقٌّ**﴾ كائن لا ريب فيه، ﴿**تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ**﴾، فهم في العذاب، وفي عذاب الاختصام، وقد تقدم: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾ (العنكبوت: من الآية٢٥)، وقال: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ • تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ • إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ٩٦، ٩٧، ٩٨).

﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ**﴾ للطاغين، ومبشِّر للمتقين، كما يذكر في عدة آيات أنه نذير بشير.

﴿**وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾ ﴿**رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ**﴾ [أخرج][2] النسائي، ومحمد بن نصر[3]،

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٢١٢/٢٣، من طريق أسباط، عن ليث، عن مجاهد من قوله، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه ٤٦٦/١٠ من طريق المطلب بن زياد بن زهير القرشي عن ليث عن مجاهد، وفي ٢٢٦/٢٤ من طريق شريك عن ليث، عن مجاهد، وفي ٤٦٥/١٠ من طريق الحسين بن واقد عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس موقوفاً عليه، وقال: "رواه جرير بن عبد الحميد عن ليث فلم يذكر ابن عباس في إسناده". وليث هو ابن أبي سليم صدوق اختلط جداً و لم يتميز حديثه فترك، انظر: ترجمته في السير ١٧٩/٦ (٨٤)، والتقريب ص٨١٨ (٥٧٢١) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور ٥٩٥/٥.

(٢) ما بين المعقوفتين بياضٌ في الأصل، وانظر تعليق ١ ص ٨٨.

(٣) هو محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، أبو عبد الله الحافظ الإمام شيخ الإسلام. مولده ببغداد في سنة ٢٠٢هـ، ومنشأه بنيسابور، ومسكنه سمرقند، برع في علوم الإسلام، وكان إماماً مجتهداً علامة، قل أن ترى =

والبيهقي في الأسماء والصفات، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا تَضَوَّر[1] من الليل قال: (لا إله إلا الله الواحد القهار، رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار)[2]، وهذا تقرير للوحدانية والاختصاص بصفات الكمال وغايتها، حيث أتى به بصيغة المبالغة.

﴿**قُلْ**﴾، تكرير للأمر بالقول، دلالة على عظمة شأن ما يأتي بعده، ﴿**هُوَ**﴾ أي القرآن، كما أخرجه الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير وغيرهم، عن مجاهد: ﴿**قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ**﴾، أي القرآن[3]، ورجحه أبو السعود[4]، وقيل: اختصام الملائكة الآتي إجمالاً وتفصيلاً[1].

=

العيون مثله. مات في محرم، سنة ٢٩٤هـ. انظر : تهذيب الكمال ٤٩٩/٢٧ (٥٩٢٣) ، والسير ٣٣/١٤ (١٣).

(١) التضور هو التَّلَوي والصِّياحُ من وجع الضَّرْب أَو الـجوع، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٩٦/٢، ولسان العرب ١٠٠/٨، والقاموس المحيط ص ٤٥٤.

(٢) أخرجه النسائي في سننه الكبرى، باب ما يقول إذا انتبه من نومه ٣١٩/٩ (١٠٦٣٤)، ومحمد بن نصر في قيام الليل (ص١٠٨/ المختصر)، وابن حبان في صحيحه ١١٦/٨ (٥٥٠٥) باب آداب النوم، ذكر ما يهلل المرء به ربه جل وعلا، وابن منده في التوحيد ص ٣٩١ (٣٤٩)، والحاكم في مستدركه ٧٢٤/١ (١٩٨٠) كتاب الدعاء والتكبير، باب الاعتداء في الدعاء والطهور، والبيهقي في الأسماء والصفات ٤٨/١ (٢٠) باب جماع أبواب ذكر الأسماء التي تتبع إثبات وحدانيته عز اسمه، وصححه الألباني، وعزاه لمحمد بن نصر في قيام الليل، انظر: السلسلة الصحيحة ٩٨/٥ (٢٠٦٦)، والتعليقات الحسان على صحيح ابن حبان ١١٦/٨ (٥٥٠٥)، وقال: والحديث أعله أبو حاتم وأبو زرعة بما لا يقدح.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٢١٤/٢٣، من طريق شبل بن عباد، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وهو إسناد قوي، كما قاله ابن حجر في العجاب ٢٠٤/١، وقال الدكتور حكمت بشير في التفسير الصحيح: "وشبل بن عباد المكي ثقة، فالإسناد صحيح"، ٥٨/١.

(٤) انظر: تفسير أبي السعود ٣٧٠/٥، وأبو السعود هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي الإمام العلامة، ولد سنة ٨٩٨هـ، قال صاحب هدية العارفين: "ثم تحقق أن اسمه أحمد"، له عدة مؤلفات من أشهرها: "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" توفي بقسطنطينية مفتياً في أوائل جمادى الأولى سنة

=

﴿**أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ**﴾، عما فيه من الآيات [ل١١١/أ] البيّنات، والبراهين القاطعات، وأخبار القرون الخاليات، قال الرسول: ﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾ (الفرقان: من الآية٣٠)، وقال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ (المدثر: ٤٩)، واستئناف قوله: ﴿**مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلأِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ**﴾، ما أخبرتكم به، وهو اختصامهم لَّما قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: من الآية٣٠)، وإجابتهم بما أجابوا وكان يسمى اختصاماً لأنهم راجعوا الرب بقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ (البقرة: من الآية٣٠)، وهو إخبار منه صلى الله عليه وآله وسلم، أنه ما كان يعلم ذلك حتى أوحى الله إليه، كما قال تعالى ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ...﴾ الآية (الشورى: من الآية ٥٢)، وفي الآية تفسير مرفوع، أخرجه عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد والترمذي وحسنه، ومحمد بن نصر في كتاب الصلاة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أتاني الليلة ربي في أحسن صورة –أحسبه قال في المنام– قال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت: لا، فوضع يده بين كتفي، حتى وجدت بردها بين ثديي، أو في نحري، فعلمت ما في السموات، وما في الأرض، ثم قال لي: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ؟ قلت: نعم، في الكفارات، والكفارات: المكث في المساجد بعد الصلوات، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإبلاغ الوضوء في المكاره، ومن فعل ذلك عاش بخير، ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته

=

٩٨٢هـ. انظر: مقدمة تفسير أبي السعود ٣/١، وهداية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي ٢٥٣/٢.

(١) انظر: الكشاف ١٠٠/٤، والبحر المحيط ٥٤١/٧، والتحرير والتنوير ٢٩٦/١١، إلا أنهم لم يقولوا اختصام الملائكة، بل قالوا: وقيل: خبر آدم الآتي ذكره.

أمه...) الحديث[1]، وفي رواية أخرجها الترمذي وصححها، ومحمد بن نصر، والطبراني[2]، والحاكم عن معاذ، وفيه ذكر الرؤيا، وفيه أنه قال تعالى بعد وضع كفه بين كتفيه قال: (فتجلى لي كل شيء فعرفته فقال: يا محمد قلت: لبيك ربي. قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الدرجات والكفارات قال: ما الدرجات ؟ قلت: إطعام الطعام، وإفشاء السلام،

(١) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره ١٢٦/٣ (٢٦١٢)، والإمام أحمد في مسنده ٤٥٨/٣ (٣٤٨٤)، والترمذي في سننه ص ٧٣٠ (٣٢٣٣ و٣٢٣٤)، ومحمد بن نصر في قيام الليل (ص٣٣/المختصر)، وأخرجه أيضاً: ابن أبي عاصم في السنة ص٢١٥ (٤٦٩)، وأبو يعلى في مسنده ص٥٣٤ (٢٦١١)، وابن خزيمة في التوحيد ٥٤٠/٢ (٣٢٠)، والآجري في الشريعة ١٥٤٧/٣ (١٠٣٩)، والدارقطني في الرؤية ص ٣٢٩ (٢٤٤)، ورواياتهم متعددة منها الصحيح ومنها الضعيف، وقد استقصاها الدكتور الشهوان محقق كتاب التوحيد لابن خزيمة، فليرجع إليها ٥٣٤/٢، أما هذه الرواية التي معنا فهي من طريق معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه، وقد صححها الألباني، انظر: تعليقه على سنن الترمذي ص ٧٣٠ (٣٢٣٣)، وإرواء الغليل ١٤٧/٣، ولم أجد الحديث في المطبوع من كتاب الصلاة لمحمد بن نصر.
وأما المقصود بالصورة في الحديث، فإنا نؤمن بها على ما يليق بجلال الله عز وجل، فنثبتها على الوجه اللائق بالله سبحانه وتعالى، من غير تمثيل، ولا تعطيل، ولا تكييف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في نقض التأسيس: "لفظ الصورة في الحديث كسائر ما ورد من الأسماء والصفات التي قد يسمى المخلوق بها على وجه التقييد وإذا أطلقت على الله اختصت به مثل العليم والقدير والرحيم والسميع والبصير ومثل خلقه بيديه واستوائه على العرش ونحو ذلك". انظر: نقض التأسيس ٢٤٥/٣، وقال ابن قتيبة: "الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين وإنما وقع الإلف لتلك، لمجيئها في القرآن ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن ونحن نؤمن بالجميع ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد". انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٣٢٢.

(٢) هو سليمان بن أحمد بن أيوب بن مُطَير اللخمي الشامي الطبراني، أبو القاسم، الإمام، الحافظ، الثقة، الرحال، الجوال، محدث الإسلام، علم المعمرين، صاحب المعاجم الثلاثة. ولد بمدينة عكا في شهر صفر سنة ٢٦٠هـ، كتب عمن أقبل وأدبر، وبرع في هذا الشأن، وجمع وصنف، وعُمِّر دهراً طويلاً. وازدحم عليه المحدثون، ورحلوا إليه من الأقطار. وقد عاش مئة عامٍ وعشرة أشهر. توفي الطبراني لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ٣٦٠هـ بأصبهان. انظر: ذكر أخبار أصبهان ٣٩٣/١ (٧٣٩)، وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٩١/٣ (٥٩٤) والسير ١١٩/١٦ (٨٦).

والصلاة بالليل والناس نيام. قال: صدقت. ما الكفارات؟ قلت: إسباغ الوضوء في السَّبرات[1]، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ونقل الأقدام إلى الجماعات. قال: صدقت، سل يا محمد. قلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب [ل١١١/ب] المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت بقوم فتنة، فتوفني إليك غير مفتون، اللهم إني أسألك حبك وحب من أحبك وحب عمل يقربني إلى حبك). فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (تعلموهن وادرسوهن فإنهن حق)[2]، وللحديث روايات كثيرة، وطرق عديدة، تُشعر بصحته، والصحابي في الرواية الأولى غير مذكور في النسخة التي نقلنا منها في الدر المنثور[3]، ولم يذكر سبب الاختصام، وكأنهم والله أعلم يستبقون أيهم يرفع هذه الأعمال الصالحات، أو يختصمون أيها أكثر أجراً، وأنها أعظم عند الله قدراً.

واعلم أن في الأحاديث ألفاظاً، مثل الصورة، واليد، والكف، يجب الإيمان بها، ونكل علمها إلى الله كما هو مذهب السلف[4].

---

(١) السبرات جمع سَبْرة، بسكون الباء، وهي شدة البرد، انظر: النهاية في غريب الحديث، ٧٤٧/١.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٠٠/١٦ (٢٢٠٠٨)، والترمذي في سننه ص ٧٣١ (٣٢٣٥)، والحاكم في مستدركه ٧٠٢/١ (١٩١٣)، والطبراني في معجمه الكبير ١٠٩/٢٠، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح، سَأَلْتُ محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فقال: هذا حديث حسنٌ صحيحٌ". ومحمد بن إسماعيل هو البخاري رحمه الله، وصححه الذهبي في التلخيص ٧٠٢/١ (١٩١٣)، والألباني في تعليقه على سنن الترمذي ص٧٣١ (٣٢٣٥)، ولم أجده في المطبوع من كتاب الصلاة لمحمد بن نصر.

(٣) إلا أنه ورد في بعض النسخ، راجع طبعة التركي للدر المنثور ٦١٧/١٢، وهو ابن عباس كما سبق في تخريجه.

(٤) أما الصورة فقد تقدم الكلام عليها قريباً، وأما الكف فهي صفة من صفات الله الذاتية، نُثبتها على ما يليق بجلال الله وعظيم سلطانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: من الآية١١)، وهي ثابتة بالسنة الصحيحة، في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما تصدق أحد بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمٰن بيمينه. وإن كانت تمرة. فتربو في كفّ =

﴿**إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾، تقدم قريباً: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ﴾ وهذا اعتراضٌ وسط، بين إجمال اختصام الملائكة وتفصيل اختصامهم الآتي قريباً، فالنائب ليوحى، إما ضمير عائد إلى الحال المقدّر، أو ما يعمه وغيره، فالمعنى: ما يوحى إلي في حال الملأ الأعلى، أو ما يوحى إلي، ما يوحى من الأمور الغيبية، التي من جملتها حالهم[1] وقوله، ﴿**إِلاَّ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ من جهته تعالى، فإن كونه كذلك من دواعي الوحي إليه وموجباته حتماً.

﴿**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ**﴾ شروع في تفصيل ما أجمله قوله: ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾، وهو ما جرى بينهم من التقاول، بناءاً على أنه كان تكليمه تعالى لهم بواسطة المَلَك[2]، وتقدم في البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ الآيات (البقرة: من الآية ٣٠) وتقدم: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ • فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر: من الآية٢٨، ٢٩)، كما هنا، وفي سبحان اقتصر على قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ (الإسراء: من الآية٦١)، وقول إبليس: ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾ (الإسراء: من الآية٦١)، وفي الكهف مثلها، ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ...﴾ الآية (الكهف:

=

الرحمـٰن حتىٰ تكون أعظم من الجبل. كما يربي أحدكم فلوّه أو فصيله)، أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ٨٦/٧ (١٠١٤)، وأما صفة اليد فكذلك، وهي ثابتة بالكتاب والسنة بما يغني عن ذكرها هنا.

(١) انظر: تفسير أبي السعود ٣٧١/٥.

(٢) هذا الجملة الأظهر أنها منقولة عن الزمخشري وهي منصوصٌ عليها عنده ١٠١/٤ وهو تأويل باطل ويقصد منه نفي صفة الكلام عن الله عز وجل على مذهب المعتزلة، وإلا فقد جاءت الآيات مصرحة بخطاب الله عز وجل للملائكة وتكليمه لهم كما ذكر المؤلف جملة منها هنا، وكأنه يرد على الزمخشري بها.

من الآية٥٠)، والحاصل: أن القصة ذُكرت في سبعة مواضع من القرآن، آخرها في هذه الآية: ﴿**إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً**﴾فُسر بخلقٍ يلاقي ويباشر، وقيل بادي البشرة بلا صوف[1]، ﴿**مِنْ طِينٍ**﴾ [ل١١٢/أ]، أطلق عن صفاته التي تقدمت، من التغير والاسوداد والمسنونية[2]، على قاعدة الكتاب العزيز[3]، كما طوى جعله خليفةً في الأرض.

﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ**﴾: صورته بالصور الإنسانية كما قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ (الأعراف: من الآية١١)، وكما قال: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ • فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ (الانفطار: ٧، ٨)، وقال: ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ (القيامة: من الآية٣٨)، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الأِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤).

﴿**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**﴾ النفخ إجراء الريح إلى تجويف جسم صالح، لإمساكها، والامتلاء بها، وهذا تمثيل، وإلا فما ثمة نفخ وإنما مثّل به إفاضة الحياة بالفعل على المادة القابلة له[4].

﴿**فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾، وهذا أمر تعليقي بالوقوع سجوداً، بالتسوية والنفخ، وقوله ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ (الإسراء: من الآية ٦١)، أمر

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود ٣٧٢/٥، وروح المعاني للآلوسي٢٩٦/٢٣.

(٢) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ﴾ (الحجر: ٢٦) قال الطبري رحمه الله: وأما قوله من حمأ مسنون فإن الحمأ جمع حمأه وهو الطين المتغير إلى السواد وقوله: مسنون يعني المتغير. انظر: تفسير الطبري ٣٧/١٤.

(٣) يعني ذكر الشيء مجمل في مكان وتفصيله في مكان آخر، انظر: مجموع الفتاوى ٣٦٣/١٣.

(٤) هذه الجملة موجودة بنصها في تفسير أبي السعود٣٧٢/٥ وبعضها في الكشاف ٥٥٥/٢، وهي باطلة، ويقصد منها نفي الصفات عن الله عز وجل على مذهب أهل الزيغ والضلال في تأويل الصفات، أما أهل السنة والجماعة الذين أنار الله بصائرهم فيثبتون النفخ على ظاهر الآية، فيكون من صفات الله الفعلية التي تليق بجلاله سبحانه وتعالى ليس مماثلاً لنفخ المخلوق. انظر: تفسير سورة (صٓ) للشيخ ابن عثيمين ص٢٣٥.

تنجيزي، فسجد الملائكة، أي فخلقه فسواه فنفخ فيه من روحه.

﴿**فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ**﴾، دلّ على أن الملائكة المأمورين بالسجود جميعهم، ﴿**أَجْمَعُونَ**﴾، أي بطريق المعية، بحيث لم يتأخر عن ذلك أحد منهم عن أحد.

﴿**إلا إبليس**﴾ استثناء متصل؛ لأنه كان حتماً مغموراً بينهم، فغلبوا عليه حيث اتصف بصفاتهم، وقيل: استثناء منقطع[1]، ﴿**اسْتَكْبَرَ**﴾ تقدم في البقرة: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: من الآية ٣٤)، وفي الأعراف: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (الأعراف: من الآية ١١)، وفي طه: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى﴾ (طه: من الآية ١١٦)، وفي الكهف ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ (الكهف: من الآية ٥٠)، ﴿**وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾، أي صار منهم لمخالفته الأمر، واستكباره عن الطاعة، وطوى في البقرة سؤاله تعالى له عن عدم سجوده وذكره في الأعراف: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلاَّ تَسْجُدَ﴾ (الأعراف: من الآية ١٢)، وفي الحجر أيضاً[2].

وهنا ﴿**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ**﴾ في الأعراف: ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ (الأعراف: من الآية١٢)، وهنا قال: ﴿**لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ أي وأمرتك أن تسجد له، والمراد تعظيم آدم بإضافة خلقه إلى يديه تعالى[3].

---

(١) انظر: الكشاف ١/١٣٠ ، ١٣١، وتفسير القرطبي ١/٣٠٧، والبحر المحيط ١/٢٢٣.

(٢) أي قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (الحجر: ٣٢).

(٣) صحيحٌ أن لآدم عليه السلام خصوصيةٌ يراد بها تعظيمه وتفضيله على غيره، لكن الإضافة هنا ليست مقتصرةً على هذا فقط كما يفهم من عبارة المؤلف، وإنما هنا قد أُضيف الفعل إلى الفاعل وعدّيَ الفعل إلى اليد بحرف الباء مما يثبت أن الله عز وجل خلق آدم بيده حقيقةً، وفيه إثبات اليدين لله سبحانه وتعالى.

قال شيخ الإسلام: "أما إذا أضاف الفعل إلى الفاعل، وعدّي الفعل إلى اليد بحرف الباء كقوله: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ فإنه نص في أنه فعل الفعل بيديه =

[أخرج][1] ابن أبي الدنيا[2] في صفة الجنة، وأبو الشيخ[3] في العظمة، والبيهقي في الأسماء والصفات، عن عبد الله بن الحارث[4] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (خلق الله ثلاثة أشياء بيده خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده [ل١١٢/ب] وغرس الفردوس بيده...) الحديث[5]. وفي معناه آثار، وهذا مما نؤمن به ونكل كيفيته إلى

=

ولهذا لا يجوز لمن تكلم أو مشى أن يقال: فعلت هذا بيديك، ويقال: هذا فعلته يداك، لأن مجرد قوله: فعلت كاف في الإضافة إلى الفاعل، فلو لم يرد أنه فعله باليد حقيقة كان ذلك زيادة محضة من غير فائدة، ولست تجد في كلام العرب ولا العجم -إن شاء الله تعالى- إن فصيحاً يقول: فعلت هذا بيدي، أو فلان فعل هذا بيديه، إلا ويكون فعله بيديه حقيقة".ا.هـ

وقال في موضعٍ آخر موْضِحاً معنى الإضافة هنا: "لا تكون الإضافة تشريفاً حتى يكون في المضاف معنى أفرده به عن غيره، فلو لم يكن في الناقة والبيت من الآيات البينات ما تمتاز به على جميع النوق والبيوت لما استحقا هذه الإضافة، والأمر هنا كذلك، فإضافة خلق آدم إليه أنه خلقه بيديه يوجب أن يكون خلقه بيديه أنه قد فعله بيديه، وخلق هؤلاء بقوله: كن فيكون، كما جاءت به الآثار" ا.هـ. انظر: مجموع الفتاوى ٣٦٦/٦و٣٦٩.

(١) ما بين المعقوفتين بياضٌ في الأصل، وانظر تعليق ١ ص ٨٨.

(٢) هو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس، أبو بكر القرشي، مولاهم البغدادي، المؤدب، صاحب التصانيف السائرة، من موالي بني أمية، ولد سنة ٢٠٨هـ. وتصانيفه كثيرة جداً، توفي سنة ٢٨١هـ في جمادى الأولى. انظر: السير ٣٩٧/١٣ (١٩٢)، وتهذيب التهذيب ٤٢٤/٢.

(٣) هو عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، المعروف بأبي الشيخ، صاحب التصانيف، ولد سنة ٢٧٤هـ. وله كتاب "العظمة" و"السنن" وغير ذلك. وهو من العلماء العاملين، صاحب سنة واتباع لولا ما يملأ تصانيفه بالواهيات. توفي في سلخ المحرم سنة ٣٦٩هـ. انظر: السير٢٧٦/١٦ (١٩٦)، وطبقات المفسرين للداودي ٢٤٦/١ (٢٢٩)، والرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة للكتاني رحمه الله ص٣٨.

(٤) هو عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأمه: هند بنت أبي سفيان بن حرب. ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين، أتت به أمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتفل في فيه ودعا له. مات سنة ٨٣هـ، كان من أبناء الثمانين، وحديثه في الكتب الستة، وكان كثير الحديث. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ١٧/٥، السير٢٠٠/١ (٢٩)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة ٢٠٨/٣ (٢٨٨٢).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة ص ٧٢ (٤١)، وأبو الشيخ في العظمة ١٥٥٥/٥ (١٠١٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات ١٢٥/٢ (٦٩٢)، والدارقطني في كتاب الصفات ص ٨٥ (٢٨)، والحديث مرسل لأن عبد

=

الله تعالى: ﴿**أَسْتَكْبَرْتَ**﴾: أعددت نفسك كبيراً عن امتثال أمري، وقد صرّح إبليس بأنه خير من آدم، وهو معنى الاستكبار ، وصرح تعالى بأنه أبى واستكبر، فالاستفهام توبيخ له ووضع لتكبره[1].

﴿**أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ**﴾، المتفوقين عليه فلا تسجد له.

﴿**قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ**﴾ إبانة لعذره عن السجود، وأنه أفضل منه، والأفضل لا يسجد للمفضول، ولذا قال: ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ (الحجر: ٣٣)، ثم استدل لأخيريته على آدم بقوله: ﴿**خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ**﴾ كما قال تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ (الحجر: ٢٧)، ﴿**وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾ فافتخر بالعنصر، وهو دعوى أن النار خير من الطين، وإقرار الله له على دعواه لا يدل على صدقه[2]، فكم يحكي عن الكفار أقوالاً باطله ولا يردها لظهور بطلانها، ولأنه غفل الشقي عن وجوب طاعة الله وامتثال أمره، كما امتثلت الملائكة المخلوقون من النور، وهو أشرف من النار التي طبعها الإحراق والإفساد، وغفل عن تعظيم الله لآدم بقوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ وقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾، وتعليمه الأسماء الذي به تم ما خلق له من الاستخلاف في الأرض.

﴿**قَالَ**﴾ تعالى: ﴿**فَاخْرُجْ مِنْهَا**﴾ أي من الجنة، أو من زمرة الملائكة، وظاهر الآية: أنه أُمر بالخروج عقب إبائه عن السجود، وفي البقرة أنه أمر

=

الله لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما ولد قبل وفاته بسنتين كما تقدم في ترجمته قريباً.

(١) انظر: البحر المحيط ٥٤٤/٧، وتفسير الجلالين ص ٦٠٥.

(٢) هذه العبارة فيها نظر فكون الله عزوجل أعرض عن مقالته الفاسدة ـ وجازاه عليها بأن طرده من الجنة ولعنه ـ لايدل على أن الله عزوجل مقرٌ له عليها وأنها صحيحة بل قد ذكر العلماء أن الطين أفضل من النار من عدة وجوه ليس هذا محل تفصيلها. انظر: تفسير القرطبي ١٦٧/٧، ١٦٦، وتفسير النسفي ٤٠٤/١، والبحر المحيط ٣٥٢/٤.

بالهبوط عقب إزلاله للأبوين بالأكل من الشجرة[1]، وفي الأعراف مثل ما هنا[2] والأظهر: أنه أمر بالخروج عقب الامتناع من السجود، ثم وسوس لآدم بعد خروجه من الجنة، وآدم في الجنة، كما يشعر به ما في سورة الأعراف من قوله: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ • فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ (الأعراف: من الآية ١٩،٢٠)، فإن الوسوسة بعد خروجه؛ لأنه قال تعالى قبل هذا: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً﴾ (الأعراف: من الآية١٨)، وفي سورة البقرة مثل ذلك؛ فإنه [ل١١٣/أ] قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ (البقرة: من الآية ٣٦)، أي عن الجنة، وذلك بعد إخراجه، وإن لم يذكر في البقرة طرده وإخراجه، فإنه اكتفى بما في غيرها من آيات قصصه.

﴿**فَإِنَّكَ رَجِيمٌ**﴾، في الأعراف: ﴿اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً﴾ (الأعراف: من الآية١٨) ، فاكتفى هنا بوصفه بأنه رجيم مع كونه مذءوماً مدحوراً ، والمراد: مطرود من كل خير وكرامة ، فإنه من يُطْرَد يرجم بالحجارة ، أو إنك مرجوم بالشهب.

﴿**وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي**﴾تقدم في الحجر اللعنة[3]، وهنا بالإضافة، وأطلق هنالك لِمَا أن لعنة اللاعنين من الثقلين والملائكة من جهته تعالى، وأنهم يدعون عليه بلعنة الله وإبعاده من الرحمة.

﴿**إِلَى يَوْمِ الدِّينِ**﴾ يوم جزاء العباد بأعمالهم، وليس يقيدها به لأنها تنتهي إليه وتنقطع، بل لأنه سيصلى من أنواع العذاب وأفانين العقاب ما

---

(١) كما في قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (البقرة: ٣٦)

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (الأعراف: ٢٠).

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الحجر: ٣٥).

ينسى عنده اللعنة وتصير كالزائل كما يدل له: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف: من الآية ٤٤) ، وقوله : ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾ (العنكبوت : من الآية ٢٥) .

﴿**قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي**﴾: أمهلني وأخرني ولا تمتني، ﴿**إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾، أي الخلائق الذين منهم آدم وذريته، في الأعراف: ﴿أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (الأعراف: من الآية ١٤)، وفي الحجر قال: ﴿فَأَنْظِرْنِي﴾ (الحجر: من الآية ٣٦)، كما هنا وفي سبحان: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (الإسراء: من الآية٦٢).

﴿**قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ**﴾، ليس إجابة لدعائه، بل إخبار بما سبقت به الأقدار[1]، وفي الآية دليل أن المنظرين جماعة هو منهم، وإنما طلب الإنظار ليتم له إغواء بني آدم كما قال: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الإسراء: من الآية٦٢)، وفي الأعراف: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ -إلى قوله: ﴿وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف: من الآية١٦، ١٧)، وفي الحجر: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر: من الآية٣٩).

﴿**إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ**﴾، الذي قدره الله وعيّنه، لفناء خلقه، وهو وقت النفخة الأولى، لا وقت البعث الذي طلب الإنظار إليه، وكما قال: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (الإسراء: من الآية٦٢) ، ومثل ما هنا في الحجر[2] [ل١١٣/ب]، وأطلق الإنظار في الأعراف عن التقييد بيوم الوقت

---

(١) فيه نظر، فظاهر الآية: أن الله عز وجل استجاب له طلبه، وما الضير في ذلك فقد يستجيب الله تعالى للكفار، كما في حال المضطرين منهم؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٥)، وتكون استجابة الله له استدراجاً له وإمهالاً، انظر: تفسير ابن كثير رحمه الله ٨٥٣/٢.

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ (الحجر: ٣٨).

المعلوم[1]، وهو مقيد بما هنا.

﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ**﴾ أقسم وقدَّم، قال: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ...﴾ الآية (الأعراف: من الآية ١٦) وفي الحجر: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ... ﴾ الآية (الحجر: من الآية ٣٩) ، ﴿**لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ ، بتزيين المعاصي.

﴿**إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾، تقدمت بلفظها في الحجر[2]، وفي الأعراف رمز إلى ذلك بقوله: ﴿وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف: من الآية١٧)، وفي سبحان: ﴿لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الإسراء: من الآية٦٢)، والمراد: الذين أخلصهم الله لطاعته، وعصمهم عن الغواية، وقد أجاب الله تعالى عليه بتقرير ما استثناه في قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الإسراء: من الآية٦٥)، وكأن اللعين قد علم أن من عباد الله من لا سبيل له عليه بعد هذا.

واعلم أن حاصل ما قصه الله من قصته في السبعة المواضع إجمالاً وتفصيلاً وإطلاقاً وتقييداً: أنه ذكر تعالى لملائكته جَعْلَه خليفةً في الأرض، ثم علمه الأسماء، ثم أمره أن ينبأ الملائكة بها بعد أن سألهم فعجزوا وقالوا: ﴿لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾ (البقرة: من الآية ٣٢)، ثم أمرهم بالسجود فامتثلوا، وقد كان تعالى أمرهم بالسجود أمراً تعليقياً بقوله، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ -إلى قوله: ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾، ثم أمراً تنجيزياً كما قدمناه[3]، وامتنع إبليس، فحذَّر الله منه آدم وزوجه، وأخبرهما أنه عدو لهما، ونهاهما عن الأكل من الشجرة، ولم يذكر تعالى فعلهم وما ترتب عليه وإخباره الملائكة بجعله

---

(١) كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (الأعراف: ١٥).

(٢) وذلك في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الحجر: ٤٠).

(٣) انظر: ص ١١٤، من هذا البحث.

خليفة في غير سورة البقرة، وذكر في غيرها ما لم يذكر فيها، من أنه سأله عن سبب عدم سجوده، وأجاب عن الرب[1] بأنه لا يسجد لمن خلقه طيناً، وبأنه خلقه من نار، ثم أخبر تعالى عن طرده وإخراجه وإهباطه، ثم إنه وسوس للأبوين بعد إهباطه وطرده، كما يدل عليه ما في سورة الأعراف؛ فإنه ذكر تعالى وسوسته لهما بعد طرده وإهباطه، وطردُه عن السكون في الجنة لا يمنع دخوله إليها للوسوسة، ثم ذكر إمهاله إلى يوم الوقت المعلوم، وتسليطه على الذرية لما قال: ﴿لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إلاَّ قَلِيلاً، قَالَ اذْهَبْ[2]﴾ -إلى قوله: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ...﴾ الآية (الإسراء: من الآيات ٦٢، ٦٣، ٦٤).

وأخبر تعالى عن وسوسته أنه تارة قال لهما: ﴿مانَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (الأعراف: من الآية ٢٠)، وتارة: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى﴾ (طـه: من الآية ١٢٠).

ثم اعلم أن إبليس أخرج نفسه من العموم في عموم الملائكة، وعموم اسجدوا، وخصصها باجتهاد باطل، مبني على مقدمات باطلة؛ الأولى: أن النار أشرف من التراب، فالمخلوق منها أشرف من المخلوق منه، وهذه مقدمة باطلة، فإن الله عز وجل ذكر الأرض وشرفها في عدة آيات، يقرنها بالسموات، ويذكر منافعها للعباد، وما فيها من الدلائل على التوحيد، ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ (الذاريات: ٢٠)، ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الجاثية: ٣)، ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ﴾ (الرعد: من الآية٤)، ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (الأعراف: من الآية١٨٥)، ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (البقرة: من الآية٣٦) ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً﴾ (النبأ: ٦)،

---

(١) كذا في الأصل، ومقصود المؤلف واضح، أي وأجاب عن سؤال الرب عز وجل.

(٢) [ل ١١٤/ب].

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطاً﴾ (نوح: ١٩) ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ (العنكبوت: ٥٦)، وقال: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا، أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ (النازعات: ٣٠، ٣١) وقال: ﴿وَالأَرْضَ وَضَعَهَا للأَنَامِ، فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ﴾ (الرحمن: ١٠، ١١)، وجعلها متعبدات المؤمنين، كما قال خاتم المرسلين: (جعلت لي الأرض كلها مسجداً وطهورا)[1] وجعلها نائبة مناب [الماء][2]، في التطهير، والتقرب إلى الله، ومنافعها لا تنحصر، هذا إن كان الفضل والشرف بالمنافع للأنام، كما هو الظاهر أن الأشرف من المخلوقات الأعم نفعاً، كما في عبادات العباد، الأفضل الطاعات المتعديات إلى نفع العباد، كإبلاغ الشرائع، وتعليم العلم، وجهاد الأعداء دفعاً عن المسلمين، وأما النار فلم يذكرها الرب تعالى إلا في قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ • أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ [ل١١٥/أ] (الواقعة: ٧١، ٧٢)، ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً﴾ (يس: من الآية٨٠) ، وفي قوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ • النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ (البروج: ٤، ٥)، في تعذيب المؤمنين بها، وفي مثل قول الكفار في إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ (الأنبياء: من الآية٦٨) ، [و][3] قوله: ﴿ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ (الصافات: من الآية٩٧)، وذكرها في أنها عذاب للكافرين، فكيف يدعي اللعين أنها أشرف من التراب ولا يعرف ما فضّل الله به التراب.

---

(١) هذا اللفظ جزء من حديث رواه جابر ولفظه: (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل. وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة). أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) ١٥٥/١ (٤٣٨)، ومسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٤/٥ (٥٢١).

(٢) في الأصل: "الأرض"، وهو خطأ بين والصحيح ما أثبت.

(٣) في الأصل: "إلى"، وليست الآية الثانية من الأولى.

المقدمة الثانية -على تسليم الأولى-[1]: أنه ليس للفاضل أن يرد أمر خالقه باجتهاده، بل إذا أمر من له الخلق والأمر بأي شيء وجب امتثاله، ولذا قال الله له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ (الأعراف: من الآيــة ١٢)، فإنه ليس بيد المأمور إلا الامتثال، وانظر الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم كيف سارعوا إلى الامتثال، ولم يقولوا: نحن مخلوقون من النور وهو خير من النار، لأنه ليس فيه إلا النفع للعباد، بخلاف النار ففيها نفع وفيها إفساد، تحرق العباد والبلاد وتتلف الأنفس والأموال، لولا منعها من ذلك، وكأنه غره ما فيها من النورانية والإشراق، وفاته ما فيها من الإفساد والإتلاف والإحراق، وجهل أن الأفضل من فضَّله الله، وأنه تعالى قد فضَّل آدم بالأمر لأهل السموات العلى بالسجود له، فقد صار أفضلَ من اللعين بالنص، فكيف يعارض النص بالرأي المحض، والنص لا يعارض بالرأي والقياس، بل يجب الخضوع له، والامتثال لما أفاده، سواء ظهر وجه حكمته أو خفي، وهكذا من عارض النصوص من المتمذهبين بالرأي لهم شوب من المعارضة الإبليسية.

﴿**قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ**﴾، برفع الأول على أنه مبتدأ حذف خبره، أو خبرٌ لمبتدأ، ونصب الثاني على أنه مفعول لما بعده، قدم عليه للقصر أي: لا أقول إلا الحق، وفيهما قراءات[2].

﴿**لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ**﴾ جواب قسمٍ محذوف، أي والله[3]، وهو نحو قوله: ﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُوراً﴾ (الإسراء: ٦٣) ونحو: ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الأعراف: من

---

(١) الذي يظهر لي والله أعلم أن المقدمة الثانية لم تذكر هنا، فلعلها سقطت من الأصل، وتقديرها أنه ليس للفاضل أن يسجد للمفضول، هذا على تسليم الأولى.

(٢) في قوله تعالى: ﴿فالحق﴾ قرأ عاصم وخلف وحمزة برفع القاف والباقون بنصبها، ولا خلاف بينهم في نصب ﴿والحق﴾. انظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، لشهاب الدين أحمد الدمياطي ص٤٧٩، والبدور الزاهرة لعبد الفتاح القاضي ص ٣٤٠.

(٣) انظر: تفسير ابن عطية ٥١٦/٤، وتفسير أبي السعود ٣٧٥/٥.

الآية ١٨)، ﴿**مِنْكَ**﴾ أي من جنسك من الشياطين، ﴿**وَمِمَّنْ تَبِعَكَ**﴾ في الضلالة ﴿**مِنْهُمْ**﴾ من ذرية آدم، ﴿**أَجْمَعِينَ**﴾، تأكيد للكاف المقسم به وما عطف عليه[1]، أي لأملأنها من الأتباع والمتبوعين أجمعين، وهذا القول المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (السجدة: من الآية١٣).

﴿**قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ**﴾ أي إبلاغ القرآن، من أجر دنيوي، وتكرر هذا منه، ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ﴾ (سبأ: من الآية ٤٧)، ﴿**وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ**﴾: المتصنعين لما ليسوا من أهله، حتى أنتحل النبوة، وأتقوَّل القرآن.

أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن أرطأة بن المنذر[2] قال: آية المتكلف ثلاث، [يتكلم][3] فيما لا يعلم، وينازع من فوقه، [ل١١٤/أ] ويتعاطى ما لا [ينال][4][5]. وأخرج الطبراني، والبيهقي، عن سلمان قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن لا نتكلف ما ليس عندنا،

---

(١) تأكيد للكاف في قوله تعالى: ﴿منك﴾ وما عطف عليه في قوله ﴿وممن تبعك﴾، أما قول المؤلف: "المقسم به"، فهذا خطأ، ولعله من الناسخ كما تبين ذلك بالرجوع إلى أصل المؤلف وهو تفسير أبي السعود، والمقسم به هنا هو الله عز وجل، كما ذكره المصنف رحمه الله، في أول الآية، والله أعلم.

(٢) هو أرطأة بن المنذر بن الأسود الألهاني، أبو عدي الحمصي، ثقة، أدرك ثوْبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبا أُمامة الباهِليَّ، وعبد الله بن بُسْرٍ المازنيَّ، مات سنة ٦٣هـ، انظر: ثقات ابن حبان ٨٥/٦، وتهذيب الكمال ٣١١/٢ (٢٩٨).

(٣) في الأصل: "يتكلف"، والتصويب من مصادر التخريج.

(٤) في الأصل: "يقال"، والتصويب من مصادر التخريج، وهو الأليق بالمعنى.

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٨٩/٧ (٤٧١١) والثعلبي كما في تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي ١٩٤/٣، وابن عساكر في تاريخه ١٤/٨، وفي سنده: بقية بن الوليد، وهو صدوق كثير التدليس عن الضعفاء وقد عنعن. انظر: تقريب التهذيب ص١٧٤ (٧٤١).

وأن نَقُدِّم ما حضر[1].

﴿**إِنْ هُوَ**﴾ أي القرآن، ما هو، ﴿**إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**﴾، من الثقلين وما لا يعلمه إلا الله.

﴿**وَلَتَعْلَمُنَّ**﴾ أي ووالله لتعلمن، ﴿**نَبَأَهُ**﴾ أي حقيقة ما أنبأ به، وأخبر عنه، من الوعد والوعيد، ﴿**بَعْدَ حِينٍ**﴾، أي بعد الموت، ويوم القيامة، أو عند فُشُوِّ الإسلام وظهوره، وفيه من التهديد ما لا يخفى.

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ٢٧١/٦ (٦٠٨٤)، والبيهقي في شعب الإيمان ١٢٩/١٢ (٩١٥٦)، قال الشيخ الألباني رحمه الله بعد أن استقصى طرق الحديث: "الحديث قوي بمجموع هذه الطرق، ولا سيما ويشهد له عموم حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "نُهينا عن التكلف" أخرجه البخاري في أول الاعتصام" ٢٢٧٦/٤ (٧٢٩٣) انظر: السلسلة الصحيحة للألباني٥٧٠/٥ (٢٤٤٠).

سورة الزمر

مكية، إلا ثلاث آيات ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ...﴾ الآيات الثلاث نزلت بالمدينة في وحشي قاتل [حمزة][1] [١١٥/ب]، كما أخرجه النحاس[2] عن ابن عباس[3]. وسميت بالزمر بزنة زُفر جمع زُمْرة وهي الجماعة، ولذلك يقول الله فيها: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً﴾ ومثلها في الذين اتقوا كما يأتي، والزمرة مشتقة من الزمر، وهو الصوت؛ إذ الجماعة لا تخلو عنه[4].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ**﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي هذا، وهو إشارة إلى السورة، تنزيلاً لها منزلة الحاضر المشار إليه؛ لأنها على شرف الذكر والحضور[5]، ﴿**مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ وفي صدر سورة المؤمن[6]: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (غافر: ٢)، وفي صدر سورة السجدة: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (فصلت: ٢)، والجار متعلق بتنزيل خبر ثانٍ[7]، وذكر صفتي العزة

---

(١) في الأصل: "الحمزة"، والتصحيح من الأثر المذكور.

(٢) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري النحوي، أبو جعفر النحاس، العلامة إمام العربية، صاحب التصانيف، ومن كتبه"إعراب القرآن"و"كتاب المعاني"و"الناسخ والمنسوخ"، وكان من أذكياء العالم، غرق في ذي الحجة سنة ٣٣٨هـ. انظر: السير ٤٠١/١٥ (٢٢٢)، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ٢٢٤/٤.

(٣) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ٦٠٥/٢ (٧٦٥)، بإسناد قال عنه السيوطي في الإتقان، بعد أن نقله: "وإسناده جيد رجاله كلهم ثقات"، انظر: الإتقان١٨/١.

(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني ص ٣٨٣، وتفسير البيضاوي ٢٢٨/٨، ولسان العرب ٨٠/٦.

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء٤١٤/٢، وتفسير أبي السعود ٣٧٦/٥.

(٦) وتسمى سورة غافر وسورة الطَوْل، انظر: تفسير القرطبي ٢٧٦/١٥، والإتقان ١٢١/١.

(٧) انظر: البحر المحيط ٥٥٠/٧، وتفسير أبي السعود ٣٧٦/٥.

والحكمة للإيذان بظهور أثرهما في الكتاب، بجريان أحكامه، ونفوذ أوامره ونواهيه من غير مدافع ولا ممانع، وبابتناء جميع ما فيه على الحكم البالغة.

﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ**﴾ تقدم: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ (العنكبوت: من الآية ٥١)، بالحق أي بسبب الحق وإثباته وإظهاره، أو بداعية الحق واقتضائه للإنزال، والمراد بالكتاب هو القرآن. واعلم أن التنزيل مصدر نزل[1]، والنازل كلام الله، وهو المراد بالكتاب في الآية، ولا بد له من مُنَزِّل وهو جبريل، كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ (الشعراء: ١٩٣)، ومُنَزَلٌ عليه وهو ما ذكره هنا بقوله: ﴿إِلَيْكَ﴾ وزمان إنزال، وقد عيّن شهره قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (البقرة: من الآية ١٨٥)، وعين ليلته مجملة بقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ (الدخان: من الآية ٣)، وعين وقتها مجملة أيضاً في قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: ١).

أخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ (الدخان: من الآية ٣) قال: أنزل القرآن في ليلة القدر، ونزل به جبريل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نجوماً[2].

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي ٤٦٣/٤، وتفسير القرطبي ١٤٨/١٣.

(٢) هذا الأثر نسبه السيوطي في الدر المنثور لابن مردويه ٧٣٨/٥، ووردت عدة روايات عن ابن عباس رضي الله عنهما تدل على هذا المعنى، بألفاظ متقاربة مع زيادة في بعضها ففي بعضها قال: "أنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان" أخرجه الطبراني في الكبير ٣١٢/١١ (١١٨٣٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٢/٧: "رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات". وفي بعض الألفاظ "أنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة " أخرجه الحاكم في مستدركه ٥١٩/٢ (٣٧٨١)، والبيهقي في شعب الإيمان ٥٢٢/٣ (٢٠٥٤)، وهو ضعيف كما سيأتي قريباً.

وفي بعض الألفاظ: "أنزل القرآن جملة واحدة حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا " أخرجه النسائي في =

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ [ل١١٦/أ] قال: هي ليلة القدر(١).

وأخرج سعيد(٢) وابن المنذر عن إبراهيم النخعي(٣) في قوله: ﴿إِنَّا

=

الكبرى ٢٤٧/٧ (٧٩٣٧)، والحاكم في مستدركه٢/٢٤٢ (٢٨٧٨)، والطبراني في الكبير ٣٢/١٢ (١٢٣٨١)، وقال الهيثمي ٢١٢/٧: "رواه الطبراني، والبزار باختصار، ورجال البزار رجال الصحيح، وفي إسناد الطبراني: عمرو بن عبد الغفار وهو ضعيف". ا.هـ وقد صحّح هذه الرواية ابن حجر في فتح الباري ٧/٩، وكذلك السيوطي في الإتقان ٨٩/١. وما ثبت من هذه الروايات، عن ابن عباس رضي الله عنهما، موقوفاً عليه، فلها حكم الرفع، وهي لا تنافي كون القرآن نزل من عند الله عز وجل، وأن جبريل أخذه عن الله مباشرة، قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فعلم أن القرآن العربي منزل من الله لا من الهواء، ولا من اللوح، ولا من جسم آخر، ولا من جبريل، ولا من محمد ولا غيرهما، وإذا كان أهل الكتاب يعلمون ذلك فمن لم يقر بذلك من هذه الأمة كان أهل الكتاب المقرون بذلك خيراً منه من هذا الوجه وهذا لا ينافي ما جاء عن ابن عباس وغيره من السلف في تفسير قوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أنه أنزله إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم أنزله بعد ذلك منجماً مفرقاً بحسب الحوادث، ولا ينافي أنه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله، كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ فِى كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُ فَى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتَـبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ فإن كونه مكتوباً في اللوح المحفوظ، وفي صحف مطهرة بأيدي الملائكة لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله، سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل أو بعد ذلك، وإذا كان قد أنزله مكتوباً إلى بيت العزة جملة واحدة في ليلة القدر فقد كتبه كله قبل أن ينزله". انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله ١٢٦/١٢، ١٢٧.

(١) انظر: تفسير عبد الرزاق الصنعاني ١٨٠/٣ (٢٨٠١)، وتفسير الطبري ١٢٧/٢٥، وعزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور٧٣٨/٥. وإسناده عند الصنعاني، عن معمر عن قتادة: إسناد صحيح. انظر: التفسير الصحيح٥٤/١.

(٢) هو سعيد بن منصور بن شعبة، أبو عثمان الخراساني المروزي، ويقال: الطالقاني، ثم البلخي، ثم المكي المجاور، الحافظ الإمام، شيخ الحرم، مؤلف كتاب السنن. كان ثقة من أوعية العلم. قال عنه أبو حاتم الرازي: هو ثقة من المتقنين الأثبات ممن جمع وصنف. كان من أبناء ٨٠سنة أو أزيد، وتوفي بمكة في شهر رمضان سنة ٢٢٧هـ. انظر: السير٥٨٦/١٠ (٢٠٧)، وتهذيب الكمال ٧٧/١١ (٢٣٦١).

(٣) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي، اليماني ثم الكوفي، أبو عمران، الإمام الحافظ، فقيه العراق، أحد الأعلام، وكان مفتي أهل الكوفة هو والشعبي في زمانهما، وكان رجلاً صالحاً فقيهاً عاش ٤٩ سنة وقيل ٥٨

=

أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ قال: نزل القرآن جملةً على جبريل وكان جبريل ينزل به بعدُ إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم[1]. وأخرجه سعيد بن منصور عن سعيد بن جبير قال: نزل القرآن من السماء العليا إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم فُصّل بعد ذلك في تلك السنين[2]. ويأتي إن شاء الله تعالى تحقيقه في تفسير سورة الدخان[3].

ثم لابد لإنزاله من حكمة من الله تعالى فبينها بقوله: ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾، وذكر له حِكَمًا في القرآن غير هذه[4]، وأشار هنا إلى أنه نزل بالحكمة بقوله: ﴿**الْحَكِيمِ**﴾ ولما كان عالياً بكل كل كتاب أشار إلى ذلك بوصف العزيز؛ لأنه إذا كان عزيزاً فما جاء منه عزيز غالب لا يغالَب، ثم لا بد من حكمة في تخصيص محمد صلى الله عليه وآله وسلم بإنزاله عليه بقوله لما قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ

=

سنة. مات سنة ٩٦هـ. انظر: السير٤/٥٢٠ (٢١٣)، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص ٧٩.

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه ٢/٢٩٢ (٧٨) وفي إسناده: خلف بن خليفة، قال عنه الحافظ في التقريب: "صدوق اختلط في الآخر، وادعى أنه رأى عمرو بن حريث الصحابي، فأنكر عليه ذلك ابن عيينة وأحمد"، انظر: التقريب ص٢٩٩ (١٧٤١)، ورواية ابن المنذر عن إبراهيم النخعي لم أعثر على من ذكرها.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه ٢/٢٩٣ (٧٩)، والطبري في تفسيره، ٢/١٧٤، ١٨٤، والحاكم في مستدركه ٢/٥١٩ (٣٧٨١)، والبيهقي في الشعب٣/٥٢٢ (٢٥٤)، والأثر عند سعيد بن منصور، عن حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير به، وعند الطبري، عن حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وفي رواية الحاكم والبيهقي، لم يرد ذكر حكيم بن جبير في الإسناد، ولذلك صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وحكيمٌ هذا ضعيف. انظر: التقريب، ص ٢٦٥ (١٤٦٧).

(٣) انظر: ص ٣٥٨، من هذا البحث.

(٤) كمثل قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (آل عمران: من الآية٣)، وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: ٢) وكقوله تعالى: ﴿قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً﴾ (الكهف: ٢)، وغير ذلك من الآيات الدالة على حِكَمِ إنزال القرآن.

اللَّهِ [اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ][1]﴾ (الأنعام: من الآية١٢٤)، وإنه لابد لإنزاله باللسان العربي بعد اختلاف الألسن من حكمة لتخصيصه، فقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: ٢)، ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (الدخان: ٥٨).

﴿**فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ**﴾، إخلاص العبادة لله تعالى عن كل شائبة من رياء وغيره مأمورة به الأمم الأولى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...﴾ الآية (البينة: من الآية ٥)، وكما قال: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ (الكهف: من الآية١١٠)، ونحو: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ (الإنسان: من الآية٩)، ويأتي قريباً: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ (الزمر: ١١)، أخرج ابن مردويه عن يزيد الرقاشي[2] أن رجلاً قال: يا رسول الله إنا نعطي أموالنا التماس الذكر، فهل لنا في ذلك من أجر؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا". قال: يا رسول الله إنما نعطي التماس الأجر، والذكر فهل لنا أجر. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله لا يقبل [ل١١٦/ب] إلا ما خلص له). ثم تلا هذه الآية[3].

---

(١) ما بين المعقوفتين ليس في الأصل ولا يتم المعنى إلا به، ويدل عليه قول المؤلف قبلها: "بقوله لما قالوا..." أي بقوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ لما قالوا: ﴿لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله﴾، هذا ومن حكمة تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم، بالرسالة وإنزال الوحي: زكاة نفسه وطهارتها، وصدقه وما اشتمل عليه من صفات الخير، وقد أشار الحافظ ابن كثير، إلى شيء من هذا، انظر: تفسيره، ٢/٢٧٧، ٢٧٨.

(٢) هو يزيد بن أبان الرقاشي، أبو عمرو البصري القاص، زاهد ضعيف قدري، مات قبل العشرين. انظر: الطبقات الكبرى٧/١٨٢، والتقريب ص١٠٧١ (٧٧٣٣).

(٣) عزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور ٥/٦٠٢، ولم أعثر على إسناده، لكن يزيد الرقاشي ضعيف تقدم الكلام عليه، ص ٦٧، والحديث على هذا وإن كان ضعيفاً إلا إن معناه صحيح، ويشهد له آيات كثيرة وأحاديث، فمن الآيات مثلاً: ما قدمه المصنف، قبل إيراده الحديث مباشرة، وأما الأحاديث التي تشهد لهذا =

﴿**أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾ هو استئناف مقرّر لما قبله من الأمر بإخلاص الدين له ووجوب الامتثال لما أمر به[1].

﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ**﴾ صفة لموصوف محذوف أي والمشركين[2]، يأتي في الشورى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ (الشورى: من الآية٩)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ (الأعراف: من الآية١٩٦)، وأولياؤهم الذين اتخذوهم، هم عيسى والملائكة والأصنام، وعبدوهم قائلين: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ**﴾ لشيء يستحقون به العبادة ﴿**إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾ قُرْباً فلم يعبدوهم لأنهم آلهة. أخرج جويبر[3] عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الآية نزلت في ثلاثة أحياء: عامر وكنانة وبني سلمة، كانوا يعبدون الأوثان، ويقولون: إن الملائكة بناته، فقالوا: ﴿إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى﴾[4]. وأخرج سعيد بن منصور عن مجاهد: كان عبد الله يقرأ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا

= فكثيرة أذكر منها حديثاً واحداً متفق عليه وهو عن أبي موسى الأشعري رضيَ اللهُ عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانهُ، فمن في سبيل الله؟ قال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله). انظر: صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ٨٧٠/٢ (٢٨١٠)، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب مَن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ٤٣/١٣ (١٩٠٤).

(١) انظر: تفسير أبي السعود ٣٧٧/٥، وروح المعاني ٣٠٩/٢٣.

(٢) انظر: الكشاف ١٠٧/٤، والبحر المحيط، ٥٥١/٧.

(٣) جويبر، تصغير جابر، يقال: اسمه جابر، وجويبر لقب، ابن سعيد البلخي، نزيل الكوفة، يروي التفسير عن الضحاك، مات بعد الأربعين، قال عنه النسائي: متروك الحديث. انظر: الضعفاء والمتروكين للنسائي ص ٧٣ (١٠٦)، والتقريب ص٢٠٥ (٩٩٤).

(٤) عزاه لجويبر: السيوطي في الدر المنثور ٦٠٢/٥، ولم أعثر على إسناده، وجويبر قال عنه ابن حجر: "ضعيف جداً". انظر: العجاب ٢٧٤/١.

نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[1]. وهو نظير قوله: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ (يونس: من الآية١٨)، وفيه الإخبار بجهلهم وقياسهم لـرب العالمين على ملوك الدنيا الذين يُتَخذ عندهم الشفعاء والمقربين لهم إليهم، والله عز وجل ليس كمثله شيء. ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ**﴾ أي بين هؤلاء المشركين وبين خصمائهم الذين أخلصوا لله الدين، وقد حذف لدلالة الحال عليه كما في قوله: ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ (البقرة: من الآية٢٨٥)، أي وبين غيره على أحد وجهي الآية[2] ﴿**فِي مَا هُمْ فِيهِ**﴾ من الدين ﴿**يَخْتَلِفُونَ**﴾ فإنهم اختلفوا فيه بالتوحيد والشرك، وادّعى كل فريق صحة ما هو عليه، وحكمه في ذلك: إدخال الموحدين الجنة، والمشركين النار، كما قال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (الشورى: من الآية٧)، في سياق قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ...﴾ الآية (الشورى: من الآية٦)، وقد عين تعالى اليوم الذي يحكم فيه بأنه يوم القيامة في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ[3] هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (السجدة: ٢٥)، كما في سورة السجدة. وعين تعالى

---

(١) لم أعثر على إسناده عن مجاهد ووجدت عند الطبري ٢٣/ ٢٢٣، عن السدي بسند حسن كما قال صاحب التفسير الصحيح ٤/١٩٩، قال: هي من قراءة عبد الله: (قالوا ما نعبدهم)، وعزاه إلى مجاهد: السيوطي في الدر المنثور ٧/٢١١، وذكرها الفراء في معاني القرآن ٢/٤١٤، وعبد الله إذا أطلق في التفسير فهو ابن مسعود، وقد نسب هذه القراءة لابن عباس ومجاهد: النحاس في معاني القرآن ٦/١٥٠ وكذلك صاحب البحر المحيط ٧/٥٥٢، وعلى أية حال فهي قراءة شاذة لا يقرأ بها ولعلها تفسير من ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في هذه الآية قراءتان؛ فمن قرأ: (لا نفرق) يكون في الكلام تقدير وهذا التقدير كلمة: "يقولون" لتكون: (يقولون لا نفرق بين أحد من رسله)، ومن قرأ بالياء (لا يفرق) وهو يعقوب، يكون المعنى: (لا يفرق بينه وبين أحد من الرسل) وهو الوجه الذي ذكره المؤلف هنا. انظر: تفسير الطبري ٣/١٧٩، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لشهاب الدين الدمياطي ص ٢١٤.

(٣) [ل ١١٧/أ].

الحكم في قوله في آل عمران: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ • فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ • وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ٥٥، ٥٦، ٥٧).

﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي**﴾ للحق والإيمان- فإنه من شاء الله يضلله ومن شاء يجعله على صراط مستقيم- ﴿**مَنْ هُوَ كَاذِبٌ**﴾ على الله تعالى، الذين قالوا: إن الأصنام تقربهم إلى الله زلفى بعبادتهم لها ﴿**كَفَّارٌ**﴾ كثير الكفر بالله ورسله وكتبه، والآية نحو: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (غافر: من الآية٢٨)، فإنه تعالى إنما يهدي من يستحق الهداية، أي الهداية الخاصة التي يتم بها النجاة كما قال: ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ (الرعد: من الآية٢٧)، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد: ١٧).

لما قال المشركون اتخذ الله ولداً كما حكاه عنهم ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ (البقرة: ١١٦) ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً...﴾ الآية (مريم: ٨٨، ٨٩)، وجعلوا لله مما خلق، بنين وبنات، بغير علم قال: ﴿**لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً**﴾بالتبني كما يتخذونه من بني آدم ويتبنونه، إذ اتخاذه بالولادة محال؛ فإنه تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (الإخلاص: ٣) وكما قال: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾ (الأنعام: من الآية١٠١)فلو فُرض اتخاذه تعالى ولداً بالتبني ﴿**لاصْطَفَى**﴾لاختار ﴿**مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ**﴾ لكنه لم يتخذ بل ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾ (مريم: ٩٣) ﴿**سُبْحَانَهُ**﴾ أنزهه عما يقولون ﴿**هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ**﴾الذي لا ولد له ولا شريك ﴿ **الْقَهَّارُ**﴾ لكل عظيم ولكل من في الأكوان واتصافه بالقهر لكل شي مع صفة الواحدية من أعجب الأشياء؛ لأن الواحد لا يتصف بالقهر

لكل شي ألا ترى أن نبي الله لوطاً[1] [ل١١٧/ب]، يقول لقومه: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (هود: من الآية٨٠) وقول قوم شعيب: ﴿لَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ (هود: من الآية٩١) فاتصافه بالواحدية والقهر خاصٌ به تعالى إذ غيره لا يكون كذلك.

﴿**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ**﴾ خلقاً متصفاً بالحقية كما قاله أولوا الألباب الذين يتفكرون في خلقهما: ﴿مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً﴾ (آل عمران: من الآية١٩١). ﴿**يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ**﴾ أي يُغشي كل واحد منهما الآخر كأنه يلفّه عليه لف اللباس على اللابس، أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة. ﴿**وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ**﴾ جعلهما منقادين لأمره ﴿**كُلٌّ**﴾ من الليل والنهار والشمس والقمر كما يدل له قوله ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٣) تقدمت في سورة الأنبياء ﴿**يَجْرِي**﴾ أي في فلكه ﴿**لأَجَلٍ مُسَمّىً**﴾ ينتهي جريه إليه، وهو يوم القيامة ﴿**أَلا هُوَ الْعَزِيزُ**﴾ الغالب لكل شيء ﴿**الْغَفَّارُ**﴾ كثير المغفرة فهو مع عزته يغفر لعباده، فمغفرته عن عزة وقهر لا عن ذل كما يقال في المخلوقين

كلُّ عَفْوٍ أَتى بِغَيرِ اقْتِدَارٍ حُجةٌ لاجيءٌ إليها اللِّئَامُ[2]

وذكر بعد[3]، خلق المظلّة والمقلّة[4] خلق ما فيهما فقال:

﴿**خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (النساء: من الآية١)

---

(١) قوله: "لوطاً" جاءت ملحقة بهامش الأصل، وعليه: "صح".

(٢) البيت لأبي الطيب المتنبي من قصيدة مطلعها: لا افْتِخارٌ إلاّ لِمَنْ لا يُضامُ، يمدح فيها أبا الحسين علي بن أحمد المري الخراساني وكان بينهما مودة، انظر: ديوان المتنبي ص ١٦٣ إلاّ أن فيه: كل حلم...

(٣) قوله: "ذكر بعد" جاء ملحقاً بالحاشية، وعليه: "صح".

(٤) أي السماء والأرض، فالسماء المظلة والأرض المقلة.

وهنا قال: ﴿**ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾ والجعل بمعنى الخلق[1]، وأتى هنا بحرف التراخي لأنه كان اتخاذها بعد اتخاذه بمهلة، وفي الأعراف: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (الأعراف: من الآية١٨٩). وزاد هنالك بيان الحكمة في جعله تعالى لزوجها بقوله: ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ (الأعراف: من الآية١٨٩)، كما قال تعالى في الكل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ (الروم: من الآية٢١) كما زاد في آية النساء: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً﴾ (النساء: من الآية١).

﴿**وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ**﴾ أي قضى وقدر لأن قضاؤه وتقديره يوصف بالنزول من السماء حيث [١١٨/أ] يكتب في اللوح المحفوظ[2]، وقيل: إنه تعالى خلقها في الجنة ثم أنزلها[3]. ﴿**ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ**﴾ فصّل إجمالها

---

(١) يكون الجعل بمعنى الخلق إذا تعدّى إلى مفعول واحد كقوله تعالى: ﴿وجعل الظلمات والنور﴾، أما إذا تعدى إلى أكثر من مفعول فإنه لا يكون بمعنى الخلق، بل يأتي في لغة العرب بعدة معاني؛ فيأتي بمعنى: صيّر كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾، وبمعنى: اعتقد، كقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَاتِ﴾ إلى غير ذلك من المعاني، انظر: البحر المحيط ٤٨/٤، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ١٣٤، و أضواء البيان ٢١٧/٣

(٢) ومما يشهد له: حديث أبي هريرة رضي الله عنه حيث قال: إنَّ نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا قَضى اللّهُ الأمرَ في السماء ضَرَبَتِ الملائكة بأجنحتِها خُضعاناً لقولِهِ، كأنه سلسلةٌ على صفوان، فإذا فُزِّعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحقّ وهو العليُّ الكبير، فيسمعُها مسترِقُ السمع ومسترقُ السمع هكذا بعضُه فوقَ بعض) -ووصف سفيانُ بكفِّه فَحَرَّفها وبدَّدَ بين أصابعه- (فيسمعُ الكلمةَ فيُلقيها إلى من تحتَه، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربَّما أدرك الشِّهابُ قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبلَ أن يدرِكهُ فيكذبُ مَعَها مائةَ كذْبة، فيقال: أليس قد قال لنا يومَ كذا وكذا: كذا وكذا، فيُصدَّق بتلك الكلمة التي سمع من السماء). انظر: صحيح البخاري كتاب التفسير، باب تفسير سورة سبأ ١٥١٣/٣ (٤٨٠٠)، وحديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله (لا يُغْني حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالدُّعاءُ يَنْفَعُ مِمّا نَزَلَ وَمِمّا لَمْ يَنْزِلْ، وَإِنَّ البلاء لَيَنْزِلُ فَيَتَلَقّاهُ الدُّعاءُ فَيَعْتَلِجانِ إلى يَوْمِ الْقِيامَةِ). انظر: المستدرك ٦٦٩/١ (١٨١٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٧٧٣٩.

(٣) قال الماوردي في تفسيره: "حكاه ابن عيسى". انظر: النكت والعيون للماوردي ١١٥/٥، ونسبه النسفي في =

قوله: ﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ (الأنعام: من الآية١٤٣) و﴿مِنَ الإبل اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ (الأنعام: من الآية١٤٤) أي من كل ذكرٍ وأنثى، والزوج اسم لواحد معه آخر فإذا انفرد كان وتراً وفرداً[١].

﴿**يَخْلُقُكُمْ**﴾ استئناف لبيان خلق الأناسي[٢] أطواراً مختلفة ﴿ **فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ**﴾ مصدر مؤكد[٣]، أي خلقاً من بعد خلق مدرجاً أطواراً، وقد بينه قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ • ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ • ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٢، ١٣، ١٤) وهذه هي الأطوار التي أشار إليها نوح عليه السلام بقوله: ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً • وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾ (نوح: ١٣، ١٤) وهي سبعة أطوار كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما في حديث ليلة القدر[٤].

﴿**فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ**﴾: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، ﴿**ذَلِكُمُ**﴾ إشارةٌ إليه تعالى باعتبار أفعاله المذكورة ﴿**اللَّهُ رَبُّكُمْ**﴾ مربيكم في هذه الأطوار ﴿**لَهُ الْمُلْكُ**﴾ كله ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾ (مريم: ٩٣) ومُلْك الدنيا والآخرة ﴿**لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ**

=

تفسيره للحسن. انظر: تفسير النسفي ٤٤٧/٢. قال الآلوسي بعد أن أورد هذا المعنى: "ولا أرى لهذا الخبر صحة". انظر: روح المعاني للآلوسي ٣١٧/٢٣.

(١) انظر: تفسير النسفي ٤٤٧/٢، وانظر مادة (زوج) في: لسان العرب ١٠٧/٦.

(٢) جمع إنسان. انظر: لسان العرب ٢٣٣/١.

(٣) انظر: الدر المصون ٤١١/٩، وتفسير أبي السعود ٣٨٠/٥.

(٤) أخرج الطبري في تفسيره ١١٤/٢٩ من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿وقد خلقكم أطواراً﴾ يقول: نطفة ثم علقة ثم مضغة، وهو إسناد حسن كما قال صاحب التفسير الصحيح ٤٦/١، وأما قول المؤلف في حديث ليلة القدر فلا أدري ماذا يقصد به.

﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ كيف تُصرفون عن عبادته مع تعدد موجباتها وأدلة تَعيّنها.

﴿إِنْ تَكْفُرُوا﴾ بالله مع مشاهدة آياته الدالة على وحدته وقهره وقدرته وحكمته **﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾** لا يحتاج إلى إيمانكم ولا ينفعه، كما لا يضره شرككم كما ثبت في الحديث الصحيح: (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجلٍ واحدٍ منكم لم يزد ذلك في ملكي شيئاً، ويا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجلٍ [١١٨/ب] منكم لم ينقص ذلك من ملكي شيئاً...) الحديث القدسي[١]. ومن أسمائه الحسنى: الغني. **﴿وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾** لأنه يضرهم كفرهم بالله ويوقعهم في غضبه وأليم عقابه، لا أن عدم رضاه لأمر عائد إليه ففي الحديث القدسي المتقدم: (يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضَرّي فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني)[٢] **﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾** لأنه سبب لسعادتكم في الدارين **﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾** بيان لكون كفر الكافر لا يسري إلى غيره ﴿وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا﴾ (الأنعام: من الآية١٦٤) ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر:٣٨) **﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** في دار الدنيا من شكر الشاكر وكفر الكافر **﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** يعلم ما تسرون وما تعلنون وخص مضمرات الصدور لِيُعلم أنه يعلم الظاهرات بالأولى.

﴿وَإِذَا مَسَّ الإنسان ضُرٌّ﴾ من مرض أو فاقه أو مخافة **﴿دَعَا رَبَّهُ﴾** فيكشف عنه ضره، وذلك عام لكل إنسان من مؤمن وكافر، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ (الإسراء: من الآية٦٧)، وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم ١٠٨/١٦ (٢٥٧٧).

(٢) المصدر السابق.

فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ -إلى قوله- ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...﴾ الآية (يونس: من الآية٢٢) وهو معنى قوله: ﴿**مُنِيباً إِلَيْهِ**﴾ راجعاً إليه مخلصاً له الدعاء، ونحو الآية: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإنسان الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً﴾ (يونس: من الآية١٢) ومثلها في هذه السورة كما سيأتي: ﴿فَإِذَا مَسَّ الإنسان ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ (الزمر: من الآية٤٩) ﴿**ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ**﴾ أعطاه ﴿نعمة منه﴾ كشف بها عنه ضره ﴿**نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ**﴾ أحد الأقوال أن كلمة (ما) بمعنى (من) أي من كان الله، وهو ربه تعالى، أو على أصلها والمراد: نسي الضر وهو نحو ﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإنسان كَفُوراً﴾ (الإسراء: من الآية٦٧) [١١٩/أ] ونحو: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإنسان أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾[1] (الإسراء: من الآية٨٣) ﴿**وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾ ليؤول به إلى الضلال عن سبيل الله ﴿**قُلْ تَمَتَّعْ**﴾ انتفع ﴿**بِكُفْرِكَ قَلِيلاً**﴾ ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ (التوبة: من الآية٣٨) ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ (النساء: من الآية٧٧) وهذا تهديد من باب ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (فصلت: من الآية٤٠) ونحو: ﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإنسان كَفُوراً﴾ (الإسراء: من الآية٦٧).

﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ**﴾ قائمٌ بالطاعات ﴿**آنَاءَ اللَّيْلِ**﴾ساعاته خص ساعات الليل كما خصها في قوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ (الإسراء: من الآية٧٩) وقوله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ (المزمل: ٦)[2]. وقد كان قيام الليل فرضاً ثم نسخه الله

---

(١) ومن الأقوال في معنى ما أنها بمعنى: الذي، أي نسى الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه. وقيل: ما بمعنى: مَن، أي نسي ربه الذي كان يتضرع إليه ويبتهل في كشف ضره. وقيل: ما مصدرية، أي نسي كونه يدعو. وقيل: تم الكلام عند قوله: ﴿نَسِيَ﴾، أي نسي ما كان فيه من الضر. وما نافية، نفى أن يكون دعاء هذا الكافر خالصاً لله مقصوراً من قبل الضرر. انظر: البحر المحيط ٥٥٦/٧، وروح المعاني ٣٢٣/٢٣.

(٢) والحكمة من تخصيص ساعات الليل بالقيام، لأجل فراغ القلب، من مشاغل الدنيا، وقد ذكر نحو هذا: ابن =

كما يأتي في سورة المزمل[1]. ﴿**سَاجِداً**﴾ قدّمه لأنه أشرف هيئات المصلي ولأن أقرب ما يكون العبد من الله وهو ساجد[2] وإلا فهو مؤخرٌ عن القيام فعلاً ﴿**وَقَائِماً**﴾[3]، ولذا قيل: ذِكْر القيام أفضل من ذكر السجود، وهيئة السجود أفضل من هيئة القيام[4]. ﴿**يَحْذَرُ الآخِرَةَ**﴾ حال من قوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ﴾[5]، أي عقاب الآخرة يخافه ﴿**وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ**﴾ أي قنوته صادر عن خوفه ورجائه، فهو ينظر تقصيره في القيام بحق خالقه فيخاف عذابه، وينظر في سعة عفوه وابتدائه بالإنعام فيرجو رحمته، فهو بين الخوف والرجاء وذلك أحسن حالات العبد، واعلم أنه حذف المقابل للقانت للعلم به وتقديره: أمّن ليس بقانت[6]، هو نحو الحذف في قوله: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ (الزمر: من الآية٢٢) فإنه حذف أَمّن لم يشرحه. ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ**

=

العربي في أحكام القرآن ١٦٥/٤.

(١) لكنه في الجزء المفقود من المخطوط، وأما مسألة فرضية قيام الليل فقد أورد الطبري في تفسيره١٦٨/٢٩ عن قتادة ، -في سورة المزمل أنه قال-: افترض الله القيام في أوّل هذه السورة، فقام نبيّ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء، ثم أنزل التخفيف في آخرها فصار قيام الليل تطوّعا بعد فريضة. وإسناده حسن كما تقدم ص ٦، و قال ابن عبد البر في التمهيد ١٢٤/٨، وأوجب بعض التابعين قيام الليل فرضاً ولو كقدر حلب شاة وهو شاذ متروك لإجماع العلماء على أن قيام الليل منسوخ عن الناس بقوله عز وجل ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ (المزمل: من الآية٢٠).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٤٨٢)، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء).

(٣) قوله: "وقائماً" جاء ملحقاً بحاشية الأصل وعليه: "صح".

(٤) انظر: كتاب الأذكار للنووي ص١١١، ومجموع الفتاوى لابن تيمية١١٤/٢٣، حيث نصّا على أن أذكار القيام أفضل من أذكار السجود، وهو كما قالا؛ لأن فيها قراءة القرآن، وهو أفضل الذكر، وقد نهينا عن تلاوته في الركوع والسجود.

(٥) انظر: تفسير أبي السعود٣٨٢/٥، وإعراب القرآن وبيانه للأستاذ محيي الدين الدرويش٤٩٧/٦.

(٦) انظر: نحو هذا الكلام في تفسير الطبري ٢٣٥/٢٣، وتفسير القرطبي ٢٢٨/١٥.

يَعْلَمُونَ﴾ بأفعال الخير فيفعلوها وبأفعال الشر فيتركوها **﴿وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾** شيئاً منهما **﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾**: ينتفع، **﴿أُولُو الأَلْبَابِ﴾**: أولوا العقول الكاملة.

﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ورسله **﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾** بفعل الطاعات وترك المقبّحات **﴿لِلَّذِينَ**[1] **أَحْسَنُوا﴾** قد فسّر صلى الله عليه وآله وسلم الإحسان في الحديث الصحيح أنه (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[2] **﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾** تعجل لهم هي نحو قوله في النحل: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ (النحل: من الآية ٣٠) فسّرت بالصحة والعافية، وفسرت بالجنة[3] **﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾** نحو: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ (العنكبوت: ٥٦) أي إنّ تَيَسُر العبادة مع سعة الأرض واقعٌ، فإن تعسرت في أرض هاجرتم إلى غيرها **﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ﴾** على الهجرة ومفارقة الأوطان والأحبة والإخوان وعلى كل أمر يحتاج إلى الصبر من فعل المأمور وترك المحظور والصبر على المقدور **﴿أَجْرَهُمْ﴾** على صبرهم **﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾**.

أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله إذا أحب عبداً أراد أن يصافيه صب عليه البلاء صباً ويحثه عليه حثاً، فإذا دعا قالت الملائكة: صوت معروف.

---

(١) [١١٩/ب].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان ١/٤٠ (٥٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قَدَر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه ١/١٣٥ (٨).

(٣) وممن فسرها بالصحة والعافية: السدي. انظر: تفسير الطبري ٢٣/٢٣٨، وممن فسرها بالجنة: مقاتل. انظر: البحر المحيط ٧/٥٥٨.

قال جبريل: عبدك فلان اقض حاجته. قال الله: دعه فإني أحب أن أسمع صوته. فإذا قال: يا رب قال الله تعالى: لبيك عبدي وسعديك، وعزتي لا تدعوني بشيء إلا استجبت لك، ولا تسألني شيئاً إلا أعطيتك، إما أن أعجل لك ما سألت وإما أن أدّخر لك عندي أفضل منه وإما أن أدفع عنك من البلاء أعظم منه). ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (وتنصب الموازين يوم القيامة لأهل الصلاة فيؤتون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الصيام فيؤتون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم [ديوان][(1)]، ويصبّ عليهم الأجر صباً بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية أنهم كانوا في الدنيا تقرض أجسادهم بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل)[(2)]. وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ[(3)] أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: من الآية١٠)

﴿**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ**﴾ هذا الأمر هو قول الله في أول السورة: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ (الزمر: من الآية٢)

﴿ **وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ وذلك في قوله: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (النمل: ٩١) أو من أولهم في هذه الأمة[(4)]، كما قال إبراهيم عليه

---

(١) في الأصل: "ميزان" والتصويب من مصادر التخريج.

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره مختصراً ٢٩٤/٥ وفي إسناده يزيد الرقاشي وقد مرّ القول بتضعيفه ص ٦٧، وأورده أيضاً المنذري في الترغيب والترهيب مختصراً بصيغة التضعيف ص٧٠٥ (٥١١٤)، وذكر جزءاً منه الزمخشري في الكشاف فعلق عليه الحافظ ابن حجر في الكاف الشاف وقال: "أخرجه الثعلبي وابن مردويه، من حديث أنس رضي الله عنه. وإسناده ضعيف جداً"، الكاف الشاف ١١٤/٤، وعزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور٦٠٥/٥، وقد ذكر قوام السنة الأصبهاني في كتابه الترغيب والترهيب، ٣٣٣/١ (٥٦١)هذا الحديث، وذكر إسناد ابن مردويه، وفيه يزيد الرقاشي، وقد تقدم أنه ضعيف.

(٣) [ل١٢٠/أ].

(٤) بل هو أولهم، وكل نبي هو أول أمته.

السلام[1]: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: من الآية١٦٣) وكما قال موسى عليه السلام[3]: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: من الآية١٤٣) وكما قال نوحٌ عليه السلام: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس: من الآية٧٢) فكل نبي أُمِر بأن يكون أول من أسلم من أمته، أي أمرت بذلك لأن أكون مقدمهم في الدنيا والآخرة، فما أدعوكم إلى أمرٍ إلا وأنا أول عاملٍ به، ولا أنهاكم عن شيءٍ إلا وأنا أول منتهٍ عنه.

﴿**قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ تقدم في يونس: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (يونس: من الآية١٥) إخبارٌ بأنه مع النبوة لا يرتفع الخوف من العصيان ومن العقوبة، ولذا قال الله تعالى: ﴿ولقد أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر: ٦٥) كما يأتي.

﴿**قُلِ اللَّهَ**﴾ تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر[2] ﴿**أَعْبُدُ**﴾ أي لا غيره ﴿**مُخْلِصاً لَهُ دِينِي**﴾ أمره الله[3]، تعالى ببيان كونه مأموراً بعبادة الله تعالى وإخلاص الدين له، ثم بالإخبار بخوفه من العذاب على تقدير العصيان، ثم بالإخبار بامتثال أمره على أبلغ وجه وآكده، إظهاراً لتصلبه في الدين وحسماً لأطماعهم الفارغة وتمهيداً لتهديدهم[4] بقوله: ﴿**فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ**﴾وهو نحو: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (فصلت: من الآية٤٠) ﴿**قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ**﴾ الكاملين في الخسران الذي هو عبارة عن إضاعة[5]، ما يهمه

---

(١) قوله: "عليه السلام" جاء ملحقاً بالحاشية، وعليه: "صح".

(٢) انظر: تفسير الرازي ٢٦/٢٥٥، وتفسير اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ١٦/٤٨٩.

(٣) لفظ الجلالة جاء ملحقاً بالحاشية، وعليه: "صح".

(٤) في الأصل: "ليهديهم"، والصواب ما أثبت، بعد الرجوع إلى تفسير أبي السعود ٥/٣٨٥ الذي ينقل عنه المؤلف كثيراً، وكذا جاءت على الصواب في روح المعاني للآلوسي ٢٣/٢٥٠.

(٥) قوله: "عن إضاعة" جاء ملحقاً بالحاشية، وعليها: "صح".

وإتلاف ما لابد منه ﴿**الَّــذِينَ خَسِــرُوا أَنْفُسَـــهُمْ وَأَهْلِــيهِمْ**﴾ [ل١٢٠/ب] باختيارهم لهما الكفر أي أضاعوهما وأتلفوهما ﴿**يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾وكانوا مـــأمورين بأن يقوا أنفسهم وأهليهم العذاب ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ[1] نَــاراً﴾ (التحـريم: ٦) ﴿**أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**﴾ أي لا خسران أعظم منه وتقــدم في الحـــج: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ -إلى قوله:- ﴿خَسِرَ الـــدُّنْيَا وَالآخِـــرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الحج: من الآية١١) ثم أبان تعالى نوعا من عذابهم بقولـــه: ﴿**لَهُمْ**﴾ أي أهل الخسران المبين ﴿**مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ**﴾ أي ظلـــل كائنة من فوقهم ظلل كثيرة [متراكمة][2] بعضها فوق بعـــض ﴿**وَمِـــنْ تَحْتِهِمْ**﴾ أيضاً ﴿**ظُلَلٌ**﴾ أطباق كبيرة بعضها تحت بعض، لا لآخرين بـــل لهم أيضاً عند نزولهم في الدرجات، وهؤلاء هم الذين عبـــدوا الطـــاغوت كما يدل عليه ذكر من لم يعبدها ﴿**ذَلِكَ**﴾ العذاب الذي ﴿**يُخَوِّفُ اللَّـــهُ بِهِ عِبَادَهُ**﴾ ويحذرهم إياه ليتجنبوا ما يوقعهم فيه ﴿**يَا عِبَـــادِ فَـــاتَّقُونِ**﴾ موعظة من الله نافعة منطوية على غاية اللطف والرحمة.

﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ فعلوت من الطغيان، بُني للمبالغة كالرحموت، أي البالغ غاية الطغيان[3]، والمراد به هنا الشيطان. أخرج عبد بن حميد وابن جرير عـــن مجاهد ﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ قال: الشيطان[4]. ومثله [أخـــرج][5] ابـــن

---

(١) قوله: "العذاب قوا أنفسكم وأهليكم" جاء ملحقاً بالحاشية وعليها: "صح".

(٢) في الأصل: "لا متراكمة"، والصواب ما أثبت بالرجوع إلى تفسير أبي السعود ٢٤٨/٧ الذي ينقل عنه المؤلف كثيراً، وكذا جاءت على الصواب في تفسير الآلوسي ٢٥١/٢٣.

(٣) انظر: مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص ٥٢٠، ٥٢١، والكشاف ١١٦/٤.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٤٠/٢٣ من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد به، وهو إسناد حســـن، انظر: العجاب ٢٠٤/١، والتفسير الصحيح ٥٨/١، وعزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور ٦٠٧/٥.

(٥) في الأصل بياض، انظر ص ٨٨ تعليق (١).

جرير، وابن أبي حاتم عن ابن زيد[1]، قال: الطاغوت هنا: الشيطان هو هاهنا واحد وهي جماعة[2]، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإنسان مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (الانفطار: ٦) قال: هي للناس كلهم، ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ إنما هو واحد[3]، فقوله ﴿**أَنْ يَعْبُدُوهَا**﴾ أي الشياطين، وهو بدل اشتمال[4] منهم، أي اجتنبوا عبادة الشياطين، لأن عبادة غير الله عبادةٌ للشياطين لأنهم الآمرون، ولذا قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ (يّس: من الآية٦٠) ﴿**وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ**﴾ أقبلوا إليه معرضين عما سواه قال تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ﴾ (الروم: من الآية٣١) ﴿**لَهُمُ الْبُشْرَى**﴾ بالثواب[ل١٢١/أ] على ألسنة الرسل، كما قال في الرسل: ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ (البقرة: من الآية٢١٣) وفي رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً، مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً﴾ (الكهف: ٣) وعلى ألسنة الملائكة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وأبشروا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت: ٣٠) ﴿ **فَبَشِّرْ عِبَادِ**﴾ هم المرادون بقوله: ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ (الزمر: من الآية١٦) الموصوفون بالاجتناب والإنابة[5]، الموصوفون بقوله:

---

(١) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني، العدوي مولاهم، صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيراً في مجلد، قال ابن حجر: "ضعيف"، مات سنة ١٨٢هـ، انظر: السير ٣٤٩/٨ (٩٤)، والتقريب ص٥٧٨ (٣٨٩٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٤٠/٢٣، موقوفاً على ابن زيد ، وعزاه لابن أبي حاتم : السيوطي في الدر المنثور ٦٠٧/٥.

(٣) أي إنما القائل واحد، وهذا من كلام ابن زيد، ولم يورده الطبري في الأثر المتقدم، وإنما نسبه لابن زيد السيوطي في الدر المنثور ٦٠٧/٥.

(٤) انظر: الكشاف١١٦/٤، وتفسير البيضاوي١٩١/٨، والدر المصون ٤١٩/٩.

(٥) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ =

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ أي قول الله وقول رسله وقول العلماء، وهؤلاء هم ضد الذين في قلوبهم زيغ، فإنهم متبعون للمتشابه من آيات الله ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وأما الذين استمعوا القول فاتبعوا أحسنه،[1] قصة أبي الدحداح[2] لما سمع قوله تعالى: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ فإنه وقّف في سبيل الله أحب أمواله إليه وقال له صلى الله عليه وآله وسلم: (مالٌ رابح)، وهي معروفةٌ في كتب الحديث والتفسير[3].

=

(الزمر: ١٧).

(١) الذي يظهر أنه يوجد هنا سقط، ومقصود المؤلف: كما في قصة أبي الدحداح.

(٢) أبو الدحداح الأنصاري، قال ابن عبد البر في الاستيعاب: لا أقف له على اسم، ولا نسب أكثر من أنه من الأنصار حليف لهم، ونقل كلامه هذا ابن حجر في الإصابة. عاش إلى زمن معاوية. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر القرطبي ١٦٤٥/٤ (٢٩٣٩)، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ١١٩/٧ (٩٨٥٨).

(٣) الذي يبدو أن القصة التي أشار إليها المؤلف هي قصة أبي طلحة وهي التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: (مال رابح)، وقد أخرجها البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ -إلى- ﴿به عليم﴾ ١٣٨١/٣ (٤٥٥٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد ولو كانوا مشركين ٧٣/٧ (٩٩٨)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وأما قصة أبي الدحداح فأخرجها أحمد في مسنده ٤٧٢/١٠ (١٢٤٢١)، وابن حبان في صحيحه ٢٣٤/١٠، والطبراني في المعجم الكبير ٣٠٠/٢٢ (٧٦٣)، والحاكم في مستدركه ٢٤/٢ (٢١٩٤) عن أنس بن مالك: أن رجلاً قال: يا رسول الله إنّ لفلان نخلة وأنا أقيم حائطي بها فمره أن يعطيني أقيم حائطي بها فقال له النبيّ: (أعطها إِيّاهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ). فأبى، وأتاه أبو الدحداح، فقال: بعني نخلتك بحائطي، قال: ففعل، قال: فأتى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إني قد ابتعت النخلة بحائطي فاجعلها له، فقال النبيّ: (كَمْ مِنْ عِذْقٍ رَداحٍ لأَبِي الدَّحْداحِ فِي الْجَنَّةِ)، مراراً، فأتى امرأته فقال: يا أمّ الدحداح اخرجي من الحائط؛ فإني بعته بنخلة في الجنة، فقالت: قد ربحت البيع، أو كلمة نحوها. قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الألباني: "هو كما قالا". انظر: السلسلة الصحيحة ١١٣٢/٦، وكلا القصتين أعني قصة أبي طلحة وقصة أبي الدحداح تدل على مقصود المؤلف من استماع القول واتباع أحسنه فهي في قصة أبي طلحة واضحة جلية، وأما في قصة أبي الدحداح فيدل عليها رواية البيهقي في شعب الإيمان لهذه القصة وهي:
=

أخرج جويبر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: لما نزلت ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ (الحجر: من الآية٤٤) أتى رجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا رسول الله إن لي سبعة مماليك وإني قد أعتقت لكل باب منها مملوكاً. فنزلت هذه الآية ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ • الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الزمر: من الآية١٧، ١٨)(١).

وأخرج سعيد بن منصور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لولا ثلاث لسرني أني قد مِتُ لولا أن أضع جبيني لله، وأجالس أقواماً يلتقطون طيب الكلام كما يلتقطون طيب التمر، والسير في سبيل الله(٢). والآية نحو قوله ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ...﴾ الآية (الشورى: من الآية٤٧) ونحو ما يأتي قريباً: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ...﴾ الآية (الزمر: من الآية٢٣) ﴿**أُولَئِكَ**﴾ الموصوفون [ل١٢١/ب] بما ذُكر ﴿**الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ**﴾ للدين الحق هداية خاصة(٣) ﴿**وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ**﴾ فهم الذين يتذكرون كما قال

=

عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾. قال أبو الدحداح الأنصاري: يا رسول الله وإن الله ليريد منا القرض؟. قال: (نعم يا أبا الدحداح). قال: أرني يدك يا رسول الله. قال: فتناول يده. قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي. قال: وحائطه فيه ستمائة نخلة، وأم الدحداح فيه وعيالها. قال: فجاء أبو الدحداح فناداها: يا أم الدحداح. فقالت: لبيك. فقال: اخرجي فقد أقرضته ربي. انظر: شعب الإيمان٥/١٢٥ (٣١٧٨)

(١) عزاه لجويبر: السيوطي في الدر المنثور٥/٦٠٧، وذكره أيضاً في أسباب النزول، ولم أجد من ذكره غير السيوطي رحمه الله، وجويبر يقال: اسمه جابر وقد مر القول بتضعيفه ص ١٠٠.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه ٣٥٩/٢ (٢٨٥٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه ٣٣/٧ (١٩٦٤٧)، وابن أبي عاصم في كتاب الجهاد، ومدار الأثر على حبيب بن أبي ثابت وهو ثقة جليل. انظر: السير ٢٨٨/٥ (١٣٧)، والتقريب ص٢١٨ (١٠٩٢)، وقد رواه عن ثقة أيضاً وهو يحيى بن جعدة كما في ثقات ابن حبان ٥٢٠/٥، والتقريب ص١٠٥١ (٧٥٧٠).

(٣) أي هداية التوفيق، لأن الهداية قسمان هداية عامة، وهي الدلالة والإرشاد، وهداية خاصة، وهي هداية =

تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ (الزمر: من الآية٩) أي هم أهل العقول الكاملة الذين يستحقون الهداية[(١)].

﴿**أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ**﴾ بيان لأحوال أضداد المذكورين[(٢)] على قاعدة القرآن في قرنه لأحوال الأبرار بأحوال الفجار ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ (الانفطار: ١٣، ١٤) والمراد بكلمة العذاب قوله تعالى لإبليس: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (السجدة: من الآية١٣) ولحقوق كلمة العذاب أقر الذين سيقوا من الكفار إلى جهنم زمراً، لما قالت لهم الملائكة: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (الزمر: من الآية٧١) ﴿**أَفَأَنْتَ**﴾ بإبلاغك إياهم الآيات ﴿**تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ**﴾ وقد صاروا محكوماً عليهم أنهم من أهلها حتى كأنهم قد صاروا فيها، والآية تسلية له صلى الله عليه وآله وسلم بأنه لا ينفع التذكير من حق عليه كلمة العذاب نحو: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة: من الآية٦)وهؤلاء هم الذين سبق قريباً أن لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل[(٣)]، ولذا استدرك[(٤)] تعالى من هم بضد حالهم فقال: ﴿**لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ**﴾

=

التوفيق، انظر: أضواء البيان ٨/٢١٦.

(١) يعني كملت باتباع الحق، فاستحقت الهداية لذلك، وهي الخالصة من شوائب الخلل، كما سيبينه المؤلف قريباً.

(٢) أي المذكورين سابقاً وهم الذين هداهم الله.

(٣) انظر ص ١٤٣ من هذا البحث.

(٤) هكذا في الأصل، ولو قال: (استثنى) لكانت العبارة أسلم، لأن الاستدراك محاولة إدراك الشيء، انظر: لسان العرب، والله عز وجل لا يوصف بالمحاولة، وإنما إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

وهم الذين خوطبوا بقوله: ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ (الزمر: من الآية١٦) ووصفوا باجتناب عبادة الطاغوت وبالإنابة، وهم أيضا المرادون بقوله فيما تقدم: ﴿يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ...﴾ الآية (الزمر: من الآية١٠) فبين حالهم كما بين ما لأضدادهم فقال: ﴿**لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ**﴾ أي درجات عالية في جنات النعيم، لمقابلة ما للكفار من دركات سافلة في الجحيم ﴿**مَبْنِيَّةٌ**﴾ بناء المنازل المؤسسة على الأرض ﴿**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ**﴾ الأربعة ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفّىً...﴾ الآية (محمد: من الآية١٥) ﴿**وَعْدَ اللَّهِ**﴾ مصدر مؤكد[1] لقوله: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا...﴾ الخ فإنه وعدٌ وأيُ وعدٍ ﴿**لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ**﴾ لاستحالة الخلف عليه تعالى إنما يخلف الميعاد الكاذب أو العاجز، وذلك محال في حق الله تعالى.

﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**﴾ استئناف إما لتمثيل الحياة الدنيا في صورة الزوال وسرعة الاضمحلال بما ذكر من أحوال الزرع ترغيباً عن زخارفها وزينتها وتحذيراً من الاغترار بزهرها كما في قوله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ (يونس: من الآية٢٤) وما يترتب عليه من آثار قدرته[2] ﴿**فَسَلَكَهُ**﴾ أدخله ﴿**يَنَابِيعَ**﴾ جمع ينبوع كما ﴿قالوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً﴾ (الإسراء: من الآية٩٠) والمراد: عيوناً ومجاري كالعروق في الأجساد ﴿**ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ**﴾ تقدم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا﴾ (فاطر: من الآية٢٧) في فاطر، وفي النحل أعم من ذلك: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ﴾

---

(١) انظر: الكشاف ١١٧/٤، والبحر المحيط ٥٦١/٧، والدر المصون ٤٢٠/٩.

(٢) الذي يظهر أن الكلام فيه سقط، ويدل عليه قول المؤلف: [إما] وهذا الكلام منقول بنصه من أبي السعود، وقد ذكر تتمة الكلام هناك فقال: "أو للاستشهاد على تحقق الموعود من آثار قدرته تعالى وإحكام حكمته ورحمته". انظر: تفسير أبي السعود٣٨٧/٥.

(النحل: من الآية١٣) من أخضر وأحمر وأصفر ﴿**ثُمَّ يَهِيجُ**﴾ يتم جفافه ﴿**فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً**﴾ بعد خضرته ونضرته ﴿**ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً**﴾ فُتاتاً [مكسّراً][١] ﴿كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾ (يونس: من الآية٢٤) ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ**﴾ إشارة إلى ما ذُكر تفصيلاً[٢] ﴿**لَذِكْرَى**﴾ لتذكيراً عظيماً ﴿**لأُولِي الأَلْبَابِ**﴾ أصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل يثبتون به حقيقة حال الدنيا فلا يغترون ببهجتها، وقد قدمنا وجه تشبيه الدنيا بالماء[٣].

﴿**أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ**﴾ تقدم أنه من يرد الله هدايته ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ (الأنعام: من الآية١٢٥) وهذا استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى بأولي الألباب[٤] وشرح الصدر للإسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له؛ فإن الصدر محل القلب كما دل له قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: من الآية٤٦) أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ قلت: يا رسول الله كيف انشراح الصدر؟ قال: (إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح) قلنا: فما علامة ذلك يا رسول الله قال: (الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والتأهب للموت قبل نزول الموت)[٥] انتهى.

---

(١) في الأصل: "مكسر"، وانظر: تفسير القرطبي ٢٤٦/١٥.

(٢) أي من إنزال الماء من السماء وإدخاله في الأرض ينابيع ثم إخراج الزرع مختلفاً ألوانه ثم هيجانه واصفراره ثم جعله حطاماً.

(٣) تقدم عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً... ﴾ الآية في أول هذه الآية.

(٤) انظر: تفسير أبي السعود ٣٨٨/٥، وتفسير الآلوسي ٣٣٨/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٤/٨، وقال أحمد شاكر: "وهذا خبر ضعيف أيضاً، لضعف أحاديث سعيد بن عبد الملك بن واقد الحراني عن محمد بن سلمة كما ذكر أبو حاتم، ثم لأن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه عبد الله بن مسعود "أ.هـ. انظر: تفسير الطبري بتحقيق أحمد شاكر ١٠١/١٢، وأخرج هذا الأثر أيضاً الثعلبي في =

وشرح الصدر مطلوب عظيم؛ فإن موسى عليه السلام لما أمره الله تعالى بالذهاب إلى فرعون ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ (طـه: ٢٥) وقال الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الشرح: ١) ﴿**فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ**﴾ النور من الله استضاءة القلب [فيرى][1] كل ما فيه النجاة فيأتيه وكل ما فيه الهلاك فيتركه. ومن الأدعية النبوية: (اللهم اجعل في قلبي نوراً...) الحديث بطوله[2] وقال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (النور: من الآية٤٠) ومقابل من شرح الله صدره، من يرد أن يضله، يجعل صدره ضيقاً حرجاً، ﴿**فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ أي مِنْ تَرْكِها ذكر الله؛ فإن بذكره تطمئن القلوب وهم أهل القلوب الغافلة الذين حذر الله رسوله عن طاعتهم ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا...﴾ الآية (الكهف: من الآية٢٨) ﴿**أُولَئِكَ**﴾ القاسية قلوبهم ﴿**فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ من الحق[3]، ﴿**مبين**﴾ ظاهرٌ كونه ضلالاً لكل أحد. ويأتي: ﴿أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾ (الشورى: من الآية١٨) في الشورى.

=

تفسيره ٢٩٧/٥، وفي سنده أبو فروة الرهاوي، قال الحافظ ابن حجر في الكاف الشاف١١٨/٤: "أبو فروة الرهاوي فيه كلام". وقال عنه في التقريب: "متروك". انظر: التقريب ص١٠٧٦ (٧٧٧٨)، وأخرج الأثر أيضاً الحاكم في مستدركه ٣٤٦/٤، والبيهقي في شعب الإيمان ١٣٣/١٣ (١٠٦٨)، وفي سندهما عدي بن الفضل، قال في التقريب: "متروك" ص٦٧٢ (٤٥٧٧)، والحديث ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٩٦٥)، وقال السيوطي في الإتقان عن الحديث: "مرسل له شواهد كثيرة متصلة ومرسلة يرتقي بها إلى درجة الصحة أو الحسن". انظر: الإتقان ص٤٢٦.

(١) ما بين المعقوفتين ليست في الأصل، ويقتضيها السياق.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه بالليل ١٩٨٧/٤ (٦٣١٦) ولفظه: (اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يساري نوراً، وفوقي نوراً، وتحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً، واجعل لي نوراً)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ٣٩/٦ (٧٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أي عن الحق، وتأتي (من) بمعنى (عن)، انظر: كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لعبد الله بن يوسف بن هشام ٦٩٠/١.

﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ**﴾ وهو القرآن، وقد سماه الله حديثاً في قوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (المرسلات: ٥٠) وسماه: أحسن القصص ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ (يوسف: من الآية٣).

[أخرج][(١)] ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالوا: يا رسول الله لو حدثتنا، فأنزل الله تعالى: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ**﴾[(٢)]. ﴿**كِتَاباً**﴾ بدل من أحسن[(٣)] ﴿**مُتَشَابِهاً**﴾ صفةً له. [أخرج][(٤)] ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يشبه بعضه بعضاً ويرد بعضه إلى بعض[(٥)]. [أخرج][(٦)] ابن المنذر وابن جرير عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿**مُتَشَابِهاً**﴾ قال: يفسر بعضه بعضاً [ل١٢٢/أ]، ويدل بعضه على بعض[(٧)]، ﴿**مَثَانِيَ**﴾ صفة ثانية[(٨)] [أخرج][(٢)] عبد

---

(١) ما بين المعقوفتين في موضعه بياض في الأصل وانظر تعليق ١ ص ٨٨.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٤٦/٢٣، من طريق نصر بن عبد الرحمن الأودي، عن حكام بن سلم، عن أيوب بن موسى، عن عمرو الملائي، عن ابن عباس، به، ونصر بن عبد الرحمن شيخ الطبري: ثقة، انظر: تحقيق أحمد شاكر (٤٢٣) ٣٣٩/١، وحكام بن سلم أبو عبد الرحمن الرازي الكناني ثقة له غرائب. انظر: السير ٨٨/٩ (٢٦)، والتقريب ص٢٦١ (١٤٤٦)، وأيوب بن موسى مكي ثقة حافظ انظر: تحقيق أحمد شاكر (٥٠٧٩) ٨٤/٥، وعمرو الملائي هو عمرو بن قيس الملائي ثقة متقن عابد، انظر: السير ٢٥٠/٦ (١١٢)، والتقريب ص٧٤٣ (٥١٣٥)، وله شاهدٌ أخرجه ابن حبان في صحيحه ٤٨/٩، والحاكم في مستدركه ٣٧٦/٢، عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، وقد صححه الألباني. انظر: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان ٤٨/٩.

(٣) انظر: الكشاف ١١٨/٤، والبحر المحيط ٥٦٢/٧.

(٤) ما بين المعقوفتين في موضعه بياض في الأصل وانظر تعليق ١ ص ٨٨.

(٥) لم أجده في تفسير ابن أبي حاتم وذكره ابن كثير في تفسيره عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، ولم يذكر إسناداً له، انظر: تفسير ابن كثير ٧٧/٤، وعزاه لابن أبي حاتم: السيوطي في الدر المنثور ٦١٠/٥

(٦) ما بين المعقوفتين في موضعه بياض في الأصل وانظر تعليق ١ ص ٨٨.

(٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٤٥/٢٣، بإسنادٍ جيد كما قاله أحمد شاكر، انظر: تحقيقه على تفسير الطبري ٤٧٢/١، وعزاه لابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور٦١٠/٥.

(٨) انظر: تفسير أبي السعود٣٨٨/٥، وتفسير الآلوسي٣٤٠/٢٣.

بن حميد وابن جرير عن أبي رجاء[1] قال: سألت الحسن عن قول الله تعالى: ﴿كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ﴾ قال: ثنى الله فيه القضاء؛ يكون في هذه السورة الآية وفي السورة الأخرى الآية تشبهها[2]. والمراد: ما ثنى فيه من قصص رسله ومن أنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده.

﴿**تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ**﴾ الاقشعرار: التقبض. يقال: اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضاً شديداً. يقال: اقشعر جلده وقَفّ شعره: إذا عرض له خوف شديد من أمر هائل دهمه بغتة[3].

[أخرج][2] عبد بن حميد وعبد الرزاق وابن المنذر عن قتادة قال: هؤلاء أولياء الله، نعتهم الله، تقشعر جلودهم، وتبكي أعينهم، وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم، إنما هذا في أهل البدع، وإنما هو من الشيطان[4]. ﴿**ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ أي إذا سمعوا ذكر رحمة الله والجنة اطمأنت وسكنت إلى ذكر الله -وهو بضد القاسية قلوبهم من ذكر الله- فهؤلاء هم بين الترهيب والترغيب والوعيد ﴿ **ذَلِكَ**﴾ أي ما شرحه الله من [أحوالهم][5] ﴿**هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾ أي هدى الله إياهم ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ

---

(١) هو محمد بن سيف الحُدّاني، أبو رجاء الأزدي، وكان ثقة، من أهل البصرة، يروي عن الحسن. انظر: الطبقات لابن سعد٧/١٩١، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٧/٣٧٣ (١٣٠٦٢)، والتقريب ص٨٥٣

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/٢٤٥، بإسناد رجاله ثقات تقدم الكلام عليهم، انظر: ص ٤٩، وعزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور ٥/٦١٠.

(٣) انظر: الكشاف ٤/١١٩، وتفسير أبي السعود ٥/٣٨٩، والتحرير والتنوير ٢٣/٣٨٨، وانظر مادة (قشعر) في لسان العرب ١١/١٧٤.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٣/١٣٠ (٢٦٢٦)، وإسناده صحيح تقدم الكلام عليه ص٥٦، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور ٥/٦١٠.

(٥) في الأصل: "أقوالهم" والتصويب من تفسير أبي السعود، والسياق يقتضي ذلك أيضاً.

هُدىً﴾ (محمد: من الآية١٧) ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة: من الآية٢١٣) والقاسية قلوبهم في ضلال مبين.

[أخرج][1] مسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباد[2] كالكوز[3] مُجَخّياً[4] لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه)[5]. ﴿**وَمَنْ يُضْلِلِ**[6] **اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾ يخلصه من ورطة ضلاله لكنه تعالى لا يضل إلا من يستحق العقوبة بالإضلال، قال تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾ (البقرة: من الآية٢٦).

﴿**أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ أي للعذاب السيئ وهو الكافر بها[7] تغل يده، فلا يجد ما يتقي به وقوع العذاب في وجهه فلا

---

(١) ما بين المعقوفتين في موضعه بياض في الأصل وانظر تعليق ١ ص ٨٨.

(٢) من ارْبَدَّ، و ارْبادَّ، ويريد اربداد القلب من حيث المعنى لا الصورة، قال أبو عبيدة: الُربْدة لون بين السواد والغبرة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٦٢٤/١، ٦٢٥، ولسان العرب ١٠٦/٥.

(٣) كاز الشيء كوزاً: جمعه، والكوز من الأواني معروف، وهو مشتق من ذلك، والجمع أكواز، وكيزان، وكوزة، قال ابن الأثير: "يكتاز، أي يغترف بالكوز". انظر: النهاية لابن الأثير ٥٦٩/٢، ولسان العرب ١٨٦/١٢.

(٤) مجخياً أي مائلاً، والمجخي المائل عن الاستقامة، والاعتدال. انظر: النهاية لابن الأثير ٢٣٨/١، ولسان العرب ١٩٤/٢.

(٥) انظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، وإنه يأرز بين المسجدين ١٤٩/١ (١٤٤).

(٦) [ل١٢٢/ب]

(٧) لم يتضح لي مقصود المؤلف بقوله (بها) إلا أن يكون قصده الكافر بالمثاني المتقدم ذكرها.

يتقي إلا به، والآية نظير ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمَّنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (فصلت: من الآية٤٠) وقد حذف هنا مقابل الأول والتقدير: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب أمن يأتي آمناً. وقوله: ﴿**وَقِيلَ**﴾ أي يقول خزنة جهنم: ﴿**لِلظَّالِمِينَ**﴾: ﴿**ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ**﴾ لأنفسكم.

﴿**كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ مِنْ قَبْل مَنْ كذلك، وهي الأمم الماضية التي كذبت رسلها ﴿**فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ**﴾ أي الأدنى ﴿**مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ**﴾ نحو: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (الزمر: من الآية٤٧) وذلك كأصحاب عاد رأوا السحاب فقالوا: ﴿هذا عارض ممطرنا﴾ فاحتسبوا[(١)] إغاثة لهم وغيثاً يصيب أرضهم، قال الله: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الأحقاف: من الآية٢٤)

﴿**فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ وهو الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والسبي والإجلاء ﴿**وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ**﴾ الذي أعدّه لهم ﴿**أَكْبَرُ**﴾ لشدته ودوامه، ﴿**لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ لو كان من شأنهم العلم لعلموا واعتبروا.

﴿**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ**﴾ كما ضرب تعالى الأمثال في غيره، ففي الزبور سورة كاملة يقال لها: سورة الأمثال[(٢)] ﴿**مِنْ كُلِّ مَثَلٍ**﴾ يحتاج إليه الناظرون في أمر الدين ﴿**لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ وقد قدمنا ما في الأمثال من الفوائد[(٣)].

---

(١) هذه الكلمة أصلها: حسب، ومن معانيها: ظن، وقد أدخل عليها المؤلف رحمه الله الألف وتاء الافتعال، وهي تدخل على الفعل الثلاثي، كما في قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (الزمر: من الآية ٤٧) قال في البحر المحيط: "ظهر لهم خلاف ما كانوا يظنون، وما كان في حسابهم"، انظر: البحر المحيط ٥٧٥/٧.

(٢) لم أجد من نص عليه، غير أن الزمخشري والسيوطي ذكرا أن في الأنجيل سورة يقال لها: الأمثال. انظر: الكشاف١/٧٩، الإتقان٢/٢٨٤.

(٣) في سورة العنكبوت عند قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ (العنكبوت: =

﴿**قُرْآناً عَرَبِيّاً**﴾ جعلناه كذلك لأن العربية أقرب اللغات إلى فهم عباراتها، كما قال في صدر سورة يوسف: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: ٢) ﴿**غَيْرَ ذِي عِوَجٍ**﴾: لا اختلاف فيه ولا تناقض ﴿**لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾.

﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً**﴾ هو مفعول ضرب الأول، ومفعوله [ل١٢٣/أ] الثاني: مثلاً، قُدِّم على الأول للتشويق إليه، وليتصل به ما هو من تتمته[١]. ﴿**فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ**﴾ متنازعون مختلفون، سيئة أخلاقهم أي جماعة يتجاذبونه ويتعاورونه[٢] في مهمّاتهم المتباينة ﴿**وَرَجُلاً سَلَماً**﴾ أي خالصاً ﴿**لِرَجُلٍ**﴾ فرد ليس لغيره فيه شركة ولا له عليه سبيل.

[أخرج][٣] ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية قال: الرجل يعبد آلهة شتى. فهذا مثل ضربه الله لأهل الأوثان. ﴿وَرَجُلاً سَلَماً﴾ يعبد إلهاً واحداً. ضرب لنفسه مثلاً[٤]. ﴿**هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً**﴾ إنكار واستبعاد لاستوائهما، ونفي له على أبلغ وجه وآكده، وإيذان بأن ذلك من الجلاء والظهور بحيث لا يمكن أحدٌ أن يتفوه باستوائهما ضرورة أن أحدهما في أعلى عليين والآخر في أسفل سافلين. ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾ تقرير لما مثله من نفي الاستواء وتنبيه للموحدين بما لهم من المزية

=

٤٣).

(١) انظر: تفسير أبي السعود٥/٣٩١، وتفسير الآلوسي ٢٣/٣٤٤.

(٢) تعاور القوم فلاناً واعتوروه ضرباً: إذا تعاونوا، فكلما كف واحد ضرب آخر، وتعاوروا الشيء: تداولوه فيما بينهم، وهو المعنى المراد هنا. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس ٢/١٩٧، مادة (عور)، ولسان العرب٩/٤٧١.

(٣) ما بين المعقوفتين في موضعه بياضٌ في الأصل، وانظر تعليق ١ ص ٨٨.

(٤) أخرجه الطبري بلفظ مقارب في تفسيره ٢٣/٢٤٩، وفي سنده عطية العوفي، وهو ضعيف، تقدم الكلام عليه ص٦٧، وهو في تفسير ابن أبي حاتم ١٠/٣٢٥٠ (١٨٣٨٦).

بتوفيق الله وأنها نعمة جليلة إفرادهم لله بعبادته. ﴿**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾ وهم المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره.

﴿**إِنَّكَ**﴾ يا محمد ﴿**مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ**﴾ الذين بُعثت إليهم ﴿**مَيِّتُونَ**﴾ قيل: إنها قالت قريش إن محمد يموت ونستريح من دعوته النبوة، كما قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ (الطور: ٣٠) أي الموت ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ (الطور: ٣١) لموتكم.

﴿**ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ**﴾ نحو: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ (الحج: من الآية١٩) فيحتج عليهم الرسول بالإبلاغ إليهم ما أرسل به من الآيات، وهو قول الله: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأعراف: ٦).

﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ**﴾ أي أظلم من كل ظالم: من افترى على الله الكذب بإدعاء أنه أَمَرَهم بالمعاصي: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ (الأعراف: من الآية٢٨) ومثل قولهم: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً﴾ (البقرة: من الآية١١٦) ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ﴾ -إلى قوله-: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: من الآية٣٣) [ل١٢٣/ب] ﴿**وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ**﴾ وذلك حين قال الكافرون: ﴿هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (ص: من الآية٤) أي بالأمر الذي هو عين الحق ونفس الصدق ﴿**إِذْ جَاءَهُ**﴾ على لسان الصادق الأمين ﴿**أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكَافِرِينَ**﴾ (الزمر: الآية٣٢) أي لهؤلاء الذين افتروا على الله الكذب وكذَّبوا رسوله الذي أتاهم بالحق أو [لكل][1] الكافرين الذين هؤلاء من أفرادهم.

﴿**وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ**﴾ وهو رسوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿**وَصَدَّقَ بِهِ**﴾ وهم أتباعه ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ المتصفون بأشرف الصفات.

---

(١) قوله: "لكل" جاء ملحقاً بالحاشية، وعليه: "صح".

﴿**لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾ من حسن المآب والسلامة من الفـزع الأكبر وغيره من أهوال يوم القيامة ﴿**ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ**﴾.

﴿**لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا**﴾ في دار الدنيا؛ إذ لا يخلو عبدَ الله عن المخالفة[1] -إلا من عصمه الله- وتكفير السيئ عنهم بالأُوْلى. ﴿**وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ ويجزيهم بحسنها[2] أيضاً كما دل له ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧). لَمَّا خوف المشركون رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم من آلهتهم قال تعالى: ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**﴾ إنكار ونفي لعدم كفايته تعالى على أبلغ وجه[3]. والمراد بعبده: محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والجنس الداخل فيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، دخولاً أولياً وأولوياً، أي ولعباده كل مُهِمٍ من أمور الدين والدنيا، فكفى عباده المهمات من أمور الدين ببعثه الرسل وإنزال الكتب ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ...﴾ الآية (العنكبوت: من الآية٥١) وكفاهم مهمات الدنيا وشرور بعضهم بعضاً بدفاعه الفساد ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾ (البقرة: من الآية٢٥١) ﴿**وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ**﴾ وهي الأنداد التي اتخذوها كما قال قوم هود: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ...﴾ الآية (هود: من الآية٥٤) ﴿**وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ**﴾ يعاقبه بالإضلال عن سبيل الرشاد ﴿**فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾ فمن يهده من بعد الله.

﴿**وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ**﴾ يصرفه عما هداه الله إليه ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ**﴾ بغالب ذي انتقام، فبعزته هدى من هدى من

---

(١) يريد به الجنس، بمعنى أن كل العباد لا يخلون عن المخالفة.

(٢) أي بحسن أعمالهم الصالحة.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود٥/٣٩٥، وتفسير الآلوسي ٢٤/٣٥٥.

العباد[ل١٢٤/أ]، وبعزته عاقب بالإضلال من عاقب منهم ﴿**ذِي انْتِقَامٍ**﴾ ينتقم من أعدائه لأوليائه كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: ٤٧).

﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ**﴾: كفار قريش ﴿**مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ لوضوح الأدلة وإقرارهم بالفطرة التي فُطروا عليها، بل قالوا: ﴿خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ (الزخرف: من الآية٩) إقرار بصفة عزته وعلمه، لما دل عليهما من إيجاده لما ذكر. ﴿**قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ**﴾ أخبروني ﴿**مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ**﴾ أي بعد إقرارهم بأن الله هو الذي خلق العالم العلوي والسفلي [فأخبروني][1] هل آلهتكم إن أرادني بضر تكشف ذلك، أو لا يكشف ذلك إلا الله. كما تقدم: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإنسان ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ﴾ (الزمر: من الآية٨) وهو عام لكل إنسان من مؤمن وكافر، وقال: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ﴾ (الأنعام: من الآية١٧) ﴿**أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ**﴾ [بنفع][2] ﴿**هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ**﴾ فيمنعنها عني ﴿**قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ**﴾ في جميع أموري من دفع ضر وجلب نفع، وهي الكلمة التي قالها خليل الله إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، والتي قالها صحابة المصطفى لما قيل لهم: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ (آل عمران: من الآية١٧٣) فقالوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ • فَانْقَلَبُوا

(١) في الأصل: "فأخبر" والتصويب من تفسير أبي السعود ٢٥٦/٧ الذي ينقل عنه المصنف كثيراً، وكذا جاءت على الصواب في تفسير الآلوسي ٦/٢٤.

(٢) في الأصل: "تنفع" والتصويب من تفسير أبي السعود ٢٥٦/٧ الذي ينقل عنه المصنف كثيراً، وكذا جاءت على الصواب في تفسير الآلوسي ٦/٢٤.

بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾[1] (آل عمران: من الآية١٧٣، ١٧٤) ﴿**عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾.

﴿**قُلْ يَا قَوْمِ**﴾ خطاب لكفار قومه بعد إقامة الحجة عليهم وإلقامهم الحجة[2]، فلم يبق لهم مقدرة بعد الإقرار بخلق اللهِ العالَمَ العلوي والعالم السفلي، وأن آلهتهم لا تدفع ضراً ولا تجلب نفعاً، كما قرر الخليل على قومه ذلك بقوله: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ، أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ (الشعراء: ٧٢، ٧٣) ﴿**اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ**﴾ على حالتكم التي أنتم عليها من الضلالة التي تمكنتم فيها، وهو تهديد من باب ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ (فصلت: من الآية ٤٠) وتقدم في هود: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ[3] اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ • وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ (هود: ١٢١، ١٢٢) ﴿**إِنِّي عَامِلٌ**﴾ على مكانتي من الهداية ﴿**فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾.

﴿**مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ**﴾ في الدنيا، كما قال: ﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الزمر: من الآية٢٦) ﴿**وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ**﴾ دائمٌ لا ينقطع.

﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ**﴾ القرآن ﴿**لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ**﴾ لأجلِهم، وهو صلى الله عليه وآله وسلم داخلٌ فيهم، أي لأجل بيان مصالحهم في المعاش والمعاد ﴿**فَمَنِ اهْتَدَى**﴾ بالقرآن ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: من الآية٩) ﴿**فَلِنَفْسِهِ**﴾ أي نافع نفسه نحو ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ﴾ (فصلت: من الآية٤٦) ونحو: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر: ٣٨) ونحو: ﴿وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا﴾ (الأنعام: من الآية١٦٤) ونحو: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة:

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ ١٣٨٤/٣ (٤٥٦٣).

(٢) كذا في الأصل ولعل صوابها: (الحجر).

(٣) [ل١٢٤/ب].

من الآية٢٨٦) فبالهداية ينال خير الدارين، تطيب حياته في الدنيا كما دل له ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل: من الآية٩٧) وعند الموت ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ...﴾ الآية (فصلت: من الآية٣٠)، وفي الآخرة ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾ (الأنبياء: من الآية١٠٣) ﴿**وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا**﴾ نحو ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ (فصلت: من الآية٤٦) أي إنّ وبال ضره عائدٌ عليه﴿**وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ**﴾ لتجبرهم على الهدى نحو: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ (الغاشية: ٢٢) أي ليس عليك إلا البلاغ.

﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ**﴾ والآية هنا عامة للوفاتين الكبرى والصغرى، والكبرى المرادة بقوله: ﴿**حِينَ مَوْتِهَا**﴾ والصغرى المرادة بقوله: ﴿**وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا**﴾ أي يتوفاها في منامها، وقد ذكر تعالى الوفاة الصغرى في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ...﴾ الآية (الأنعام: من الآية٦٠) وذكر الكبرى في قوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ...﴾ الآية (السجدة: من الآية١١) أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما: في الآية نفس وروح، أي لكل إنسان بينهما مثل شعاع الشمس، فيتوفى الله النفس في منامه، ويدع الروح في جوفه يتقلب ويعيش، فإن بدا لله[1] أن

---

(١) البداء في لغة العرب يطلق على معنيين:

١- الظهور بعد الخفاء ومنه قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (الزمر: من الآية٤٧).

٢- نشأة رأي جديد لم يكن موجوداً كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ (يوسف: ٣٥)

وهذان معنيان متقاربان للبداء، وكلاهما مستحيل على الله لما يلزمهما من سبق الجهل وحدوث العلم. انظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٤٧١/٤، ومناهل العرفان للزرقاني ١٨٠/٢.

والذين جوزوا البداء على الله هم الرافضة واليهود قاتلهم الله، انظر: إرشاد الفحول للشوكاني ص ٢٧٦، والبحر المحيط للزركش ١٥٠/٣، وقد ورد لفظ البداء في بعض الأحاديث؛ كما عند البخاري في صحيحه، =

يقبضه قبض الروح فمات، فإن أخّر أجله ردّ النفس إلى [ل١٢٥/أ] مكانها من جوفه[(١)] ﴿**فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ**﴾ فلا يردها إلى بدنها ﴿**وَيُرْسِلُ الأُخْرَى**﴾ التي لم تستوف أجلها فيردها في بدنها تبقى فيه ﴿**إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً**﴾ إلى حين الوفاة الكبرى.

أخرج الشيخان عن أبي هريرة: (إذا أوى أحدكم إلى فراشه) -إلى أن قال-: (فليقل: باسمك ربي وضعت جنبي وباسمك ارفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ الصالحين)[(٢)]، وأخرج بن أبي حاتم وابن مردويه عن سليم بن عامر أن عمر بن الخطاب قال: العجب من رؤيا الرجل، يبيت فيرى الشيء لم يخطر على باله فيكون رؤياه كأخذٍ باليد، ويرى الرجل الرؤيا فلا [فتكون][(٣)] رؤياه شيئاً، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أخبرك يا أمير المؤمنين، إن الله يقول: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي

=

كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل (٣٤٦٤) ولفظه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا لله عز وجل أن يبتليهم...) الحديث.

فالمقصود بالبداء هنا: الإرادة كما وردت في الرواية الأخرى عند مسلم (٢٩٦٤)، وفيها: (فأراد الله أن يبتليهم...).

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: "أي سبق في علم الله فأراد إظهاره، وليس المراد أنه ظهر له بعد أن كان خافياً؛ لأن ذلك محال في حق الله تعالى". فتح الباري ٥٠٢/٦.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٢٥٢/١٠ (١٨٣٩٧)، وذكره الثعلبي مختصراً عن ابن عباس ولم يذكر إسناداً ٣٠٧/٥، وعزاه لابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور٦١٦/٥.قال ابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف: "لم أجده" ١٢٦/٤.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ والقراءة عند المنام ١٩٨٩/٤ (٦٣٢٠) ولفظه عن أبي هريرةَ قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا أوَى أحدُكم إلى فراشهِ فليَنفضْ فِراشهُ بداخلةِ إزاره، فإنهُ لا يدري ما خَلَفَهُ عليه، ثم يقول: باسمكَ ربي وَضعتُ جَنبي، وبكَ أرفَعهُ، إن أمسكتَ نفسي فارحَمْها، وإن أرسلتَها فاحفظْها بما تحفظُ به عبادك الصالحين)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ٣١/١٧ (٢٧١٤).

(٣) في الأصل: "فيكون"، والمثبت من مصادر التخريج.

مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً﴾ (الزمر: من الآية٤٢) فالله يتوفى الأنفس كلها فما رأت وهي عنده في السماء فهي الرؤيا الصادقة وما رأت إذا أرسلت إلى جسدها [تلقتها][1] الشياطين في الهواء فكذبتها وأخبرتها بالأباطيل فكذبت. فعجب عمر من قوله[2].

﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ**﴾ الذي ذكر من حال الأنفس ﴿**لآيَاتٍ**﴾ دلالات واضحة على قدرة الله تعالى وإحاطته بأحوال العباد وبالمبدأ والمعاد، فإنه جعل هذه الوفاة للأنفس بالمنام واليقظة تذكيراً بالمبدأ والمعاد، فكل ليلة معاد وكل صباحٍ مبدأ ﴿**لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ في خلق الله الأنفس ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ (الذريات: ٢١) وفي تصرفه فيها بالقبض والإعادة كما قال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ (الروم: من الآية٢٣).

﴿**أَمِ اتَّخَذُوا**﴾ بل اتخذوا ﴿**مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ من دون إذنه ﴿**شُفَعَاءَ**﴾ تشفع لهم عنده تعالى، وقد ادعوا أنهم شفعاؤهم عند الله، وأنهم يقربونهم إلى الله زلفى [ل١٢٥/ب] ﴿**قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا**﴾ الشفعاء ﴿**لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً**﴾ نكرة غاية في

---

(١) في الأصل: يشبه أن تكون: "فلقتها"، والمثبت من مصادر التخريج.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٢٥٢/١٠ (١٨٣٩٨)، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية إسناد ابن أبي حاتم في مجموع الفتاوى ٤٥٣/٥، وفيه عمر بن عثمان الواسطي، صدوق. انظر: التقريب ص٧٢٤ (٤٩٨٠)، وبقية بن الوليد الكلاعي، صدوق كثير التدليس عن الضعفاء ولكنه صرح هنا بالتحديث. انظر: التقريب ص١٧٤ (٧٤١)، وصفوان بن عمرو بن هرم السكسكي، ثقة. انظر: التقريب ص٤٥٤ (٢٩٥٤)، وسليم بن عامر الحضرمي، قال ابن عبد البر في الاستيعاب: سليم بن عامر ، أبو عامر، وليس بالخبائري، قال أبو زرعة الرازي: أدرك سليم بن عامر هذا الجاهلية، غير أنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلّم ، وهاجر في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، روى عن أبي بكر، وعمر، هكذا ذكره ابن عبد البر ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٦٤٧/٢ (١٠٤٦) وقال شيخ الإسلام بعد أن ساق السند: "ذكر هذا أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن منده في كتاب الروح والنفس وقال هذا خبر مشهور عن صفوان بن عمرو وغيره". انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٤٥٣/٥. وكتاب الروح لابن قيم الجوزية ص٤٦. والأثر عزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور ٦١٧/٥.

سياق النفي أي شيئاً من الأشياء، وقد صرح تعالى بنفي أشياء مما لا يملكونها ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَيَاةً وَلا نُشُوراً﴾ (الفرقان: ٣) فالذي لا يملك لنفسه شيئاً كيف يملك شفاعةً لغيره ﴿**وَلا يَعْقِلُونَ**﴾ شيئاً من الأشياء فكيف يزعمون أنهم شفعاء.

﴿**قُلْ**﴾ بعد بيان أن أوثانهم لا تملك شيئاً ولا تعقل ﴿**لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً**﴾ أي هو مالكها ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة: من الآية ٢٥٥) ويقول في ملائكة قدسه: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (الأنبياء: من الآية ٢٨) فلابد أن يكون المشفوع له مرتضى عند الله، والشافع مأذوناً له، والكل مفقود في أوثانهم ﴿**لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ مقابل لقوله: ﴿لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً﴾ (الزمر: من الآية٤٣) وهو مالك العالم العلوي والعالم السفلي وما فيه[1] فمن ذا الذي يشفع لديه والكل ملك له ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾ (مريم: ٩٣) ﴿**ثُمَّ إِلَيْهِ**﴾ لا إلى غيره ﴿**تُرْجَعُونَ**﴾ فيوفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

﴿**وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ**﴾ كما في كلمة التوحيد، وصرح تعالى بالذاكر في قوله ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً﴾ (الإسراء: من الآية٤٦) ﴿**اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ**﴾.

أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد: اشمأزت قال: انقبضت[2] ومثله أخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولفظه قال: قست ونفرت[3].

---

(١) كذا في الأصل والسياق يقتضي (وما فيهما).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١٥/٢٤، من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح، وهو إسناد صحيح قد تقدم الكلام عليه ص٦٢، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر: السيوطي في الدرالمنثور ٦١٨/٥.

(٣) عزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور ٦١٨/٥. ولم أعثر على إسناده.

ومثله أخرج عنه الطستي ولفظه: نفرت قلوب الكافرين من ذكر الله[1].

قلت: تفسيرها بالنفور هو المطابق لأنه قال سبحانه: ﴿وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً﴾ (الإسراء: من الآية٤٦) لأنها إذا نفرت القلوب نفرت الأبدان، ﴿**وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ**﴾ من دون الله، وهي الأوثان ﴿**إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**﴾ فرحاً وسروراً بذكرها، ولما أقام الله عليهم الأدلة ورماهم بالذلة وألقمهم الحجر [ل١٢٦/أ]، أمر رسوله بالاستنصار به وإلجاء الأمر إليه فقال: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ موجدهما من العدم ﴿**أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ**﴾ المختلفين في توحيدك ﴿**فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾ كما تكرر إخباره تعالى بأنه يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، ولما ذكر تعالى أنه لا شفيع لهم ذكر أنه لا فدية يفتدون بها العذاب فقال: ﴿**وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً**﴾ من جميع ذخائرها[2]، وهي نحو آية آل عمران: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾ (آل عمران: من الآية٩١) ﴿**وَمِثْلَهُ**﴾ أي مثل ما في الأرض ﴿**مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ وصرح بأنه لو كان، لم يقبل منهم، في قوله في آية المائدة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ (المائدة: من الآية٣٦) ﴿**وَبَدَا لَهُمْ**﴾أي ظهر لهم ﴿**مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ**﴾ من أنواع العقوبات.

﴿**وَبَدَا**﴾ ظهر ﴿**لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا**﴾ حين تُعَرض عليهم أعمالهم ﴿**وَحَاقَ**﴾ أحاط ﴿**بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾ من الوعيد الذي تقصه

---

(١) أخرجها الطستي -كما نسبها له السيوطي في الإتقان ١/٢٥٥- في مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس، وفي إسناده عيسى بن داب، وهو منكر الحديث، وقد تقدم الكلام عليه انظر: ص (١٠٠).

(٢) قال في اللسان: "والذَّخِيرَة: واحدة الذَّخَائِرِ، وهي ما ادُّخِرَ". لسان العرب ٥/٢٨.

الرسل عليهم فيقولون: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الأحقاف: من الآية٢٢) ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً﴾ (الكهف: من الآية١٠٦) ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً﴾ (الفرقان: من الآية٤١)

﴿**فَإِذَا مَسَّ الإنسان ضُرٌّ**﴾ تقدمت الآية في السورة: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإنسان ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ﴾ (الزمر: من الآية٨) وكررت هنا تبكيتاً للذين إذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوبهم، فإذا حدث أي ضر بهم وحل بأبدانهم أو أموالهم أو أولادهم التجاؤا إلى من نفروا عن ذكره ورجعوا إليه ﴿**دَعَانَا**﴾ لكشفه وضل من يدعون إلا إياه ﴿**ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ**﴾ أعطيناه ﴿**نِعْمَةً مِنَّا**﴾ أي تفضلاً منا. قال أبو السعود: "إنّ التخويل يختص بالإفضال ولا يطلق على ما يعطى أجراً"[1]. ﴿**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ**﴾ عندي كما قال قارون لما قال له قومه: [ل١٢٦/ب] ﴿لا تَفْرَحْ...﴾ الآيات (القصص: من الآية٧٦): ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ (القصص: من الآية ٧٨) أي علم بوجوه كسبها وبأني أستحقه على علم عَلِمْتُه. قال الله تعالى: ﴿**بَلْ هِيَ**﴾ أي النعمة التي أنعمنا عليه ﴿**فِتْنَةٌ**﴾ محنة له وابتلاء ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (التغابن: من الآية ١٥) كما قال نبي الله سليمان عليه السلام ﴿لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ (النمل: من الآية٤٠) ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾ بأن من العطاء ما هو فتنة ومن إجابة الدعوة ما هو كذلك.

﴿**قَدْ قَالَهَا**﴾ أي هذه الكلمة التي هي تبجحٌ وكفرانٌ للنعمة[2]، ﴿**الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ وهو قارون وأتباعه[3] ﴿**فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ**﴾ عن عذابهم بالخسف ﴿**مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾. قال الله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود ٣٩٨/٥ بنحوه.

(٢) وهو قول الجاحد إنما أوتيته على علم.

(٣) تخصيص هذه المقالة بقارون وقومه كما فعله المصنف وأبو السعود وغيرهما، فيه نظر، والصواب أن الآية عامة في كل من قال هذه المقالة وزعم هذا الزعم من الأمم السالفة، كما ذكر ذلك ابن كثير رحمه الله٨٧/٤.

وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ (القصص: ٨١) كما قال من قال: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ • هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ (الحاقة: ٢٨، ٢٩).

﴿**فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا**﴾ جزاء سيئات أعمالهم ﴿**وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاءِ**﴾ المشركين، أي أفرطوا في الظلم والعتوّ ﴿**سَيُصِيبُهُمْ**﴾ جزاء ﴿**سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا**﴾ من الكفر والمعاصي ﴿**وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ**﴾ بفائتين على الله.

﴿**أَوَلَمْ يَعْلَمُوا**﴾ بما يشاهدونه ﴿**أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ لا لكمالٍ فيمن بُسط له، ولا لعلم عنده ولا لزيادة اجتهاد ﴿**وَيَقْدِرُ**﴾ أي يقدر رزقه على من يشاء وإليه أشار من قال:

كَمْ عاقلٍ عاقلٍ أعْيَتْ مذاهبُه ... وجاهلٍ جاهلٍ تَلْقَاهُ مَرْزوقا[1]

﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ**﴾ دالة على أن الأمور كلها جارية على حكم الله وقدرته، لا على شيء يرجع إلى من يعطيه أو يحرمه، وهذا رد لقول من قال عند إدرار النعمة عليه: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ (القصص: من الآية٧٨) ﴿**لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ إذ هم الذين

---

(١) هذا البيت لابن الراوندي، كما نسبه له الخطيب القزويني في كتابه الإيضاح ص ٦٦، والمناوي في فيض القدير ٤/٧٠٨، وغيرهم، وتكرار لفظ العاقل ولفظ الجاهل، هو من باب التوكيد اللفظي، وقد وجدت في حاشية الأصل عند هذا الموضع مانصه: "ابن الراوندي وأساء في قوله. بعده:

هذا الذي ترك الأوهام حائرة ... وصير العالم النحرير زنديقا

وقد رد عليه مولانا البدر قدس الله روحه".

وقد وجدت الرد المذكور في ديوان الأمير الصنعاني ص٢٦٦ ونصه:

هذا الذي زادَ أهلَ العلم معرفةً ... وزادهم بالإله الحقِّ تَصْديقا

فليسَ بالجَهْلِ صَار الرزقُ مَغتبطاً ... وليسَ بالعقلِ صَارَ الرزقُ ممحُوقا

وإنما هي أرزاقٌ مقدرةٌ ... بحكمةِ اللّهِ فاسألْ منهُ توفيقا

وانظر: طبقات الشافعية الكبرى ٤/٢٣٢، وغذاء الألباب للسفاريني ٢/٤٣٨.

يستدلون بآيات الله تعالى ويعرفون حكمته.

﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ**﴾: بالَغوا في ارتكاب المعاصي ﴿**لا تَقْنَطُوا**﴾ تيأسوا[1] ﴿**مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ**﴾ إياكم، بسبب إسرافكم ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً**﴾. أخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما [ل١٢٧/أ] قال: أنزلت ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ...﴾ الآية في مشركي أهل مكة[2]. وأخرج الطبراني وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان بسندٍ ليّن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى وحشي بن حرب قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام، فأرسل إليه: يا محمد، كيف تدعوني إلى الإسلام وأنت تزعم أن من قَتل أو أَشرك أو زَنى يلق آثاماً، ويضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً، وأنا قد مسست ذلك كله، فهل تجد لي من رخصة؟ فأنزل الله تعالى ﴿إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (الفرقان: ٧٠) قال وحشي: هذا شرط شديد، إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً، فلعلي لا أقدر على هذا. فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء: من الآية٤٨) فقال وحشي: هذا أرى بعد مشيئته، فلا أدري يغفر لي أم لا؟ فهل غير هذا، فأنزل الله ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ...﴾ الآية (الزمر: من الآية٥٣) قال وحشي: هذا نعم. فأسلم، فقال الناس: يا رسول الله إنا أصبنا ما أصاب وحشي. قال: (هي للمسلمين عامة) انتهى[3]. والآثار في سبب نزول الآية كثيرة[1]، والآية

---

(١) قوله: "تيأسوا" جاء ملحقاً بالحاشية، وعليه: "صح".

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٢٥٣/١٠ (١٨٤٠٠)، وعزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور ٦١٩/٥، وقال في لباب النقول في أسباب النـزول: "بسند صحيح"، ص ٦٧٨.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ١٩٧/١١ (١١٤٨٠)، وابن أبي حاتم ٣٢٥٣/١٠ (١٨٤٠٣)، والبيهقي في =

دالة على أن المراد: يغفرها إذا أسلم المشرك؛ فإن إسلامه توبة تجبّ ما قبله، وقد أخرج أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن ثوبان قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ...﴾ إلى آخر الآية)، فقال رجل: يا رسول الله فمن أشرك؟! فسكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: (ومن أشرك) ثلاث مرات. انتهى[2]، والمراد: من أشرك إذا أسلم، وإلا فإن الله لا يغفر أن يشرك به فهذه أخص من آية ﴿لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ (الزمر: من الآية٥٣) والخاص مقدم على العام [ل١٢٧/ب] ﴿**إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ أتى بصيغة المبالغة في الغفران والرحمة زيادة في الإطماع إلى رحمته ومغفرته[3].

﴿**وَأَنِيبُوا**﴾ ارجعوا وأقبلوا ﴿**إِلَى رَبِّكُمْ**﴾ مربيكم ومالككم، فإن العبد بالمعاصي بَعُد عن الله ﴿أَلا بُعْداً لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ (هود: من الآية٦٠) ﴿أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ (هود: من الآية٩٥) فأمر الله العاصي بالإنابة إليه والرجوع، فإن التائب راجع عن بعده متقرب بتوبته، ولذا ثبت في الحديث: (إن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)[4]. ﴿**وَأَسْلِمُوا لَهُ**﴾ انقادوا لأوامره وانتهوا عن نواهيه

=

شعب الإيمان ٣٤٢/٩ (٦٧٣٨)، والواحدي في أسباب النزول ص ٥٣٩ (٣٣١)، وقال الهيثمي: "فيه أبين بن سفيان، ضعفه الذهبي"، انظر: مجمع الزوائد للهيثمي ١٦١/٧، والميزان للذهبي ٢٠٨/١ (٢٧١) وقال السيوطي في الدر المنثور: "أخرجه الطبراني وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان بسند لين" ٦٢٠/٥، وقال في لباب النقول: "بسند فيه ضعف". ص ٦٧٨.

(١) ذكرها الطبري في تفسيره ١٩/٢٣، ٢٠، ٢١، والسيوطي في لباب النقول ص ٦٧٨.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢٨٤/١٦ (٢٢٢٦٢)، والطبري في تفسيره ٢١/٢٤، والبيهقي في شعب الإيمان ٣٣٩/٩ (٦٧٣٥)، وقد ضعفه ابن حجر. كما في الكاف الشاف ١٣١/٤، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ٣٩٩/٩ (٤٤٠٩)، وعزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور ٦٢١/٥.

(٣) انظر: تفسير البيضاوي ٢١٢/٨، وتفسير أبي السعود ٣٩٩/٥.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ١٦٧/٤ (٤٨٢).

﴿**مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ**﴾ بادروا بالإنابة قبل دني[1] العذاب منكم ﴿**ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ**﴾ ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (البقرة: من الآية٢٧٠).

﴿**وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ كونوا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ...﴾ الآية (الزمر: من الآية٢٣) فالقرآن أحسن ما أنزل، دالٌّ على فعل كل حسن، ناه عن إتيان كل قبيح وأقبح، ﴿**مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً**﴾ فجأة ﴿**وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ**﴾ بإتيانه، وهذا زيادة في التحذير والتخويف، بادروا به قبل أن تقول نفس أو لئلا أو كراهة.

﴿**أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ**﴾ إذا لم تبادر ﴿**يَا حَسْرَتَى**﴾ يا ندامتا، أصلها: حسرتي، ثم قلبت الياء ألفاً، وهو نداء للندامة، كأن يقول: هذا وقتك فاحضري[2]. وذكر المتحسر عليه وهو قوله: ﴿**عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ**﴾ في طاعته، وهذا تحسر لا ينفع قائله، ولا ينقطع تحسره، ولذا يقول الله تعالى: ﴿لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً﴾ (الفرقان: ١٤)

﴿**وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ**﴾ إن هي المخففة من الثقيلة[3]، والساخر: المستهزي. قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً﴾ (الكهف: من الآية١٠٦) وقال نوح: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا﴾ (هود: من الآية٣٨) ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً﴾ (الفرقان: من الآية٤١) فجمعوا بين التفريط في الطاعات والسخرية برسل الله تعالى والآيات.

﴿**أَوْ تَقُولَ**﴾ أي أنيبوا وأسلموا كراهة أو لئلا تقول: ﴿**لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي**﴾ هذا من الكفر بإنكار هداية الله تعالى، وإلا فإنه تعالى [ل١٢٨/أ] قد هدى كل مخلوق وأراه طريقي الخير والشر، ودعاه إلى الأول وحذره عن الثاني ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ (الإنسان: ٣)، فالذي لم يهتد اختار العمى على الهدى، كما قال

(١) قال في اللسان: "ويقال: دَنَا وأَدْنَى ودَنَّى إذا قَرُبَ"، ٤٢٠/٤.

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس ص ٧٦٩، والمحرر الوجيز ٥٣٨/٤، والبحر المحيط ٥٧٨/٧.

(٣) انظر: تفسير الآلوسي ٣٧٢/٢٤، والتحرير والتنوير ٤٧/٢٤.

الله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾[1] (فصلت: من الآية١٧) ﴿**لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ وأنيبوا وأسلموا كراهة.

﴿**أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً**﴾ رجعة إلى الدنيا وعودة إليها ﴿**فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ ولذا يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠٧) [ويقولون][2]: ﴿أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ (فاطر: من الآية٣٧) أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة أنه قال: إنهم أصناف؛ صنف يقول: ﴿يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ (الزمر: من الآية٥٦) وصنف يقول: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (الزمر: من الآية٥٧) وصنف يقول: ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الزمر: من الآية٥٨)[3]، فقال الله تكذيباً لهم أجمعين.

﴿**بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي**﴾ تنهاك عن التفريط في جنب الله وعن السخرية بآياته ورسله ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (التوبة: من الآية٦٥) وهدتك آياتي ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: من الآية٩) **فاستحببت** العمى على الهدى، وأخبرتك آياتي أنه لا رجوع لك إلى دار الدنيا ﴿**فَكَذَّبْتَ بِهَا**﴾ وقلت: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾[4] (المدثر: ٢٥) وقلت: ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ

---

(١) قصر المؤلف رحمه الله معنى الهداية في هذه الآية على هداية الدلالة والإرشاد، وقد سبقه إلى هذا بعض المفسرين كالقرطبي وغيره، وذهب غيرهم من المفسرين كالطبري وغيره، إلى أن الهداية في هذه الآية هداية التوفيق، فهذا الكافر يقول: لو أن الله وفقني للرشاد لكنت ممن اتقاه بطاعته، وهذا هو الراجح والله أعلم، بدليل قول الله عز وجل بعده ﴿لكنت من المتقين﴾؛ فإن التقوى هي ثمرة هداية التوفيق.

(٢) في الأصل: "ويقول" والمثبت هو المناسب للسياق.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٦/٢٤، من طريق بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة به، وهو إسناد حسن تقدم الكلام عليه ص٥٦، وعزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور ٦٢٤/٥.

(٤) تمثل هذه الآيات التي يستشهد بها المؤلف رحمه الله، ردود بعض الكفرة على أنبيائهم وتكذيبهم لهم وكفرهم برسالاتهم، وقصد المؤلف بهذا الاستشهاد أن التكذيب والاستكبار سجية أغلب الكفار.

اكْتَتَبَهَا﴾ (الفرقان: من الآية٥) ﴿**وَاسْتَكْبَرْتَ**﴾ عن اتباع رسلي وقلت: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ﴾ (الزخرف: ٥٢) وقلت: ﴿مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ (المؤمنون: من الآية٢٤) وقلت: ﴿أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ (القمر: ٢٥).

﴿**وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾ المستمرين على الكفر، وقلت: ﴿أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾ (ص: من الآية٦) وقلت: ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (هود: من الآية٥٣) والخطاب عام في الآيات لكل كافر برسل الله وكتبه ولذا نكّر النفس في قوله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ...﴾ إلى آخره (الزمر: من الآية٥٦) ففي الآية إقامة الحجة على الأصناف الثلاثة[(١)].

﴿**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ**﴾ [ل١٢٨/ب] بقولهم: إنه اتخذ ولداً أو باتخاذهم الشفعاء والشركاء ﴿**وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ**﴾ قال: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ (آل عمران: من الآية١٠٦) وأبان هنا أن المسودة وجوه الذين كذبوا على الله وأبان هنالك ما يقال لهم: ﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (آل عمران: من الآية١٠٦) وقال أيضاً في انقسامها: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ • ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ • وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ • تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ (عبس: ٣٨-٤١) ﴿**أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً**﴾ منزل يثوون به ﴿**لِلْمُتَكَبِّرِينَ**﴾ عن الله ورسله وآياته لما قال: ﴿وَاسْتَكْبَرْتَ﴾ (الزمر: من الآية٥٩) ذكر مثواه.

أخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، والبخاري في الأدب، والترمذي وحسنه، والنسائي، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان عن عمرو بن شعيب[(٢)] عن

---

(١) المذكورة في أثر قتادة المتقدم.

(٢) هو عمرو بن شعيب بن محمد بن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل، أبو إبراهيم وأبو عبد الله القرشي السهمي الحجازي، الإمام المحدث، فقيه أهل الطائف، ومحدثهم، مات سنة ١١٨هـ بالطائف. انظر: تهذيب الكمال ٦٤/٢٢ (٤٣٨٥)، والسير ١٦٥/٥ (٦١).

أبيه[1] عن جده[2] عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن[3] جهنم يسمى: بولس تعلوهم نار الأنيار ويسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال)[4].

﴿**وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا**﴾ أطاعوا الله ورسله، وأنابوا إليه، وأسلموا له، واتبعوا أحسن ما أنزل إليهم ﴿**بِمَفَازَتِهِمْ**﴾ مكان فوزهم في الجنة ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ (آل عمران: من الآية١٨٥)، ﴿**لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ**﴾ عامٌ لكل ما يسوء فلا يُلِمُ بهم ﴿**وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ -عكس أولئك المتحسرين على تفريطهم الذين وصفوا بما سمعت فهم في عذاب في الأبدان وحسرة في القلوب- وأولئك لا خوف عليهم يستقبلونه ولا هم يحزنون على فائت، بل هم في سرور وأفراح.

﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (فاطر: من الآية٣) أي مُوجِد كل ما يسمى شيئاً من العدم، فالإيجاد من العدم مختص به تعالى لا يستطيع

---

(١) هو شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال الذهبي: ما علمت به بأساً. وقال ابن حجر: صدوق ثبت سماعه من جده. ولم نعلم متى توفي، فلعله مات بعد الثمانين في دولة عبد الملك. انظر: السير٥/١٨١ (٦٢)، والتقريب ص٤٣٨ (٢٨٢٢)، والتاريخ الكبير ٤/٢١٨ (٢٥٦٢).

(٢) هو محمد بن عبد الله بن عمرو السهمي، قال ابن حجر: مقبول. والظاهر موته في حياة أبيه. انظر: السير٥/١٨١ (٦٣)، والتقريب ص٨٦٤ (٦٠٧٥).

(٣) قوله: "سجن" جاء ملحقاً بالحاشية، وعليها: "صح".

(٤) أحرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٨/٦٠٧ (٢٦٩٩٣)، وأحمد في مسنده ٦/٢٣١ (٦٦٧٧)، والبخاري في كتاب الأدب المفرد ص١٦٩ (٥٥٧)، والترمذي في سننه ص٥٦١ (٢٤٩٢)، والبيهقي في شعب الإيمان ١٠/٤٨١ (٧٨٣٤)، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن"، وحسنه الألباني، انظر: تعليقه على سنن الترمذي ص٥٦١ (٢٤٩٢)، ولم أعثر عليه في سنن النسائي، وعزاه لابن مردويه والنسائي: السيوطي في الدر المنثور ٥/٦٢٤.

ملك مقرب ولا نبي مرسل على الإيجاد من العدم، ولذا ثبت قضايا لا تنحصر أن محمداً خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا طُلب منه في الأسفار وغيره شيء من زاد أخذ [ل١٢٩/أ] بقية الأزواد ودعا فيها فيبارك فيها، أو طُلب منه ماء أخذ ماءً قليلاً وبرك فيه حتى يكثر ويغترف منه كل ذي حاجة[١]، فالإيجاد من العدم الذي هو المراد من قوله ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يختص بالله ﴿**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**﴾ لم يقل: وهو عليه. زيادة في التأكيد ﴿**وَكِيلٌ**﴾ يتصرف فيه كيف يشاء وقد سلف قريباً أنهم يقرون بأنه تعالى الذي خلق العالم العلوي والسفلي[٢] فاخبرهم أن كل ذرة من ذرات الأكوان خلقٌ له يتصرف فيه كيف يشاء أخبرهم بأن ﴿**لَهُ مَقَالِيدُ**﴾ جمع مقلاد، كمفتاح، أو مقليد كمنديل ومناديل ومفاتيح[٣] ﴿**السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ أي خزائن الأرزاق منهما: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ (الذاريات: من الآية٢٢) ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (قّ: ٧) فخزائن المُظِلة والمُقِلة له يختص بها ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ (الملك: من الآية٢١)﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾ الأفاقية ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ﴾ (فصلت: من الآية٥٣) والآيات الأنفسية كما قال: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ (الذاريات: من الآية٢١) أي نريهم آياتنا في أنفسهم وقال: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١) ولذا يقال:

---

(١) مثاله: ما جاء في صحيح مسلم، من حديث أبي هريرة، في غزوة تبوك لما أصاب الناس مجاعة، قال: فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بفضل أزوادهم –إلى أن قال– فدعا رسول الله عليه بالبركة، ثم قال: (خذوا في أوعيتكم) قال: فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملئوه، قال: فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة، ... الحديث. انظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد، دخل الجنة قطعاً، ١٩٦/١ (٢٧).

(٢) راجع ص ١٥٩.

(٣) انظر: تفسير الثعلبي٣١٨/٥، وتفسير البغوي٨٦/٤.

وفي كلِّ شـــيءٍ لَهُ آيـــةٌ تَدلُّ على أنـــهُ وَاحـــدُ[1]

وكفروا بالآيات التنـــزيلية ﴿**أُولَئِكَ هُمُ**﴾ لا غـــير ﴿**الْخَاسِـــرُونَ**﴾ الذين خسروا الدنيا بما فاتهم من النظر في آيات الله والتفكر فيها والتأمـــل لأدلتها، فإن في كل ذرة منها دلائـــل تنشـــرح بهـــا قلـــوب المتـــدبرين والمتفكرين، وللقلوب بالأفكار الصالحة نعيم وروح دونه كل نعيم وروح ولذا قيـــل :

تَأمّلْ سُطُـــورَ الكائناتِ فإنهـــا من الملك الأعلى إليكَ رسائلُ

وقد خُطّ فيها لَوْ تَأمّلتَ خَطَّها ألا كُلُّ شيءٍ ما خَلا اللهَ باطلُ[2]

وخسروا الآخرة بكفرهم بالآيات ولما قال له الجاهلون من أهل الشرك يؤمن

---

(١) البيت لأبي العتاهية، انظر: ديوانه ص١٢٢.

والبيت الذي يسبقه:

فَيا عَجباً كيف يُعْصَى الإلَـــهُ أم كيفَ يجْحَدُهُ الجَاحـــدُ

والبيت قاله أيضاً: لبيد بن ربيعة، انظر: ديوانه ص٢٨٠، وقد ذكر البيت ابن كثير في تفسيره ٩١/١ ونسبه لابن المعتز، كما أورده في كتابه البداية والنهاية، ونسبه لأبي العتاهية، وذكر قصته أنه جلس على دكان وراق فكتب على ظهر دفتر هذه الأبيات -ومنها البيت المذكور- ثم جاء أبو نواس فقرأها فقال: أحسن قائله والله، والله لوددت أنها لي بجميع شيء قلته. لمن هذه؟ قيل: لأبي العتاهية... الخ، انظر: كتاب البداية والنهاية لابـــن كثير ٧٧/١٤.

(٢) الأبيات للشاعر عبد الغني النابلسي من قصيدة مطلعها:

"خذا الروح عني فاتحاً منك دنها"

إلاّ قوله: ألا كل شيء ما خلا الله باطل. فإنها للبيد بن ربيعة كما جاء في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أصدَقُ كلمةٍ قالَها الشاعر: كلمةُ لبيد: ألا كلُّ شيءٍ ما خَلا الله باطلُ). انظـــر: صـــحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه ١٩٣٧/٤ (٦١٤٧)، وانظر: ديوان لبيد ص١٤٥، وديوان عبد الغني النابلسي ص ١١٨٧.

بآلهتهم أمره تعالى أن يقول: ﴿**قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا**[1] **الْجَاهِلُونَ**﴾ فإنهم مازالوا بضلالهم [يفتلون][2] في الذروة والغارب على أن يتابعهم حتى قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً...﴾ الآيات (الإسراء: ٧٣) ثم ذكر تعالى قبح ما يدعونه إليه فقال: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى**﴾ الرسل ﴿**الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ**﴾ يا محمد، وكل رسول قبلك أوحي إليه: لئن أشركت أيّه الرسول ﴿**لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾ الصالح، أو أوحي إليهم: لئن أشرك محمد خاتم الرسل وسيد أولاد آدم إنه لو فرض إشراكه ليحبطن عمله[3] ويعلم بطريق الأولى أن غيره كذلك ﴿**وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ وقد صانه عن ذلك بما ثبته الله به كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً...﴾ الآية (الإسراء: ٧٤).

﴿**بَلِ اللَّهَ**﴾وحده ﴿**فَاعْبُدْ**﴾فاستمر على عبادته وحده ﴿**وَكُنْ**﴾ لنعمه التي منها ردنا على من طلب منك ما نهينا عنه[4] ﴿**مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾ كما كان خليل الله عليه السلام ﴿شَاكِراً لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ﴾ (النحل: من الآية١٢١) وكما قال في نوح: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً﴾ (الإسراء: من الآية٣) وقال: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً﴾ (سبأ: من الآية١٣).

---

(١) [ل١٢٩/ب].

(٢) في الأصل: "يفعلون" والتصويب من كتب اللغة والمعاجم، والمثل معروف، ويضرب في المخادعة، قال ابن منظور: "والفَتِيلة: الذُّبالَة. وذُبال مفتَّل: شدد للكثرة. وما زال فلان يَفْتِل من فلان في الذِّرْوة والغارِب، أَي يَدُورُ من وراءِ خديعته". والذروة أعلى السَّنام وكلِّ شيءٍ. و الغارِبُ: الكاهِلُ، أو ما بَيْنَ السَّنامِ والعُنُقِ. انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ٧٠/٢ مادة (ذرو)، و ٢٧٢/٣ مادة (غرب)، ولسان العرب١٧٨/١٠، والقاموس المحيط للفيروزبادي ص١٤٧.

(٣) والأول اختيار الطبري وابن كثير رحمهما الله، وهو الأقرب؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: من الآية ٨٨)

(٤) يعني ما تقدم من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾.

﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ما عرفوه حق معرفته ولا عظموه حق تعظيمه

مَا عَرَفْناكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكْ ... تُبْ علينا فإننـــا بَشَـــرٌ[1]

ولذا قيل: لا يعرف الله إلا الله[2] وقيل:

تـــالله ما مـــوسَـــى ولا ... عيسَى المسيحُ ولا محمـــدْ

عرفوا ولا جبريلُ وهـــو ... إلى مَحلّ القُدْسِ يَصْعَـــدْ

ما كنهُ ذاتِكَ غيرَ أنَّـــكَ ... أَوْحديّ الذَّاتِ سَرْمَـــدْ[3]

وقد بين تعالى بعض جهالاهم بقدره تعالى حيث قال: ﴿وَمَا قَـــدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ...﴾ الآية (الأنعام: من الآية٩١) ﴿**وَالأَرْضُ**﴾ السبع ﴿**جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ أي مقبوضة له، وذلك عند تبديلها ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾ (إبراهيم: من الآية٤٨).

أخرج سعيد بن منصور[ل١٣٠/أ] وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومســـلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر والدارقطني[4] في الصفات، والبيهقـــي في الأسماء والصفات عن ابن مسعود قال: جاء حَبر من الأحبار إلى رســـول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يحمل الســـماوات يـــوم

---

(١) هذا أحد بيتين نسبا لأبي علي ابن سينا، والبيت الأول هو:

عجز الواصفون عن صفتك ... اعتصـــام الورى بمغفرتـــك

انظر: الفروق للقرافي ٣٥٤/٢، وغمز عيون البصائر للحموي ٢٠٣/٢.

(٢) هذه المقولة ليست على إطلاقها؛ فإن قُصد بها لا يعرف كنه صفات الله إلا الله فهذا صحيح، أما إن قُصد بها نفي الصفات عن الله فهذا باطل، لأن الله عز وجل قد عرَّف إلينا نفسه بصفات جلاله وكماله.

(٣) هذه الأبيات لابن أبي الحديد المعتزلي، انظر: شرح نهج البلاغة، له ٢٩/١٣، وإيثار الحق على الخلق لابـــن الـــوزير ص١٣٩.

(٤) هو علي بن عمر بن أحمد البغدادي أبو الحسن الدارقطني، المقريء المحدث، من أهل محلة دار القطن ببغداد، ولد سنة ١٣٦هـــ، وكان من بحور العلم، ومن أئمة الدنيا، انتهى إليه الحفظ ومعرفة علل الحديث ورجاله، له كتاب "السنن"، وغيره من الكتب النافعة، توفي سنة ٣٨٥هـــ، انظر: السير٤٤٩/١٦ (٣٣٢)، ووفيات ابن قنفذ ص٢٢٠.

القيامة على إصبع والشجر على أصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بدت نواجذه، تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول صلى الله عليه وآله وسلم (﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾)[1]. قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ (الأنبياء: من الآية١٠٤) والكل إخبار بإذهاب الله تعالى للعالم العلوي والعالم السفلي، بعد إفنائه للعباد، وذلك أنه إنما خلقهما أدلة لعباده عليه[2]، وقد أفناهم فلم يبق من يستدل بهما عليه ﴿**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٣١/٤ (٤٣٦٨)، والبخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ ١٥١٩/٣ (٤٨١١)، ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ١٠٨/١٧ (٢٧٨٦)، والترمذي في سننه ص٧٣٢ (٣٢٣٨)، والنسائي في سننه الكبرى، كتاب النعوت، باب ﴿ولتصنع على عيني﴾ ١٥٥/٧ (٧٦٨٩)، والطبري في تفسيره ٣٣/٢٤، والدارقطني في الصفات ص ٧٩ (٢٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات١٦٤/٢ (٧٣٠)، وعزاه لسعيد بن منصور: السيوطي في الدر المنثور ٦٢٧/٥.

(٢) ما ذكره المؤلف رحمه الله هنا، هو نتيجةٌ للحِكَم العظيمة التي خلق الله السماوات والأرض من أجلها، وقد عدّدها صاحب أضواء البيان في تفسيره فذكر منها: "أن حكمة خلقه للسماوات والأرض هي إعلام خلقه بأنه قادر على كل شيء، وأنه محيط بكل شيء علماً، وذلك في قوله تعالى في آخر الطلاق: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً...﴾، وذكر في بعض الآيات أنه خلق السماوات والأرض ليبتلي الناس، وذلك في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (هود: ٧)" وغير ذلك من الحِكَم التي ذكرها ثم قال بعد: "فقد يظن غير العالم أن بين هذه الآيات اختلافاً مع أنها لا اختلاف بينها، لأن الحِكَمَ المذكور فيها كلها راجع إلى شيء واحد، **وهو معرفة الله وطاعته ومعرفة وعده ووعيده**، فقوله: ﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير﴾ وقوله: ﴿اعبدوا ربكم الذي خلقكم﴾ راجع إلى شيء واحد هو العلم بالله، لأن من عرف الله أطاعه ووحَّدَه، وهذا العلم يعلمهم الله إياه ويرسل لهم الرسل بمقتضاه ليهلك من هلك عن بينة، ويحيي من حيي عن بينة" -إلى أن قال-: "ولذا دل بعض الآيات على أن حكمة الخلق للمخلوقات هي العلم بالخالق، ودل بعضها على أنها الابتلاء، ودل بعضها على أنها الجزاء، وكل ذلك حق لا اختلاف فيه، وبعضه مرتب على بعض" ا.هـ أضواء البيان ٤٤٦/٧، ٤٤٧.

يُشْرِكُونَ﴾ نزه نفسه عن شركهم وأخبر بتعاليه على كل شيء.

﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ**﴾أي النفخة الأولى وهي المرادة بقوله: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ (يّس: ٤٩) ومن قوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠١) على قول[1]، ومثل هذه النفخة الثانية، وهي المرادة من قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾[2] (النازعات: ٦) والنفخة الثانية هي أيضاً الطامة الكبرى المرادة من قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى...﴾ الآية (النازعات: ٣٤) وهي أيضاً الصاخة في قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ...﴾ الآية (عبس: ٣٣) وهي أيضاً المرادة من قوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ • وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً...﴾ الآية (الحاقة: ١٣، ١٤).

﴿**فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ**﴾ أخرج ابن مردويه والبيهقي في البعث عن أنس، رفعه، في قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ...﴾ الآية (كان مما استثناه الله ثلاثة جبريل وميكائيل وملك الموت، ويقول تعالى توف نفس ميكائيل، ثم يقول وهو أعلم: يا ملك الموت من بقي؟ فيقول: بقي وجهك الكريم وعبدك جبريل وملك الموت، فيقول: توف نفس جبريل، ثم يقول وهو أعلم: يا ملك الموت من بقي؟ فيقول بقي وجهك الباقي وملك الموت وهو

---

(١) أي على قول بأنها النفخة الأولى، لأن في هذه الآية من سورة المؤمنين خلاف، فمنهم من قال: المقصود بها النفخة الأولى، كما هو منقول عن ابن عباس والسدي، وقال ابن مسعود وغيره: هي النفخة الثانية، انظر: تفسير الطبري ١٨/٦٧، ٦٨، أما الآية التي معنا فالمقصود بها النفخة الأولى، كما ذكره المؤلف في تفسير سورة عند قوله تعالى: ﴿ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون﴾ انظر: مفاتح الرضوان، سورة يسّ، الجزء الذي حققه الأخ أمين المزيني ص ٢٦١.

(٢) بل الراجفة هي النفخة الأولى، وهو اختيار الأغلب وهو الراجح لقوله تعالى بعده: ﴿تتبعها الرادفة﴾ و لم أجد من نص على أن الراجفة يقصد بها النفخة الثانية، ثم إن سلمنا بهذا فما معنى قوله تعالى ﴿تتبعها الرادفة﴾ ولا أدري على ماذا استند المؤلف رحمه الله في قوله هذا، والله أعلم.

ميت، فيقول: مت. ثم ينادي: أنا بدأت الخلق ثم أعيده، فأين الجبارون المتكبرون، فلا يجيبه أحد، ثم ينادي: لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد، فيقول هو: الله الواحد القهار)[1] وأخرج سعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد، والترمذي وحسنه، وغيرهم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنا جبهته وأصغى سمعه، ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ؟) قال المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله قال: (قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل)[2].

---

(١) لم أجد الحديث في كتاب البعث للبيهقي بهذا اللفظ من رواية أنس وإنما وجدت حديث الصور الطويل ومن ضمنه ألفاظ هذا الحديث وهو من رواية أبي هريرة، وفي إسناده إسماعيل بن رافع وهو ضعيف الحفظ، كما قاله الحافظ في التقريب ص١٣٩ (٤٤٦)، وقال النسائي في كتابه الضعفاء والمتروكين ص ٤٩ (٣٤): متروك الحديث، وأما حديث أنس هذا فقد أورده ابن جرير الطبري في تفسيره ٣٦/٢٤، وكذلك الثعلبي في الكشف والبيان ٣٢٤/٥، وفي إسناديهما يزيد الرقاشي وهو ضعيف وتقدم الكلام عليه، انظر: ص٦٧، وعزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور٥/٦٣٠.

مسألة: أما موت الملائكة، فقد جاء في حديث لقيط بن عامر، عند الإمام أحمد في مسنده ٤٨٦/١٢ (١٦١٥٠)، وفيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (ثم تبعَث الصائحة، فَلَعَمر إلهُكَ ما تَدَع عَلىٰ ظَهرهـا شَيئاً إلا مَاتَ، وَالملائكَة الذينَ مَعَ رَبكَ، فأَصبَحَ رَبّكَ عَز وجَل يَطوف في الأرض، وخَلَت عَلَيه البلاد...) الحديث قال ابن القيم رحمه الله بعد إيراده الحديث في زاد المعاد: "هذا حديث كبير جليل، تنادي جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النّبوة، لا يعرف إلا من حديث عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن المدني، رواه عنه إبراهيم بن حمزة الزبيري، وهما من كبار علماء المدينة، ثقتان محتج بهما في الصحيح، احتج بهما إمام أهل الحديث محمد بن إسماعيل البخاري، ورواه أئمة أهل السنة في كتبهم، وتلقوه بالقبول، وقابلوه بالتسليم والانقياد، ولم يطعن أحدٌ منهم فيه، ولا في أحد من رواته"، ثم استفاض في شرحه إلى أن قال: "وقوله: (والملائكة الذين عند ربك): لا أعلم موت الملائكة جاء في حديث صريح إلا هذا، وحديث إسماعيل بن رافع الطويل، وهو حديث الصور، وقد يستدل عليه بقوله تعالى: ﴿ونفخَ في الصّور فَصَعقَ مَن في السمٰوات ومَن في الأَرض إلا مَن شَاءَ الله﴾" ا.هـ انظر: زاد المعاد ٦٧٣/٣-٦٨٦. وحديث لقيط ضعفه الألباني في تعليقه على السنة لابن أبي عاصم برقم (٥٢٤ و٦٣٦).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه ١١١٨/٣ (٥٤٤)، وأحمد في مسنده ٢٣٠/١٠ (١١٦٣٦)، والترمذي في سننه ص٥٤٨ (٢٤٣١)، وأبو يعلى في مسنده ص٢٥٨ (١٠٨٥)، وابن حبان في صحيحه٢٠٧/٢ (٨٢٠)، =

وأخرج أبو الشيخ عن وهب[1] قال: خلق الله الصور من لؤلؤة بيضاء في صفاء الزجاجة ثم قال للعرش: خذ الصور فتعلق به ثم قال: كن، فكان إسرافيل، فأمره أن يأخذ الصور، فأخذه وبه ثُقَب بعدد كل روح مخلوقة ونفس منفوسة، لا يخرج روحان من ثقب واحد وفي وسط الصور كَوّة[2] كاستدارة السماء والأرض وإسرافيل واضع فمه على تلك الكوّة ثم قال له الرب: قد وكلتك بالصور فأنت للنفخة وللصيحة، فدخل إسرافيل في مقدم العرش فأدخل رجله اليمنى تحت العرش وقدَّم اليسرى و لم يطرف منذ خلقه فينظر مايؤمر به[3]، ﴿**ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**﴾ هذه نفخة الإحياء بعد نفخة الإماتة، وهي التي قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ (النمل: من الآية٨٧) وهي المراد[4] بقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ

=

والحاكم في مستدركه٤/٦٠٣ (٨٦٧٧)، وقال الترمذي: "حديث حسن". وقال الألباني: "قلت: يعني حديث حسن لغيره؛ وذلك لأن عطية العوفي ضعيف؛ فرواه جماعة عنه هكذا، ورواه آخرون على وجهين آخرين وتابعه أبو صالح عن أبي سعيد به". انظر: السلسلة الصحيحة ٦٧/٣. وعزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور ٦٣٢/٥.

(١) هو وهب بن منبه بن كامل، أبو عبد الله الأبناوي، اليماني، مولده في زمن عثمان سنة ٣٤هـ، ورحل وحجَّ. وروايته للمسند قليلة، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات، تابعي ثقة، ومات في المحرم سنة ١١٣ أو١١٤هـ، وهو ابن ٨٠ سنة وقد قيل: إنه مات سنة ١١٠هـ. انظر: ثقات ابن حبان ٤٨٧/٥، و السير ٥٤٤/٤ (٢١٩).

(٢) الكَوَّة: الخَرْق في الحائط، والثقب في البيت ونحوه، والكُوَّة بالضم لغة. انظر: لسان العرب ١٩٨/١٢، والقاموس المحيط ص١٣٣٥.

(٣) أخرجه أبو الشيخ في العظمة ٨٤١/٣ (٣٨٩)، و لم أعثر على من ذكره غيره، وفي إسناده محمد بن إبراهيم بن العلاء وهو منكر الحديث. انظر: التقريب ص٨٢٠ (٥٧٣٤)، والكامل في الضعفاء لابن عدي ٢٢٩٠/٦، وذكره ابن حجر في فتح الباري ٤٤٧/١١ ونسبه لأبي الشيخ في العظمة و لم يحكم عليه. وقد تبين أن إسناده ضعيف، والخبر لا يعدو عن كونه من الإسرائيليات.

(٤) كذا في الأصل، ولعل الصواب: "المرادة".

الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ (يّـس: ٥١) ومن قوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ • فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ (المدثر: ٨، ٩) وبقوله: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً﴾ (النبأ: ١٨) وبقوله: ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [ل١٣١/أ] (النازعات: ٧) وبقوله: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ -أي الرادفة- زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (النازعات: ١٣، ١٤) وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (بين النفختين أربعون)، قال أصحابه: فما سألناه عن ذلك، وما زادنا على ذلك غير أنهم كانوا يرون من رأيهم أنها أربعون سنة[١]. وأخرج [ابن أبي داود][٢] في البعث وابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ينفخ في الصور كهيئة القرن فصعق من في السموات ومن في الأرض، وبين النفختين أربعون عاماً فيمطر الله في تلك الأربعين مطراً، فينبتون من الأرض [كما ينبت البقل][٣]، ومن الإنسان عظم لا تأكله الأرض: عجب ذنبه، ومنه يركب جسده يوم القيامة)[٤] وأخرج ابن أبي عاصم[١] في السنة، عن

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٩/٢٤، عن قتادة مرسلاً، وإسناده إلى قتادة حسن قد تقدم الكلام عليه ص٥٦، وعزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور٥/٦٣٤، وأصل الحديث في الصحيحين من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (ما بين النَّفْخَتين أَربَعون)، قالوا: يا أبا هريرة: أربعون يوماً؟ قال: أَبَيْتُ. قال: أربعونَ شهراً. قال: أبيتُ. قال: أربعون سنةً؟ قال: أبيتُ...) الحديث. انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله (ونفخ في الصور) ١٥٢٠/٣ (٤٨١٤)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين ٧٢/١٨ (٢٩٥٥).

(٢) في الأصل: "أبو داود"، وهو خطأ، وإنما هو صاحب كتاب البعث، وهو عبد الله بن سليمان ابن الأشعث بن أبي داود، أبو بكر السجستاني، أبوه أبو داود صاحب السنن، سافر به أبوه وهو صبي، كان من بحور العلم، من تصانيفه: المصاحف، والبعث، والناسخ والمنسوخ، ولد سنة ٢٣٥هـ، ومات سنة ٣١٦هـ. انظر: لسان الميزان ٢٩٣/٣، والسير ٢٢١/١٣.

(٣) في الأصل: "من البقل" والتصويب من مصادر التخريج.

(٤) أخرجه ابن أبي داود ص ٤٣ (٤٢)، في البعث من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة به، وعزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور ٦٣١/٥، والحديث أصله في الصحيحين كما تقدم غير أنه لم يذكر فيه التحديد بأربعين عاماً كما في هذا الحديث، وقد قال ابن حجر: "وزعم بعض الشراح أنه وقع عند مسلم =

أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (كل ابن آدم تأكل الأرض إلا عجب الذنب، منه ينبت، ويرسل الله ماء الحياة فينبتون منه نبات الخضر، حتى إذا خرجت الأجساد أرسل الله الأرواح، فكان كل روح إلى صاحبه أسرع من الطرف ثم ينفخ في الصور)[2].

ولما ذكر تعالى إذهابه للعالم العلوي والسفلي ذكر فصله بين الخلائق يوم القيامة، وهو يوم الفصل الذي أراده بقوله: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ﴾ (المرسلات: ٣٨) وبقوله: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً﴾ (النبأ: ١٧) وبقوله: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ • يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلىً عَنْ مَوْلىً شَيْئاً وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ (الدخان: ٤٠، ٤١) وبقوله: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ (هود: من الآية١٠٣) ذكر فصله بين الخلائق وانقسام العباد إلى فريقين فقال: ﴿**وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ**﴾أي أرض المحشر التي بدّلها الله عن هذه الأرض كما قال: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾ (إبراهيم: من الآية٤٨) يبسطها ويسطحها ويمدها مد الأديم العكاظي[3] ﴿لا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلا أَمْتاً﴾ (طه: ١٠٧) وهي

=

أربعين سنة ولا وجود لذلك، نعم أخرج ابن مردويه من طريق سعيد بن الصلت عن الأعمش في هذا الإسناد: أربعون سنة وهو شاذ، ومن وجه ضعيف عن ابن عباس قال: ما بين النفخة والنفخة أربعون سنة. ذكره في أواخر سورة ص، وكأن أبا هريرة لم يسمعها إلا مجملة فلهذا قال لمن عينها له " أبيت"، وقد أخرج ابن مردويه من طريق زيد بن أسلم عن أبي هريرة قال: بين النفختين أربعون، قالوا: أربعون ماذا؟ قال: هكذا سمعت". انظر: فتح الباري ٧٠٢/٨.

(١) هو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، من أهل البصرة، كان ثقة نبيلاً معمراً. ولد في شوال سنة ٢٠٦هـ. ومن تصانيفه "المسند الكبير" و"الآحاد والمثاني" و"المختصر من المسند" وكتاب "السنة" ومات في ربيع الآخر سنة ٢٨٧هـ. انظر: السير ٤٣٠/١٣ (٢١٥)، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص٣٠٢ (٦٣٩).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في كتابه السنة ص٤٢٣ (٨٩١)، وقال الألباني: "إسناده جيد ورجاله ثقات" -إلى أن قال-: "وللحديث طريق آخر" فذكر طريق البخاري المتقدم، انظر: تعليق الألباني على كتاب السنة ص٤٢٣ (٨٩١).

(٣) الأديم: هو الجلد ما كان، وقيل: الأحمر، وقيل: هو المدبوغ، انظر: لسان العرب ٩٦/١، والقاموس المحيط
=

الساهرة التي قال فيها: [ل١٣١/ب] ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (النازعات: ١٣، ١٤) ﴿**بِنُورِ رَبِّهَا**﴾بما يقيمه فيها من الحق والعدل ويبسطه من القسط في الحساب ووزن الحسنات، ويدل عليه مستعار إضافته إلى اسمه لأنه هو الحق العدل، وإضافة اسمه إلى الأرض لأنه مربيها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم فيها بالحق بين أهلها، ولا ترى أزين للبقاع من العدل ولا أعمر لها منه وترى الناس يقولون للملك العدل: أشرقت الآفاق بعدلك وأضاءت الدنيا بقسطك، كما يقال: أظلمت البلاد بجور فلان(١).

﴿**وَوُضِعَ الْكِتَابُ**﴾ تقدم: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ (الكهف: من الآية٤٩) وفسّر بكتاب كل إنسان؛ المؤمن يعطاه بيمينه، والكافر بشماله، ويحتمل أن يراد به ديوان الحفظة المراد من قوله: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجاثية: ٢٩) ويأتي: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ (المطففين: ٧) وفسره بأنه كتاب مرقوم وأن ﴿كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ (المطففين: ١٨) وفسره بكتاب مرقوم ﴿**وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ**﴾ كما

=

ص١٠٨٦. أما العكاظي: فعكاظ اسم سوق كان العرب يجتمعون فيها كل سنةٍ شهراً ويتناشدون ويتفاخرون ثم يفترقون، وهو من مكة على مرحلتين أو ثلاث، وأديم عكاظي منسوب إلى عكاظ. انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد ٢٠٩/٣ مادة (عكظ)، والنهاية في غريب الحديث ٢٤٣/٢.

(١) هذا تأويل باطل والأشبه أنه منقول عن الزمخشري، كما في الكشاف ١٤٠/٤ ويقصد منه نفي صفة المجيء لله سبحانه وتعالى يوم القيامة، وقد ذكر ابن كثير رحمه الله التفسير الحق للآية، فقال: ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ أي أضاءت يوم القيامة إذا تجلى الحق جل وعلا للخلائق لفصل القضاء". انظر: تفسير ابن كثير٩٨/٤، وقال ابن القيم رحمه الله في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ص ١١: "والنور يضاف إليه سبحانه على أحد وجهين: إضافة صفة إلى موصوفها وإضافة مفعول إلى فاعله.
فالأول كقوله عز وجل: ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ فهذا إشراقها يوم القيامة بنوره تعالى إذا جاء لفصل القضاء، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في الدعاء المشهور: (أعوذ بنور وجهك الكريم أن تضلني لا إله إلا أنت)، وفي الأثر الآخر: (أعوذ بوجهك أو بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات) فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الظلمات أشرقت لنور وجه الله. كما أخبر تعالى أن الأرض تشرق يوم القيامة بنوره".

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ (المائدة: من الآية١٠٩) فلنسألنهم ولنسألن المرسلين ﴿**وَالشُّهَدَاءِ**﴾ الذين يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكفار بالكفر المرادون في قوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ (غافر: من الآية٥١) وقيل: المراد بهم الذين قتلوا في سبيل الله[1] ﴿**وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ**﴾ بين من في الأرض الذين أُريدوا في قوله: ﴿وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾ (الزمر: من الآية٦٨) أي قضى الله بينهم وفصل خصوماتهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (يونس: من الآية٩٣) ﴿**بِالْحَقِّ**﴾ بالعدل والإنصاف عند اختصامهم لديه كما قال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ (الزمر: ٣١) وهو تعالى خير الفاصلين بين المتجادلين، و لم يذكر فاعل القضاء وهو الله تعالى كما صرح به قوله: ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (الزمر: من الآية٤٦) ﴿**وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾ كما قال: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: من الآية١٠٨) [ل١٣٢/أ] ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (قّ: من الآية٢٩) ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً﴾ (طه: ١١٢).

﴿**وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ**﴾ من خير ومن شر كما فصل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى • وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى • جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ (طه: ٧٤ – ٧٦) وهذا كثير في القرآن ﴿**وَهُوَ أَعْلَمُ**﴾ منهم كما ورد في الحديث: (واغفر لي ما أعلمه وما أنت أعلم به مني)[2] ﴿**بِمَا يَفْعَلُونَ**﴾ من جميع أفعالهم ثم بين منتهى

---

(١) قاله قتادة والسدي. انظر: تفسير الطبري ٢٤/٤٠، وتفسير زاد المسير٢٤/٢٦.

(٢) لم أجد الحديث بهذا اللفظ، وجاء في البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهُ كان يَدعو: (اللهمَّ اغفِرْ لي خَطيئتي وجهلي ، وإسرافي في أمري، وما أنتَ أعلمُ به مني. اللهم اغفرْ لي هَزْلي وجِدِّي، وخَطئي وعَمدي، وكلُّ ذلك عندي). انظرصحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب قولِ النبي =

فصل القضاء بين الأمم وأنهم فريق في الجنة وفريق في السعير فقال: ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ**﴾ تقدم في سورة مريم: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾ (مريم: ٨٦) أي عطاشاً، فطوى هنا كونهم ورداً كما طوى هنالك كونهم زمراً، جمع زمرة أي متفرقين[1] كما قال: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً﴾ (النبأ: ١٨) وتفصيله في سورة ق كما يأتي إن شاء الله تعالى[2]، حيث قال: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ...﴾ الآيات (قٓ: ٢٠) ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**﴾ فإنهم يأتونها وهي مغلقة، زيادة في مفاجئة عذابها لهم فيفتح إلى وجوههم ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠٤) ثم وبّخهم الخزنة ﴿**وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا**﴾ الذين ذكر الله تعالى عدتهم بقوله: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ • وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ﴾ -أي خزنتها- ﴿إِلاَّ مَلائِكَةً﴾ (المدثر: من الآية٣٠، ٣١) ووصفهم تعالى بالغلظة والشدة في قوله: ﴿عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: من الآية٦) ﴿**أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ**﴾ في دار الدنيا ﴿**مِنْكُمْ**﴾ من جنسكم فـ﴿**يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ**﴾ القائدة لكم إلى الإيمان، الدالة لكم على النجاة من النيران ﴿**وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا**﴾ يخوفونكم ﴿**قَالُوا**﴾ أي الذين كفروا جواباً على الخزنة: ﴿**بَلَى**﴾ أي قد أتونا وحذرونا، أوّلهم نوح قال لقومه: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ[3] يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأعراف: من الآية٥٩) وكل نبي كذلك ونحو هذا قوله: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا

=

صلى الله عليه وسلم: (اللهم اغفرْ لي ما قدمتُ وما أخرْت) ٢٠٠٩/٤ (٦٣٩٩)، وصحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل ٣٣/١٧ (٢٧١٩).

(١) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١٩١/٢: "زمراً: جماعات في تفرقة، وبعضهم على إثر بعض واحدتها زمرة". ونحوه الزمخشري في أساس البلاغة ٤٢١/١، مادة (زمر).

(٢) ولكنه في الجزء المفقود من المخطوط.

(٣) [ل١٣٢/ب].

فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ • قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ﴾ (الملك: ٨، ٩) وهنا قالوا: ﴿**وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ**﴾ تقدم تفسيرها قريباً في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ (الزمر: من الآية١٩) وتبين الحقوق في قوله في يسٓ: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ...﴾ الآية (يـس: من الآية٧)[1] ﴿**عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ بسبب كفرهم، فهو من تعليق الحكم، وهو حقوق القول على الوصف المناسب للعلية.

﴿**قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ**﴾ تقدم أن لها سبعة أبواب؛ أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في أبوابها قال: جهنم، والسعير، [ولظى][2] والحطمة، وسقر، والجحيم، والهاوية وهي أسفلها[3]. وأخرج البيهقي في البعث عن خليل بن مرة[4] أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان لا ينام حتى يقرأ تبارك وحمٓ السجدة، وقال: (الحواميم سبع، وأبواب جهنم **سبع**، تجيء كل حمٓ منها يوم القيامة تقف على كل باب

---

(١) قال المؤلف رحمه الله في تفسيرها هنالك في سورة يسٓ: "واعلم أن حقوق القول على الأكثر تفرع عن اختيارهم الكفر والفسوق، فهو عز وجل عَلِم بسابق علمه أنه يرسل إليهم رسله فيكفرون باختيارهم، فبعلمه بذلك حق القول، ويدل له قوله تعالى في غافر: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ (غافر: ٦) ا.هـ. انظر: تفسير مفاتح الرضوان في الجزء الذي حققه الأخ أمين المزيني ص ٢١٩.

(٢) ما بين المعقوفتين ليس في الأصل، وأثبته من مصادر التخريج، وبه يكتمل العدد سبعة.

(٣) لم أجده في تفسير ابن أبي حاتم، وعزاه لابن أبي حاتم: السيوطي في الدر المنثور ١٨٥/٤، وقال الآلوسي بعد أن أورده في تفسيره: "وجاء في ترتيبها عن الأعمش وابن جريج وغيرهما غير ذلك، وذكر السهيلي في كتاب الإعلام أنه وقع في كتب الرقائق أسماء هذه الأبواب، ولم ترد في أثر صحيح، وظاهر القرآن والحديث يدل على أن منها ما هو من أوصاف النار نحو السعير والجحيم والحطمة والهاوية ومنها ما هو علم للنار كلها نحو جهنم وسقر ولظى، فلذا أضربنا عن ذكرها". ا.هـ، انظر: روح المعاني للآلوسي ٣٩٦/١٤

(٤) هو الخليل بن مرة الضبعي البصري، نزل الرقة، كان أحد الصالحين قال عنه ابن حجر: ضعيف. مات سنة١٦٠هـ. انظر: التقريب ص٣٠٢ (١٧٦٧)، والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي ٢١٧/١ (١٤٢٨).

من هذه الأبواب، فتقول: اللهم لا يدخل من هذا الباب من كان يؤمن [بي][1]، ويقرأني)[2]. ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى**﴾ الكافرين ﴿**الْمُتَكَبِّرِينَ**﴾ على الله وعلى رسله جهنمُ.

﴿**وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة**﴾ عبَّر بـ(سيق) مشاكلة لما قبله، وإلا ففي سورة مريم ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا • وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ فالسَّوْق خاص بهم، وقيل: المراد سَوْق مراكب المتقين لأنهم يذهبون إلى الجنة ركباناً، أخرج ابن مردويه عن علي رضي الله عنه[3] عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً﴾ قال: (أما والله لا يحشرون على أقدامهم، ولا يساقون سوقاً، ولكنهم يؤتون بنوقٍ من الجنة لم ينظر الخلائق إلى مثلها، رحالها الذهب وأزمتها الزبرجد، فيقعدون عليها حتى يقرعوا باب الجنة)[4] ﴿**زمراً**﴾

---

(١) ما بين المعقوفتين ليس في الأصل، فأثبتها من مصادر التخريج.

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره ٣٣٠/٥، والبيهقي في البعث ص ٢٦٨ (٤٦١)، وفي شعب الإيمان ١٠٥/٤ (٢٢٥٠)، عن الخليل بن مرة مرسلاً، وقال البيهقي: "هكذا بلغنا بهذا الإسناد المنقطع". وأورده ابن كثير في كتابه الفتن والملاحم ص٢٩٧ وقال: "قال البيهقي: هذا منقطع، والخليل بن مرة فيه نظر". ا.هـ وقال الحافظ ابن حجر في الخليل بن مرة: "ضعيف"، انظر: التقريب ص٣٠٢ (١٧٦٧).

(٣) في الأصل: "عليه السلام" وقد سبق الكلام على سبب تغييري لها ص٦٧.

(٤) أخرج الحديث مرفوعاً ابن أبي داوود في البعث ص ٥٢ (٥٦)، ونسبه مرفوعاً لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور ٥٠٨/٤، وأخرجه موقوفاً على علي رضي الله عنه: ابن أبي شيبة في مصنفه ٨٠/١٢ (٣٥٠١١)، وعبد الله بن أحمد كما في مسند أبيه، ذكره عنه ابن كثير في تفسيره ٢٢١/٣، وأخرجه الطبري في تفسيره١٤٦/١٦، والحاكم في مستدركه٤٠٩/٢ (٣٤٢٥)، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه". وقال الذهبي في التلخيص: "بل عبد الرحمن هذا لم يرو له مسلم ولا لخاله النعمان وضعفوه". وقال ابن أبي داود بعد أن أورده مرفوعاً: "ولم يرفعه عن ابن الفضيل إلا عباد". ا.هـ. وعباد هو بن يعقوب الرواجني: صدوق رافضي روى له البخاري حديثاً مقروناً. انظر: السير١١/ ٥٣٦ (١٥٥)، والتقريب ص٤٨٣ (٣١٧٠).

تنبيه: أورد ابن أبي حاتم بإسناده حديثاً طويلاً، وفي ضمنه معنى حديثنا هذا، ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٢١/٣، وقال قبله: "روى ابن أبي حاتم ها هنا حديثاً غريباً جداً مرفوعاً عن علي" ثم ساق الإسناد وذكر الحديث، ثم =

وأخرج البخاري، ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، [ل١٣٣/أ] والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب في السماء إضاءة)[١][٢] ﴿**وفتحت أبوابها**﴾ أظهر الأقوال: أن الواو للحال أي وقد فُتحت عناية بهم وإكراماً لهم، لئلا يقفوا بأبوابها[٣]، أخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أبواب الجنة ثمانية أبواب: باب للمصلين: وباب للصائمين: وباب للحاجين: وباب للمعتمرين: وباب للمجاهدين: وباب للذاكرين: وباب للشاكرين: وباب للصابرين[٤]. وأخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لكل أهل

=

قال بعده: "هكذا وقع في هذه الرواية مرفوعاً، وقد رويناه في المقدمات من كلام علي رضي الله عنه بنحوه، وهو أشبه بالصحة، والله أعلم".

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته ١٠٢٣/٢ (٣٣٢٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر وصفاتهم وأزواجهم ١٤٢/١٧ (٢٨٣٤).

(٢) لم يذكر المصنف جزءاً من الآية، وهو قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا﴾.

(٣) نقل هذا القول: ابن الجوزي في زاد المسير ٢٧/٢٤، والذي يظهر لي والله أعلم أن هذا القول ضعيف لأنه يقول: لئلا يقفوا بأبوابها: والثابت في الأحاديث الصحيحة أنهم يقفون على أبوابها كما ثبت في صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله: (آتي باب الجنة يوم القيامةِ. فأستفتح. فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك). انظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً) ٦٢/٣ (١٩٧)، وقد بين ابن القيم رحمه الله سبب هذا الوقوف فقال: "تعظيماً لخطرها -أي خطر الجنة ومكانتها- وإظهاراً لمنزلة رسوله، وكرامته عليه" -إلى أن قال: "ولئلا يتوهم الجاهل أنها بمنزلة الخان الذي يدخله من شاء فجنة الله غالية". ا.هـ. انظر: حادي الأرواح ص٤٠، وأما بالنسبة للواو في قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ فهي عاطفة على قوله: ﴿جَآءُوهَا﴾، والجواب محذوف تقديره: سعدوا. وهذا اختيار المبرد وغيره. قال المبرد: "وحذف الجواب أبلغ عند أهل العلم". انظر: تفسير القرطبي ٢٧٣/١٥، وحادي الأرواح ص٤٠.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢٦٢/١٠ (١٨٤١٤) بدون إسناد.

عمل باب من أبواب الجنة يُدْعَون منه بذلك العمل)[1]. وأخرج البزار[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا كان يوم القيامة، دُعي الإنسان بأكثر عمله، فإن كان الصلاة أفضل دُعي بها، وإن كان بصيامه دُعي بها، وإن كان الجهاد أفضل دُعي به) قال أبو بكر: يا رسول الله، أَثَّم أحد يدعى [بعملين][3] قال: (نعم أنت)[4]. وأخرج أحمد عن معاوية بن حيدة[5] أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: (مابين مصراعين من مصاريع الجنة أربعين عاماً، وليأتين عليه يوم وله[6]

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٣/٤ (٨٩٨٨)، وأحمد في مسنده ٣١٤/٩ (٩٧٦٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن علقمة وقد وثقه جماعة". انظر: مجمع الزوائد ٥٣٠/١٠، وقال الذهبي: "روى له البخاري مقروناً بآخر، وروى له مسلم متابعةً". انظر: السير ١٣٦/٦ (٤٦).

(٢) هو أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري، البزار، أبو بكر، الإمام، الحافظ الكبير، صاحب"المسند"الكبير، الذي تكلم على أسانيده. ولد سنة نيف عشرة ومائتين. ومات سنة ٢٩٢هـ. انظر: السير ٥٥٤/١٣ (٢٨١)، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي ١٧٥/٣.

(٣) في الأصل: "بعملهن" والتصويب من مصادر التخريج.

(٤) أخرجه البزار في مسنده ١٧٣/١٥، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: "رواه البزار وإسناده حسن". انظر: مجمع الزوائد ٥٣٠/١٠. وأصل الحديث في صحيح مسلم من رواية أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أنفق زوجين في سبيل الله نُودي في الْجَنَّة: يا عبد الله هذَا خَيْرٌ، فمن كَان من أَهل الصَّلاَة، دُعِي من باب الصَّلاَةِ ومن كان من أَهل الْجهاد دعي من باب الْجهاد، ومن كان من أَهل الصَّدَقَةِ، دعي من باب الصَّدَقَة، ومن كان من أهل الصيام، دعي من باب الريان).
قال أبو بكر الصديق: ما على أحد يدعى من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال رسول الله: (نعم، وأرجو أن تكون منهم). انظر: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر١٠٢/٧ (١٠٢٧).

(٥) هو معاوية بن حيدة بن معاوية بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة القُشيري، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وصحبه، وسأله عن أشياء وروى عنه أحاديث، نزل البصرة، غزا خراسان ومات بها. وهو جد بهز بن حكيم بن معاوية. انظر: الطبقات الكبرى٢٥/٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة ٢٠٠/٥ (٤٩٨٢)، والتقريب ص٩٥٤ (٦٨٠٣).

(٦) قوله: "له" جاء ملحقاً بالحاشية، وعليه: "صح".

كظيظ)[1]، ﴿**وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا**﴾ بضد ما قالته خزنة النار للداخلين إليها، ﴿**سَلامٌ عَلَيْكُمْ**﴾ من كل سوء ومكروه، والرب سبحانه يقول: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ﴾ (الحجر: ٤٦) والملائكة بعد استقرارهم في الجنة ﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (الرعد: من الآية٢٣) يقولون: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ (الرعد: من الآية٢٤) والله تعالى سمى الجنة: دار السلام ﴿والله يدعوا إلى دار السلام﴾ ﴿لهم دار السلام عند ربهم﴾ وهي أحق بهذا الاسم؛ لأنها **دار السلامة** من كل بلية وآفة ومكروه، وهي دار الله –واسمه السلام- التي سلّمها وسلّم أهلها، وتحية أهلها فيها سلام ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ﴾ (إبراهيم: من الآية٢٣) والرب يسلم عليهم من فوقهم، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ • سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ (يّس: ٥٧، ٥٨) و﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا تَأْثِيماً[2] • إِلاَّ قِيلاً سَلاماً سَلاماً﴾ (الواقعة: ٢٥ ،٢٦) وقد سمى الله الجنة في القرآن عشرة أسماء.

الثاني[3]: الجنة وهي اسم عام يتناول تلك الدار وما اشتملت عليه.

الثالث: دار المقامة، قال تعالى حكاية عن أهلها: ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (فاطر: من الآية٣٥).

الرابع: جنة المأوى، قال تعالى: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ (النجم: ١٥) قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: هي الجنة التي تأوي إليها أرواح الشهداء[4]. والتحقيق: أنها اسم من أسماء الجنة، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى •

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١٠٤/١٥ (١٩٩٠٨)، وابن حبان في صحيحه ٣٨٧/١٠ (٧٣٤٥)، وأبو نعيم في الحلية ٢٠٥/٦، وإسناده صحيح. انظر: السلسلة الصحيحة ٢٧٤/٤.

(٢) [ل١٣٣/ب].

(٣) لعل المؤلف اعتد بالاسم الذي مر قريباً وهو دار السلام على أنه الأول، وجعل اسم الجنة الثاني، وهذا يثبت أن أسماءها في القرآن أكثر من عشرة، وقد عدّ ابن القيم في كتابه حادي الأرواح للجنة اثنا عشر اسماً انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص٦٩.

(٤) لم أعثر على إسناده، وإنما وجدت عند الطبري ٦٦/٢٧، قول ابن عباس رضي الله عنهما عن جنة المأوى قال: هي يمين العرش وهي منـزل الشهداء. وبإسناد فيه عطية العوفي وهو ضعيف وقد تقدم الكلام عليه ص ٦٧.

فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات: ٤٠، ٤١).

الخامس: دار الخلد، سميت بذلك لأن أهلها لا يظعنون عنها أبدا.

السادس: جنات عدن وهي اسم لجملة الجنات، فكلها جنات عدن؛ إذ العدن: الإقامة والدوام، يقال: عَدَن بالمكان إذا أقام به(١).

السابع: الحيوان، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ (العنكبوت: من الآية٦٤) والمراد: الجنة عند أهل التفسير(٢)، قال الزجاج(٣): هي دار الحياة الدائمة(٤)، والحيوان: الحياة، كما قاله أهل اللغة(٥).

الثامن: الفردوس، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ (المؤمنون: من الآية١١) وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ (الكهف: ١٠٧) وأصل الفردوس: البستان، والفرادس: البساتين(٦)، وهو اسم يقع على جميع الجنة، ويقال: على أفضلها وأعلاها(٧).

التاسع: جنات النعيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ (لقمان: ٨) وهو اسم جامع لجميع الجنات.

---

(١) انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٤/١٠٠ (٨٢٣٨)، ومختار الصحاح لأبي بكر الرازي ص ٤١٨ مادة (عدن).

(٢) الذي في كتب التفسير، أن الحيوان بمعنى الحياة الدائمة، ولا شك أن أهل الجنة في حياة دائمة.

(٣) هو إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج البغدادي، أبو إسحاق، الإمام، نحوي زمانه، مصنف كتاب "معاني القرآن" وله تآليف جمة. لزم المبرد، فنصحه وعلّمه، مات سنة ٣١١، وقيل: سنة ٣١٠هـ، ويقال: سنة ٣١٦هـ. انظر: السير١٤/٣٦٠ (٢٠٩)، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروزآبادي ص٤٥.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٤/١٧٣.

(٥) انظر: لسان العرب، ٣/٤٢٧، والقاموس المحيط، ص ١٢٨٥.

(٦) انظر: الصحاح للجوهري ٣/٩٥٩ مادة (فردس)، ولسان العرب، ١٠/٢١٦.

(٧) بل هو أعلى الجنة بنص كلام المعصوم صلى الله عليه وسلم كما أخرجه البخاري في صحيحه أنه قال: (فإذا سألتمُ اللهَ فاسألوهُ الفِردَوسَ، فإنهُ أوْسَطُ الجنة وأعلى الجنة) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ﴿قل أي شيء أكبر شهادة﴾ ٤/٢٣١٦.

العاشر: المقام الأمين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ (الدخان: ٥١) فالمقام موضع الإقامة، والأمين: الآمن من كل سوء وآفة ومكروه، وهو الذي جمع صفات الأمن كلها، فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النقص، وأهله آمنون فيه من الخروج، والنغص[١] والنكد[٢] وكل مكروه.

الحادي عشر: مقعد صدق، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ • فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ (القمر: من الآية ٥٤، ٥٥) [ل١٣٤/أ] تسمى الجنة: مقعد صدق، لحصول كل ما يراد من القعد الحسن، وموضوع لفظة الصدق عندهم: الصحة، والكمال، والحق الثابت، ذكر هذا في حادي الأرواح وشرح كثيراً منها[٣].

﴿**طِبْتُمْ**﴾ هو من كلام الملائكة، إخباراً لأهل الجنة، أنهم طابوا، فاستحقوا دار الطيبين. ﴿**فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**﴾ مقدّراً خلودكم أبد الآباد.

إن قُلْتَ: ذكر الله فريقي السعداء والأشقياء وخص السعداء بالذين اتقوا، وبقي فريق ثالث: الذين آمنوا و لم يتقوا لم يذكروا.

قلتُ: هم داخلون في فريق الذين اتقوا، لما ثبت في حديث الشفاعة أنها تحشر الأمة المحمدية ومعها منافقوها، فبالأولى المؤمن الذي ليس بمنافق ولا متق.

﴿**وَقَالُوا**﴾ الداخلون الجنة ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ**﴾ حيث قال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ٧٢) ولذا ينادي أصحاب الجنة: ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُوا

---

(١) النغص: القطع عن المراد، ونغص الرجل لم يتم له مراده، ونغّص الله عليه العيش تنغيصاً، أي كَدّره، انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ٢٤٦/٤ مادة (نغص)، ولسان العرب، ٢١٩/١٤.

(٢) النكد: اللؤم والشؤم، وكل شيء جر على صاحبه شراً فهو نكد. انظر: لسان العرب ٢٨٠/١٤، والقاموس المحيط ص٣٤٧.

(٣) انظر: حادي الأرواح ص ٦٩.

نَعَمْ﴾ (الأعراف: من الآية٤٤) ووَعْدُه تعالى في كتابه لأهل الإيمان والعمل الصالح كثير جداً ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً، خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾ (الكهف: ١٠٧، ١٠٨) ﴿**وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ**﴾ أرض الجنة، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥) أخرج الفريابي وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ قال: أرض الجنة[1]. وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة في قوله: ﴿وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ﴾ قال: أرض الجنة[2]. ﴿**نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ**﴾ ننزل حيث شئنا منها، من قوله: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرائيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ (يونس: من الآية٩٣) ونحو: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ[3] فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ (يوسف: من الآية٥٦) وإذا دخلوا الجنة قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ (الأعراف: من الآية٤٣) وقال الله تعالى فيهم: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (يونس: من الآية١٠) ﴿**فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ الجنة، حُذف للعلم به، قيل: هو من كلام الله تعالى[4]، وقيل: من كلام أهل الجنة[5]، وفيه إخبارٌ بأنه لا تُدْخل الجنة إلا بالأعمال الصالحة، لا بالأماني الفارغة، وأنها أجرٌ وجزاءٌ عليها.

﴿**وَتَرَى**﴾ يا محمد أو كل راءٍ ﴿**الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ**﴾ مُحدقين ﴿**مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ**﴾

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ١٢٣/١٧، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأبو يحيى اسمه: زاذان قال الحافظ ابن حجر في التقريب: "لين الحديث". انظر: التقريب ص١٢٢٤ (٨٥١٢)، ولم أجده في تفسير ابن أبي حاتم، وعزاه للفريابي وابن أبي حاتم: السيوطي في الدر المنثور٦١٢/٤.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره٤٥/٢٤، من طريق بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة به، وهو إسناد حسن قد تقدم الكلام عليه ص (٦٧)، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور ٦٤١/٥.

(٣) [ل١٣٤/ب].

(٤) قاله مقاتل. انظر: البحر المحيط ٥٩٠/٧.

(٥) انظر: تفسير القرطبي ٢٧٥/١٥.

من جوانبه ﴿**يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ**﴾ بنحو: سبحانك اللهم وبحمدك تنزيهاً له عن كل قبيح، ووصفاً له بكل ثناء، ﴿**وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ**﴾ بين الخلائق ﴿**بِالْحَقِّ**﴾ بإدخال بعضهم الجنة، وبعضهم النار ﴿**وَقِيلَ**﴾ أي قال كل من يصلح منه القول: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ على قضائه بالحق، والحمد لله أتممنا بإعانة الله تعالى قراءة تفسير هذه السورة في المدرسة[1] في أثناء شهر رمضان من سنة ١١٧٨ والحمد لله كثيراً.

(١) لعله يقصد الجامع الكبير بصنعاء، فإنه كان يدرّس فيه، كما قال هو عن ذلك " لما دَرَّسنا في الجامع الكبير، في التفسير، على الكرسي تدريساً عامًّا ممزوجاً بالوعظ والتذكير من سنة ١١٥٤هـ...إلخ". انظر: كتاب الديوان له ص٤٠٢، ٤٠٣.

سورة المؤمن. مكية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**حم**﴾ من أول السبع الحواميم، أخرج محمد بن نصر، وابن مردويه، عن أنس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إن الله أعطاني السبع مكان التوراة، وأعطاني الراءات إلى الطواسين مكان الإنجيل، وأعطاني ما بين الطواسين إلى الحواميم[2] مكان الزبور، وفضلني بالحواميم والمفصل)[3].

وأخرج أبو عبيد[4] في فضائله، عن ابن عباس، قال: "إن لكل شيء لباباً، وإن لباب القرآن آل حم"[5]، وأخرج أبو عبيد، وابن المنذر، والحاكم، والبيهقي،

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٤٧/٢٤، وتفسير ابن كثير ١٠٥/٤، ومنار الهدى للأشموني ص ٣٣٦.

(٢) كره بعض السلف كابن سيرين وأبي عبيدة والفراء وغيرهم أن يقال (الحواميم) وإنما يقال (آل حم)، انظر: تفسير ابن كثير ١٠٥/٤، والتحرير والتنوير ٧٧/١١، وقال في البحر المحيط ٥٩٤/٧: "فإن صح من لفظ الرسول أنه قال: الحواميم، كان حجة على من منع ذلك".ا.هـ قلت: قد صح موقوفاً من لفظ ابن مسعود رضي الله عنه كما يأتي قريباً، وهو في زمن الاحتجاج باللغة، والله أعلم.

(٣) أخرجه محمد بن نصر في مختصر قيام الليل ص ٢٥٣، وقد ذكر الحديث الألباني في السلسلة الضعيفة، وقال: "هذا إسناد ضعيف جداً"، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة ٥١/٧، إلا أن هناك ما يشهد لبعضه وهو حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (أعطيت مكان التوراة السبع الطوال وأعطيت مكان الزبور المئين وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل) أخرجه أحمد في مسنده ٢٢٢/١٣ (١٦٩١٩)، وابن جرير في تفسيره٥٢/١، والطبراني في الكبير ٧٥/٢٢ (١٨٦)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد٩٣/٧: "رواه أحمد والطبراني وفيه عمران القطان، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه النسائي وغيره وبقية رجاله ثقات". وصحح الرواية أحمد شاكر في تحقيقه على الطبري١٠٠/١، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: "الحديث بمجموع طرقه صحيح". انظر: السلسلة الصحيحة ٤٦٩/٣ (١٤٨٠).

(٤) هو أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله، الإمام الحافظ المجتهد، ولد سنة ١٥٧هـ، له كتب منها "فضائل القرآن" وكتاب "الناسخ والمنسوخ" وغيرها، مات رحمه الله سنة ٢٢٤هـ بمكة وعمره سبعاً وستين سنة، انظر: طبقات ابن سعد ٢٥٣/٧ (٣٥٧٥)، والسير ٤٩٠/١٠ (١٦٤).

(٥) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ٦٤/٢ (٤٨٨)، وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف وقد تقدم تضعيفه ص ٦٠.

في شعب الإيمان، عن ابن مسعود: " الحواميم ديابيج[1] القرآن"[2].

﴿**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾ تقدم: ﴿الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (الزمر: من الآية١)، و﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: من الآية٤٢)، وغيرهما من الأوصاف، وكلها تفيد أنه أنزله العزيز، فهو كتاب عزيز، وأنه [ل١٣٥/أ] أنزله الحكيم، فهو ملآن بالحكمة، وأنزله الحميد، فهو محمود في ألفاظه ومعانيه.

﴿**غَافِرِ الذَّنْبِ**﴾ ساتره على مرتكبه، وإن كان الذنب باقياً، لأن الغفر هو الستر، مع بقاء الذنب لمن لم يتب، وقد وردت هذه الصفة بلفظ: غفَّار ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ...﴾ الآية (طه: من الآية٨٢)، وبلفظ: غفور ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر: من الآية٣٤).

﴿**وَقَابِلِ التَّوْبِ**﴾ قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ (الشورى: من الآية٢٥)، وقال: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ (التوبة: من الآية١٠٤)، والإتيان بحرف العطف لإفادة الجمع بين محو الذنب وقبول التوبة[3]، والتوب مصدر: تاب كالتوبة، وقيل: جمعها[4] ﴿**شَدِيدِ الْعِقَابِ**﴾ جمع بين صفات الترغيب والترهيب، على قاعدة القرآن[5] أي شديد عقابه في الدارين لمن

---

(١) كذا في الأصل، وفي مصادر التخريج: "ديباج".

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ٦٥/٢ (٤٩٠)، والحاكم في المستدرك ٤٧٤/٢ (٣٦٣٤)، والبيهقي في شعب الإيمان ١٠٠/٤ (٢٢٤٣)، عن عبد الله بن مسعود موقوفاً، وأخرجه الثعلبي في تفسيره ٣٣٠/٥، عن أنس مرفوعاً، وقال الألباني: "وهذا موضوع، آفته عبد القدوس بن حبيب؛ فإنه كذاب". وصحح الموقوف على عبد الله بن مسعود، انظر: السلسلة الضعيفة ٣١/٨ (٣٥٣٧).

(٣) انظر: الكشاف ١٤٥/٤، وتفسير أبي السعود ٤٠٧/٥.

(٤) أي التوب جمع التوبة، قاله الأخفش. انظر: معاني القرآن للأخفش ص٢٧٦، ولسان العرب مادة (توب)٦١/٢.

(٥) قال ابن كثير رحمه الله: "وكثيراً ما يقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب في القرآن" انظر: تفسير ابن كثير٢٩٨/٢.

عصاه؛ فإنه أوجب في دار الدنيا عقاب من سرق ربع دينار بقطع يده، نكالاً من الله[1]، وأوجب جلد الزاني مائة جلده وسماه عذاباً، بقوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: من الآية٢)، وأوجب رجم الزاني المحصن[2]، وأوجب القتل قصاصاً[3]، وعاقب من كذب رسله وكفر به بالإغراق[4]، والصيحة[5]، وأنواع العذاب، وقال: ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ (الزمر: من الآية٢٦) ﴿**ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ**﴾ فإنه من اتصف بما ذكر من الصفات عُلِم أنه لا إله سواه ﴿**إِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾ أي المرجع للخلائق إليه لا إلى غيره، قال: ﴿أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ (الشورى: من الآية ٥٣)، و﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ (النجم: ٤٢) ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً﴾ (يونس: من الآية٤)، وقال مؤمن آل فرعون: ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾ (غافر: من الآية٤٣)، وإذا كان إليه المصير، وجب مراقبته وطاعته.

﴿**مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ**﴾: يطعن فيها ويستعمل في ذلك المقدمات الباطله[6]، ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ لأن جدالهم فيها من وحي الشيطان ﴿وَإِنَّ

---

(١) كما جاء في صحيح البخاري قوله صلى الله عليه وسلم: (تقطع اليد في ربع دينار فصاعداً). انظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب قوله تعالى: ﴿والسارق والسارقة...﴾ ٤/٢١٢٠ (٦٧٨٩)، وصحيح مسلم، كتاب الحدود، باب حد السرقة ونصابها (١٦٨٤).

(٢) كما جاء في صحيح مسلم عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: (خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ الله لَهُنَّ سَبِيلاً، الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ، جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ، جَلْدُ مِائَةٍ وَالرَّجْمُ). انظر: صحيح مسلم ١١/١٥٧ (١٦٩٠).

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٧٨).

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً﴾ (الفرقان: ٣٧)

(٥) كما في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (هود: ٦٧)

(٦) المقدمات هي كلام يقدم ثم يبنى عليه غيره وهي أنواع: مقدمات باطلة، ومقدمات صحيحة. انظر: تفصيل ذلك في كتاب المستصفى في أصول الفقه للغزالي ١/٧٤، وأشار شيخ الإسلام ابن تيمية في فتاويه إلى شيء =

الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ (الأنعام: من الآية١٢١) ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ (غافر: من الآية٥) ﴿**فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ**﴾ تقدم: ﴿لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (آل عمران: ١٩٦،١٩٧)، والكل[1] نحو: ﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ[2] بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ الآية (التوبة: من الآية٥٥) فإن ما هم فيه من الكفر -الذي هو سبب خسران الدارين- يدفع الاغترار والإعجاب بما هم فيه من التصرف في الدنيا، [والتقلب فيها فقد تقلب قبلهم فيها من هو أكثر أموالاً وأولاداً وحظاً، وكان عاقبته الأخذ الشديد.

أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة ﴿فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ﴾ قال: فسادهم فيها وكفرهم[3]][4].

﴿**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ**﴾ قبل من كذَّبك ﴿**قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ**﴾ كعاد وثمود وتلك القرون الذين كانوا أحزاباً على الكفر، كما قال تعالى: ﴿وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً﴾ (الفرقان: من الآية٣٨) ﴿**وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ**﴾ من هذه الأمم، أمة نوح وأمم الأحزاب ﴿**بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ**﴾ ليتمكنوا منه ومن الإيقاع به، وإصابته بما أرادوا من قتل وغيره، قال الله تعالى في شأن ما أراده كفار قريش به صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ...﴾ الآية (الأنفال: من الآية٣٠) كما بين في كتب التفسير والسيرة ﴿**وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ**﴾ بالوحي الشيطاني ﴿**لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ**﴾ الوحي

=

من ذلك. انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٦/٤، وانظر: كشاف اصطلاح الفنون للتهانوي ٥٥٧/٣.

(١) هكذا في الأصل، ولعل المؤلف رحمه الله يقصد بقوله: (والكل) أي الكفار الذين تقلبوا والكفار الذين لم يتقلبوا، والله أعلم.

(٢) [ل١٣٥/ب].

(٣) عزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور ٦٤٧/٥، ولم أعثر على إسناده.

(٤) من قوله: "والتقلب فيها..." إلى هنا جاء ملحقاً بالحاشية وعليه: "صح".

الرحماني ﴿**فَأَخَذْتُهُمْ**﴾ أرادوا أخذ رسولهم فأخذهم الله بأنواع العذاب ﴿**فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ**﴾ فقد رأيتم مصارع أقوام منهم، كثمود [وغيرهم][1] مما تمرون عليهم: ﴿مُصْبِحِينَ • وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ (الصافات: من الآية ١٣٧ ، ١٣٨)

﴿**وَكَذَلِكَ**﴾ أي كما وجب قضاؤه تعالى وحكمه على أولئك الأمم بالأخذ والتعذيب لتحزبهم على رسلهم وجدالهم بالباطل لإدحاض الحق: ﴿**حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ**﴾: العذاب نحو: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (يّس: ٧) ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ (الزمر: من الآية١٩) وهي ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (ص: ٨٥)، وقدمنا تحقيق الحقوق في أول سورة يس[2] ﴿**عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ من الأمم﴿**أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ**﴾ أي مثل ذلك الوجوب، على الكفرة المهلكة، كونهم من أصحاب النار، أي كما وجب هلاكهم في الدنيا بعذاب الاستئصال، كذلك وجب تعذيبهم بالنار في الآخرة.

﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ**﴾ وهم أعلى طبقات الملائكة، وأولهم وجوداً[3]. أخرج عبد بن حميد عن ميسرة قال: "حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى، ورؤوسهم قد خرقت العرش [ل١٣٦/أ]، وهم خشوع لا يرفعون طرفهم، وهم أشد خوفاً من أهل السماء السابعة، وأهل السماء السابعة أشد خوفاً من أهل السماء التي تليها، والتي تليها أشد خوفاً من التي تليها"[4].

وأخرج أبو يعلى وابن مردويه بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أُذِن لي أن أحدث عن مَلَكٍ قد

---

(١) في الأصل: "وغيره"، والمثبت هو المناسب للسياق.

(٢) تقدم الكلام عليه ص ١٨٥، وبينت الإحالة هنالك مع توضيح المعنى فليراجع.

(٣) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ١١٢/١، والبيضاوي في تفسيره ٢٣٩/٨، وأبو السعود في تفسيره ٨٠٤/٥، ومثل هذا يحتاج إلى دليل، ولم أجد ما ينص على ذلك.

(٤) عزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور ٦٤٨/٥، ولم أعثر على إسناده.

مرقت رجلاه الأرض السابعة، والعرش على منكبه، وهو يقول: سبحانك أين كنت وأين تكون)[1]. وأخرج أبو داود وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة، وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات بسند صحيح عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أُذِن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام)[2]، والذين يحملون العرش مبتدأ، خبره: ﴿**يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ**﴾، أخرج ابن المنذر، وأبو الشيخ والبيهقي في شعب الإيمان عن هارون بن رئاب[3] قال: حملة العرش يتجاوبون بصوت رخيم، يقول أربعة منهم: سبحانك وبحمدك على حلمك بعد علمك، وأربعة منهم يقولون: سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك[4]. والجملة مستأنفة، مسوقة لتسليته صلى الله عليه وآله وسلم ببيان أن

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده ص١١٥٤ (٦٦١٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٣/٨ (١٣٣٨١): "رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح". وصححه ابن حجر في المطالب العالية ٤٧/٤ (٣٤٥٣) وعزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور ٦٤٧/٥

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ص ٧٠٩ (٤٧٢٧)، وأبو الشيخ في العظمة٩٤٨/٣ (٤٧٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات٢٨٤/٢ (٨٤٦)، عن جابر مرفوعاً، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: "رجاله رجال الصحيح" ١٠٥/١ (٢٥٦)، وقال الحافظ في فتح الباري: "إسناده على شرط الصحيح" ٨٤٨/٨، وكذا صححه الألباني، انظر: تعليقه على سنن أبي داود، وعلى مشكاة المصابيح ١٥٩٦/٣.

(٣) هو هارون بن رئاب أبو بكر التميمي الأسيدي البصري، الإمام الرباني، ثقة عابد، وهو مقل من الرواية، حدَّث عن أنس بن مالك، والأحنف بن قيس، عاش ٨٣سنة، انظر: السير ٢٦٣/٥ (١٢٣)، والتقريب ص ١٠١٣ (٧٢٧٤).

(٤) أخرجه أبو الشيخ في العظمة ٥٩٤/٣، وأبو نعيم في الحلية ٥٥/٣ (٢٠٦)، والبيهقي في شعب الإيمان٥٥٩/١ (٣٥٨)، وإسناد أبي الشيخ من طريق رواد بن الجراح عن الأوزاعي عن هارون بن رئاب، قوله، ورواد صدوق اختلط بأخرة فترك، انظر: التقريب ص ٣٢٩ (١٩٦٩)، وقال الذهبي في الكاشف: "له مناكير، ضُعِّف" ٢٤٣/١ (١٦٠٣)، وتابعه يحيى بن عبد الله البابلُتِّي عن الأوزاعي عند أبي نعيم، وهو ضعيف أيضاً، انظر: التقريب ص١٠٥٩ (٧٦٣٥)، ولهما متابع ثقة عند البيهقي، وهو الوليد بن مزيد عن الأوزاعي عن هارون مثله، وعلى كل حال فإسناد الجميع موقوف على هارون، وهذا من الغيب الذي لا بد فيه من =

أشراف الملائكة مثابرون على ولاية من معه من المؤمنين ونصرته واستدعاء ما يسعدهم في الدارين، وهو نحو: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ﴾ (فصلت: ٣٨).

﴿**وَيُؤْمِنُونَ بِهِ**﴾ بيان لشرف الإيمان، وإبراز لشرف أهله، والإشعار بعلّة دعائهم لأهل الإيمان بأنه جمع بينهما الاتصاف به، والمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضاً، فهم يشدون المؤمنين من بني آدم ﴿**وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا**﴾؛ لأنهم صاروا إخواناً لهم[(١)] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: من الآية١٠) وهو كما وصف الله تعالى الذين جاءوا بعد المهاجرين والأنصار من أهل الإيمان ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ...﴾ الآية (الحشر: من الآية١٠) وذلك لأن المشاركة في الإيمان أقوى المناسبات وأتمها، وأدعى الدواعي إلى[ل١٣٦/ب] النصح والشفقة، ثم فيه أنهم لا يستغفرون لأهل الإيمان إلا بأمر الله تعالى، وإن جَعَلَه الله من وظائف عباداتهم ولذا قرنه بإيمانهم وتسبيحهم قائلين: ﴿**رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً**﴾ قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: من الآية١٥٦)، وثبت في الأحاديث أن لله مائة رحمة أنزل منها إلى الأرض رحمة واحدة، وادّخر عنده تسعة وتسعين رحمة، وإذا كان يوم القيامة ضم تلك الرحمة إلى التسعة والتسعين، ورحم عباده بها، هذا معناه لا لفظه، وهو حديث صحيح[(٢)].

﴿**وَعِلْماً**﴾ أي ووسعت كل شيء علماً، أي أحاط علمك بكل شيء

=

النص، ولا نعلم من أين أتى به هارون رحمه الله.

(١) أي إخواناً لهم في الدين، و لم أجد من نص على ذلك.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة مائة جزء ١٨٩٩/٤ (٦٠٠٠)، ومسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ٥٨/١٧ (٢٧٥٢)، ولفظ البخاري: (جَعَلَ اللّهُ الرحمةَ في مائة جزء، فأمسكَ عندهُ تسعةً وتسعينَ جُزءاً ، وأنزل في الأرض جُزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق، حتى ترفع الفرسُ حافِرَها عن ولدها خشية أن تصيبه).

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ (البقرة: من الآية٢٥٥) ﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ﴾ (سبأ: من الآية ٣) وقُدّمت الرحمة هنا لأنها المقصودة بالذات[١]، وتحقيق الآية: أن رحمته وعلمه هما اللذان وسعا كل شيء، والأصل: وسع كل شيء رحمتك وعلمك، لكنه أرسل الكلام عن أصله بأن أسند الفعل إلى صاحب الرحمة والعلم وأخرجا منصوبين على التمييز؛ للإغراق في وصفه تعالى بالرحمة والعلم كأن ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء[٢].

﴿**فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا**﴾ أي عن الشرك وآمنوا، ليطابق قوله: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ وليس المراد التوابين عن المعاصي حتى يرد ما أورده الكشاف[٣] من أن التائبين مغفور لهم، وأن فائدة الدعاء زيادة الكرامة والثواب[٤]، بل الدعاء عام لأهل

---

(١) من قوله: "يعلم ما بين أيديهم..." إلى هنا جاء ملحقاً بالحاشية، وعليه: "صح".

(٢) هذا الكلام الذي يبدو أنه منقول عن الزمخشري وهو في كشافه بنصه ١٤٨/٤، وقد درج فيه على مذهبه الباطل من التفريق بين الصفة والموصوف؛ فالمعتزلة ينفون الصفات عن الله عز وجل، ففي صفة العلم مثلاً يقولون هو عالم بذاته –أي ليس عالم بعلمه– وهكذا في بقية الصفات، ولذا قال الزمخشري: "كأن ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء"، وقال: "الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء". وهذا كله فرارٌ من إثبات الصفات له سبحانه وتعالى، وأما أهل السنة فيقولون: هو عالم بعلم هو صفة له، فيثبتون الصفات لله سبحانه وتعالى على الوجه اللائق به، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: من الآية١١) وأما قول أئمة التفسير من أهل السنة والجماعة في تفسير هذه الآية أعني قوله تعالى: ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً﴾ فيقولون: إن علم الله محيط بالأشياء، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وأن رحمته تبلغ حيث يبلغ علمه، فوسعت رحمته وعلمه كلَّ شيء من خلقه، فعلم كل شيء و لم يخف عليه شيء، ورحم خلقه ووسعهم برحمته. انظر: تفسير الطبري ٥٣/٢٤، وتفسير ابن كثير ١٠٩/٤، وشرح الطحاوية لابن أبي العز ص ٩٨، وشرح الواسطية للهراس ص٩٥.

هذا ولابن القيم رحمه الله توضيح حول هذه المسألة فيقول في بدائع الفوائد ٢٥٥/٢: "سعت رحمته عموم تعلقها بكل شيء، كما أن سعت علمه عموم تعلقه بكل معلوم". والله أعلم وأحكم.

(٣) ١٤٩/٤.

(٤) خص بعض المفسرين كالطبري ٥٣/٢٤ والمؤلف وغيرهما هذه الآية بمن تاب عن الشرك، وهو قول قتادة كما في الطبري، وذهب غيرهم كالقرطبي ٢٨٣/١٥ وابن كثير ١٠٩/٤ وغيرهما إلى أنها تشمل حتى المعاصي =

الإيمان مطلقاً، وكل مغفرة بحسبها، وأما قوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ﴾ (الشورى: من الآية٥)، فهو عام خصه ما هنا بأن المراد بهم المؤمنون ﴿**وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ**﴾ وهي طريقة رسلك، كما قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ (يوسف: من الآية١٠٨) وقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ...﴾ الآية (الأنعام: من الآية١٥٣) ﴿**وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ**﴾ إحفظهم عنها.

﴿**رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ**﴾ كرروا النداء مبالغة في الطلب، ﴿**الَّتِي وَعَدْتَهُمْ**﴾أي في عدة آيات نحو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ، جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (البينة: ٧،٨) وسؤالهم الله تعالى [ل١٣٧/أ] إنجازُ ما وعَدَ، تعبدٌ، وإلا فإنه لا يخلف الميعاد، فهو من باب قول الله عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ (الأنبياء: من الآية ١١٢) مع أنه لا يحكم إلا به[1]. ﴿**وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ**﴾ تقدم في الرعد في

=

الأخرى، وهذا هو الراجح؛ لأن لفظ الآية عام فيشمل الشرك والمعاصي، وأما إيراد الزمخشري من أن فائدة الدعاء زيادة الكرامة والثواب، فهو إيراد مردود لأنه مبني على قاعدة المعتزلة من اعتقاد وجوب قبول التوبة على الله، وقد قرر هذه القاعدة الزمخشري في تفسيره بقوله: "فإن قلت: ما الفائدة في استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون موعودون بالمغفرة والله لا يخلف الميعاد؟ قلت: هذه بمنزلة الشفاعة، وفائدته زيادة الكرامة والثواب" ا.هـ. وهذا باطل لأن قبول التوبة في عقيدة أهل السنة والجماعة يكون بفضل الله ورحمته لا بالوجوب عليه. انظر: كلام ابن المنير في الانتصاف بحاشية الكشاف ١٤٩/٤، وأشار إلى شيء من ذلك ابن تيمية في فتاويه٧٣/٨و٩١.

(١) لم أجد من نص على هذا من أهل العلم قبل المؤلف رحمه الله، لكن هناك مسألة شبيهة بها، وهي دعاء المؤمنين في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (آل عمران: ١٩٤) إذ كيف يسألون الله إنجاز ما وعد وقد علموا أن الله منجز وعده؟ وقد أجاب الطبري٢٦٤/٤ والقرطبي ٣٢٦/٤ وغيرهما رحم الله الجميع بأجوبة منها:

(أ) أن الله عز وجل وعد من آمن بالجنة فسألوا الله أن يكونوا ممن وعدوا بذلك.

=

صفة أولي الألباب المتذكرين المتصفين بوفاء وعد الله سبحانه، وعدم نقض الميثاق، ووصلهم ما أمر الله به أن يوصل، وخشية ربهم، وخوفهم سوء الحساب، وصبرهم ابتغاء وجه ربهم، وإقامتهم الصلاة، والإنفاق مما رزق الله لهم سراً وعلانية، ودرأهم بالحسنة السيئة بأنَّ ﴿لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ • جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ (الرعد: من الآية٢٢،٢٣) فقوله هنا: ﴿**وَمَنْ صَلَحَ**...﴾ الآية أي ووعدت من صلح فهو عطف على ضمير ﴿وعدهم﴾، ويأتي: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ...﴾ الآية[1] (الطور: من الآية ٢١) ﴿**إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة قال: قال: [مطرِّف بن عبد الله][2] بن الشخير: وجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة، ووجدنا أغش عباد الله لعباد الله الشياطين[3].

﴿**وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ**﴾ أي العقوبات؛ لأن جزاء السيئة سيئة، وجزاء السيئات على حذف المضاف[4]﴿**وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ**﴾ هو بعد الدعاء

=

(ب) أن هذا على وجه التعبد والخضوع.

(ج) أنهم سألوا الله عز وجل أن يعجل لهم ما وعدهم من نصرهم على الأعداء في هذه الدنيا. وهو الذي اختاره الطبري والله أعلم.

(١) وهو في الجزء المفقود من المخطوط.

(٢) في الأصل: "عبد الله بن مطرف"، والتصويب من مصادر التخريج وكتب الرجال.

وهو مطرف بن عبد الله بن الشخير، أبو عبد الله الحرشي العامري البصري، حدث عن أبيه، كان ثقة له فضل وورع وعقل وأدب. مولده كان عام "بدر"أو عام "أحد" ويمكن أن يكون سمع من عمر وأُبي. توفي سنة ٩٥هـ. انظر: الطبقات٧/١٠٣، والسير٤/١٨٧ (٧٧).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٣/١٤٠ (٢٦٥٧)، من طريق معمر عن قتادة عن مطرِّف من قوله، وهو إسناد صحيح سبق بيانه ص ١٢٨ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٤/٥٥، من طريق سعيد عن قتادة عن مطرِّف كذلك، وهو إسناد حسن تقدم الكلام عليه ص ٦٧، وعزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور ٥/٦٤٩.

(٤) انظر: تفسير أبي السعود ٥/٤١٠، وتفسير الآلوسي ٢٤/٤١٢.

بإدخالهم جنات عدن، إشارةٌ إلى أن الدعاء لمن استحق النار من المؤمنين -وإن كان سيخرج منها- أن يتجاوز الله عنه وينجيه من دخول النار رأساً، ﴿**وَذَلِكَ**﴾ أي كل ما ذكر ﴿**هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾(آل عمران: من الآية١٨٥) ثم أخذ تعالى في الإخبار عن الكفار بعد دخولهم النار فقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ**﴾ وهم في طبقات جهنم وقد مقتوا أنفسهم الأمَّارةِ بالسوء، التي وقعوا فيما وقعوا باتباع هواها، أي أبغضوها أشد البغض، وأنكروها أبلغ الإنكار، يقال لهم عند ذلك: ﴿**لَمَقْتُ اللَّهِ**﴾ إياكم في الدنيا ﴿**أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ**﴾ الآن في النار ﴿**أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ**﴾ تدعوكم الرسل ﴿**إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ**﴾ اتباعاً لأنفسكم [ل١٣٧/ب] الأمَّارَةِ بكل سوء.

أخرج عبد بن حميد عن الحسن قال: مقتوا أنفسهم لما دخل المؤمنون الجنة، وأُدخلوا النار، فأكلوا أناملهم من المقت، قال: ينادون في النار: ﴿لمقت الله﴾ إياكم في الدنيا إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون ﴿أكبر من مقتكم أنفسكم﴾ في النار[1].

﴿**قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ**﴾ الموتة الأولى: خروجهم من الدنيا، والموتة الثانية: الإماتة في القبر بعد إحيائهم للسؤال ﴿**وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ**﴾ الحياة في القبر والحياة للحشر، هذا هو الواضح في تفسير ذلك[2].

---

(١) عزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور ٦٤٩/٥، و لم أعثر على إسناده

(٢) هذا هو اختيار المؤلف رحمه الله، وقد قال به بعض العلماء، كالسدي وغيره، انظر: تفسير القرطبي ٢٨٥/١٥، وتفسير ابن كثير١٠٣/١، وقد ذهب الطبري في تفسيره ٢١٧/١، وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٧٥/٤، وتلميذه ابن القيم في كتابه الروح ص ٥١، وجمع غفير من العلماء، إلى أن هذه الآية مفسرة بآية البقرة ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة: ٢٨) فالموتة الأولى هي ما قبل الحياة، والموتة الثانية عند مفارقة هذه الحياة، والحياة الأولى هذه التي نحن فيها، والحياة الثانية بعد الموت، وهذا هو الراجح، وهو الذي اختاره ابن كثير في تفسيره ورجحه، انظر: تفسير ابن كثير ١٠٣/١، واختاره الإمام الشنقيطي في أضواء البيان٤٦/٧، وهو قول ابن مسعود وابن عباس =

﴿**فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا**﴾ التي أعظمها إنكار الحياة بعد الموت[1] بقولهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (المؤمنون: ٣٧)، وقولهم في سورة المؤمنين[2] بهذه الآية بلفظها: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا...﴾ الآية وبقولهم إنهم إذا كانوا تراباً وعظاماً إنهم لمبعوثون، إنكاراً للبعث لقولهم عليه: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ (المؤمنون: ٨٣)، وقولهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾ (الدخان: ٣٥) وهذا المعنى كثيرٌ عنهم في الآيات: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً...﴾ الآية (الإسراء: ٤٩) ﴿**فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ**﴾ من النار ﴿**مِنْ سَبِيلٍ**﴾ هو نحو قولهم: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنعام: من الآية٢٧) وردَّ تعالى عليهم ذلك بقوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ (الأنعام: من الآية٢٨) وقولهم: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (السجدة: من الآية١٢) وقولهم: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠٧) قال الله: ﴿اخْسَأُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾ (المؤمنون: من الآية١٠٨) وقولهم: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ (فاطر: من الآية٣٧)، وأجاب تعالى عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ...﴾ الآية (فاطر: من الآية٣٧)، واكتفى هنا بهذا الجواب ونحوه، عن الجواب عليهم هنا، بل قال:

﴿**ذَلِكُمْ**﴾ الذي أنتم فيه من العذاب ﴿**بِأَنَّهُ**﴾ بسبب أن الشأن ﴿**إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ**﴾ في الدنيا ﴿**كَفَرْتُمْ**﴾ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ

=

رضي الله عنهم كما في تفسير الطبري ٢١٧/١.

(١) لا شك أن إنكار الحياة بعد الموت من أعظم الذنوب، ولكن أعظم الذنوب على الإطلاق، هو الشرك بالله، كما جاء في البخاري ومسلم، عن عبد الله بن مسعود قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم فقال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك...) الحديث. انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ١٣٥٢/٣ (٤٤٧٧)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده ٦٩/٢ (٨٦).

(٢) هكذا في الأصل، ولو قال: المؤمنون على الحكاية فلا بأس.

اشْمَأَزَّتْ[1] قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ (الزمر: من الآية٤٥)، وقال: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً﴾ (الإسراء: من الآية٤٦) ﴿**وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا** ﴾ ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (الزمر: من الآية٤٥) ﴿**فَالْحُكْمُ لِلَّهِ**﴾ الذي لا يحكم إلا بالحق ﴿ **الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ**﴾ الذي ليس كمثله شيء في ذاته ولا صفاته ولا في أفعاله، وقد حكم بأنه لا يغفر للمشرك ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ (النساء: من الآية٤٨) فلا خروج للقائلين ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (غافر: من الآية١١) فقد تضمن الجواب عن استفهامهم.

﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ**﴾ في الآفاق وفي أنفسكم وفي الوحي، وليس شيء من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء ﴿**وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقاً**﴾ هو المطر فهو سبب الأرزاق ﴿**وَمَا يَتَذَكَّرُ**﴾ يتعظ بمواعظ[2] ﴿**إِلاَّ مَنْ يُنِيبُ**﴾ يرجع عن الشرك وغيره، فإنَّ الذي قلبه حي تدخله الموعظة وينفعه التذكير، كما قال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ (الأعلى: ١٠).

﴿**فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾أي إذا كان الأمر كما ذكر من اختصاص التذكر بمن ينيب، فاعبدوه أيها المؤمنون مخلصين له الدين، إذ تذكركم واتعاظكم يستلزم إفراده بالعبادة والإخلاص ﴿**وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ ذلك، فإغاظتهم بفعل ما يكرهونه مقصودٌ لله: ﴿وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ (التوبة: من الآية١٢٠).

﴿**رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ**﴾ رفيع ملائكته ومعارجهم الذي يعرجون إلى العرش والسماوات، كما قال تعالى: ﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ • تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ...﴾ الآية (المعارج: من الآية ٣ ،٤) فهو وصفه بحال المتعلق، ولذا قال: ﴿**ذُو الْعَرْشِ**﴾ الذي

(١) [ل١٣٨/أ].

(٢) قوله: "يتعظ بمواعظ" جاء ملحقاً بالحاشية، وعليه: "صح".

يُعْرَج إليه، والكل إخبار بعظيم سلطانه وعلو شأنه[1].

﴿**يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ**﴾ حياة الأشباح[2] وسماه الله روحاً في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا...﴾ الآية (الشورى: من الآية٥٢) ﴿**عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**﴾ على من اصطفاه منهم، ولما قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ (الأنعام: من الآية١٢٤)،قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام: من الآية١٢٤)، ولما قالت كفار قريش: ﴿لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف: من الآية٣١)، قال تعالى [ل١٣٨/ب]: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ...﴾ الآية (الزخرف: من الآية٣٢) وبين تعالى من ينزِّل الوحي في قوله في النحل: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (النحل: من الآية٢) ﴿**لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ**﴾ أي بحكمة الإنذار للعباد يوم تلاقي أهل السموات والأرضين، والظالم والمظلوم، والعامل وعمله، ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ (هود: من الآية١٠٣).

﴿**يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ**﴾: خارجون من الأجداث ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعاً﴾ (المعارج: من الآية٤٣) ﴿**لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ**﴾ فهو العالم ما يخفون وما يعلنون، وهو كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٨) ﴿**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ**﴾ قيل: تقول جميع الخلائق -أهل المحشر-: ﴿**لِلَّهِ**

---

(١) في قوله تعالى: ﴿رفيع الدرجات﴾ تفسيران، كلاهما صحيح:

الأول: رفيع الدرجات أي الله جل وعلا رفيع الصفات والذات، انظر: تفسير الطبري ٥٩/٢٤.

والثاني: رفيع الدرجات بمعنى رافعٌ درجات الملائكة والمؤمنين. انظر: تفسير القرطبي٢٨٦/١٥، وتفسير الشوكاني ٧٠٦/٢.

(٢) قال في نظم الدرر: "﴿يلقي الروح﴾ أي الذي تحيا به الأرواح حياة الأشباح بالأرواح". ا.هـ. انظر: نظم الدرر ٢٤/١٧، والشَبَحُ: ما بَدا لكَ شَخصُه من الخلق، يقال: شَبَحَ لنا أي مَثَلَ، وجمعُه: أشباح. انظر: كتاب العين للخليل ابن أحمد ٣٠١/٢ مادة (شبح)، ولسان العرب ١٥/٧، أي كما أن حياة الأشباح بالأرواح فحياة الأرواح بالوحي.

الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ كما تقدم أنه تعالى يقوله حين تفنى الخلائق[1]، وما أحسن قرن صفة الوحدة بالقهر، فإنه لا يكون واحد قهاراً إلا الله تعالى، وأما غيره فإنما يقهر بعض العباد بالأعوان والأجناد.

﴿**الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ**﴾ من النفوس البارة والفاجرة، والمراد بها الشخص ﴿**بِمَا كَسَبَتْ**﴾ بكسبها من خير وشر، كما قال: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً﴾ (آل عمران: من الآية٣٠) ﴿**لا ظُلْمَ الْيَوْمَ**﴾ فإن الحاكم فيه ليس بظلاّم للعبيد.

أخرج الحاكم وصححه والبيهقي في الأسماء والصفات عن جابر: بلغني حديث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في القصاص لم أسمعه فابتعت بعيراً، فشددت عليه رحلي، ثم سرت إليه شهراً، حتى قدمت مصر، فأتيت عبد الله بن أنيس، فقلت له: حديث بلغني عنك في القصاص. فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (يحشر الله العبادَ حفاة عراة بُهماً) قلنا: ما بهما؟ قال: (ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك الديان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار، وعنده مظلمة حتى أقضيه عنه، حتى اللطمة) قلنا: كيف وإنا نأتي غرلاً بُهماً؟ قال: (بالحسنات [ل١٣٩/أ] والسيئات). وتلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾)[2].

وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الذنوب ثلاثة،

---

(١) انظر: تفسير سورة الزمر عند قوله تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ص (١٧٨) من هذا البحث

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٤٢٧/١٢ (١٥٩٨٤)، والبخاري في الأدب المفرد ص٢٨٧، وابن أبي عاصم في السنة ص ٢٣٦، والحاكم في مستدركه ٤٧٥/٢ (٣٦٣٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات١٩٦/١ (١٣١)، والطبراني في الأوسط ٢٦٥/٨ (٨٥٩٣)، وقال الحاكم: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه". ووافقه الذهبي، وحسَّن إسناده الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة ص٢٣٦.

ذنب يُغفر، وذنب لا يُغفر، وذنب لا يُترك [منه][1] شيء، فأما الذنب الذي يغفر: العبد يذنب الذنب فيستغفر الله فيغفر الله له، وأما الذنب الذي لا يغفر فالشرك، وأما الذنب الذي لا يترك منه شيء فظلم الرجل أخاه. ثم قرأ ابن عباس رضي الله عنهما ﴿**الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ فيؤخذ للشاة الجَمَّاء، من الشاة القَرْناء، بفضل نطحها[2].

﴿**وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ**﴾هو من أسماء يوم القيامة، سميت به لأزوفها، وهو القرب، قال تعالى: ﴿أَزِفَتِ الآزِفَةُ﴾ (النجم: ٥٧) أي قربت القريبة، وليوم القيامة أسماء؛ قال في فتح الباري: إنه جمع الغزالي[3] والقرطبي[4] أسماء يوم القيامة فبلغت

---

(١) ساقطة من الأصل، والتصويب من مصادر التخريج.

(٢) أخرجه ابن فضيل في الدعاء ٣٣٢/١ (١٣٧) عن محمد بن عبيد الله عن عطاء، عن ابن عباس.

ومحمد بن عبيد الله هو العرزمي متروك كما في التقريب ص ٨٧٤ (٦١٤٨)، وعطاء بن أبي رباح ثقة فقيه. انظر: التقريب ص ٦٧٧ (٤٦٢٣).

وأخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان ٤٧٨/٢ من طريق أبي يحيى القتات عن مجاهد، عن ابن عباس. وأبو يحيى القتات اسمه: زاذان، لين الحديث كما في التقريب ص ١٢٢٤ (٨٥١٢). وعليه فالأثر لا يثبت، لكن لبعضه شاهدٌ مرفوع عند الطبراني في الأوسط ٣١٢/٧ (٧٥٩٥)، من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ذنب يغفر، وذنب لا يغفر، وذنب يجازى به؛ فأما الذنب الذي لا يغفر فالشرك بالله، وأما الذي يغفر فعملك بينك وبين ربك، وأما الذنب الذي يجازى به فظلمك أخاك) قال الهيثمي في المجمع: "فيه طلحة بن عمرو، وهو متروك". ا.هـ وانظر: التقريب ص٤٦٤ (٣٠٤٧)، ولقوله في الأثر: فيؤخذ للشاة الجمّاء...الخ شاهدٌ مرفوع عند مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: (لَتُؤَدُّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة. حتى يُقاد للشاة الْجَلْحَاء من الشاة القرنَاء) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم ١١٢/١٦ (٢٥٨٢)، والأثر الذي أورده المؤلف عزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور ٦٥١/٥.

(٣) هو زين الدين محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، أبو حامد، صاحب التصانيف، نعته الذهبي بالشيخ الإمام البحر، ألف كتاب "الإحياء"، وكتاب "تهافت الفلاسفة"، فيلسوف، متصوف، له نحو مائتي مصنف، وقد رجع في آخر عمره إلى طريقة أهل الحديث وصنف "إلجام العوام عن علم الكلام" توفي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة ٥٠٥هـ، وله ٥٥ سنة. انظر: الفتاوى ٧٢/٤، والسير٣٢٢/١٩ (٢٠٤)، والأعلام٢٢/٧.

(٤) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي، من كبار =

ثمانين اسماً[1]، وعدها السيوطي[2] في البدور السافرة ستة وسبعين، قال: "اعلم أن الله سمى يوم القيامة في كتابه بأسماء كثيرة نحو المائة، فيها ما هو في القرآن بلفظه، ومنها ما أخذ بطريق الاشتقاق، وكثرة الأسماء دالة على عظمة المسمى". ثم سرد ما ذكرناه[3].

﴿**إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ**﴾ بدل من يوم القيامة[4]، أي ترتفع من أماكنها فتلتصق بحلوقهم، فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا بالموت، وهو كما قال تعالى في وصف يوم الأحزاب: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ (الأحزاب: من الآية ١٠) وما تبلغها إلا من شدة المخافة. ﴿**كَاظِمِينَ**﴾ على أفواههم، حال من أصحاب القلوب، وجمع سلامة من حيث أن الكظم من أحوال العقلاء نحو: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ (الشعراء: من الآية٤)[5][6] ﴿**مَا لِلظَّالِمِينَ**﴾ الكافرين، فلا يشمل أهل الكبائر لما ثبت من الأحاديث المتواترة أنه صلى الله عليه وآله وسلم يشفع لهم[7].

=

المفسرين، من كتبه "الجامع لأحكام القرآن" وَ"التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة"، وكان ورعاً متعبداً، توفي بمصر سنة ٦٧١هـ. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي ص ٧٩ (٨٨)، والأعلام٥/٣٢٢.

(١) انظر: فتح الباري ١١/٤٨١.

(٢) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري السيوطي، جلال الدين، إمام، حافظ، مؤرخ، أديب، له نحو ٦٠٠مصنف، نشأ في القاهرة يتيماً. له مؤلفات كثيرة منها: "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" وَ"الإتقان في علوم القرآن" وغيرها، توفي عام٩١١هـ. انظر: الأعلام٣/٣٠١، وطبقات المفسرين للأدنوي ص٣٦٥.

(٣) انظر: البدور السافرة في أحوال الآخرة للسيوطي ص ١٤٣.

(٤) انظر: الدر المصون ٩/٤٦٧، وروح المعاني ٢٤/٤٢٦.

(٥) انظر: الكشاف ٤/١٥٣، والدر المصون ٩/٤٦٧.

(٦) من قوله: "على أفواههم..." إلى هنا جاء ملحقاً بالحاشية، وعليه: "صح".

(٧) كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) أخرجه أحمد ١١/١٢٠ (١٣١٥٥)، والترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الشفاعة ص٥٤٩ (٢٤٣٥)، وابن حبان في صحيحه ٩/٢٠٥ (٦٤٣٤) وغيرهم، قال الترمذي: "هذا =

﴿**مِنْ حَمِيمٍ**﴾ قريبٍ مشفق ﴿**وَلا**﴾ لهم من ﴿**شَفِيعٍ**﴾ عند الله ﴿**يُطَاعُ**﴾ فتقبل شفاعته، وهو نفي للشفيع المطاع، نفي للأمرين الشفاعة والطاعة.

﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ**﴾ هي النظرة الخافية، كالنظرة الثانية إلى محرم، وباستراق النظر إليه، ونسبة الخيانة إلى العين والخائن صاحبها، نسبة إلى الجارحة التي بها وقعت خيانة صاحبها، [ل١٣٩/ب] كنسبة الكسب إلى الأيدي ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (الشورى: من الآية٣٠). أخرج الحكيم الترمذي والخطيب[(١)] في تاريخه عن أم معبد[(٢)] قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (اللهم طهر قلبي من النفاق، وعملي من الرياء، ولساني من الكذب، وعيني من الخيانة، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور)[(٣)] وأخرج عبد بن حميد وأبو الشيخ في العظمة عن قتادة: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ﴾ همزهُ وإغماضه بعينيه فيما لا يحب الله[(٤)]. ونحوه عن مجاهد[(٥)]. ﴿**وَمَا تُخْفِي**

=

حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه". وصححه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي.

(١) هو أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر، الإمام العلامة المفتي، صاحب التصانيف، ومنها: "تاريخ بغداد" ولد سنة ٣٩٢، جمع وصنف، توفي في سابع ذي الحجة سنة ٤٦٣هـ، انظر: السير ٢٧٠/١٨ (١٣٧)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٩٨/١ (١٤٧٧).

(٢) اختُلف في أم معبد راوية هذا الحديث هل هي الخزاعية أم الأنصارية. انظر: تهذيب الكمال ٣٨٦/٣٥ (٨٠١١)، فالخزاعية هي عاتكة بنت خالد أخت خالد بن خنيس، وهي صاحبة الخيمة التي نزل عليها النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته. وأما الأنصارية فغير منسوبة. قاله الحافظ في الإصابة ٣٠٩/٨، وقال في تهذيب التهذيب ٧٠٢/٤، "قلت: في الصحابيات ممن تكنى أم معبد اثنتان غير هاتين، ولرواية هذا الحديث نسبها أبو نعيم أنصارية".

(٣) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ٣٧٦، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٣٢١/٢، قال الحافظ ابن حجر: "إسناده فيه نظر، فإنه من رواية فرج بن فضالة عن ابن أنعم، وهما ضعيفان". انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٣٠٩/٨، وضعفه الألباني أيضاً في ضعيف الجامع ص١٧١ (١٢٠٩).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٦٤/٢٤، وأبو الشيخ في العظمة ٥١٩/٢، كلاهما من طريق يزيد عن سعيد عن قتادة رحمه الله تعالى، وهو إسناد حسن تقدم الكلام عليه ص٥٦، وعزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور ٦٥٣/٥.

(٥) عزاه له الثعلبي في تفسيره ٢٧١/٨، وكذا القرطبي ٣٠٣/١٥.

الصُّدُورُ﴾ من الضمائر والأسرار، والصدر وعاء القلب، والقلب هو الذي يخفي، كما قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (الفتح: من الآية١١) فهو نسبة إلى المحل مجازاً.

﴿**وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ**﴾ لا بغيره؛ لأنه العادل الملك الحق الآمر بقضاء الخلق بالحق، فهو يقضي به، ﴿**وَالَّذِينَ يَدْعُونَ**﴾[1] تعبدون ﴿**مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ**﴾ بحق ولا باطل، وهو تهكم بهم فإن الجماد لا يقال في حقه: يقضي أو لا يقضي ﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ تقرير لعلمه بخائنة الأعين، وبما تخفيه الصدور، وبقضائه بالحق، ووعيد لهم، وتعريض بحال من يدعون من دونه، لما ذكر الله في صدر السورة أنها كذبت الأمم من قبلهم وهمت كل أمة برسولهم وأنه تعالى أخذهم، أبان بعض هذا الإجمال فقال:

﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا**﴾ أي قريش ﴿**فِي الأَرْضِ**﴾ وهو تقرير لهم بأنهم قد ساروا ﴿**فَيَنْظُرُوا**﴾ بأعينهم، أو بأفكارهم حيث يسمعون ﴿**كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ هذا المعنى قد تقرر في القرآن إيقاظاً لهم على الاعتبار ﴿**كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً**﴾ قدرةً وتمكناً من التصرفات، كما قيل:

إنَّ آثارَنا تَدُلُّ عَلَينا   فانْظُروا بَعْدَنا إلى الآثَارِ[2]

﴿**وَآثَاراً فِي الأَرْضِ**﴾ من بنائهم الحصون، ونحتهم الجبال، واتخاذهم المصانع، وغير ذلك. كما قيل:

أَينَ الْذِي الهَرَمَان مِنْ بُنْيَانِهِ   ما قَوْمُهُ مَا يَوْمُهُ ما الْمَصْرَعُ[3]

[ل١٤٠/أ]

---

(١) في الأصل (تدعون) وهي قراءة نافع، وعليها تفسير المؤلف بعدها.

(٢) البيت أورده جماعة و لم يذكروا قائله. انظر: تفسير القشيري ١/١٦٠، والتفسير الكبير للرازي ١١/٩.

(٣) البيت لأبي الطيب المتنبي يرثي فيها فاتك المجنون، ومطلعها قوله:

الْحُزْنُ يُقْلِقُ وَالتَجَمُّلُ يَرْدَعُ   وَالدّمْعُ بَيْنَهُمَا عَصِيٌّ طَيِّعُ

انظر: العرف الطيب شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ص٥٣٢. ووفيات الأعيان ٣/٤٦٠.

﴿**فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ**﴾ كما قال تعالى في الإجمال: ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ (غافر: الآية٥) ﴿**وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ**﴾ من أحد ﴿**مِنْ وَاقٍ**﴾ يقيهم أخذ الله.

﴿**ذَلِكَ**﴾ أي الأخذ ﴿**بِأَنَّهُمْ**﴾ بسبب ﴿**كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ**﴾ من معجزات ﴿**فَكَفَرُوا**﴾ بالله وبرسله ﴿**فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ**﴾ قوةً لا كقوتهم التي وصفهم بها[1] ﴿**شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ هو كقوله في الإجمال: ﴿فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (غافر: من الآية٥) ثم أخذ تعالى في بيان حال بعض من كذب رسله، ومن أخذهم بذنوبهم فقال:

﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا**﴾ معجزاتنا التي أجريناها على يديه ﴿**وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ**﴾ حجة قاهرة، وهو عطف على الآيات للتغاير العنواني، أو أريد بها مشاهير آياته من العصى ونحوها[2]، كما قال تعالى فيهم: ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ (الزخرف: من الآية٤٨) وذكر المرسل إليهم.

﴿**إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ**﴾، الآيات غَيْرُها تأتي بإجمال المرسل إليهم مع فرعون، نحو: ﴿إلى فرعون وملائه﴾ (يونس: من الآية ٧٥) ﴿إلى فرعون وقومه﴾ (النمل: من الآية ١٢)، وهنا صرح برؤوس الكفار وصناديد الضلال وأساطين الشرك والتكذيب، ﴿**فَقَالُوا سَاحِرٌ**﴾ كما قال فرعون: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ (الشعراء: من الآية٣٤) وكما قال: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ (طه: من الآية٧١) والآخران[3] إما قالا كما قال، أو أجراه على ما قال، ﴿**كَذَّابٌ**﴾ كَذَبَ بأنه رسولٌ من الله.

﴿**فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا**﴾ يأتي[4]: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا

---

(١) كما في قوله تعالى في الآية التي قبلها: ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الأَرْضِ﴾ (غافر: من الآية٢١).

(٢) انظر: تفسير البيضاوي ٢٥٤/٨، وتفسير أبي السعود ٤١٦/٥، وروح المعاني ٤٣٠/٢٤.

(٣) أي هامان وقارون.

(٤) أي سيأتي قوله تعالى: فلما جاءهم...الآية.

يَضْحَكُونَ﴾ (الزخرف: ٤٧) وتقدم نحو ذلك[١]، والحق الذي جاء به هو المعجزات الظاهرة ﴿**قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ**﴾ تقدم في ﴿طه﴾ أنه لما جاءهم بالآيات تراود فرعون وقومه ماذا يفعلون؟ واتفقوا على أن يجمعوا السحرة للمناظرة بينهم وبين موسى عليه السلام، وجعلوا بينهم وبينه موعداً، وكأنَّ هذا الخطاب وقع بعد أن وقع الحق وبطل ما كانوا يعملون[٢]، ولذا قالوا هنا: ﴿قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ فإن الظاهر أنه لم يقع الإيمان ممن معه، إلا بعد غلبته لهم [ل١٤٠/ب] ﴿**وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ**﴾ قال المفسرون: المعنى أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه أولاً[٣]، وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان، فلما بعث موسى عليه السلام ووقع منه ما وقع، أعاده عليهم غيظاً وحنقاً، وزعماً منه أنه يصدهم بذلك عن متابعته، ظناً منه أنه المولود المتوقع زوال ملكه على يديه كما حكم به الكهنة وتوهم أنه متوقع وأنه ليس هذا ﴿**وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ**﴾ الذين معهم فرعون وقومه وإن كانت اللام جنسية، وإن كانت عهدية[٤]، والمراد: فرعون وقومه، والمراد: وما كيدهم. فوضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر ﴿**إِلاَّ فِي ضَلالٍ**﴾ في ضياع وبطلان لا يغني عنهم من الله شيئاً.

﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ**﴾ مخاطباً لقومه ﴿**ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى**﴾ في كتب التفسير: أن

---

(١) كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (النمل: ١٣).

(٢) انظر: الآيات من سورة طه، من آية ٤٩ إلى آية ٧٩.

(٣) قريبٌ من هذا المعنى: ما ذكره الطبري عن قتادة أنه قال: هذا قتل غير القتل الأوّل الذي كان. انظر: تفسير الطبري ٦٦/٢٤.

(٤) هكذا في الأصل وفي الأسلوب ركاكة ويتضح المعنى بالرجوع إلى تفسير أبي السعود حيث قال: "واللامُ إمَّا للعهد والإظهار في موقع الإضمار لذمِّهم بالكفر والإشعار بعلة الحكم، أو للجنس وهم داخلون فيه دخولاً أولياً. والجملة اعتراضٌ جيء به في تضاعيف ما حكي عنهم من الأباطيل للمسارعة إلى بيان بطلان ما أظهروه من الإبراق والإرعاد واضمِحْلالِه بالمرةِ". انظر: تفسير أبي السعود ٤١٧/٥، وروح المعاني ٤٣١/٢٤.

قومه كان إذا أراد قتله كفوه بقولهم إنه لا يُخَاف منه...[1]ما أنت فيه، وهو أقل من ذلك. والذي يظهر أن اللعين كان قد تيقن أنه نبي مرسل صادق، وكان يخاف إن همَّ بقتله أن يُعاجَل بالهلاك، فكان يموِّه على قومه ويوهم أنهم الممانعون عن قتله[2]، ﴿**وَلْيَدْعُ رَبَّهُ**﴾ قال تجلداً منه وإظهاراً لعدم المبالاة بدعائه. ﴿**إِنِّي أَخَافُ**﴾ إن لم أقتله ﴿**أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ**﴾ الذي هو عبادته وعبادة الأصنام ﴿**أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ**﴾ أخرج ابن المنذر عن ابن جريج[3] ﴿أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾: عبادتكم ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ قال: أن يقتلوا أبنائكم ويستحيوا نسائكم إذا ظهروا عليكم، كما كنتم تفعلون بهم[4]. وهذه الصفة هي التي وصف الله بها فرعون بقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: من الآية٤).

﴿**وَقَالَ مُوسَى**﴾ لقومه المؤمنين: ﴿**إِنِّي عُذْتُ**﴾ التجأت ﴿**بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ**﴾يأتي له عليه السلام: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ (الدخان: ٢٠) وذكر المستعاذ منه بصفة تعمه ومن كان مثله ﴿**مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ**﴾ يأتي في فرعون: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (غافر: من الآية٣٥) وإنما ذكره بصفة عامة[ل١٤١/أ] لتعميم الاستعاذة من كل من كان بصفته، وللإشارة إلى علة القساوة والجرأة على الله تعالى، أنهما التجبر والكبرياء، وتكرر وصف فرعون بذلك، ويقال إذا اجتمع في الرجل التجبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعواقب، فقد استكمل صفات التجبر[5].

---

(١) كلمةٌ في الأصل غير واضحة.

(٢) انظر: الكشاف ١٥٦/٤، ونقل كلامه في البحر المحيط، وقال: "بعضه من كلام الحسن"، ٦٠٩/٧.

(٣) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو خالد، وأبو الوليد القرشي الأموي، المكي، شيخ الحرم، صاحب التصانيف، ثقة، حافظ لكنه يدلس بلفظة"عن"و"قال". مات سنة ١٥٠هـ، وقيل١٥١، عاش سبعين سنة. انظر: مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ص ١٤٥ (١١٤٦)، والسير٣٢٥/٦ (١٣٨).

(٤) عزاه لابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور٦٥٤/٥، ولم أعثر على إسناده.

(٥) انظر: الكشاف١٥٧/٤، والتحرير والتنوير ١٢٧/٢٤.

﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ**﴾ قيل: كان قبطياً، ابن عم فرعون[1]. أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لم يكن في آل فرعون مؤمن غيره وغير امرأة فرعون وغير المؤمن الذي أنذر موسى الذي قال: ﴿إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ (القصص: من الآية ٢٠) انتهى[2].

قلت: أما هذا فكان قبل بعثة موسى نبياً، ولعله آمن به بعد بعثته. أخرج عبد بن حميد، عن [أبي][3] إسحاق قال: كان اسم الرجل الذي آمن من آل فرعون حبيباً[4]. ﴿ **يَكْتُمُ إِيمَانَهُ**﴾ من فرعون وقومه ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً**﴾ تقصدون قتله ﴿**أَنْ يَقُولَ**﴾لأن يقول، أو كراهة أن يقول: ﴿**رَبِّيَ اللَّهُ**﴾ والحال أنه ﴿**وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ**﴾ الدالة على صدقه ﴿**مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ أي الدالة على أنها منه تعالى، إذ لا قدرة لأحد عليها، فهي دالة على الأمرين، على أنها من الله وعلى أنه رسوله.

أخرج البزار وأبو نعيم[5] في فضائل الصحابة، عن علي رضي الله عنه أنه

---

(١) قاله السدي؛ انظر: تفسير القرطبي ٢٩٣/١٥، وتفسير ابن كثير ١١٧/٤.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٢٦٦/١٠ (١٨٤٣١) بدون إسناد، وعزاه لابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور٦٥٥/٥، ولم أعثر على إسناده.

(٣) في الأصل: "ابن"، والصواب ما أثبت بالرجوع إلى الدر المنثور٦٥٥/٥.

(٤) أخرجه الثعلبي في تفسيره من طريق داود بن سليمان عن عبد الواحد، عن أحمد بن يونس، عن حديج بن معاوية، عن أبي إسحاق. داود بن سليمان صدوق كما في التقريب ص٣٠٦ (١٧٩٧).
وعبد الواحد لم أعرف من المقصود به.
وأحمد بن يونس هو أحمد بن عبد الله بن يونس ثقة، حافظ كما في التقريب ص ٩٣ (٦٣).
وحديج بن معاوية صدوق يخطئ كما في التقريب ص ٢٢٦ (١١٦١).
وأبو إسحاق هو السبيعي ثقة مكثر عابد اختلط بأخرة كما في التقريب ص ٧٣٩ (٥١٠٠)، وعزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور٦٥٥/٥.

(٥) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد المهراني الأصبهاني، أبو نعيم، الإمام الحافظ، ولد سنة ٣٣٦هـ، عمل معجم شيوخه، وله عدة مصنفات منها كتاب الحلية، والمستخرج، ودلائل النبوة، وفضائل الصحابة، وغيرها كثير، مات في العشرين من محرم سنة ٤٣٠هـ، وله أربع وتسعون سنة، انظر: السير ٤٥٣/١٧ (٣٠٥)، ومرآة =

قال: أيها الناس أخبروني عن أشجع الناس؟ قالوا: أنت. قال: أما إني ما بارزت أحداً حتى انتصفت منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس؟ قالوا: لا نعلم، فمن؟ قال: أبو بكر، رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجاءته قريش فهذا يجؤه[1]، وهذا [يتلتله][2] وهم يقولون: أنت الذي جعل الآلهة إلهاً واحداً قال: فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر؛ يضرب هذا ويجأ هذا [ويتلتل][3] هذا، وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله. ثم رفع بردة كانت عليه فبكى حتى أخضلت لحيته، ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر؟ فسكت القوم. فقال: ألا تجيبون [ل١٤١/ب] فوالله لساعة من أبي بكر خير من مثل مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه[4].

ثم أخذ منهم الحجة عليهم على طريق الاحتياط فقال: ﴿**وَإِنْ يَكُ كَاذِباً**﴾ كما زعمتم ﴿**فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ**﴾ لا يتعداه ولا يضركم ﴿**وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ**﴾ إن لم يصبكم كله، فلا أقل من إصابة بعضه، وهذا كلام صادر عن غاية الإنصاف وعدم التعصب، ولذا قدَّمَ مِنْ شِقَّيْ الترديدِ[5]: كونَهُ كاذباً، ولولا كتمانه إيمانه ما تم له هذا المقال. ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ**

=

الجنان لعبد الله بن أسعد اليافعي ٤١/٣.

(١) الوجء: اللكز باليد، انظر: لسان العرب ١٩٠/١.

(٢) في الأصل: "يفلته"، والتصويب من مصادر تخريج الحديث، والتلتلة : السوق بعنف وشدة . انظر: لسان العرب ٧٩/١١.

(٣) في الأصل: "ويبلبل"، والتصويب من مصادر التخريج.

(٤) أخرجه البزار في مسنده ١٤/٣ (٧٦١)، وأبو نعيم في فضائل الخلفاء الراشدين ص ٣٦٥، وفيه حسان بن إبراهيم الكرماني، وهو ضعيف ضعفه العقيلي، والنسائي. انظر: ضعفاء العقيلي ٢٧٤/١ (٣٠٩)، والضعفاء والمتروكين للنسائي ص ٨٩ (١٦٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد١٣/٩ بعد أن أورده: "رواه البزار وفيه من لم أعرفه".ا.هـ.

(٥) يعني بشقي الترديد ﴿إن يك كاذباً﴾ و﴿إن يك صادقاً﴾.

مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ هو احتجاج آخر من كلامه، وهو ذو جهات، أحدهما: أنه لو كان موسى مسرفاً كذاباً لما آتاه الله تلك البينات، ولما أمده بخوارق المعجزات، وثانيهما: أنه إن كان كذلك خذله الله وأهلكه، فلا حاجة لكم إلى قتله، وقد عرّض بفرعون بأنه مسرف كذاب لا يهديه الله وجه الصواب. قلتُ: وفي ذكره لله تعالى وأنه الهادي مع كتمانه إيمانه، ما يدل على أنهم مقرون بالله، وأن فرعون كان يتلون تارة يدعي الإلهية، وتارة يقر بالله تعالى، وقد حكى الله عنه وعن قومه أنهم جحدوا بالآيات ونفوسهم مستيقنة بها[1].

﴿**يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ**﴾في إعادة خطابهم وندائهم استمالة لهم إلى كلامه وسماع مقاله، فسبحان من ألهمه حسن المقال، وهداه إلى وجوه الاستدلال ﴿**الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ**﴾ أرض مصر، غالبين عالين على بني إسرائيل ﴿**فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ**﴾ من أخذه وعذابه ﴿**إِنْ جَاءَنَا**﴾ فإنه آت لمن أغضبه وعصى رسله وقتلهم، ولم يقل: إن جاءكم، مع أنه أفردهم بنسبة الملك والظهور، إشارة إلى أنه على رأيهم وأنه يخاف بأس الله. ﴿**قَالَ فِرْعَوْنُ**﴾ بعد سماعه نصحه: ﴿**مَا أُرِيكُمْ**﴾ ما أشير عليكم ﴿**إِلاَّ مَا أَرَى**﴾ من قتله﴿**وَمَا أَهْدِيكُمْ**﴾ بهذا الرأي ﴿**إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾ الصواب، وقد رد الله عليه بقوله: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ (طه: ٧٩).

﴿**وَقَالَ الَّذِي آمَنَ**[2] **يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ**﴾: مثل الأمم الماضية الذين تحزبوا على رسل الله، وأبان بعضاً منهم بقوله: ﴿**مِثْلَ دَأْبِ**﴾ أخرج ابن المنذر، عن ابن عباس: ﴿مِثْلَ دَأْبِ﴾: مثل حال[3]. ﴿**قَوْمِ نُوحٍ**﴾ وقد

---

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ النمل: ١٤.

(٢) [ل١٤٢/أ].

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٤/٧٠، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وهو إسناد حسن قد تقدم الكلام عليه ص (١٣٦)، وعزاه لابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور ٥/٦٥٦.

عرفوا حالهم، وأنه آل بهم تكذيب نوح إلى أنهم أُغرقوا فأدخلوا ناراً، وذكره لهذا من إلقاء الله على لسانه، فإن فرعون وقومه أغرقوا وأدخلوا نارا ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ (هود: من الآية٩٨) ﴿**وَعَادٍ وَثَمُودَ**﴾ فأهلكوا بالطاغيــة، أي الصائحة المجاوزة للحد في الشدة، ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ (الحاقة: ٦) أي قوية شديدة، كما يأتي في سورة الحاقة[1]، وقد مضـى مـراراً، وهـؤلاء القرون الثلاثة استدل موسى على قومه في قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ﴾ (إبـراهيم: مـن الآيـة٩) ﴿**وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ**﴾ كقوم لوط، وأصحاب مدين ﴿**وَمَا اللَّهُ يُرِيـدُ ظُلْمـاً لِلْعِبَادِ**﴾ (غافر: الآية٣١) ولا يعاقب أحداً إلا بذنبه ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِـنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: من الآية٤٠) ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَـانُوا هُـمُ الظَّالِمِينَ﴾ (الزخرف: ٧٦)، وهو أبلغ[2] من قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (فصلت: من الآية٤٦) لأنه نفي إرادة ظلم فينتفي الظلم بطريق الأولوية.

﴿**وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ**﴾ أي شدائده لا نفس اليوم، فإنما هو زمان الوقائع لا يُخاف منه، لكن اطَّرد هذا في الكتاب العزيز ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَـى اللَّهِ﴾ (البقرة: من الآية٢٨١) ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾ (الإنسان: ١٠) ولذا قال تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ (الإنسان: من الآيـة١١) إعلاماً بأن السؤال الذي يقع لا نفس الزمان، وقال تعالى: ﴿يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِـيباً﴾ (المزمـل: مـن الآيـة١٧) وقـال: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ (إبراهيم: من الآية٥) والتناد اسم ليوم القيامة.

أخرج ابن المنذر، عن ابن جريج في قوله: ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ قال: ينادى أهل النـار، وأهل الجنة[3]. وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن قتادة ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ قال: ينـادى

---

(١) سورة الحاقة في الجزء المفقود من المخطوط.

(٢) هذه العبارة فيها نظر؛ لأن كل آية مما ذكر مناسبة لسياقها، والله أعلم.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور٥/٦٥٦ لابن المنذر بلفظ أشمل كما في الأثر الذي بعده مباشرة، و لم أعثر على إسناده.

كل قوم بأعمالهم، فينادي أهل النار أهل الجنة، وأهل الجنة أهل النار[1]. وأخرج عبد بن حميد [ل١٤٢/ب] عن قتادة قال: ينادي أهلُ الجنة أهلَ النار﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً﴾ (الأعراف: من الآيـة٤٤) قال: وينادي أهل النار أهل الجنة ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ (الأعراف: من الآية٥٠)[2]. وقيل: يوم يُنَادَون للحساب[3]. ﴿**يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ**﴾ بدل من يوم التناد[4]، أي منصرفين عن الموقف إلى النار ﴿**مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ**﴾ مانع يمنعكم من عذابه، وكيف ولم يكن لكم في الدنيا من عاصم، كما قال نوح لابنه: ﴿لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (هود: من الآية٤٣)، وكما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ (الأحزاب: من الآيـة١٧) ﴿**وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾ يهديه إلى طريق النجاة، وفي الحديث: (من يضلل الله فلا هادي له)[5] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ﴾ (النمل: من الآية٨١) ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ، وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ (الزمر: من الآية٣٦،٣٧)، وقال: ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً﴾ (الكهف: من الآية١٧)

﴿**وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ**﴾ أي ابن يعقوب على أن فرعونه فرعون موسى[6]

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١٤٤/٣ (٢٦٧٤)، من طريق معمر عن قتادة، وهو إسناد صحيح قد تقدم الكلام عليه ص (١٢٨) وعزاه لابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور ٦٥٦/٥ ولكن ليس عن قتادة وإنما عن ابن جريج.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٧١/٢٤ من طريق بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة به، وهو إسناد حسن قد تقدم الكلام عليه ص (٥٦)، وعزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور ٦٥٦/٥.

(٣) كما جاء عن الضحاك. انظر: الكشاف١٦١/٤، وتفسير أبي السعود٤١٩/٥.

(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس ص٧٧٦، والدر المصون للسمين الحلبي٤٧٨/٩.

(٥) هو جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه، عن جابر رضي الله عنه ولفظه". كان رسول الله يخطب الناس. يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله. ثم يقول: (من يهده الله فلا مضل له. ومن يضلل فلا هادي له. وخير الحديث كتاب الله)، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة ١٣٦/٦ (٨٦٨).

(٦) يعني أن فرعون الذي جاء إليه يوسف عليه السلام عُمِّر حتى زمن موسى عليه السلام، وهذا قول وهب بن =

أو على نسبة أحوال الآباء إلى الأولاد[1]، أو أنه يوسف بن إبراهيم بن يوسف الصديق[2] ﴿**مِنْ قَبْلُ**﴾ قبل موسى ﴿**بِالْبَيِّنَاتِ**﴾ بالمعجزات ﴿**فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ**﴾ في تردد فيما دعاكم إليه لم يصدقوا البينات ظلماً وعلواً ﴿**حَتَّى إِذَا هَلَكَ**﴾ بالموت ﴿**قُلْتُمْ**﴾ افتراءً على الله ﴿**لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً**﴾ فيه إقرار بأن الله بعث يوسف رسولاً، وإنما كذبوه ثم زعموا أنه لا يبعث الله رسولا من بعده افتراءً على الله، وتكذيباً لكل رسولٍ يأتي ﴿**كَذَلِكَ**﴾ أي مثل هذا الإضلال ﴿**يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ**﴾ في عصيانه ﴿**مُرْتَابٌ**﴾ شاكٌّ في دينه، كما قال: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ﴾(غافر: من الآية٣٤) فعوقبوا بالإضلال لعلمهم بأنه رسولٌ إليهم أتى بالبينات الدالة على صدقه، فلا عذر لهم في شكٍ، إذ لو كانوا معذورين لما عوقبوا في الدارين ولذا أبدل منه قوله: ﴿**الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ**﴾أي التي جاءت بها رسل الله[3] ﴿**بِغَيْرِ سُلْطَانٍ**﴾ بغير حجة صالحة للجدال، بل يجادلون بالباطل[ل١٤٣/أ] ليدحضوا به الحق ﴿**أَتَاهُمْ**﴾من عند الله ﴿**كَبُرَ**﴾ أي الجدال بغير سلطان ﴿**مَقْتاً**﴾ بغضاً للجدال ومن جادل به ﴿**عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ لعلمهم أنهم جادلوا بالباطل، فهم مبغوضون عند المؤمنين ﴿**كَذَلِكَ**﴾ مثل ذلك الطبع ﴿**يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ**﴾ فهم داخلون تحت قوله: ﴿على قلوبهم...﴾ الآية[4] وذكر صفة التكبر للإعلام

=

منبه. انظر: تفسير القرطبي١٥/٢٩٩.

(١) يعني أن يوسف عليه السلام قد جاء إلى آبائكم أيها القبط فكذبوه، وهذا على مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾ (البقرة: من الآية٩١) وإنما أراد به آباءهم لأنهم هم القاتلون. انظر: تفسير روح البيان لإسماعيل البروسوي ١/١٨٢.

(٢) هذا قول ابن عباس إلا أنه قال: يوسف بن إفرائيم بن يوسف بن يعقوب. انظر: تفسير القرطبي ١٥/٢٩٩.

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس ص٧٧٦، والبيان في إعراب غريب القرآن لعبد الرحمن الأنباري ص٢٧٧.

(٤) كذا في الأصل، ولعل المؤلف رحمه الله يقصد قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (النحل: ١٠٨).

بأنه لم يصدهم عن اتباع الرسل إلا التكبر والتجبر، ويأتي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ (غافر: من الآية٥٦) فكل جدال بالباطل ليس منشؤه إلا عن التكبر، فإنه لا ينقاد للحق إلا من خلع الكبر عن قلبه، ولذا كان أتباعُ الرسل ضعفاء الناس ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ (هود: من الآية٢٧)، والكبر كما قاله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح: أنه (غَمْصُ الناس وبطر الحق)[١].

﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً**﴾ تقدم: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً﴾ (القصص: من الآية٣٨) فما حُذف هنا فهو مراد، والصرح: قصرٌ عالٍ، وقيل: بناء مكشوفٌ عالٍ، من صَرَح الشيء إذا ظهر[٢]، وأما الصرح في قوله: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ (النمل: من الآية٤٤) ففسر بأنه سطح من زجاج أبيض شفاف، فعلى كلامهم إنه مشترك[٣]، وليس في القاموس إلا قوله: القصر، وكل بناء عال[٤]. ﴿**لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ**﴾ الطرق، ثم بينها بقوله:

﴿**أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ**﴾ وتقدم: ﴿لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ ﴿**فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى**﴾ أنظر إليه، وهذا تمويه على قومه الذين استخفهم فأطاعوه، وشَغْلُه لخواطرهم عن ذكر موسى وآياته بعمارة فرعون، وإلا فهو يعلم أنه لا سبيل إلى

---

(١) هذا الحديث جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه ولفظه: (الكبر بطر الحق وغمط الناس) كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه ٧٧/٢ (٩١) هكذا "وغمط"، وفي الترمذي: "وغمص الناس" وقد صححها الألباني. انظر: تعليقه على سنن الترمذي ص٤٥٣، وكذلك الطبراني في معجمه الكبير ١١٣/٧ (٦٤٧٨)، بلفظ: (الكبر من غمص الناس وبطر الحق). وغمص الناس أي احتقرهم ولم يرهم شيئاً. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٢١/٢، ولسان العرب ١٢٢/١٠. وبطر الحق هو أن يتكبر عن الحق فلا يقبله. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١٤١/١، ولسان العرب ٤٢٩/١.

(٢) انظر: تفسير البيضاوي ٢٦٢/٨، ولسان العرب ٣١٧/٧، وتفسير أبي السعود ٤٢٠/٥.

(٣) أي مشترك بين المعنيين بين كونه بناءاً عالياً، وبين كونه سطحاً من زجاج، وقد ذكر صاحب البحر المحيط١٠٣/٧ الأقوال في معاني الصرح فليرجع إليها.

(٤) انظر: القاموس المحيط ص٢٥٤.

ما يحاوله ﴿**وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ**﴾ أي موسى ﴿**كَاذِباً**﴾ بأنه رسول من عند الله، وهو كاذب في إخباره عن ظنه، كما كذَّبه الله في قوله حكاية عن موسى مخاطباً لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ (الإسراء: من الآية١٠٢) بعد قوله لموسى: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً﴾ (الإسراء: من الآية ١٠١) ففرعون كاذب في إخباره عن ظنه في هذه السورة، وفي سورة القصص ﴿**وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ**[1] **سُوءُ عَمَلِهِ**﴾ أي زين الله له سوء عمله فرآه حسناً، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً...﴾ الآية (فاطر: من الآية٨) كما قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ (النمل: ٤)، وهذا التزيين هو التيسير للعسرى، عقوبةً على عدم قبول الإيمان بالله ورسله ﴿**وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ**﴾ عن سبيل الرشاد، أي صَدَّه الله على قراءة ضم الصاد، وهو معنى الإضلال فإن الله يضل من يشاء، وعلى قراءة فتحها فهو الذي صد قومه عن سبيل الهدى[2]. ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ (طه: ٧٩) ﴿**وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ**﴾ (غافر: الآية٣٧) أي خسار وهلاك.

﴿**وَقَالَ الَّذِي آمَنَ**﴾ ناصحاً لقومه مصرحاً بأنهم على ضلالة ﴿**يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ**﴾ فيما نصحتكم ﴿**أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾ طريق الهداية والنجاة الذي صدّكم عنه فرعون، وصُدّ هو أيضاً عنه.

﴿**يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾ التي أنتم مغترون بها ﴿**مَتَاعٌ**﴾ متعة ينتفعون بها قليلا ثم يتركونها، قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ (النساء: من الآية٧٧) وقال: ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي

---

(١) [ل١٤٣/ب].

(٢) وهما قراءتان متواترتان؛ قرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف، بضم الصاد والباقون بفتحها، انظر: كتاب الحجة لأبي علي الفارسي٣/٣٥١، ٣٥٢، وكتاب إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لشهاب الدين الدمياطي ص٤٨٦، والبدور الزاهرة لعبد الفتاح القاضي ص٣٤٧.

الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ (التوبة: من الآيـة٣٨) ﴿**وَإِنَّ الآخِرَةَ**﴾ التي أدعوكم إلى النجاة فيها ﴿**هِيَ دَارُ الْقَرَارِ**﴾ الاستقرار التي لا ظعن عنها، ولا خروج من أحد داريها، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ (العنكبوت: من الآية٦٤) وقـال: ﴿وَمَـا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: من الآية١٨٥).

أخرج ابن مردويه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الحياة الدنيا متاع، وليس من متاعها شيءٌ أفضل من امرأةٍ صالحة التي إن نظرت إليهـا سرتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها، [ومالك][1])[2]. وأخـرج ابـن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الدنيا جُمعة من جُمع الآخـرة سـبعة آلاف سنة[3].

﴿**مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً**﴾ عام لكل سيئة، خصّها قتادة هنا بالشرك[4] ﴿**فَلا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا**﴾؛ لأن جزاء السيئات عدلٌ، فهو ﴿جَزَاءً وِفَاقاً﴾ (النبأ: ٢٦)، كما كرره الله تعالى في القرآن ﴿**وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً**﴾ عام لكل صالح من الأعمـال ﴿**مِـنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾ قيد في العمل الصالح، وأنه لا يقبل إلا من المـؤمن لا من غيره، فإنه يقول في أعمال الكفار [ل١٤٤/أ]: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِـنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾ (الفرقان: ٢٣) ﴿**فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ**﴾ تقدم: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ (القصص: من الآية٨٤) وتقدم ﴿فَلَهُ عَشْـرُ أَمْثَالِهَـا﴾

---

(١) في الأصل: "ومالها"، والتصويب من مصادر الحديث.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٧٤/٥، والحاكم في مستدركه ١٧٥/٢ (٢٦٨٢) بلفظ مقارب، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وقال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم"، ووافقه الذهبي. ويشهد لأول الحديث مـا أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله قال: (الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة) كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة ٤٨/١٠ (١٤٦٧).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٨٠/٩ (١٧٤٢٥)، والطبري في تاريخه ١٥/١، وفيه يحيى بن يعقوب، قـال عنـه البخاري: "منكر الحديث". انظر: فتح الباري ٤٢٥/١١.

(٤) انظر: تفسير الطبري٧٩/٢٤.

(الأنعام: من الآية١٦٠) وفي خصوص خشية الإنفاق: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ (البقرة: من الآية٢٦١) فكذلك النفقات تضاعف إلى سبعمائة ضعف، وصرّح هنا بأعظم الجزاء: ﴿**يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ بغير تقدير وموازنة بالعمل، بل أضعاف مضاعفة، فضلاً من الله ورحمة، وجعل العمل عمدةً والإيمان حالاً، للإيذان بأن لا اعتداد للعمل بدونه.

﴿**وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ**﴾ من عذاب الله وغضبه، بالإيمان به وبرسوله ﴿**وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ**﴾ بأن أشرك بالله، وأكذّب رسوله، ثم بين ما يدعونه إليه بعد إجماله.

﴿**تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ**﴾ أجعل له شريكاً، وأكفر به باتخاذ الشريك، ﴿**مَا لَيْسَ لِي بِهِ**﴾ أي بشريك له في الربوبية[1] ﴿**عِلْمٌ**﴾والربوبية[2] لابد عليها من برهان يثمر علماً بها ﴿**وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ**﴾ بيان لدعائه إلى النجاة، ودعائهم له إلى الشرك، وخصه بصفة العزة وهو الغلبة، والمبالغة في المغفرة، إشارةٌ إلى أن غفرانه عن غلبة وقهر، لا عن عجز وضعف، كما يتفق لأهل الدنيا، ولذا قيل:

كُلّ عَفْوٍ أتى بِغَيْرِ اقتدارِ حُجَّةٌ لاجيءٌ إليها اللِّئَامُ[3]

---

(١) هذا أحد الوجهين في الآية، وقال به الزمخشري واختاره المصنف، وقيل في قوله: ﴿وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ أي في الألوهية، وهو الأقرب لقوله تعالى بعد: ﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ﴾ (غافر: من الآية ٤٣) وهو الذي اختاره شيخ المفسرين الطبري رحمه الله ٨٠/٢٤، حيث قال: "﴿وأُشْرِكَ بهِ ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ يقول: وأشرك بالله في عبادته أوثاناً، لست أعلم أنه يصلح لي عبادتها وإشراكها في عبادة الله، لأن الله لم يأذن لي في ذلك بخبر ولا عقل". واختاره الزجاج أيضاً، انظر: البحر المحيط٦١٩/٧.

(٢) كذا في الأصل، والذي يبدو أن في العبارة سبق قلم إذ أن الربوبية لا تحتاج إلى برهان لأنها من الوضوح بمكان، ولا ينكرها إلا مكابر، وتصويب العبارة كما في أصل المؤلف تفسير أبي السعود ٤٢١/٥: "الألوهية لابد لها من برهان موجب للعلم بها".

(٣) البيت للمتنبي، وتقدم عزوه، راجع ص ١٣٤.

﴿**لا**﴾ ردٌ لما دعوه إليه من الكفر بالله والإشراك، أي لا أجيبكم و﴿**جَرَمَ**﴾بمعنى حق، وهو فعل ماض، فاعله: ﴿**أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**﴾[1]من عبادة الأصنام ﴿**لَيْسَ لَهُ**﴾للذي تدعونني إليه ﴿**دَعْوَةٌ**﴾ إجابة دعوة ﴿**فِي الدُّنْيَا**﴾ كما قال تعالى: ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الأعراف: من الآية ١٩٤) ﴿**وَلا**﴾ إجابةُ دعوةٍ ﴿**فِي الآخِرَةِ**﴾ فإنه تعالى يقول: ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ (القصص: من الآية ٦٤) ﴿**وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ**﴾ مرجعنا جميعاً إليه تعالى: ﴿لإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ (آل عمران: من الآية ١٥٨) ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: من الآية ١٠٥) ﴿**وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [ل١٤٤/ب] في الضلالة والطغيان، وقد قال الله تعالى في فرعون: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (يونس: من الآية ٨٣) وذلك أنه جاوز الحد في الطغيان حتى ادعى الربوبية ﴿**هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ**﴾ أي الذين لا يخرجون ﴿ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ (الزمر: من الآية٨).

﴿**فَسَتَذْكُرُونَ**﴾ عند معاينة العذاب، وعند سوء المنقلب ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: من الآية ٢٢٧). ﴿**مَا أَقُولُ لَكُمْ**﴾ الآن من النصيحة، حين تقولون في النار: ﴿يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا﴾ (الأحزاب: من الآية٦٦) ﴿**وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ**﴾ قال ذلك حين توعدوه على مخالفة دينهم ﴿**إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** ﴾ فيدفع كيد الكائدين.

﴿**فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا**﴾ ما يسوؤه من مكرهم، وهو نظير ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ (الأعراف: من الآية ٨٣) في نوح[2]، وسائر الرسل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الحج: من الآية٣٨) ﴿**وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ**﴾ أي بفرعون وآله،

---

(١) انظر: البيان في إعراب غريب القرآن للأنباري ٨/٢، والتبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري ٥٣٣/١، وتفسير البيضاوي ٢٦٧/٨، وتفسير أبي السعود ٤٢١/٥.

(٢) كذا قال المؤلف، وهذه الآية إنما هي في لوط عليه السلام، وكذا نفس الآية في سورة النمل ٥٧.

وعدم التصريح بذكره للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة أنه أولى منهم بذلك ﴿**سُوءُ الْعَذَابِ**﴾ ما يسوؤهم من عذاب جهنم والإغراق، ثم بين ذلك بقوله:

﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا**﴾ في دار الدنيا من قولهم: عُرِض الأسارى على السيف، إذا قتلوا به، ﴿**غُدُوّاً وَعَشِيّاً**﴾ ذَكَرَ الوقتين إما للتَّخصيص، وإما فيما بينهما، فالله أعلم بحالهم، وإما للتأبيد، أي هذا ما دامت الدنيا. أخرج عبد الرزاق وابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال: أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تسرح بهم في الجنة حيث شاؤوا، وأن أرواح ولدان المؤمنين في أجواف عصافير تسرح في الجنة حيث شاءت، وإن أرواح آل فرعون في أجواف طير سود تغدو على جهنم وتروح فذلك عرضها[1].

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً﴾ قال: صباحاً ومساءاً، يقال لهم: يا آل فرعون هذه منازلكم فانظروا إليها، توبيخاً ونقمة وصغاراً[2]. وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد في قوله: ﴿غُدُوّاً وَعَشِيّاً﴾ قال: ما كانت الدنيا تُعْرَض أرواحهم[3]. [ل١٤٥/أ]

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٢٦٧/١٠ (١٨٤٣٥)، وأخرج جزءاً منه: عبد الرزاق في تفسيره ١٤٥/٣ (٢٦٨٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه ١١١/١٢ (٣٥١٦١)، والطبري في تفسيره ٨٣/٢٤، كلهم من طريق أبي قيس الأودي، واسمه: عبد الرحمن بن ثروان عن هزيل بن شرحبيل، لكنه عند ابن أبي شيبة والطبري موقوف على هزيل من قوله، ووصله عبد الرزاق وابن أبي حاتم إلى ابن مسعود، ولعل هذه المخالفة من قبل أبي قيس الأودي، قال الحافظ في التقريب ص٥٧٣ (٣٨٤٧): "صدوق ربما خالف". واللفظ الذي ذكره المؤلف لفظ ابن أبي حاتم بتمامه، ويشهد لأوله: ما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء ٢٧/١٣ (١٢١) عن مسروق قال: سألنا عبد الله هو ابن مسعود عن هذه الآية: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ قال: أما إنا سألنا عن ذلك فقال: (أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح في الجنة حيث شاءت).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٨٤/٢٤ من طريق بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة به. وهو إسنادٌ حسن تقدم الكلام عليه ص ٥٦، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور ٦٥٩/٥.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٨٤/٢٤ من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد من غير لفظ: تعرض =

وهذه الآثار دالة على احتمال الآية للأمرين الذَيْن ذكرنا[1].

وأخرج ابن أبي شيبة والبخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة)[2] زاد ابن مردويه: ثم قرأ ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً﴾.

﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ**﴾ يقال: ﴿**أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ أي أشد عذاب جهنم فإن عذابها ألوان.

﴿**وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ**﴾ يختصمون فيها وهم بين طبقاتها، وقد أخبر تعالى أنه يتفق هذا لهم في الموقف حيث قال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ...﴾ الآيات (سبأ: من الآية٣١) وكرر أيضاً اختصامهم في النار: ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ...﴾ الآية (الأعراف: من الآية٣٨) ﴿**فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ**﴾ الأتباع ﴿**لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا**﴾ وهم المتبوعون ﴿**إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً**﴾ أتباع كخدم في خادم ﴿**فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِنَ النَّارِ**﴾ بالدفع أو بالحمل، وانتصاب نصيباً بمضمر أي دافعون عنا[3].

أرواحهم. وهو إسناد حسن تقدم الكلام عليه ص ٦٢، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور ٥/٦٥٩.

(١) أي قوله فيما تقدم قريباً: "إما للتخصيص، وإما فيما بينهما".

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ١٢/١٦٨ (٣٥٣٢٧)، والبخاري، كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه بالغداة والعشي١/٤٠٩ (١٣٧٩)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه١٧/١٦٥ (٢٨٦٦)، وعزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور٥/٦٦٠.

(٣) انظر: التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري٢/٣٢٨، والدر المصون ٩/٤٨٧، وتفسير أبي السعود٥/٤٢٢.

﴿**قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا**﴾ أي نحن وأنتم، فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لأغنينا عن أنفسنا، وكأن هذا الجدال يقع قبل قولهم: ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً﴾ (الأحزاب: ٦٨) ولما آيسوا أجمعون، الأتباع والمتبوعون عن تخفيف بعضهم عن بعض رجعوا إلى نداء الخزنة، ﴿**إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ**﴾.

﴿**وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ**﴾ أي القوّام بتعذيب أهل النار: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذَابِ**﴾ لم يطمعوا في ترك العذاب حتى يطلبوه بل طمعوا في تخفيفه.

﴿**قَالُوا**﴾ الخزنة: ﴿**أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ**﴾ بالأدلة الدالة على صدقهم فيما[ل١٤٥/ب] دعوكم إليه ﴿**قَالُوا**﴾ الذين في النار ﴿**بَلَى**﴾ أتتنا رسل الله بالأدلة الصادقة والبراهين القاطعة، فكذبناهم كما نطق به قوله: ﴿بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ﴾ (الملك: من الآية٩) ﴿**قَالُوا**﴾ الخزنة ﴿**فَادْعُوا**﴾ أنتم فإنا لا ندعوا لمن كذّب رسل الله بعد إذ جاءته، ولم يريدوا بأمرهم بالدعاء إطماعهم في الإجابة بل إقناطهم منها وخيبتهم كما صرح به قوله ﴿**وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ**﴾ ضياع وبطلان.

﴿**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾ كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى لبيان أن ما أصاب الكفرة من العذاب المحكى من فروع حُكْمٍ كلي تقتضيه الحكمة، وهو أن شأننا المستمر أنا ننصر رسلنا وأتباعهم ونحوهم ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: من الآية٤٧) ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ (الحج: من الآية٤٠)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: ٧). ﴿**فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ بالحجة والظفر بهم، والانتقام منهم، والاستئصال والقتل والسبي، وغير ذلك من العقوبات، ولا يقدح في ذلك ما قد يتفق لهم[1]

---

(١) أي ما قد يتفق لهم من صورة الغلبة امتحاناً؛ إذ العبرة إنما هي بالعواقب، وغالب الأمر. هكذا في تفسير أبي السعود٥/٤٢٣، وبها يتضح المعنى.

فإن العاقبة للمتقين، وغالب الأمر. ﴿**وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ**﴾ يوم القيامة، وعبر عنه بذلك للإشعار بكيفية النصرة لهم، وأنها تكون عند جميع الأولين والآخرين بشهادة الأشهاد للرسل بالبلاغ، وعلى الكفرة بالتكذيب.

أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، عن سفيان قال: سألت الأعمش[1] عن قوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ (غافر: من الآية ٥١) قال: الملائكة[2]. ومثله عن قتادة[3]، وعن مجاهد[4]. وأخرج ابن جرير عن زيد بن أسلم[5]، قال: الأشهاد أربعة: الملائكة الذين يحصون أعمالنا لنا وعلينا، وقرأ: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (قّ: ٢١)، والنبيون شهداء على أممهم، وقرأ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ (النساء: من الآية٤١)، وأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم شهداء على الأمم، وقرأ ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (الحج: من الآية٧٨)، والأجساد

---

(١) هو سليمان بن مهران، أبو محمد الأسدي، الكاهلي، مولاهم الكوفي الحافظ ثقة ثبت، ولد بقرية أَمُهْ من أعمال طبرستان في سنة ٦١هـ، مات سنة ١٤٧هـ، وقيل ١٤٨هـ في ربيع الأول وهو ابن ثمان وثمانين سنة. انظر: التعديل والتجريح للباجي ١٢٦١/٣ (١٣١٨)، والسير٢٢٦/٦ (١١٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢١/١٢ من طريق سفيان أيضاً عن الأعمش.

وإسناده صحيح عن الأعمش، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور ٦٦٠/٥.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٨٨/٢٤ من طريق بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة بنحوه. وهو إسنادٌ حسن تقدم الكلام عليه ص ٥٦.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٨٨/٢٤ عن ابن بشار عن مؤمل عن سفيان عن الأعمش عن مجاهد به. وابن بشار هو الإمام الحافظ محمد بن بشار العبدي بندار ثقة. تقدم الكلام عليه ص٩١، ومؤمل بن إسماعيل الحافظ أبو عبد الرحمن العدوي صدوق سيء الحفظ. انظر: السير١١٠/١٠ (٩)، والتقريب ص٩٨٧ (٧٠٧٨)، وسفيان بن سعيد الثوري ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة انظر: التقريب ص ٣٩٤ (٢٤٥٨)، والأعمش سليمان بن مهران ثقة حافظ انظر: التقريب ص ١٥٦.

وأخرجه سفيان الثوري في تفسيره عن الأعمش ص ٢٦٣، قال: سألت مجاهداً... فذكره.

(٥) هو زيد بن أسلم أبو عبد الله العدوي العمري المدني الفقيه، كان له حلقة علم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. له تفسير رواه عنه ابنه عبد الرحمن، توفي في ذي الحجة سنة ١٣٦هـ. انظر: تهذيب الكمال ١٢/١٠ (٢٠٨٨) والسير ٣١٦/٥ (١٥٣).

والجلود، وقرأ ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ (فصلت: من الآية٢١)[1].

﴿**يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ**﴾ عن كفرهم، وتكذيبهم الرسل ﴿**وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ**﴾ من الله[ل١٤٦/أ] وملائكته حيث يقولون: ﴿أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (هود: من الآية١٨) بل لعنة كل لاعن، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (البقرة: ١٦١) ﴿**وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾ جهنم.

﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى**﴾ أي التوراة، لقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ﴾ (المائدة: من الآية٤٤) وسمي القرآن هدى أيضاً ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ﴾ (يونس: من الآية٥٧) ولما اهتدى موسى بالتوراة، قال تعالى: ﴿آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ ولما كان في بني إسرائيل من اهتدى بالتوراة، ومن لم يهتد قال: ﴿**وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرائيلَ الْكِتَابَ**﴾ أي التوراة.

﴿**هُدىً**﴾ ليهتدوا بها ﴿**وَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ**﴾ لذي العقول؛ لأنه يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ (الرعد: من الآية١٩).

---

(١) أخرجه الطبري ١٥٥/٣ من طريق عبد الله بن وهب عن ابن زيد قوله وهو في تفسير ابن أبي حاتم ٣٢٦٧/١٠ (١٨٤٣٩) مختصراً بدون إسناد عن زيد بن أسلم، وقال أحمد شاكر رحمه الله بعد أثر الطبري: "ذكره السيوطي في الدر المنثور في تفسير سورة غافر" ا.هـ. ولم يعلق عليه. انظر: تفسير الطبري بتحقيق أحمد شاكر ١٥٥/٣. والذي يظهر والعلم عند الله أن إسناد الطبري سقط منه راوٍ وهو عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم، لأننا إذا تتبعنا هذا الإسناد في الطبري وقد أكثر منه نجد أن جل الروايات التي يرويها عبد الله بن وهب إنما هي عن عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم، ويؤيد هذا أن الحافظ المزي ذكر شيوخ عبد الله بن وهب وذكر منهم عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم، ولم يذكر زيد بن أسلم. انظر: تهذيب الكمال ٢٧٩/١٦، وأمرٌ آخر وهو أن عبد الله بن وهب كان مولده سنة ١٢٥هـ وكانت وفاة زيد بن أسلم رحمه الله سنة ١٣٦هـ مما يعني أن عُمْر عبد الله آنذاك أحد عشر عاماً وهو يؤيد عدم تحمله عن زيد بن أسلم، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف تقدم الكلام عليه ص (٥١).

وله طريق آخر عن ابن أبي حاتم، عن زيد بن أسلم ٢٠١٦/٦ (١٠٧٧٥) إلا أن فيه ابن لهيعة، وهو ضعيف قد سبق الكلام عليه ص (٦٠).

﴿**فَاصْبِرْ**﴾ يا محمد على ما نالك من أذية المكذبين ﴿**إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ**﴾ وهو موعده ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ الآية (غافر: من الآية٥١) وقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ • إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ • وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (الصافات: ١٧١-١٧٣) وتقدم: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾ (الروم: ٦٠) وقال: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ (النحل: من الآية١٢٧) وقال: ﴿فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً﴾ (المعارج: ٥) والأمر له صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر كثير في القرآن ﴿**وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ**﴾ أي اطلب مغفرة ما عساه يتفق من ترك الأولى في بعض الأحيان ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ**﴾ تسبيحاً ملتبساً بالحمد، نحو سبحان الله وبحمده ﴿**بِالْعَشِيِّ وَالأِبْكَارِ**﴾. أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة ﴿بِالْعَشِيِّ وَالأِبْكَارِ﴾ قال: صلاة العصر والفجر(١). وقيل: كان الواجب بمكة ركعتين بكرةً وركعتين عشاء(٢). وهذا الترتيب في الآية من محاسن الترتيب فإنه قدَّم ما فيه تطهير العبد من ذنوبه بالاستغفار، ليتأهل لتنـزيه الله بالتسبيح، تخليةً له عن كل قبيح، ثم تحليتهُ بالحمد له، فلا تجد تنـزيها أبدع من هذا، وقد وقع بالثلاثة الأمور(٣) في سورة النصر: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ (النصر: من الآية٣) لكنه أخر الاستغفار لأنه أمر بشكر نعمة نصر الله، ودخول الناس في دين الله أفواجاً، فأمر بالتسبيح والحمد شكراً لله، [ل١٤٦/ب] ثم أمر بالاستغفار إعلاماً بأنه لا يطيق أحد شكر هذه النعمة بل يرجع إلى الاستغفار في التقصير عن شكرها.

﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ**﴾ ويجحدون بها ﴿**بِغَيْرِ سُلْطَانٍ**﴾ حجة

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١٤٦/٣ (٢٦٨٣)، عن معمر عن قتادة به، وهو إسناد صحيح قد تقدم الكلام عليه ص (١٢٨)، وعزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور ٦٦١/٥.

(٢) وهذا هو قول الحسن. انظر: تفسير الثعلبي٣٤٩/٥، والقرطبي٣١٠/١٥.

(٣) أي التسبيح، والحمد، والاستغفار.

وبرهان ﴿**أَتَاهُمْ**﴾ من الله تعالى، وتقييد المجادلة بذلك مع استحالة إتيانه، للإيذان بأن المتكلم في أمر الدين لا بد من استناده إلى سلطان مبين البتة، وهذا عام لكل مجادل مبطل وإن نزلت في مشركي قريش الذين جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، وهم يجادلون بالوحي الشيطاني كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ (الأنعام: من الآية١٢١) ﴿**إِنْ فِي صُدُورِهِمْ**﴾ التي غرفت منها ألسنتهم الجدال ﴿**إِلاَّ كِبْرٌ**﴾ عن الحق وبطر، وتعظمٌ عن التفكر في آيات الله، أو إلا إرادة الرياسة والتقدم بغياً وحسداً، ولذا يقولون تارة: ﴿لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف: من الآية٣١) وأخرى: ﴿لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ (الأحقاف: من الآية١١) ﴿**مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ**﴾ قال مجاهد: ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر[١]. وهو ما أرادوه من النّبوّة والرياسة، وقيل: الآية نزلت في اليهود[٢]؛ فأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم بسند صحيح، عن أبي العالية أن اليهود أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: إن الدجال يكون منا في آخر الزمان ويكون من أمره فعظَّمُوا أمره، وقالوا: يصنع كذا ويصنع كذا، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ قال: لا يبلغ الذي يقول[٣]. ﴿**مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ**﴾ يأمر نبيه أن يتعوذ من فتنة الدجال.

أخرج ابن أبي شيبة عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله صلى

---

(١) أورده البغوي في تفسيره ١٠١/٤عن مجاهد وقد ذكر أسانيده في مقدمة كتابه أن ما ينقله عن مجاهد فهو من طريق ابن أبي نجيح عنه، وقد تقدم أنها طريق ثابتة، راجع ص ٦٢.

(٢) قاله كعب، وأبو العالية. انظر: تفسير ابن كثير١٢٧/٤.

(٣) عزاه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم: السيوطي في الدر المنثور ٦٦١/٥، وقال: "بسند صحيح"، ولم أعثر على إسناده، وقد ذكر مضمونه ابن كثير في تفسيره ثم قال: "وهذا قول غريب، وفيه تعسف بعيد، وإن كان قد رواه ابن أبي حاتم في كتابه، والله سبحانه وتعالى أعلم". انظر: تفسير ابن كثير١٢٧/٤.

الله عليه وآله وسلم يقول: (اللهم إني أعوذ بك من شر فتنة المسيح الدجال)[1]. وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من شر فتنة المسيح الدجال)[2]. وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (تعوذوا بالله من شر فتنة المسيح الدجال)[3]، ﴿**إِنَّهُ هُوَ**[4] **السَّمِيعُ**﴾ لاستعاذتك ﴿**الْبَصِيرُ**﴾ يكفيك دفع عدوك عنك.

﴿**لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ**﴾ قال تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا • رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا • وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا • وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا • أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا...﴾ الآية (النازعات: ٢٧-٣١) ولذا قال

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٢١/١٤ (٣٨٤٥٩)، وهو جزء من حديث أخرجه البخاري ونصه: عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار، وفتنة القبر وعذاب القبر وشرِّ فتنة الغنى وشرِّ فتنة الفقر. اللهم إني أعوذ بك من شرِّ فتنة المسيح الدجال. اللهم اغسل قلبي بماءِ الثلج والبرَد، ونَقِّ قلبي من الخطايا كما نقيتَ الثوبَ الأبيضَ من الدنس. وباعِدْ بيني وبينَ خطايايَ كما باعَدتَ بين المشرقِ والمغرب. اللهم إني أعوذُ بك منَ الكَسلِ والمأثم والمغْرَم). كتاب الدعوات، باب التعوذ من فتنة الفقر٤/٢٠٠٤ (٦٣٧٧)، وكذلك أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها. انظر: صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر الفتن وغيرها ١٧/٢٣ (٥٨٩).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٢١/١٤ (٣٨٤٥٨)، والحديث جزء من حديث أخرجه البخاري (١٣٧٧)، كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، ومسلم ولفظ مسلم: عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّهِ صلى الله عليه وسلم: (إذا تشهد أحدكم فليستعذ بِاللّهِ من أربع؛ يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال). انظر: صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة ٧٤/٥ (٥٨٨).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٢١/١٤ (٣٨٤٥٧)، وأحمد في مسنده ٥١/١٦ (٢١٥٥١)، وأصله في مسلم عن زيد بن ثابت رضي الله عنه بلفظ: (عوذوا باللّه من فتنة الدجال). انظر: صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه١٦٦/١٧ (٢٨٦٧).

(٤) [ل١٤٧/أ].

تعالى: ﴿أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ (يس: من الآية٨١) مستدلاً على قدرته في إعادة العباد للمعاد، بأن الذي خلق هذه الأجرام العلوية والأرض على ما هي عليه من الدلالة على أسرار الإلهيه، وكنوز الحكمة الربانية التي لا يعرفها إلا هو، ولا يطلع عليها غيره...[1] لا أن المراد كبر الجثة قلت: وكبر الجثة أيضاً، فإنه وإن كان معلوماً فهي من الآيات الباهرات ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ بما فيهما من آيات الله، ولذا قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٢) وقال: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ (الذاريات: ٢٠).

﴿**وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ**﴾ تقدم في فاطر[2]وفسر بالمؤمن، والكافر[3] وقدم الأعمى لكثرة الكفار، ولذا قال الله في الكفار: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾(الأعراف: من الآية١٧٩) فهم عميٌ عما ينفعهم، وقيل: المراد: الغافل والمستبصر[4]. ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلا الْمُسِيءُ**﴾ أي المحسن والمسيء فإنه لا يسوي الله بينهما، وهو نحو: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الجاثية: ٢١) ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (القلم: ٣٥، ٣٦) وهو كثير في القرآن الكريم، ودال على أن الفعل[5] حاكم بعدم استواء المحسن والمسيء عند الله تعالى ﴿**قَلِيلاً مَا تَتَذَكَّرُونَ**﴾ ما عددناه من الآيات تذكرونه تذكراً قليلاً.

---

(١) الذي يظهر والله أعلم أن في سياق الكلام سقطاً، وتقديره: أن الذي فعل هذه الأشياء كلها قادرٌ على إعادة خلقهم من جديد.

(٢) سورة فاطر آية ١٩.

(٣) وهو مروي عن قتادة، وابن زيد. انظر: تفسير الطبري ١٥٣/٢٢.

(٤) انظر: تفسير البيضاوي٢٧٥/٨، وتفسير أبي السعود ٤٢٥/٥، ولم يعزوانه إلى أحد.

(٥) هكذا في الأصل، ولعله سبق قلم من الناسخ، لأن السياق يقتضي أن تكون: "العقل" والله أعلم.

﴿**إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ**﴾ لما قال: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ -إلى قوله-: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ (غافر: من الآية٥١) أخبر تعالى بقرب الساعة التي فيها يقوم الأشهاد ﴿**لا رَيْبَ فِيهَا**﴾ لوضوح شواهدها وإجماع الرسل على مجيئها ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ لا يصدقون بمجيئها بل يكذبون بها، ويقولون: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (الأنعام: من الآية٢٩) وذلك لضلالهم وتكذيبهم رسل الله فيما أخبروا به، [ل١٤٧/ب] ونفى تعالى الريب في إتيانها وإن كان الكفار مرتابين فيه، لأن الحجة والبرهان قد قاما على حقية إتيانها فريبهم فيه ريب لا يعتد به نظير قوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ (البقرة: من الآية٢).

﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي**﴾ فسر باعبدوني[1] لقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ ويحتمل الدعاء له تعالى نحو: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: من الآية١٨٦) ويدل له هنا: ﴿**أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ فإنه ظاهر في إجابة الدعاء وسماه عبادة في قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي**﴾ لأن الدعاء عبادة وتذلل وطاعة وإعلام باعتقاد الداعي قدرة من يدعوه على جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، وهذا هو مضمون العبادة.

أخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان، والحاكم وصححه عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الدعاء هو العبادة) ثم قرأ الآية[2]. وأخرج ابن مردويه

---

(١) قاله ابن عباس، والنعمان بن بشير، وأنس رضي الله عنهم. انظر: تفسير الطبري ٩١/٢٤، ٩٢.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٥/١٠ (٢٩٦٥٥)، وأحمد في مسنده ١٥٩/١٤ (١٨٣٠٤)، والبخاري في الأدب المفرد، باب فضل الدعاء ص٢١٤ (٧١٥)، وابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء ص٦٣١ (٣٨٢٨)، وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب تفريع أبواب الوتر، باب الدعاء ص٢٢٩ (١٤٧٩)، والترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة حمٓ السجدة ص٧٣٤ (٣٢٤٧)، والنسائي في سننه الكبرى، كتاب التفسير، باب سورة غافر ٢٤٤/١٠ =

والخطيب عن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: (الدعاء هو العبادة ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾)[1]. وأخرج ابن أبي شيبة والحاكم وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من لم يَدْعُ الله يغضب عليه)[2]. وأخرج الترمذي والحكيم الترمذي في نوادر الأصول، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الدعاء مخ العبادة)[3]، وأخرج أحمد والحكيم الترمذي وأبو يعلى والطبراني عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لا ينفع حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم بالدعاء)[4].

=

(١١٤٠٠)، والطبري في تفسيره ٩١/٢٤ والحاكم في مستدركه ٦٦٧/١ (١٨٠٢)، والبيهقي في شعب الإيمان ٣٦٣/٢ (١٠٧٠)، وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح"، وصححه الحاكم والذهبي، والألباني في تعليقه على سنن الترمذي، وقال ابن حجر في الفتح ٦٩/١: "أخرجه أصحاب السنن بسند جيد". وعزاه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور ٦٦٦/٥.

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ٢٧٤/١٢، بإسناده إلى البراء بن عازب، وعزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور ٦٦٦/٥. ويشهد له ما قبله.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ ابن أبي شيبة في مصنفه ١٥/١٠ (٢٩٦٥٧)، والحاكم في مستدركه ٦٦٧/١ (١٨٠٦)، وأخرجه غيرهم بلفظ: (من لم يسأل الله يغضب عليه) كما هو عند أحمد في مسنده ٢٨٧/٩ (٩٦٦٢)، والبخاري في الأدب المفرد ص١٩٨، والترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء ص٧٦٥ (٣٣٧٣)، والبيهقي في شعب الإيمان ٣٦٠/٢ (١٠٦٥). والحديث حسنه الألباني. انظر: السلسلة الصحيحة ٣٢٤/٦.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ص٧٦٥ (٣٣٧١) وقال: "هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لَهيعة". وأورده الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص٣١٦. والحديث ضعيف بهذا اللفظ. انظر: تعليق الألباني على سنن الترمذي ص٧٦٥ (٣٣٧١)، وتعليقه على مشكاة المصابيح ٦٩٣/٢ (٢٣٣١).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ١٧٧/١٦ (٢١٩٤٣)، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص٦٦٠، والطبراني في معجمه الكبير ١٠٣/٢٠ (٢٠١)، ولم أجده في مسند أبي يعلى، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٩/١٠: "رواه أحمد والطبراني، وشهر بن حوشب لم يسمع من معاذ، ورواية إسماعيل بن عياش عن أهل الحجاز ضعيفه"، وقد ضعفه الألباني في ضعيف الجامع ص٦٩١ (٤٧٨٥).

﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ صاغرين أذلاء لأنهم تكبروا على الله تعالى وعن عبادته ودعائه فكافأهم بالصَّغَار والذِلَّة، وذكر بعض مِنَّتِه على عباده، فقال:

﴿**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ**﴾ [ل١٤٨/أ] عن الحركات وتعود إلى أعضائكم قوتها، فنعمة الليل والسكون والدعة والنوم لا تقاومها نعمة[1]، ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً﴾ (الأنعام: من الآية٩٦) وقد كرر الله تعالى هذه النعمة ﴿**وَالنَّهَارَ مُبْصِراً**﴾ أي مُبْصَراً فيه أو به والرحمة[2]، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ (القصص: من الآية٧٣) وقال: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً﴾ (النبأ: ١٠،١١) ففي النهار الابتغاء من فضله، وفي الليل السكون ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ**﴾ عظيم لا يوازنه، ولا يدانيه فضل ﴿**عَلَى النَّاسِ**﴾ خصهم لأن الخطاب لهم، وإلا فهو ذو فضل على الخلائق أجمعين ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ**﴾ لجهلهم بالمنعم، وإغفالهم شكرها.

﴿**ذَلِكُمُ**﴾ المنفرد بالإنعام وإيجاد كل موجود، [وأخرج ابن مردويه، عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن عيسى بن مريم قال: يا معشر الحواريين: الصلاة جامعة، فخرج الحواريون في هيئة العبادة قد تضَمَّرت البطون وغارت العيون واصفرت الألوان، فسار بهم عيسى عليه السلام إلى فلاة من الأرض، ثم قام على رأس جرثومة[3]، فحمد الله وأثنى [ل١٤٨/ب] عليه ثم أنشأ يتلو عليهم من آيات الله والحكمة فقال: يا

---

(١) بل تقاومها نعمة الدين، والهداية للإسلام.

(٢) هكذا في الأصل ولم يتبين لي مراده.

(٣) الـجُرْثُومة: التراب الذي تَسْفيه الريحُ، وقيل: التراب المجتمع في أصول الشجر، انظر: لسان العرب ٢٣٢/٢، مادة جرث، والقاموس المحيط ص١٠٩٩، مادة جرم.

معشر الحواريين اسمعوا ما أقول لكم، إني لأجد في كتاب الله المنـــزل الذي أنزله الله في الإنجيل أشياء معلومة فاعملوا بها. قالوا: يا روح الله وما هي؟ قال: خُلــق الليل لثلاث خصال وخُلق النهار لسبع خصال، فمن مضى عليه الليــل والنــهار وهو في غير هذه الخصال، خاصمه الليل والنهار فخصماه، فخلق الليل لتســكن فيه العروق الفاترة التي أتعبتها في نهارك، ولتستغفر لذنبك الذي كسبته بالنهار ثم لا تعود فيه، وتقنت فيه قنوت الصابرين، فثلث تنام وثلث تقوم وثلث تتضــرع إلى ربك، فهذا ما خُلق له الليل، وخُلق النهار لتؤدي فيه الصلاة المفروضة الــتي تسأل عنها وبها تحاسب، وبر والديك وأن تسعى في الأرض تبتغي المعيشة معيشة يومك، ولتزور فيه ولياً لله كيما يتغمدكم الله برحمته، وأن تشيعوا فيــه جنــازة كيما تنقلبوا مغفوراً لكم، وأن تأمروا بمعروف وتنهوا عن منكر وهو ذروة الإيمان وقوام الدين، وأن تجاهدوا في سبيل الله تزاحموا إبراهيم خليل الــرحمن في جنتــه، ومن مضى عليه الليل والنهار وهو في غير هذه الخصال خاصمه الليــل والنــهار فخصماه عند مليك مقتدر) انتهى[1].][2] ﴿**اللَّهُ رَبُّكُمْ**﴾ أشــار إليــه إشــارة المشَاهَد؛ لأن أدلة إلهيته وربوبيته صيرته كالمشاهد ﴿**خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ يســمى مخلوقاً ﴿**لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾ فبأي وجه وعلى أي طريقة تُصرفون عــن عبادته إلى عبادة غيره.

﴿**كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**﴾ أي من جحد بآيــات الله ونعمه هو الذي يصرف عن عبادته وطاعته، ولما ذكر نعم الزمانين أخــذ في ذكر نعمة المكانين[3]، فقال:

---

(١) عزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور ٦٦٨/٥، ولم أعثر على إسناده، ولم أجد مــن ذكــره غــير السيوطي .

(٢) هذا الأثر مكانه في المخطوط بعد قوله تعالى: ﴿والأرض فرشناها فنعم الماهدون﴾، وقبــل قولــه تعــالى: ﴿والسماء بناء﴾ وأشار في الحاشية إلى أنه ينقل إلى هذا الموضع.

(٣) أي الأرض، والسماء.

﴿**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَاراً**﴾ تقرون فيها ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (البقرة: من الآية ٣٦) وسلف في البقرة: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً﴾ (البقرة: من الآيــة٢٢) وقال نوح: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطاً﴾ (نوح: ١٩) وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً﴾ (النبأ: ٦) ﴿وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ (الذاريات: ٤٨) ﴿**وَالسَّمَاءَ بِنَاءً**﴾ قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ (الذاريات: من الآية٤٧) وقال: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً﴾ (النبأ: ١٢) ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً﴾ (الأنبياء: من الآية٣٢) وبعد بيانه نعمتي الأزمنة والأمكنة، ذكر النعمة المختصة بذواتهم فقال: ﴿**وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ**﴾ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الأِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤) ذكر نعمته بإيجاد ما يُقِلُّهم وإيجاد ما يُظِلُّهم، فقدم لهم القرار وسَقَفَهُ، ثم أوجدهم بعد ذلك، فقدم الدار قبل سكانها ليتم نعمته عليهم، ولما أوجدهم كانوا محتاجين إلى المطعم والمشرب واللباس، فقال: ﴿**وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ**﴾ وهو كل ما أحله الله، فأكمل نعمه على عباده بما لا يحيط به عبارة، [ل١٤٩/أ] ولذا أنه إذا أراد ذهاب هذه الدار هدم القرار وسَقْفَهُ، وبدل الأرض غير الأرض، وطوى السموات، وأفنى العباد، كما قال: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ...﴾ الآيات (الانفطار: ١)، وكما قال: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (التكوير: ١) ﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ**﴾ الذي أوجدكم ورباكم ﴿**فَتَبَارَكَ اللَّهُ**﴾ كثر خيره ودام ﴿**رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ مالكهم ومربيهم، والكل مماليكه ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾ (مريم: ٩٣).

﴿**هُوَ الْحَيُّ**﴾ المنفرد بالحياة الحقيقية الذاتية، وكل حي مستفادةٌ حياته منه تعالى كما قال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ (الروم: من الآية٤٠) ﴿**لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ**﴾ لا موئل إلا إليه ولا يستحق الإلهية سواه ﴿**فَادْعُوهُ**﴾ فاعبدوه لاختصاصه بالإلهية ﴿**مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ الطاعة والعبادة عن الشرك الجليّ والخفيّ ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ أي قائلين ذلك، قال ابن عباس رضي الله عنهما: من قال لا إله إلا الله فليقل على إثرها: الحمد لله

رب العالمين [1] .

﴿**قُلْ إِنِّي نُهِيتُ**﴾نهاني ربي ﴿**أَنْ أَعْبُدَ**﴾ الأصنام ﴿**الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ وهو إخبار عن نهي الله له عن ذلك وهو في عدّة: ﴿وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ﴾ (يونس: من الآية١٠٦) ﴿وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ (القصص: من الآية٨٨) وسورة ﴿يا أيها الكافرون﴾ كرر فيها أنه لا يعبد ما تعبدون، وكم من آيات في ذلك ﴿**لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي**﴾ البراهين القطعية المتفقة الظاهر التي لا ينكرونها، وفي الأنعام: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (الأنعام: ٥٦) والمراد بالآيات: التنزيلية المنبهة على الآيات الآفاقية والأنفسية[2]. ﴿**وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ**﴾ أنقاد وأخلص ديني ﴿**لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ والمراد بأمرت: قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي﴾ (الزمر: ١٤) ونحوها مما في معناها، ثم استدل على ربوبيته تعالى للسامعين فقال:

﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ**﴾ وهم لا ينكرون ذلك [ل١٤٩/ب] [كما قال][3] ﴿**مِنْ تُرَابٍ**﴾ في ضمن خَلْق أبيكم آدم، وهو خَلْقٌ إجمالي لهم، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ (الروم: ٢٠) وذكره هنا من الطين مع قوله في غير هذا: ﴿مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ (المؤمنون: من الآية١٢)، وقوله: ﴿مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ﴾ (الحجر: من الآية٢٦) ﴿مِنْ صَلْصَالٍ

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٩٤/٢٤، والحاكم في مستدركه ٤٧٦/٢ (٣٦٣٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢٦٢/١ (١٩٤)، وصححه الحاكم وقال: "على شرط الشيخين"، ووافقه الذهبي. انظر: المستدرك ٤٧٦/٢ (٣٦٣٩)، وعزاه لابن المنذر وابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور ٦٦٨/٥.

(٢) بالرجوع إلى أصل المؤلف، وهو تفسير أبي السعود يتضح هذا الكلام فإنه فسر البينات في قوله تعالى: ﴿لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي﴾ قال: "من الحجج والآيات أو من الآيات، لكونها مؤيدةً لأدلة العقل، منبهةً عليها؛ فإن الآيات التنزيلية مفسرات للآيات التكوينية الآفاقية والأنفسية". انظر: تفسير أبي السعود٤٢٦/٥.

(٣) قوله "كما قال" جاء ملحقاً بالحاشية، وعليه: "صح".

كَالْفَخَّارِ﴾ (الرحمن: من الآية١٤) فهذه قيود لمطلق الطين مرادةٌ عند إفراده، كما هنا. ﴿**ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ**﴾ وهو الخلق التفصيلي وقد مرّ مراراً، والنطفة: المني. وتقدم ذكر مكانها في قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ (المؤمنون: ١٣) ﴿**ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ**﴾ أي خلق النطفة علقة كما قال: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ (المؤمنون: من الآية١٤) أي دماً جامداً، وسمى الله النطفة ماءاً. ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ (النور: من الآية٤٥) ووصفه بأنه مهين، وذكر مخرج ماء الآدمي وأنه ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ (الطارق: ٧)، وذكر مستقره ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ (المرسلات: ٢١) وطوى تعالى هنا خلقها هنا مضغة، وخلْق المضغة عظاماً وكسوه العظام لحماً كما تقدم في سورة المؤمنين[1]. ﴿**ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً**﴾ أي أطفالاً والإفراد لإرادة الجنس أو لإرادة كل واحد من أفراده[2] وهذا هو الذي أجمله في قوله: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾ (المؤمنون: من الآية١٤) ﴿**ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ**﴾ علّة لقوله ﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ معطوفة على علّة أخرى، كأنه قيل: ثم يخرجكم طفلاً لتكبروا شيئاً فشيئاً ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ كما لكم في القوة والعقل[3]، وهو ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين سنة كما في القاموس[4]. ﴿**ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً**﴾ الشيخ من استبانت فيه السن، أو من خمسين أو إحدى وخمسين إلى آخر عمره، أو إلى الثمانين. ﴿**وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ**﴾ أي من قبل بلوغ الأشد، أو من قبل الشيخوخة، وفي الحج: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مَنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ (الحج: من الآية٥) ﴿**وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمّىً**﴾ هو وقت الموت أو يوم القيامة.

---

(١) سورة المؤمنون، آية ١٤.

(٢) انظر: الكشاف ١٧٣/٤، وتفسير القرطبي ١٦/١٢، وتفسير النسفي ١٠٦/٢.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ٤٢٧/٥، وروح المعاني ٤٦٢/٢٤، ٤٦١.

(٤) انظر: القاموس المحيط ص ٣١٥.

أخرج ابن أبي حاتم عن الشعبي[1] قال: يثغر[2] الغلام لسبع، ويحتلم لأربع عشرة، وينتهي طوله لإحدى وعشرين، وينتهي عقله لثمان وعشرين، ويبلغ أشده لثلاث وثلاثين[3].

﴿**وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [ل١٥٠/أ] أن ربكم يحييكم كما أماتكم، وتعقلون الأطوار التي خلقكم عليها فإنكم تعلمون أنه خلقكم من تراب من نطفة فهي علقة ثم مضغة ثم من عظام ولحم ثم أنشأكم خلقاً آخر، فكيف لا تعقلون نعم الله عليكم وتنقادون لرسله.

﴿**هُوَ الَّذِي يُحْيِي**﴾ الأموات ﴿**وَيُمِيتُ**﴾ الأحياء ﴿**فَإِذَا قَضَى أَمْراً**﴾ من أي الأمور ﴿**فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ من غير أن يتوقف على شيء من الأشياء، وهو تمثيل لتأثير قدرته في المقدورات عند تعلق إرادته بها، وتصوير لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير أن يكون هناك أمر ومأمور[4].

---

(١) هو عامر بن شراحيل، بن عبد بن ذي كبار، أبو عمرو الهمداني ثم الشعبي ، الإمام، علامة العصر. سمع من عدة من كبراء الصحابة. مات سنة ١٠٤هـ، وقد بلغ ٨٢ سنة. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد٦/٢٥٩ والسير٤/٢٩٤ (١١٣).

(٢) الثغر ما تقدم من الأسنان، وأثغر الغلام ثغراً سقطت أسنانه الرواضع فهو مثغور. انظر: الصحاح للجوهري ٢/٦٠٥ مادة (ثغر)، ولسان العرب٢/١٠٤ مادة (ثغر).

(٣) لم أجده في تفسير ابن أبي حاتم وذكره السيوطي في الدر المنثور٥/٦٦٩ عن قتادة وعزاه لعبد بن حميد، ولم أعثر على إسناده.

(٤) هذا الكلام باطل، والأشبه أنه منقول من تفسير أبي السعود، وهو أشبه بكلام الزمخشري وكثيراً ما ينقل أبو السعود عنه، ويعتذر للمؤلف رحمه الله بأنه ناقل فيه، ويؤيده أنه رد على الزمخشري مثل هذا الكلام عند قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (فصلت: من الآية ١١) ص ٢٦١، فقال: "وهذا خطاب حقيقة، وجواب حقيقة، لا وجه لحمله على المجاز كما صنعه الكشاف". وقد رد هذا المذهب الباطل إمام المفسرين الطبري رحمه الله في تفسيره حيث قال عن أصحاب هذا المذهب: " فإنهم لا صواب اللغة أصابوا، ولا كتاب الله وما دلت على صحته الأدلة اتبعوا" ثم قرر عقيدة أهل السنة والجماعة، وبين أن الله عز وجل إذا أراد شيئاً أن يكون تكلم حقيقة بكلمة كن، فيكون ما يريده سبحانه. انظر: تفسير الطبري١/٥٨٨.

﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ**﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ (فصلت: من الآية٤٠) ﴿**أَنَّى يُصْرَفُونَ**﴾ أي انظر إلى هؤلاء المكابرين المجادلين في آيات الله الواضحة الموجبة للإيمان بها الزاجرة للجدال فيها، كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعي إلى الإقبال عليها وانتفاء الصوارف عنها بالكلية .

﴿**الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ**﴾ جنس الكتاب، ويدخل فيه: التوراة والإنجيل، لأن اليهود والنصارى كذبوا بهما لما كذبوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أخبرنا الله أنهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، فبتكذيبهم محمداً كذبوا كتابي الله كما يصدق عليهما وعلى غيرهما أنهم كذبوا قوله.

وكذبوا ﴿**وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا**﴾ فإنه عام لكل من كذب الرسل، ومن كذب واحداً من رسل الله فقد كذب بجميع رسل الله، ولذا يقول الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الشعراء: ١٠٥) ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الشعراء: ١٢٣) ولذا قال فيمن قال: ﴿نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً﴾ (النساء: من الآية١٥١) ﴿**فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾ تهديد لهم ووعيد، وذكر وقت علمهم بما توعدوا به بقوله:

﴿**إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ**﴾ وذلك حين يقول الله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ (الحاقة: ٣٠،٣١) ﴿**وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ**﴾ حين يقول: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ﴾ (الحاقة: ٣٢) [ل١٥٠/ب].

﴿**فِي الْحَمِيمِ**﴾ متعلق بـ ﴿يُسْحَبُونَ﴾وهو الذي قال تعالى فيه: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ (الرحمن: ٤٤) كما يأتي[١] ﴿**ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ**﴾ يحرقون والمراد بيان أنهم يعذبون بأنواع [العذاب][٢]، وينتقلون منه من باب إلى باب.

---

(١) في سورة الرحمن آية ٤٤ لكنه في الجزء المفقود من المخطوط.

(٢) ساقطة من الأصل، وأثبته من تفسير أبي السعود ٤٢٨/٥، حيث ينقل عنه المؤلف كثيراً.

أخرج أحمد والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، وابن مردويه والبيهقي في البعث والنشور، عن عبد الله بن عمرو قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ -إلى قوله-: ﴿يُسْجَرُونَ﴾ فقال: (لو أن رصاصة[1] مثل هذه -وأشار إلى جمجمة- أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت إلى الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها. أو قال: قعرها)[2].

وأخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه عن يعلى بن أمية[3] رفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ينشئ الله سحابة لأهل النار سوداء مظلمة، ويقال لأهل النار: أي شيء تطلبون؟ فيذكرون بها سحاب الدنيا فيقولون: ربنا الشراب، فتمطرهم أغلالاً تزيد في أعناقهم، وسلاسل تزيد في سلاسلهم، وجمراً تَلَهَّب عليهم)[4].

---

(١) الرصاصة: حجارة لازقة بحوالي العين الجارية. انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد ٢/٢٢٢، ٢٢١ مادة (رصص)، ولسان العرب٥/٢٢٥، والقاموس المحيط ص٦٤٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٦/٣٤٠ (٦٨٥٦)، والترمذي في سننه وحسنه ص٥٨٣ (٢٥٨٨)، والحاكم في مستدركه وصححه٢/٤٧٦ (٣٦٤٠)، ووافقه الذهبي في التلخيص، وأخرجه أيضاً: البيهقي في البعث والنشور ص٢٩٦ (٥٢٩)، والحديث قال عنه الألباني: "ضعيف فيه دراج وهو ضعيف، صاحب مناكير". انظر: تعليقه على سنن الترمذي، وتعليقه على مشكاة المصابيح ٣/١٥٨٤ (٥٦٨٨)، وعزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور٥/٦٦٩.

(٣) هو يعلى بن أمية بن أبي عبيدة التميمي المكي، حليف قريش، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، وشهد الطائف وتبوك. وله عدة أحاديث. بقي إلى قريب الستين. قال الذهبي: "فما أدري أتوفي قبل معاوية أو بعده". انظر: أسد الغابة ٥/٤٨٦ (٥٦٤٧)، و السير ٣/١٠٠ (٢٠).

(٤) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط ٤/٢٤٧ (٤١٠٣)، وابن أبي حاتم ١٠/٣٢٦٩ (١٨٤٤٥)، والحديث في سنده منصور بن عمار وهو منكر الحديث. انظر: الكامل لابن عدي ٦/٣٩٤، وأورده ابن كثير في تفسيره ٤/١٣٣، وقال بعده: "هذا حديث غريب". وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٥١٧ (١٨٥٩٨) وقال بعده: "وفيه من فيه ضعف قليل، ومن لم أعرفه". والحديث ضعفه الألباني وذكر له ثلاث علل، انظر: السلسلة =

﴿**ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**﴾ تقوله الخزنة كما يقولون: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ (الأنعام: من الآية١٣٠) وهو توبيخ لهم ليجتمع لهم عذاب الأبدان وعذاب القلوب بالحسرات كما يقول في النار: ﴿يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ (الزمر: من الآية٥٦) ﴿**تُشْرِكُونَ**﴾.

﴿**مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ في الأعراف ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ (الأعراف: من الآية ٣٧) وهكذا كان جوابهم عند أن قال لهم الرسل: [وهم][1] يتوفونهم ﴿**قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا**﴾ وزيد ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ (الأنعام: من الآية١٣٠) وهنا قالوا: ﴿**بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً**﴾ أنكروا أنهم أشركوا، وذلك مثلُ ما حكاه تعالى عنهم أنهم يقولون: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: من الآية٢٣) قال تعالى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى[2] أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: ٢٤) كما قال هنا: ﴿**كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ**﴾ ونحوه ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (المجادلة: ١٨).

﴿**ذَلِكُمْ**﴾ أي جميع ما ذكر، أو الإضلال فقط ﴿**بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ**﴾ أي في الدنيا ﴿**بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾ وهو كل ما لا يرضاه الله تعالى، وقد قال قوم فرعون ﴿لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾[3] (القصص: من الآية٧٦) لأنه

=

الضعيفة ٦٧٦/١١.

(١) ما بين المعقوفتين ليست في الأصل ويقتضيها السياق.

(٢) [ل١٥١/أ].

(٣) هكذا في الأصل، والصواب أن هذا القول قاله قوم قارون، وهم بنو إسرائيل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (القصص: ٧٦).

فرح بالباطل، وأما من فرح بالحق فلا أثم عليه بل يؤجر كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ • بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ (الروم: من الآية٤،٥) وقوله في الشهداء: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (آل عمران: من الآية١٧٠) ومن الفرح بغير الحق ﴿ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ -إلى قوله-: ﴿وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ (التوبة: من الآية٥٠) ﴿**وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ**﴾ تتوسعون في البطر والأشر،والالتفات من الغيبة إلى الخطاب للمبالغة في التوبيخ.

﴿ **ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ**﴾ السبعة ﴿**خَالِدِينَ**﴾مقدر خلودكم ﴿**فِيهَا**﴾ أبد الآباد ﴿**فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**﴾ عن الحق،جهنمٌ.

﴿**فَاصْبِرْ**﴾ يا محمد على تكذيبهم بالكتاب والرسل وفرحهم بالباطل وغير ذلك ﴿**إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ**﴾ الذي وعدك من عذابهم ﴿**حَقٌّ**﴾ لا باطل، وصدق لا كذب،ولا بد من أحد الأمرين ﴿**فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ**﴾ بتوعدهم من القتل والأسر ﴿**أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ**﴾ قبل ذلك لحكمة تقتضي تأخير عقوبتهم ﴿**فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ**﴾ يوم القيامة فنجازيهم بقبائح أعمالهم لما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ (غافر: من الآية٧٠) أخبر رسوله بقوله: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ**﴾ أولهم آدم عليه السلام ﴿**مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ**﴾ في القرآن، وهم أمة كثيرة هم الذين أرادهم بقوله: ﴿وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾(هود: من الآية١٢٠)﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ**﴾ كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ -إلى قوله-: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ﴾ (إبراهيم: من الآية٩) وكما قال تعالى بعد ذكر عاد وثمود وأصحاب الرس فقال: ﴿وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً﴾ (الفرقان: من الآية ٣٨) وكما قال بعد أن [ل١٥١/ب] عد رسلاً في سورة النساء: ﴿وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ (النساء: من الآية١٦٤) وفي الحديث: (إن الله بعث أربعة وعشرين

ألف نبي)[1] ﴿**وَمَا كَانَ**﴾ ما صح إلا استقام ﴿**لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ**﴾ من آيات الله ﴿**إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ بإرادته تعالى وإيجاده لها، فالآيات للأنبياء عليهم السلام عطايا لله تعالى، يخص كل نبي بما يشاء حسب ما قضته حكمته، لا أنها على اقتراح قومه، فإن الكفار كانوا يطلبون من الرسل الآيات بعد إتيانهم بالمعجزات ﴿**فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ**﴾ أي الذي وعد به رسله عليهم السلام نصراً لهم، وتوعد به أعدائه عقوبة لهم ﴿**قُضِيَ**﴾ قضى الله ﴿**بِالْحَقِّ**﴾ من إهلاك من يستحق ونجاة من يؤمن، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿**وَخَسِرَ هُنَالِكَ**﴾ عند مجيء أمر الله ﴿**الْمُبْطِلُونَ**﴾ التابعون للباطل المعرضون عن الحق.

﴿**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ**﴾ أي خلقها، لقوله: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ (النحل: من الآية٥) قيل: إنه أُريد بها هنا الإبل خاصة[2]، لقوله: ﴿**لِتَرْكَبُوا مِنْهَا**﴾ نحو: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ (يّس: من الآية٧٢) أو يراد بها هنا: الأعم من الإبل، ويراد لتركبوا بعضها ﴿**وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾ أي بعضها.

﴿**وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ**﴾ أجملها وفصل بعضها في آية ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ (النحل: من الآية١) حيث قال: ﴿مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ﴾ (النحل: من الآية٨٠) وذكر حملها للأثقال والبلاغ عليها إلى ما لا يُبْلغ إلا بشق الأنفس، والإسقاء مما في

---

(١) لم أجده بهذا الفظ، وقد ذكر السيوطي في الدر المنثور ٤٣٦/٢ حديث أبي ذر رضي الله عنه الذي أخرجه ابن حبان ٧٧/٢ (٣٦١)، وفيه: قال: قلت: يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: (مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألفاً...) الحديث ثم قال في آخره: "أخرجه ابن حبان في صحيحه وابن الجوزي في الموضوعات، وهما في طرفي نقيض، والصواب أنه ضعيف لا صحيح ولا موضوع، كما بينته في مختصر الموضوعات". ا.هـ وقال القرطبي في تفسيره ٢٢/٦: "قلت: هذا أصح ما روي في ذلك؛ خرجه الآجُرِّي وأبو حاتم البستي في المسند الصحيح له".

(٢) وهو قول الزجاج، انظر: معاني القرآن وإعرابه له ٣٧٨/٤، وقد نقله عنه الرازي في تفسيره ٩٠/٢٧.

بطونها من بين فرث ودم، والجَمَال بها حين تريحون وحين تسرحون، وحرث الأرض بها، ودق السنبل لاستخراج الحب منه بها، وغير ذلك مما لا يحاط به، ولا يعلم تفاصيله إلا هو، وعيّن منها ﴿**وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ**﴾ أي حاجة من ركوب وحمول وأترابها عليها، وغير ذلك ﴿**وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ**﴾ قيل المراد: حمل النساء [ل١٥٢/أ] والولدان عليها في الهوادج، وهو السر في فصله عن الركوب والجمع بينهما وبين الفلك في الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت الإبل: سفائن البر[1]، وعلى تقدير إرادة الثمانية الأزواج من الأنعام، فمعنى الركوب والأكل منها تعلقها بالكل، لكن لا على أن كل منها مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر، بل على أن بعضها يتعلق به الأكل فقط كالغنم، وبعضها يتعلق به كلاهما كالإبل والبقر، والمنافع تعم الأكل[2]، وبلوغ الحاجة عليها تعم البقر.

﴿**وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ**﴾ لما ذكر تعالى عدة آيات في هذه السورة الكريمة، ختمها بهذه الآية، فإنه ذكر في أولها: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (غافر: من الآية٤) فكانت كبراعة الاستهلال لما سرده من آياته فيها من قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقاً﴾ (غافر: من الآية١٣) وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ -إلى قوله-: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ (غافر: من الآية٢٢) وقوله ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا...﴾ الآية (غافر: من الآية٢٣) وقول مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ (غافر: من الآية٢٨) وقوله: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ (غافر: من الآية٣٥) وقول الخزنة للكفار: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ (غافر: من الآية٥٠) وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ...﴾ الآية

---

(١) قاله أبو السعود في تفسيره ٤٢٩/٥.

(٢) كذا في الأصل، والذي في تفسير أبي السعود: "والمنافع تعم الكل" ٤٢٩/٥.

(غافر: من الآية٥٦) وقوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ (القصص: من الآية٧٣) وقوله: ﴿الَّذِينَ كَانُوا بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (غافر: من الآية٦٣) وقوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ...﴾ الآية (غافر: من الآية٦٤) وقوله: ﴿لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي﴾(غافر: من الآية٦٦) وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ (غافر: من الآية٦٧) ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ...﴾ الآية (غافر: من الآية٦٧) وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ (غافر: من الآية٦٩) ومن يتتبع آيات السورة تبين له أن الله تعالى أتى فيها بآيات تنزيلية وأفاقية ونفسية بحيث يقوم بها بل بأدناها الحجة على التوحيد وصفات كل كمال له تعالى، ولذا افتتحها بالمجادلين في آياته، ثم ثنّى بقوله: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ...﴾ الآية (غافر: من الآية ٣٥)، ثم ثلّث بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ[1] يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ...﴾ الآية (غافر: من الآية٥٦) ثم قال رابعاً: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾ (غافر: ٦٩) وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (غافر: من الآية٧٨) ولذا قال هنا: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ...﴾ الآية (غافر: من الآية٨١) فدلّكم بما تقدمها ﴿**فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ**﴾ (غافر: الآية ٨١) وهي مشاهدة لكم بالعين أو مسموعة بالأذن عن خبر أصدق القائلين ورب العالمين وهو استفهام توبيخ وإنكار[2]، كما في قوله: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ**﴾ سير الأفكار والأفهام أو سيرهما والأقدام، فإن سير الأقدام بغير تأمل لما في الأرض من الآثار لا يفيد فائدة. ﴿**فَيَنْظُرُوا**﴾ بعين الاعتبار﴿**كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ**﴾ مآل أمرهم ﴿**الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ من الأمم ﴿**كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً**﴾ في الأبدان والمال ﴿**وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ**﴾ عمروها أكثر مما عمروها ، فكم من آثارهم من بئر معطلة وقصر

---

(١) [ل١٥٢/ب].

(٢) انظر: تفسير الجلالين ص٦٢٩.

مشيد ونحوه ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ (الأعراف: من الآية٤) ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ (محمد: من الآية١٣) ﴿**فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ عند أن أتاهم الهلاك وحق عليهم العذاب، وطوى هنا ما صرّح به في قوله في نظيرها في سورتها: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ -إلى قوله-: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ (غافر: من الآية٢١) وهذا المطويّ مراد هنا، فما أغنى عنهم مُلكهم لما أخذهم الله بذنوبهم، وهذا المعنى في القرآن تكرر كثيراً ﴿**فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ**﴾ يضيف تعالى الرسل تارة إليهم وتارة إليه تعالى ﴿رُسُلُنَا﴾ (المائدة: من الآية٣٢) ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾ (سبأ: من الآية٤٥) ﴿**بِالْبَيِّنَاتِ**﴾ الدالة على صدقهم من المعجزات الواضحة ﴿**فَرِحُوا**﴾ أي الكفار ﴿**بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ**﴾ قيل: عند أنفسهم من العقائد الفاسدة والشبه الداحضة[1]، سماها علماً تهكماً بهم، وقيل: من علم الطبائع والتنجيم والصنائع، وقيل: إنه قيل لسقراط: لو هاجرت إلى موسى، فقال: نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا إلى من يهذبنا[2]. وقيل: بما عند الأنبياء من العلم، وفرحهم بعلمهم: ضحكهم منهم واستهزائهم بهم[3]، ويؤيد هذا قوله ﴿**وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾ وقيل: فرح الرسل بما عندهم من العلم المؤدي إلى حسن العاقبة والسلامة، [ل١٥٣/أ] من الذي توعد الله به الذين عصوه من العذاب[4].

﴿**فَلَمَّا رَأَوْا**﴾ أي الكفار ﴿**بَأْسَنَا**﴾ شدة عذاب[5] نحو قوله: ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ (الأعراف: من الآية١٦٥) ﴿**قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**﴾ صدَّقنا بوحدانيته وأنه لا

---

(١) أي المدحوضة، وهو فاعل بمعنى مفعول، وهذا كثير في كلام العرب، كقولهم سرٌ كاتم، بمعنى مكتوم، انظر: المزهر في علوم اللغة للسيوطي ١/٢٦٥.

(٢) ذكره في الكشاف ٤/١٧٧، ولم يعزه إلى أحد.

(٣) ذكره في الكشاف ٤/١٧٧.

(٤) المصدر السابق.

(٥) هكذا في الأصل، وفي تفسير أبي السعود ٥/٤٣٠ (عذابنا).

شريك له ﴿**وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ**﴾ من الأصنام.

﴿**فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا**﴾ عذابنا ﴿**سُنَّتَ اللَّهِ**﴾ بالنصب على المصدرية[1]، نحو: كتاب الله أي عادته وطريقته ﴿**الَّتِي قَدْ خَلَتْ**﴾ مضت ﴿**فِي عِبَادِهِ**﴾ أنه لا تقبل توبة من تاب عند مشاهدته العذاب، كما قال: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ﴾ (النساء: من الآية١٨) ﴿**وَخَسِرَ هُنَالِكَ**﴾ أي وقت معاينة البأس على أنه اسم مكان قد استعير للزمان[2] ﴿الْكَافِرُونَ﴾ بالله ورسله.

---

(١) انظر: إعراب القرآن للنحاس ص٧٨٢.

(٢) انظر: الكشاف ١٧٨/٤، وذكره في الدر المصون وقال: "لا حاجة له فالمكانية فيه ظاهرة" ٤٠٥/٩.

سورة حمٓ السجدة[1]

مكية[2]، وهي ثلاث وخمسون آية[3]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**حم**﴾ هي السورة الثانية من ذوات حمٓ.

﴿**تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ (فصلت: ٢) تقدم الكلام على تنزيل[4]، وإضافته إلى وصفيه من الرحمة إعلاماً لعباده بأنه أُنزل رحمة لهم، كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الإسراء: من الآية٨٢) وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٥٧) فالقرآن رحمة صادر عن صفة الرحمة[5]، رحم الله به العباد لما فيه من خير المبدأ والمعاد، وقد يَذْكُر شريف صفاته التي صدر عنها تنزيل كتابه واشتمل عليها.

﴿**كِتَابٌ**﴾ بدل من ﴿تَنْزِيلٌ﴾ ويحتمل غيره[6]،﴿**فُصِّلَتْ آيَاتُهُ**﴾ في سورة هود ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ (هود: من الآية١) والإحكام يراد هنا أيضاً أي

---

(١) وهي سورة فصلت، وتسمى: السجدة أيضاً، انظر: الكشاف ١٧٩/٤، والإتقان ١٢١/١، وروح المعاني ٤٧٥/٢٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٠٥/٢٤، وتفسير البغوي ١٠٧/٤، وتفسير ابن كثير ١٣٦/٤.

(٣) وهذا في حساب العد الحجازي، وفي العد الكوفي ٥٤ آية، انظر: الكشاف ١٧٩/٤، وإتحاف فضلاء البشر ص٤٨٨.

(٤) سورة السجدة آية ٢.

(٥) بل القرآن صادر عن الله سبحانه وتعالى.

(٦) والاحتمالات هي أن يكون خبراً بعد خبر، أو خبر لمبتدأ محذوف، انظر: الكشاف ١٧٩/٤، والدر المصون ٥٠٥/٩.

جعلت تفاصيل في أساليب مختلفة، ومعان متغايرة من أحْكَام وقصص ومـــواعظ وأمثال ووعد ووعيد، وغير ذلك. ﴿**قُرْآناً عَرَبِيّاً**﴾ نصب على المدح أو الحاليـــة من كتاب، لتخصيصه بالصفة، أو من آياته[1] ﴿**لِقَوْمٍ**﴾ تتعلق بمقدر صفة لقـــرآن أي كائناً[2] ﴿**يَعْلَمُونَ**﴾ معانيه لكونه على لغتهم، أو لأهل العلم والنظر لأنهـــم الذين ينتفعون به.

﴿**بَشِيراً وَنَذِيراً**﴾ صفتان أيضاً لـــ﴿قرآنا﴾ أو حـــالان [ل١٥٣/ب] مـــن كتاب أو من آياته[3]﴿**فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ**﴾ عن نذيره ﴿**فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ**﴾ سماع تفكر وتأمل حتى يعرفوا جلالة قدره، ولذا يقولون في النار: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْـــمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ (الملك: من الآية١٠) أي سماعاً ينفع.

﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ**﴾ أغطية متكاثفة، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَـــى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً﴾ (الأنعام: من الآية٢٥) وهذا يحصـــل منـــه تعالى[4] عقوبةً على كفرهم وتكذيبهم الرسول بعد وضوح الحجة وقيام البينـــة، وفي الكهف: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً﴾ (الكهف: من الآية٥٧) فقولهم هنا تصديق لما جعله الله فيهم ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَـــرَّةٍ﴾ (الأنعام: من الآية١١٠) وتقديم ما جعل في القلوب على ما جعل في الأسماع، مع أنـــه لا يصل إلى القلب إلا منها، للإعلام بأن العمدة: القلب، فهو الذي يتلقى عـــن الأذن ما سمعته فيفقهه، لذا قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْـــبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (قّ: ٣٧) ﴿**مِمَّا تَـــدْعُونَا إِلَيْـــهِ**﴾ مـــن إفـــراد الله بالوحدانية وترك الأنداد ﴿**وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ**﴾ ثِقَلٌ وصَمَمَ، نحو قولـــه: ﴿صُـــمٌّ

(١) انظر: إعراب القرآن للنحاس ص ٧٨٣، والبحر المحيط ٦٣٩/٧، والدر المصون ٥٠٥/٩.

(٢) انظر: الكشاف ١٧٩/٤، والدر المصون ٥٠٦/٩.

(٣) انظر: الدر المصون ٥٠٦/٩، وتفسير أبي السعود ٤٣٤/٥.

(٤) قوله: "وهذا يحصل منه تعالى" جاء ملحقاً بالحاشية، وعليه: "صح".

بُكْمٌ﴾ (البقرة: من الآية١٨) ﴿**وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ**﴾ هو أيضاً من جَعْل الله كما قال تعالى: ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً﴾ (الإسراء: من الآية٤٥).

أخرج أبو سهل السري[1] عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: أقبلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: ما منعكم عن الإسلام فتسودوا العرب؟ فقالوا يا محمد ما نفقه ما تقول ولا نسمعه، وإن على قلوبنا لغلفاً، وأخذ أبو جهل ثوباً فمده فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا محمد قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقرٌ ومن بيننا وبينك حجاب.. الحديث[2] ﴿**فَاعْمَلْ**﴾ على دينك ﴿**إِنَّنَا عَامِلُونَ**﴾ على ما نحن عليه.

﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**﴾ في البشرية كما قالت إخوته من رسل الله للكفار لما قالوا لهم: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ (إبراهيم: من الآية١٠)، قالت الرسل: ﴿إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (إبراهيم: من الآية١١) والمنة بالوحي كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ﴿**يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾ أي يوحى إلي أن أخبركم بوحدة الإله[3]، ﴿**فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ**﴾ نحو ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا...﴾ الآية (فصلت: من الآية٣٠) يأتي في

---

(١) هو السري بن سهل الجنديسابوري ذكره في لسان الميزان ٢٢/٤ (٣٣٦٣)، ولم يذكر له ترجمة غير أنه قال ولعله السري بن عاصم، وقال في ترجمة السري بن عاصم وقد ينسب إلى جده، ويؤيده ما أورده ابن عدي في الكامل أن كنية السري بن عاصم (أبو سهل)، وقال: كان يسرق الحديث وكانت وفاته سنة ٢٥٨هـ. انظر: الكامل في الضعفاء لابن عدي ١٢٩٨/٣، وميزان الاعتدال ١١٤/٨.

(٢) عزاه لأبي سهل السري: السيوطي في الدر المنثور٦٧٥/٥، كما أورده في كتابه جامع المسانيد والمراسيل ٥٥/١٤ (٢٠٤٢)، وفيه عبد القدوس وهو ابن حبيب الكلاعي، وهو ضعيف اتفقوا على ضعفه. انظر: السير ١٣٥/٨ (١١)، ولسان الميزان لابن حجر ٢٣٣/٥ (٤٨٦٤)، وأيضاً سهل نفسه ضعيف كما تقدم في الحاشية السابقة.

(٣) كذا في الأصل، ولو قال: بوحدانية الإله لكان أصوب، والله أعلم.

هذه السورة، [ل١٥٤/أ] ويأتي تفسير الاستقامة، ﴿**وَاسْتَغْفِرُوهُ**﴾ اطلبوا مغفرته بالتوبة عن الكفر ﴿**وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ**﴾ تنفير عن الشرك بعد الإخبار بأنه أوحي إليه صلى الله عليه وآله وسلم التوحيد ﴿**الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ**﴾ خصها بالذكر لأنها فرعُ صِحّةِ الإيمان، وكأنه قال: الذين لا يؤمنون فيؤتون الزكاة.

أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ قال: لا يشهدون أن لا إله إلا الله (انتهى)[1]، وفسِّر كلامه بأن كلمة التوحيد زكاة الأنفس، والمعنى: لا يطهرون أنفسهم عن الشرك بالتوحيد، وهو مأخوذ من قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس: ٩) أي زكى نفسه بالإيمان ﴿**وَهُمْ بِالآخِرَةِ**﴾ بالحياة بعد الموت والحشر والنشر ﴿**هُمْ كَافِرُونَ**﴾ تخصيص لها من بين أفراد كفرهم، لأن الإيمان بها من أهم المطالب بعد الإيمان بالله.

﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ**﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: غير منقوص[2]. وقيل: غير ممنون به عليهم[3]، ويأتي: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (الانشقاق: ٢٥).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ١٠٧/٢٤، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وهو إسناد حسن تقدم الكلام عليه ص (١٣٦) والبيهقي في الأسماء والصفات ٢٧١/١ (٢٠٥)، عن عكرمة عن ابن عباس، وفي إسناده حفص بن عمر العدني وهو ضعيف، ذكره العقيلي في الضعفاء ٢٩٤/١ (٣٣٩) وهو في تفسير ابن أبي حاتم ٣٢٧٠/١٠ (١٨٤٤٧)، وعزاه لابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور ٦٧٥/٥.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره١٠٨/٢٤، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وهو إسناد حسن قد تقدم الكلام عليه ص (١٣٦).

(٣) أورد هذا القول ابن كثير رحمه الله في موضع من تفسيره عن السدي على أنه من قوله١٣٩/٤، وقال في موضع آخر: "وقال السدي: قال: بعضهم"، وذكره ثم رد ابن كثير رحمه الله هذا القول بقوله: "وهذا القول الأخير عن بعضهم قد أنكره غير واحد، فإن الله عز وجل له المنة على أهل الجنة في كل حال وآن ولحظة، وإنما دخلوها بفضله ورحمته لا بأعمالهم فله عليهم المنة دائماً سرمداً والحمد لله وحده أبداً". انظر: تفسير ابن كثير ٧٧٣/٤.

﴿**قُلْ أَإِنَّكُمْ**﴾ حرف استفهام دخل على إنكم ﴿**لَتَكْفُرُونَ**﴾ وهو إنكار وتشنيع لكفرهم[1] ﴿**بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ**﴾ بإقراركم ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (لقمان: من الآية٢٥) والأرض تطلق على نفسها وجبالها، نحو: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (الأعراف: من الآية٥٤) فهذا إجمال يعم الأرض وجبالها، وهنا فصَّل فأطلق الأرض على غير جبالها وما فيها، وسماها: رواسي، وسماها: رواسي شامخات، وسماها: أوتاداً، وبين حكمة جعلها بقوله: ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ (النحل: من الآية١٥) أي تنقلب بأهلها ﴿**فِي يَوْمَيْنِ**﴾ هما يوم الأحد ويوم الاثنين، أي في مقدارهما، وإلا فاليوم الحقيقي إنما يتحقق [بعد][2] وجودهما وتسوية السماوات، وإبراز نيريهما، واليوم الشرعي من طلوع الفجر، كما دل له قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ -إلى قوله-: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ...﴾ الآية (البقرة: من الآية١٨٧) فدل على أن انتهاء الليل طلوع الفجر، لأنه المراد من التبين، [ل١٥٤/ب] وقد قال في: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ ﴿أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ﴾ (البقرة: من الآية١٨٣،١٨٤) فاليوم [الذي][3] كُتب صيامه من طلوع الفجر، فهو أول اليوم، وأما لغةً فقيل إنه من طلوع الشمس لا غير[4]، وفي الآية تعيين مقدار زمان الخلق، وتفصيل ما يجمله في آيات من قوله تعالى في خلق السماوات والأرض وما فيهما: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (الفرقان: من الآية٥٩) وفصل الستة هنا.

﴿**وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً**﴾ كما قال: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً﴾(البقرة: من الآية٢٢) وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ (البقرة:

---

(١) انظر: تفسير القرطبي ٣٢٨/١٥، وتفسير ابن كثير ١٤٠/٤.

(٢) ساقطة من الأصل، وإضافتها من تفسير أبي السعود، حيث ينقل عنه المؤلف كثيراً، ويستقيم بها الكلام.

(٣) في الأصل: "أي" ويستقيم المعنى بما أثبت.

(٤) انظر: كتاب العين ٤١٥/٤ مادة (يوم)، ولسان العرب ٤٦٦/١٥، مادة (يوم).

من الآية١٦٥) وهي الأصنام، وهو بيان لكفرهم ﴿**ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ أي جميع الموجودات التي منها ما جعلتموه نداً لله، والآية استدلالٌ على الوحدانية التي أخبرهم صلى الله عليه وآله وسلم بأنه يوحى إليه بها، وهو نحو قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً﴾ (البقرة: من الآية٢٢) وغيرها.

﴿**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ**﴾ كائنة ﴿**مِنْ فَوْقِهَا**﴾ مرتفعة عليها، لتكون منافعها معرضة لانتفاع أهلها ﴿**وَبَارَكَ فِيهَا**﴾ بكثرة المياه والزروع والضروع. أخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله: ﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾ قال: كل شيء فيه منفعة لابن آدم فهو مبارك[1]. ﴿**وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا**﴾ الآية نحو قوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ (الفرقان: من الآية٢) ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (الرعد: من الآية٨) فهو خلق كل شيء وقدره أتم تقدير. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في الآية قال: شق الأنهار وغرس الأشجار ووضع الجبال وأجرى البحار وجعل في هذه ما ليس في هذه [2].

﴿**فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ**﴾ في تتمة أربعة أيام.

أخرج ابن جرير والنحاس في ناسخه، وأبو الشيخ في العظمة، والحاكم وصححه، والبيهقي في الأسماء والصفات، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فسألته عن خلق السماوات والأرض فقال: خلق الأرض في يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال وما فيهن من منافع يوم الثلاثاء، وخلق يوم الأربعاء الشجر والحجر والماء والمدائن والعمران والخراب،

---

(١) لم أعثر عليه.

(٢) لم أجده في تفسير ابن أبي حاتم، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٦٧٦/٥ وعزاه لابن المنذر عن ابن جريج من قوله لا من قول ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة ١٣٦٤/٤ من طريق أبي سعد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأبو سعد هذا هو سعيد بن مرزبان العبسي البقال ضعيف مدلس كما في التقريب ص٣٨٧ (٢٤٠٢) ومع ذلك ففيه انقطاع، فأبو سعد لا يروي عن ابن عباس مباشرة، بل يروي عن عكرمة عنه. والله أعلم.

فهذه أربعة ثم قرأ الآية[1].

﴿**سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ**﴾ متعلق بمقدر، أي هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الأرض وما فيها، أو بـ﴿قدَّر﴾ أي قدَّر فيها أقواتها لأجل السائلين، أي الطالبين المحتاجين إليها من المقتاتين[2]،واعلم أن هذه الآية كآية البقرة وهي قوله: [ل١٥٥/أ] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ...﴾ الآية (البقرة: من الآية٢٩) دالتان على تقدم خلق الأرض على السماوات وإليه ذهب جمهور المفسرين[3]، لكن أشكلت عليهم آية النازعات، وهي قوله: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ -إلى قوله-: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا...﴾ الآية (النازعات: ٢٧ - ٣٠) ولما تعارضا[4] اختلف أئمة التفسير في الجمع بينهما، فقيل: الخلق بمعنى التقدير، وهو أحد معانيه اتفاقاً[5]،وأن المراد أنه تعالى قدر وجود الأرض، أي حكم بأنها ستوجد في مقدار يومين، وكذلك آية البقرة، أي قدر ما سيوجده لكم في الأرض جميعاً، لا أن المراد من الخلق الإيجاد، وهذا يقوله من يختار أن إيجاد السماء متقدم على الأرض عملاً بآية النازعات.

قلت: والذي يظهر لي والله أعلم بمراده أن خلق السماوات والأرض

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ١٠٩/٢٤، والنحاس في الناسخ والمنسوخ ٢١/٣ (٨١٩)، وأبو الشيخ في العظمة ١٣٦٢/٤، والبيهقي في الأسماء والصفات٢٠٢/٢، وفي الإسناد سعيد بن مرزبان البقال وهو ضعيف مدلس كما سبق في الأثر السابق. وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله بعد أن أورد هذا الحديث: "هذا الحديث فيه غرابة" انظر: تفسير ابن كثير١٤٢/٤.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٨١/٤، والكشاف ١٨٣/٤، والمقتات هو الذي يطلب القوت لنفسه أو لغيره، والقوت هو ما يقوم به بدن الإنسان من الطعام، وتقوت بالشيء واقتات به واقتاته جعله قوته، انظر: الصحاح للجوهري ٢٦١/١ مادة (قوت)، وتاج العروس للزبيدي ٤٩/٥، مادة (قوت).

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: "لا أعلم فيه نزاعاً بين العلماء، إلا ما نقله ابن جرير عن قتادة أنه زعم أن السماء خلقت قبل الأرض، وقد توقف في ذلك القرطبي في تفسيره" ا.هـ ١٠٥/١.

(٤) هكذا قال المؤلف رحمه الله ولو قال: "ولما كان ظاهرهما التعارض" لكان أصوب، والله اعلم.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى ٤٠٣/٨، وأضواء البيان للشنقيطي ٧٤/٧.

متقارب[1] كما يدل له ما رُوي عن الحسن من أنه تعالى خلق الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان، وخلق منه السماوات، وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض، وذلك قوله: ﴿كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾[2] أي ثم دحى الأرض بعد ذلك، وبسطها فيكون على هذا إيجاد السماء والأرض متقاربين، لكن تسوية السماوات متقدم على دحو الأرض، ويكون الترتيب بين التسوية والدَّحو، وأن التسوية للسماوات متقدم، والدحو للأرض متأخر، لا أن الترتيب بين الإيجاد، بل هما متقاربان، ويناسبه تفسير ﴿كَانَتَا رَتْقاً﴾ مناسبة واضحة، ويؤيده ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا، رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ (النازعات: ٢٧ ، ٢٨) فإنه إخبارٌ عن رفع سمكها وتسويتها، والمراد: تسويتها سبعاً كما هو المصرح به في البقرة، وفي هذه الآية الكريمة، ثم ذكر وجود الأرض بعد ذلك، فلا دلالة في الآية على تقدم خلق السماء على خلق الأرض، بل على تقدم تسويتها ورفعها، فمن قال: إنها وآية والبقرة متعارضتان لم يحقق البحث، كما يقرره في آية البقرة أيضاً، ويؤيده الرواية الأخرى عن الحسن أيضاً أن العرش [ل١٥٥/ب] كان قبل خلق السماء والأرض على الماء، ثم إنه تعالى أحدث في الماء اضطراباً، فأزبد فارتفع منه دخان، فأما الزبد فبقي على وجه الماء، فبقي منه اليبوسة فجعل أرضاً واحدة ثم فتقها فجعلها أرَضينَ وأما الدخان فعلا وارتفع فخلق منه السماوات[3]. فالإيجاد لهما كان متقارباً لأنه صدر عن اضطراب الماء، والترتيب بين الدحو وتسوية السماوات، ويكون قوله في آية البقرة: ﴿خلق لكم ما في الأرض﴾، أي قدره ولا تعرض فيه

---

(١) هذا اختيار المؤلف رحمه الله، وقد كتب مقابله بالحاشية هذه العبارة: "ترجيح تقارب خلق السماوات والأرض".

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف ١٢٨/١، والنسفي في تفسيره ٣٥/١، وأبو السعود في تفسيره ٦/٨ وغيرهم عن الحسن، ولم يعلق عليه ابن حجر في الكاف الشاف، ولم أعثر على إسناده ١٢٨/١.

(٣) ذكره أبو السعود في تفسيره ٤٣٧/٥ بصيغة التضعيف، ولم أعثر على إسناده.

لذكر خلق الأرض بل لما خلق فيها وقوله هنا ﴿خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي أوجد دحوها وما فيها من أقواتها وجبالها فكان في أربعة أيام كل ذلك.

﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ**﴾ أي والأرض فهر[1] ﴿**فَقَالَ لَهَا**﴾ أي للسماء أي للدخان الذي سيكون سماءً ﴿**وَلِلأَرْضِ**﴾ للفهر الذي يبسطه أيضاً ﴿**ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً**﴾ أي انفصلا بأن تكون يا دخان سبع سماوات، وأن تكون يا فهر أرضاً مبسوطة مدحوةً، إن قلتَ: الفهر ما له ذكر في الآية، قلتُ: الدحو دال عليه، فإنه لا دحو إلا من شيء مجموع عبَّر عنه الراوي بالفهر، ثم لا يخفى أن آية البقرة لا تدل على تقديم خلق الأرض كما قاله المفسرون[2]، إذ الذي فيها هو الإخبار عن خلق ما في الأرض والأظهر: أن المراد به التقدير، بخلق منافعها ولا إخبار فيها أيضاً عن إيجاد[3] السماء وخلقها بل فيها الإخبار بأنه تعالى استوى لتسوية السماء سبع سماوات، فالآية دالة على وجود الأرض نفسها، والسماء نفسها لا على إيجادهما وإنما الإخبار عن شؤونهما، وما تعلق بهما من تقدير منافع الأرض، وتسوية السماء سبعاً، وقوله: ﴿بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ (فصلت: من الآية٩) أي دحاها وبسطها كما تشاهدونها فإنه الذي يشاهده المخاطبون لا نفس الإيجاد الأصلي، وقوله: ﴿**قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾ أي تأتي كل واحدة كما أريد، فالسماء تأتي سبع سماوات، ويا أرض امتدي وانبسطي[4] وهذا خطاب حقيقة، وجواب

---

(١) الفهر: الحجر قدر ما يدق به الجوز ونحوه، انظر: لسان العرب ٣٤١/١٠، والقاموس المحيط ص ٤٨٣.

(٢) تقدم قريباً قول ابن كثير رحمه الله "لا أعلم فيه نزاعاً بين العلماء..إلخ" وقال في موضع آخر من تفسيره: "وأما خلق الأرض فقبل خلق السماء بالنص"، وذكر حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عند البخاري، لما سأله الرجل عن آيتي البقرة والنازعات، فقال ابن عباس: "وخلق الأرض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحى الأرض، ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والرمال والجماد والآكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله تعالى دحاها". انظر: تفسير ابن كثير ١٤٠/٤، وابن عباس رضي الله عنهماهو ترجمان القرآن وقد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم، فلا حاجة للخلاف بعد هذا، والله أعلم.

(٣) قوله: "إيجاد" جاء ملحقاً بالحاشية، وعليه: "صح".

(٤) هذا اختيار المؤلف رحمه الله، وقد سبقه إليه الزمخشري ١٨٤/٤، وأما ابن جرير فاختار أن معناه أما أنت يا سماء فأطلعي ما خلقت فيك من الشمس والقمر والنجوم، وأما أنت يا أرض فأخرجي ما خلقت فيك من =

حقيقة، لا وجه لحمله على المجاز كما صنعه الكشاف[1]، ثم إن توجيه الخطاب على السماء والأرض دال على أنهما موجودتان، وإنما أمر بما أراده تعالى من عام التكوين.

وقوله: ﴿**فَقَضَاهُنَّ**﴾ [ل١٥٦/أ] الضمير مبهم فسّره بقوله: ﴿**سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ**﴾[2] دال على ما قررناه من أن المراد إتيانهن بصفة السبعية، وإتيان الأرض بصفة الدحو والبسط. ﴿**وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا**﴾ أي ما جعله فيها من الأمور التي قدرها فيها، وهو يقابل قوله في الأرض: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا...﴾ الآية (فصلت: من الآية١٠) أي أنه خلق كل واحدة من المظلة والمقلة، وكل ما قضاه فيهما، قال المفسرون: والوحي عبارة عن التكوين ﴿**وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا**﴾ القربى، وهو نحو: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ (الحجر: ١٦) ونحوه: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ (الصافات: ٦) ﴿**بِمَصَابِيحَ**﴾ هي الكواكب، ويأتي: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾[3] (الملك: من الآية٥) ﴿**وَحِفْظاً**﴾ حفظناها حفظاً، تقدم ذكر المحفوظ منه في قوله في الصافات: ﴿وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾ (الصافات: ٧) ويأتي: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ﴾[4] (الملك: من الآية٥) والآيات في هذا المعنى كثيرة،

=

الأشجار والثمار والنبات، وتشقَّقي عن الأنهار ﴿قالَتا أتَيْنا طائِعِينَ﴾: جئنا بما أحدثتَ فينا من خلقك، مستجيبين لأمرك لا نعصي أمرك. وقد أسند هذا القول إلى ابن عباس رضي الله عنهما، انظر: تفسير الطبري ١١٤/٢٤.

(١) انظر: الكشاف ١٨٤/٤، وفي هذا رد على الزمخشري، مما يؤيد أن المؤلف رحمه الله من أهل السنة والجماعة، وقد سبق في سورة غافر ص ٢٤٣، أن المؤلف نقل كلام الزمخشري عندما حمل قوله تعالى: ﴿كن فيكون﴾ على التمثيل لتأثير قدرته في المقدورات من غير أن يكون هناك أمر ولا مأمور، ولم يعلق عليه في ذلك الموضع، وقد رده هنا مما يؤيد أنه غفل عنه هنالك وانتبه له هنا فرده بما يقرر عقيدة السلف رحمهم الله.

(٢) انظر: الكشاف ١٨٥/٤، وروح المعاني للآلوسي ٤٨٧/٢٤.

(٣) سورة الملك وهي في الجزء المفقود من المخطوط.

(٤) وهي في الجزء المفقود أيضاً.

فهذه الحكمة التي خلقت لها النجوم: زينة للسماء ورجوماً للشياطين، وللاهتداء بها[1] ، كما صرح به ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (النحل: من الآية١٦) وقد استثنى تعالى من حفظ السماوات من استرق السمع وأنه يُتْبِعُه شِهاب، وفي الآية دليل على أن الكواكب كلها زينة للسماء الدنيا، وأنها محلها ولأهل النجوم دعاوي في محلات السبعة وأن في كل سماء منها شيء، والله أعلم[2]. ﴿**ذَلِكَ**﴾ أي ما ذكر من خلق المظلة وما فيها، والمقلة وما فيها ﴿**تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ**﴾ الغالب ﴿**الْعَلِيمِ**﴾ بكل شيء، ويوضع كل مقدر في موضعه، وبعد استيفاء الأدلة على وحدته وقدرته وعلمه وحكمته، وإقامة البراهين التي لا يحوم والله حولها إلا بطَّال قال متهدداً لمن أعرض عن الأدلة:

﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا**﴾ أي الذين أُرْسِلْتَ إليهم عما دعوتَهم إليه، فليس بعد قيام البراهين والإعراض عنها إلا العقاب ﴿**فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً**﴾ عذاباً شديداً ﴿**مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ**﴾ قوم هود ﴿**وَثَمُودَ**﴾ قوم صالح، وعبر بالصاعقة عن العذاب الشديد، وفي الشمس وضحاها: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ...﴾ الآية (الشمس: من الآية١٤) وإلا فإنه تعالى ذكر في الأعراف عذاب عاد، بقوله: ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ (الأعراف: من الآية٧٢) وهو مجمل، وفي هود: ﴿عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (هود: من الآية٥٨)، وفي [ل١٥٦/ب] الشعراء: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ (الشعراء: من الآية١٣٩)، وفي

(١) قال قتادة: خلق هذه النجوم لثلاث: جعلها زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به.
علقه البخاري بصيغة الجزم في صحيحه ص ٦٥٤، كتاب بدء الخلق، باب في النجوم. وانظر: تغليق التعليق ٤٨٩/٣.

(٢) والنجوم السبعة هي زحل وعطارد والمشتري وبهرام والزهرة والشمس والقمر. كما ورد ذلك عن علي وابن عباس رضي الله عنهم. انظر: الدر المنثور٥٢٩/٦، ٥٢٨. والاعتقاد في هذه النجوم بأن لها علاقة بالسعد، والنحس اعتقاد فاسد، ومن اعتقد أنها مدبرة لأموره أو لأمور الكون فهذا كفر، وكذلك إن انضم إلى ذلك دعاؤها والاستعانة بها يكون كفراً وشركاً. انظر: "مجموع الفتاوى" ١٧٧/٣٥، ١٧٨.

الأحقاف: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الأحقاف: من الآية٢٤)، وفي القمر: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ (القمر: ١٩) والكل لا يخلو عن إجمال، والتفصيل في الحاقة، حيث قال: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ • سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ (الحاقة: ٦،٧)، وأما ثمود ففي الأعراف: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ (الأعراف: من الآية٧٨) وفي هود: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (هود: ٦٧) وفي الشعراء: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ (الشعراء: من الآية١٣٩) وفي الشمس وضحاها: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ...﴾ الآية (الشمس: من الآية١٤)، والكل لا يخلو عن إجمال كما في آية القمر: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ (القمر: ٣١)، وفي الحاقة: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ (الحاقة: ٥).

﴿**إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ**﴾ أي من جميع جوانبهم واجتهدوا في دعائهم إلى التوحيد، ويحتمل أنه تعالى أرسل إليهم غير هود [و][(1)] صالح، وكفروا بهم، ثم أرسلهما فكان هلاكهم على أيديهما، فإنه تعالى يقول لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ (غافر: من الآية٧٨) وخاطبوهم بقولهم: ﴿**أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ**﴾ دعوهم إلى ما دعاكم إليه رسولكم بقوله: ﴿يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ...﴾ الآية (فصلت: من الآية٦) فالرسل جميعهم دعوتهم واحدة إلى توحيد الله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥) وقال: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ (الزخرف: ٤٥) ﴿**قَالُوا**﴾ أي عاد وثمود: ﴿**لَوْ شَاءَ رَبُّنَا**﴾ إنزال رسل الله ﴿**لأَنْزَلَ مَلائِكَةً**﴾ نحو قول قوم نوح ﴿مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ

---

(١) ساقطة من الأصل ويقتضيها السياق.

شَاءَ اللَّهُ لأَنْزَلَ مَلائِكَةً﴾ (المؤمنون: من الآية٢٤)، وقد أجاب الله تعالى على الكل لما قالوا: ﴿لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ قال: ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ﴾ (الأنعام: ٨)، أي لأُهلكوا و لم ينتظر بهم توبة ولا معذرة كقوله: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ﴾ (الحجر: ٨) لما قالوا: ﴿لَوْمَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الحجر: ٧) والمراد أي بالحق أي بهلاكهم، وكما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً﴾ (الفرقان: ٢٢) وهكذا قال فرعون: ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ (الزخرف: من الآية٥٣)، وهذا الجواب الأول، والثاني: [ل١٥٧/أ] أنه قال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً...﴾ الآية (الأنعام: من الآية٩) وقال: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً﴾ (الإسراء: ٩٥)، وهو إخبار بأنه تعالى لا يرسل إلى البشر إلا مثلهم، وأخبر تعالى أنه لو نزَّل الملائكة لم يؤمنوا، بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾ -إلى قوله-: ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ (الأنعام: من الآية١١١) وفي الآيات دليل على أنهم يعرفون الله[1]، ويؤمنون أن له ملائكة إنما كفرهم بالرسل، حيث كانوا بشراً ولذا يقولون لرسل الله: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ (يس: من الآية١٥) ﴿أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾ (القمر: من الآية٢٥) ﴿لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف: من الآية٣١)، وكلها معاذير باطلة، وأقوال عن الأدلة عاطلة، ولذا قدم الله تعالى في صدر هذه السورة تعليماً لرسوله فيما يخاطبهم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ (فصلت: من الآية٦) كقول إخوانه: ﴿إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (إبراهيم: من الآية١١) ولذا لما قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ (الأنعام: من الآية١٢٤) قال تعالى جواباً عليهم: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام: من الآية١٢٤) ﴿**فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ**﴾ أيها الرسل جميعاً ﴿**كَافِرُونَ**﴾ مكذبون لكم، ثم بين تعالى مفصلاً ما اختصت به كل طائفة من

---

(١) إنما يعرفون الله تعالى بربوبيته، وهم يكفرون بألوهيته وبأسمائه وصفاته.

أنواع الكفر، وأنواع العقوبة بقوله:

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ﴾ تعظَّموا فيها على أهلها، واستعلوا عليهم، من ذلك: إنكارهم لنبيه هود، وإخبارهم بأنهم لا يتركون آلهتهم، وما هم بمؤمنين كما حكاه الله عنهم، بقوله: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (هود: ٥٣) ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بل استكبروا بالباطل ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ وذلك أنه تعالى زادهم في الخلق بسطة كما سلف في الأعراف[1]، وذلك أنه لما تهددهم بعذاب الله، قالوا هذا القول. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾[2]: ينظروا ويتفكروا في ملكوت السماوات والأرض الدالة على ما لا تبلغه قواهم، بل قوى الثقلين وإن من صفاته: القوي، وأنه يقول: ﴿أأنتم أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا...﴾ الآية (النازعات: ٢٧)، ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على قوتنا وقدرتنا ﴿يَجْحَدُونَ﴾، ينكرونها وهم يعرفون حقيقتها وحقيتها، ولما ذكر جناياتهم ذكر نوع عذابهم [ل١٥٧/ب] فقال:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً﴾ باردة شديدة الإحراق، بردها من الصر وهو البرد، وقيل: عاصفة بصوت في هبوبها[3]. ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾ مشئومات عليهم، وحيث أفردها بقوله: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ (القمر: من الآية١٩) أراد به الجنس، وقد بين الله عددها في قوله: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً﴾ (الحاقة: من الآية٧) ويأتي في الأحقاف زيادة في بيان ما أصابهم منها[4] ﴿لِنُذِيقَهُمْ﴾ بعذاب الدنيا ﴿عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ أي الذل والاستكانة ﴿فِي الْحَيَاةِ

---

(١) سورة الأعراف آية ٦٩.

(٢) سقط من الأصل جزء من الآية وهو قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾.

(٣) ذكر الطبري الأقوال في معنى صرصر، فعن مجاهد قال: شديدة السموم عليهم، وعن قتادة أنها الباردة، وعن السدي أنها باردة ذات صوت، تفسير الطبري ١١٧/٢٤ ، ١١٨، وقال ابن كثير في تفسيره بعد أن ذكر هذه الأقوال: "والحق أنها متصفة بجميع ذلك" ١٤٣/٤.

(٤) سورة الأحقاف الآيتان ٢٤، ٢٥، لكنه في الجزء المفقود من المخطوط.

الدُّنْيَا﴾، وفي الأدعية النبوية: (اللهم إنا نعوذ بك من خزي الدنيا وعذاب الآخرة)[1] ﴿**وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى**﴾ أشد خزياً من خزي الدنيا، ولذا قال أولوا الألباب: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ (آل عمران: من الآية١٩٢)، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ (التحريم: من الآية٨)، وإنما كان أخزى لأنه إذلالٌ وإهانةٌ على رؤوس الخلائق أجمعين، ولأنه دائم لا انقطاع له ﴿**وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ**﴾[2] في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿**وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ مع هود ومع صالح، كما قال في الأول: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (هود: ٥٨)، وقال في الثاني: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (هود: ٦٦)، وجرت حكمته ورحمته بنجاة أهل الإيمان إذا نزل الهلاك بأهل العصيان، في جميع الرسل[3] كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ١٠٣)، وما أَمَرَ نوحاً بصنعة الفلك إلا لنجاته، ونجاة المؤمنين، وما أمر لوطاً بأن يسري بأهله بقطع من الليل إلا لنجاته ونجاة من آمن معه، فالإيمان سبب النجاة من عذاب الدارين، قال في عذاب الآخرة: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً﴾ (مريم: ٧٢)، ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الزمر: ٦١)، ﴿**وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾

---

(١) لم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ، وإنما وجدته بلفظ: "اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة" أخرجه أحمد في مسنده ٤٤١/١٣ (١٧٥٦٠)، والبخاري في التاريخ الكبير ١٢٣/٢، وابن حبان في صحيحه ٢٢٩/٣ (٩٤٩) من حديث بُسر بن أرطأة رضي الله عنه، وقد ضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير ص١٦٤ (١١٦٩)، وفي السلسلة الضعيفة ٤٥٢/٦ (٢٩٠٧).

(٢) بعد هذه الآية سقطت آية كاملة من الأصل وهي قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

(٣) هكذا في الأصل ولعل صوابها: "الأمم".

عذاب الله بتقواه، وهو الإتيان بأوامره والانتهاء عن نواهيه، فهو قيد لا بد منه في النجاة ﴿**وَيَوْمَ يُحْشَرُ**﴾ أي اذكر لهم حشرهم بعد [ل١٥٨/أ] نشرهم، فإنهم يخرجون من القبور أولاً ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ (الانفطار: ٤) ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ (قٓ: ٤٤) ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ (المعارج: ٤٣)، ثم يحشرون ثانياً أي يساقون إلى أرض المحشر ﴿**أَعْدَاءُ اللَّهِ**﴾ هم الكفار، كما قال: ﴿لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (الممتحنة: من الآية١) وهم كفار قريش الذين كتب إليهم حاطب ابن أبي بلتعة، كما في سبب نزولها[1] ﴿**إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ**﴾، تقدم: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآياتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (النمل: ٨٣) أخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فهم يوزعون﴾ قال: يحبس أولهم على آخرهم[2]. زاد أبو السعود: ليتلاحقوا[3]. وهو عبارة عن كثرتهم، وقيل: يدفعون إلى النار[4] والمراد بالنار موقف الحساب، إذ فيه تتحقق الشهادة الآتية، وإن أطلق عليه النار باعتبار المآل[5].

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح وما بعث به حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبي صلى الله عليه وسلم ١٢٩٢/٣ (٤٢٧٤)، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم وقصة حاطب بن أبي بلتعة (٢٤٩٤).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٣٨٦/١١ (١٢٠٧٦) من رواية الحكم بن عتيبة عن مقسم بن بجرة عن ابن عباس. والحكم ثقة ربما دلس. انظر: التقريب ص٢٦٣ وقد عنعن هنا. ومقسم مولى ابن عباس صدوق كان يدلس. انظر: التقريب ص٩٦٩ وقد عنعن هنا.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود٥/٤٤١.

(٤) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، انظر: تفسير الطبري ٢٢/٢٠.

(٥) هذا رأي المؤلف رحمه الله تعالى، والذي يظهر لي والله أعلم أنه لا حاجة لهذا التأويل، فقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يحشرهم إلى نار جهنم، فيحبس أولهم على آخرهم، وتشهد عليهم أسماعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ثم يدخلون النار، وقد أشار إلى ذلك أئمة التفسير كالطبري ١٢٢/٢٤، وابن كثير ١٤٤/٤.

﴿**حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا**﴾ كلمة ما زائدة أي: حضروها[1] ﴿**شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ**﴾ ما سمعوه من كلام الله وكلام رسله ﴿**وَأَبْصَارُهُمْ**﴾ بما يشاهدونه من آيات الله ﴿**وَجُلُودُهُمْ**﴾ بإنعام الله عليهم، وقوله: ﴿**بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ من أهم سمعوا فكذبوا ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ (البقرة: من الآية٩٣) وأهم أبصروا آيات الله فأعرضوا عن تدبرها، وبأهم كفروا نعم الله على أبداهم من الصحة والعافية والرياش[2]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن المراد بالجلود: الفروج، وأن الله تعالى أنطق هذه الجوارح، وختم على أفواههم[3]، كما قال: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يس: ٦٥)، أخرج أحمد ومسلم والنسائي وغيرهم عن أنس رضي الله عنه في قوله: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾ قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضحك حتى بدت نواجذه، قال: (أتدرون مم أضحك) ؟ قلنا: لا يا رسول الله. قال: (من مخاطبة العبد ربه. يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم)؟ فيقول: بلى، فيقول: إني لا أجيز عليَّ إلا شاهداً مني، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً [ل١٥٨/ب]، وبالكرام الكاتبين شهوداً، فيُختم على فيه، ويقال لأركانه: انطقي، فتنطق بأعماله، ثم يخلّى بينه وبين الكلام، فيقول: بعداً لكنَّ وسحقاً فعنكن كنت أناضل)[4] ﴿**وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا**﴾ بالقبائح من الزنى وغيره ﴿**قَالُوا**

---

(١) انظر: الكشاف٤/١٩٠، والبحر المحيط٧/٦٥١.

(٢) أي واللباس كما في قوله تعالى: ﴿وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ (الأعراف: من الآية٢٦).

(٣) ذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما: ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير ٤/٤٩، وأبو السعود في تفسيره ٥/٤٤١، ولم أجد له سنداً. وقد ذكر الطبري هذا القول عن غير ابن عباس، وذكر أن هذا القول وإن كان يحتمله التأويل فليس بالأغلب على معنى الجلود ولا بالأشهر، وغير جائز نقل معنى ذلك المعروف إلى الشيء الأقرب إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها. انظر: تفسير الطبري ٢٤/١٢٣.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقائق ١٨/٨٢ (٢٩٦٩)، والنسائي في سننه الكبرى، كتاب التفسير، باب سورة الانفطار ١٠/٣٢٦ (١١٥٨٩)، وأحمد كما في مسائل ابنه صالح ٢/٢٩٨ (٩١٥).

﴿أَنْطَقَنَا اللَّهُ﴾ جعلنا ناطقين **﴿الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾** من حيوان وجماد، أي وقدرنا على بيان الواقع فشهدنا به، وقيل: سؤالهم سؤال تعجب كيف نطقوا[1] فقالوا: **﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾** في دار الدنيا وهي النشأة الأولى **﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾**، فإن من قدر على خلقكم أول مرة قادر على إعادتكم لترجعوا إليه، لا يُتعجبُ من قدرته على إنطاقنا وهذا إنطاق حقيقي لا مجازي ولا غيره.

وقال تعالى: **﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾** مخافة **﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ﴾**، فهذا من كلامه تعالى تقريراً لجواب الجلود، أي ما كنتم تستترون في الدنيا عند إتيانكم القبائح عن هذه الجوارح، كما تستترون عن الناس لئلا تفتضحوا بينهم، **﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ﴾** لجهلكم بإحاطة علم الله **﴿أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾**[2] من القبائح التي تفعلونها بخفية، أخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والنسائي وابن جرير والبيهقي في الأسماء والصفات، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنت مستتراً بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر قرشي، وثقفيان أو قرشيان وثقفي، كثيرٌ لحم بطونهما، قليل فقه قلوبهما، فتكلموا بكلام لم أسمعه، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع كلامنا هذا؟ فقال الآخران: إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه، وإنا إذا لم نرفعه لم يسمعه، فقال الآخر: إن سمع منه شيئاً سمعه كله، قال فذكرت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ -إلى قوله-: ﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[3] (فصلت: من الآية ٢٢، ٢٣).

---

(١) ذكره أبو السعود في تفسيره ولم يعزه إلى أحد ٥/٤٤١.

(٢) بعد هذه الآية لم يذكر المصنف رحمه الله قوله تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ.. ﴾ (فصلت: من الآية٢٢) ٢٣٤٩/٤ (٧٥٢١)، ومسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ١٠٢/١٧ (٢٧٧٤)، والنسائي في سننه الكبرى، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أن يشهد عليكم =

﴿**فَإِنْ يَصْبِرُوا**﴾ أي المحشورون إلى النار أي [ل١٥٩/أ] على النار، كما قال تعالى: ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا﴾ (الطور: من الآية١٦) وقولهم: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ (إبراهيم: من الآية٢١) ﴿**فَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ**﴾ مقام يقيمون به الأبد، ﴿**وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا**﴾ يطلبون العُتبى، وهو الرجوع إلى ما يحبونه جزعاً مما هم فيه ﴿**فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ**﴾ المجابين إليها، وأخبر الله تعالى عن عقوبتهم في الدنيا لما قالوا ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ..﴾ الآيات (فصلت: من الآية٥)، بقوله :

﴿**وَقَيَّضْنَا**﴾ يسرنا وقدرنا ﴿**لَهُمْ**﴾ للكفرة ﴿**قُرَنَاءَ**﴾، جمع قرين، إخوانا من الشياطين، ييسروهم للعسرى، وتقدم ﴿أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً﴾ (مريم: من الآية٨٣) ﴿**فَزَيَّنُوا**﴾ القرناء ﴿**لَهُمْ**﴾ للكفرة ﴿**مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ**﴾ من شهوات الدنيا وتكذيب الرسل، وقولهم: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ (يّس: من الآية١٥) ﴿**وَمَا خَلْفَهُمْ**﴾ من أمور الآخرة التي أخبرهم بها الرسل من إنكار البعث، ونعيم الآخرة وبؤسها، فقرين السوء هو الذي يجلب لمن يقارنه كل بلاء، ولا يجعله الله إلا عقوبة كما صرح به: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف: ٣٦)، كما يأتي، وفي الحديث: (إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق، إن نسي ذكَّره، وإن ذَكر أعانه، وإن أراد به غير ذلك، جعل له وزير سوء، إن نسي لم يذكِّره، وإن ذَكر لم يعنه)[1]، ولذا يقال:

=

سمعكم..﴾، ١٠/٢٤٦ (١١٤٠٤)، والطبري في تفسيره ١٢٦/٢٤، والبيهقي في الأسماء والصفات ٤٥٨/١ (٣٨٦)، وعزاه لعبد بن حميد وسعيد بن منصور: السيوطي في الدر المنثور٥/٦٨٠، ولم أعثر عليه في المطبوع من سنن سعيد بن منصور.

(١) أخرجه أبو داود في سننه ص٤٤٦ (٢٩٣٢)، و ابن حبان في صحيحه ٤٦٥/٦ (٤٤٧٧)، والبيهقي في السنن الكبرى ١٩١/١٠ (٢٠٣٢٠)، كلهم من طريق زهير بن محمد، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة به. وأخرجه النسائي في سننه الصغرى ص٦٤٨ (٤٢٠٤)، من طريق بقية عن ابن المبارك عن ابن أبي حسين عن القاسم بن محمد عن عائشة بنحوه. وأورد الحديث النووي في رياض الصالحين وقال بعده:
=

عَنِ المَرءِ لا تسأَل وَسَلْ عَن قَرينِهِ فَكُلُّ قَرينٍ بالمُقارِنِ يَقْتَدِي[1]

والشياطين القرناء من الجن والإنس، وهم أكثر إغواءاً وإضلالاً، ولذا أمر الله العباد المؤمنين ألا يَنْكِحوا المشركات ولا يُنْكِحوا المشركين، وعلّله بقوله: ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة: من الآية٢٢١)، بل وأخص من ذلك أمره صلى الله عليه وآله وسلم، بالتزويج من المسلمات بذات الدين في الحديث الصحيح: (عليك بذات الدين تربت يداك[2])[3]، فإن زوجة الرجل أعظم قرنائه، ويقال:

وقَارِنْ إذا قَارنْتَ حُـرّاً فإنما يَزينُ وَيُزْري بالفَتَى قرناؤهُ[4]

[ل١٥٩/ب] ولذا قال تعالى في القرناء: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٣٧)، ولذا يقول يوم القيامة: ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي

=

"رواه أبو داود بإسناد جيد على شرط مسلم". انظر: رياض الصالحين للنووي ص ٢٨٧ (٦٨٤)، وقال الألباني عن إسناد النسائي: "وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وقد صرح بقية بالتحديث فأمِنّا بذلك شر تدليسه". وقال عن إسناد أبي داود وابن حبان: "رجاله ثقات رجال الشيخين غير أن زهير بن محمد ضعيف من قبل حفظه، ولكنه في هذا الحديث قد حفظ أو كاد؛ فإنه لم يخرج فيه عن معنى حديث بقية والله أعلم". انظر: السلسلة الصحيحة ٨٨١/١، ٨٨٢ (٤٨٩).

(١) البيت لعدي بن زيد، انظر: المجالسة وجواهر العلم ص (٨٨)، وتفسير الطبري ١٠٧/٥.

(٢) ترب الرجل إذا افتقر أي لصق بالتراب، وهي كلمة جرت على لسان العرب ولا يريدون بها الدعاء على المخاطب، ولا وقوع الأمر به، وقيل: أراد بها المثل ليرى المأمور بذلك الجد، وأنه إن خالف فقد أساء. انظر: النهاية في غريب الحديث ١٨٥/١، ولسان العرب ٢٣/٢.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك). انظر: صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين ١٦٣٩/٣ (٥٠٩٠)، وصحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين ٤٤/١٠ (١٤٦٦).

(٤) البيت ليحيى بن أكثم القاضي ، انظر : الزهرة لأبي بكر بن داود ص ١٧١ ، والمرشي لأبي الطيب الوشاء ص ٥.

وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ (الزخرف: من الآية٣٨) والصد عن السبيل هو تزيين ما بين أيديهم وما خلفهم، وكذلك يقول: ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً ● لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً﴾ (الفرقان: ٢٨،٢٩) ﴿**وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ**﴾ فهم من الأكثر الذين قال تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (يّس: ٧) ومن الذين قال فيهم: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (السجدة: من الآية١٣)، ﴿**فِي أُمَمٍ**﴾ حال من الضمير المجرور أي كائنين في جملة أمم، وقيل: [في][1] بمعنى: مع[2] والأحسن: تقدير: ادخلوا؛ لما تقدم من قوله: ﴿ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ...﴾ الآية (الأعراف: من الآية٣٨)، ﴿**قَدْ خَلَتْ**﴾ سبقت ﴿**مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالأِنْسِ**﴾ هو كما قال: ﴿ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالأِنْسِ فِي النَّارِ...﴾ الآية (الأعراف: من الآية٣٨) ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ**﴾ كما أنكم أيها المخاطبون خاسرون، كما قال في وصفهم قريبا: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (فصلت: من الآية٢٣).

﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ أي بعضهم لبعض ﴿**لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا**﴾، تكلموا باللغو والخرافات والمكاء والتصدية[3]، لتصدوا السامعين عن سماعه وتفهمه، وهذا من تزيين القرناء، وهو عكس ما أمر الله به عباده، حيث قال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ (الأعراف: من الآية٢٠٤) ﴿**لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾ محمداً عن سماع القرآن الذين يستمعونه، وتسميتهم له قرآناً تهكما أو إقراراً بما يعلمونه ويجحدونه، أو بالمعنى اللغوي وهم يطلقون عليه القرآن كثيراً،

---

(١) في الأصل: "الواو" وهو خطأ وما أثبت من أصل المؤلف، أي تفسير أبي السعود.

(٢) انظر: الكشاف ١٩٢/٤، والدر المصون ٥٢٣/٩، وتفسير أبي السعود ٤٤٢/٥.

(٣) **المكاء**: هو الصفير، انظر: كتاب العين ١٦١/٤ مادة (مكو)، ولسان العرب ١٦٤/١٣. **والتصدية**: التصفيق، انظر: لسان العرب ٣١٢/٧، والقاموس المحيط ص ٣١٧.

نحو: ﴿لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف: من الآية٣١).

﴿**فَلَنُذِيقَنَّ**﴾ أي فوالله لنذيقن ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ الذين قالوا ﴿لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ (فصلت: من الآية٢٦) أو عام لكل كافر، وهم داخلون دخولاً أولياً، ﴿**عَذَاباً شَدِيداً**﴾ نحو ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ (سبأ: من الآية٤٢)، ﴿**وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ**﴾ سيئات أعمالهم، وكلها أسوأ الأعمال [ل١٦٠/أ] ﴿**الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾.

﴿**ذَلِكَ**﴾ مبتدأ أي إذاقة العذاب الشديد، والجزاء بالأسوأ ﴿**جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ**﴾، خبره[1]، وهم الذين تقدم فيهم: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾ (فصلت: من الآية١٩)، و﴿**النَّارُ**﴾ عطف بيان لجزاء[2] و﴿**لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ**﴾ جملةٌ مستأنفةٌ مقرِّرَةٌ لما قبلها، هي دار الخلد، والبقاء الدائم ﴿**جَزَاءً**﴾ منصوب بمقدر أي يجزون جزاءً، أو بالمصدر السابق فإنه ينصب بنحو: ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُوراً﴾ [3] (الإسراء: من الآية٦٣) ﴿**بِمَا كَانُوا بِآياتِنَا يَجْحَدُونَ**﴾ ينكرونها مع اعترافهم بأنها حق ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ...﴾ الآية (النمل: من الآية١٤).

﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ وهم في دركات النار ﴿**رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ**﴾ وهم القرناء الذين قُيضُوا لهم، فإنهم الذين زَيَّنُوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم، وسادتهم وكبرائهم الذين قالوا: ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾(الأحزاب: من الآية٦٧)، والذين استكبروا والذين أضلوا المستضعفين، وقالوا: ﴿لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ (سبأ: من الآية٣١)، ﴿**نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا**﴾ في أسفل سافلين ﴿**لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ**﴾ في دركات النار، وهو

---

(١) انظر: الكشاف ١٩٣/٤، وتفسير أبي السعود ٤٤٣/٥.

(٢) المصادر السابقة

(٣) انظر: الدر المصون ٥٢٥/٩، وتفسير أبي السعود ٤٤٣/٥.

نحو قولهم: ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً﴾ (الأحزاب: ٦٨) وكما قال: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾ (العنكبوت: من الآية٢٥).

أخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه، عن علي رضي الله عنه أنه سُئِل عن قوله: ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلاَّنَا مِنَ الْجِنِّ وَالأِنْسِ﴾ قال: هو ابن آدم الذي قتل أخاه وإبليس[1]. ومثله عن عكرمة[2] وهو تفسير ببعض من ابتدأ الإضلال.

ثم شرع تعالى في ذكر فريق السعداء بعد بيان حال الأشقياء على قاعدة القرآن في ذكر الفريقين فقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ**﴾ أقروا بالربوبية والوحدانية ﴿**ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾ على ذلك الإقرار، أخرج الترمذي والنسائي والبزار وأبو يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم وابن عدي[3] وابن مردويه عن أنس قال: قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا[4] رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ قال: (قد قالها ناس من الناس ثم كفر أكثرهم، فمن قالها حتى يموت فهو ممن استقام عليها)[5].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١٥٣/٣ (٢٧٠٥)، والطبري في تفسيره١٣١/٢٤، والحاكم في مستدركه٤٧٨/٢، عن مالك بن حصين عن أبيه عن علي رضي الله عنه، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي ٤٧٨/٢، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٠١/٩ (٢٨٢١٠)، والطبري في تفسيره ١٣١/٢٤، من طريق ثابت الحداد، وهو أبو المقدام عن حبة بن جوين العرني عن علي رضي الله عنه، وثابت صدوق يهم، وحبة صدوق له أغلاط وكان غالياً في التشيع، انظر: التقريب، ص١٨٧ (٨٤٠) وص٢١٨ (١٠٨٩)، وهو في تفسير ابن أبي حاتم ٣٢٧٣/١٠ (١٨٤٦٠) عن علي بدون إسناد.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦٨١/٥ عن عبد بن حميد عن عكرمة، ولم أجد له سنداً.

(٣) هو عبد الله بن عدي الجرجاني، أبو أحمد ، الإمام صاحب كتاب "الكامل" في الجرح والتعديل، مولده في سنة ٢٧٧هـ، طال عمره وعلا إسناده، وجرَّح وعدَّل وصحَّح وعلَّل، وتقدم في هذه الصناعة وهو منصف في الرجال بحسب اجتهاده. مات سنة ٣٦٥هـ. انظر: السير ١٥٤/١٦ (١١١)، والأعلام ١٠٣/٤.

(٤) [ل١٦٠/ب].

(٥) أخرجه الترمذي في سننه ص٧٣٤ (٣٢٥٠)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ ٢٤٧/١٠ (١١٤٠٦)، والبزار في مسنده ٢٩٨/١٣ (٦٨٨٥)، =

وأخرج ابن المبارك وعبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر وغيرهم، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، في الآية قال: الاستقامة: أن لا تشركوا بالله شيئا[1]. وأخرج ابن راهويه[2] وعبد بن حميد وابن جرير والحاكم وصححه، عن أبي بكر الصديق أنه قال: ما تقولون في هاتين الآيتين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ و﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام: من الآية٨٢)، فقالوا: الذين قالوا: ربنا الله ثم عملوا بها، واستقاموا على أمره فلم يذنبوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم: لم يذنبوا، قال: لقد حملتموها على أمر شديد، الذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم، يقول: شرك، والذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يرجعوا إلى عبادة الأوثان. انتهى[3] وتقدم في صدر السورة: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ (فصلت: من الآية٦) بعد قوله: ﴿يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ أي استقيموا

=

وأبو يعلى في مسنده ص٦٧٠ (٣٤٩٥)، وابن جرير الطبري في تفسيره ١٣٢/٢٤، وابن عدي في الكامل ٤٥٠/٣، و لم أجده في تفسير ابن أبي حاتم، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه". وضعف إسناده الألباني. انظر: تعليقه على سنن الترمذي ص٧٣٤ (٣٢٥٠)، وعزاه لابن أبي حاتم: ابن كثير في تفسيره ١٤٨/٤، ولابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور٦٨١/٥.

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد ٣١٢/١ (٣١٠)، وعبد الرزاق في تفسيره ١٥٥/٣ (٢٧٠٩)، والطبري في تفسيره١٣٢/٢٤، و لم أجده في تفسير ابن أبي حاتم، قال السيوطي في جامع المسانيد والمراسيل ١٦٠/١٣ (٥٦٤): "والأشبه أن يكون مرفوعاً؛ لأن أبا بكر رضي الله عنه ما كان يرى التفسير بالرأي"، ا.هـ وعزاه لابن أبي حاتم وابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور٦٨١/٥.

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي، ولد سنة ١٦١هـ، كان مع حفظه إماماً في التفسير، رأساً في الفقه، من أئمة الاجتهاد، قال عنه الحافظ ابن حجر: "ثقة، حافظ، مجتهد". توفي ليلة النصف من شعبان سنة ٢٣٨هـ. انظر: السير ٣٥٨/١١ (٧٩)، والتقريب ص١٢٦ (٣٣٤).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره١٣٢/٢٤، والحاكم في مستدركه٤٧٨/٢، كلاهما من طريق عبد الله بن إدريس، عن أبي إسحاق الشيباني، عن أبي بكر بن أبي موسى، عن الأسود بن هلال، عن أبي بكر الصديق، وقال الحاكم ٤٧٨/٢: "صحيح الإسناد و لم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، ويشهد لبعضه ما أخرجه البخاري في صحيحه من أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر الظلم في الآية بالشرك، كتاب التفسير، باب تفسير سورة لقمان، ١٥٠٢/٣ (٤٧٧٦)، وعزاه لابن راهويه وعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور٦٨١/٥.

بتوحيده الذي خاطبتكم أنه أوحي إلي، وقابل الاستقامة بقوله: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ فالآية دليل لتفسير أبي بكر الصديق.

﴿**تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ**﴾ من جهة الله تعالى في دار الدنيا، يمدونهم في ما يريدونه من الأمور الدينية والدنيوية مما شرح الله صدورهم، وتدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الإلهام، كما أن الشياطين تُرسل على الكافرين ﴿أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً﴾ (مريم: من الآية٨٣)، وكما قيض لهم قرناء من الشياطين الإنس والجن، فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم، وقيل: تتنزل عليهم عند الموت بالبشرى[(١)]، وقيل: إذا قاموا من قبورهم[(٢)]. **قلت**: في قوله عنهم: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (فصلت: من الآية٣١) ما يدل للأمرين[(٣)]، ﴿**أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ أخرج ابن المنذر وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن مجاهد في الآية: لا تخافوا مما تَقْدُمون عليه من الموت وأمر الآخرة، ولا تحزنوا على ما خلفتم من أمر دنياكم من ولد أو أهل أو دين، فإنا سنخلفكم [ل١٦١/أ] في ذلك كله[(٤)]. أخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم قال: يؤتى المؤمن عند الموت فيقال له: لا تخف مما أنت قادم عليه، فيذهب خوفه، ولا تحزن على الدنيا ولا على أهلها، فأبشر بالجنة فيموت وقد أقر الله عينه[(٥)]. أخرج أحمد والنسائي عن

---

(١) قال به مجاهد، والسدي. انظر: تفسير الطبري ١٣٤/٢٤.

(٢) وهو قول قتادة ومقاتل. انظر: تفسير القرطبي ٣٤٣/١٥.

(٣) وهو اختيار وكيع، وابن زيد. انظر: المصدر السابق.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣٤/٢٤من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد وهي طريق ثابتة، تقدم الكلام عليها ص (٦٢)، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم: السيوطي في الدر المنثور٦٨٢/٥، ولم أجده في تفسير ابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بلفظ مقارب ٣٧١/١٢ (٣٦٢٦٥)، عن وكيع عن سفيان عن زيد بن أسلم به، ووكيع هو ابن الجراح بن مليح الرؤاسي ثقة حافظ عابد. انظر: التقريب ص١٠٣٧ (٧٤٦٤)، وأما =

أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه)، قلنا يا رسول الله: كلنا يكره الموت، قال: (ليس ذلك كراهية الموت، لكن المؤمن إذا حُضِرَ جاءه البشير من الله بما هو صائر إليه، فليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقي الله فأحب الله لقاءه، وإن الفاجر أو الكافر إذا حُضِرَ جاءه ما هو صائر إليه من الشر، فكره الله لقاءه)(١). وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ثابت أنه قرأ السجدة حتى ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ﴾ فوقف فقال: بلغنا أن العبد المؤمن حيث يبعثه الله من قبره، يتلقاه ملكاه اللذان كانا معه في الدنيا، فيقولان له: لا تخف ولا تحزن، وأبشر بالجنة التي كنت توعد، فيؤمِّن الله خوفه ويقر عينه فما عظيمةٌ يخشى الناس يوم القيامة إلا وهي للمؤمن قرة عين لما هداه الله، ولما كان يعمل في الدنيا(٢).

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أعوانكم فيها على فعل الخيرات **﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾** نمدكم بالشفاعة، أخرج ابن المبارك وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ...﴾ الآية قال: رفقاؤكم في الدنيا لا

=

سفيان فلم يتبين لي أهو سفيان بن عيينة أم سفيان الثوري لأن كلاهما من شيوخ وكيع وعلى كل حال فكلاهما إمام ثقة. انظر: التقريب ص٣٩٥ (٢٤٦٤)، وص٣٩٤ (٢٤٥٨)، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم: السيوطي في الدر المنثور٥/٦٨٢، ولم أجده في تفسير ابن أبي حاتم.

(١) أخرجه أحمد بهذا اللفظ في مسنده عن أنس رفعه ١٠/٣٤٢ (١١٩٨٦)، والنسائي في سننه الكبرى، كتاب الرقائق ١٠/٣٧٥ (١١٧٥٨)، وقد روي هذا الحديث بأوجه مختلفة عن عدة من الصحابة كأبي هريرة وعائشة وغيرهم رضوان الله عليهم، وبعض تلك الروايات في الصحيحين. وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله بعد أن أورد رواية الإمام أحمد بإسنادها قال: "هذا حديث صحيح، وقد ورد في الصحيح من غير هذا الوجه". انظر: تفسير ابن كثير ٤/١٥١.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢/٣٢٥، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٤/١٤٩، كلاهما عن ثابت البناني، ولم يبين ثابت البناني رحمه الله عمن نقله فهو منقطع الإسناد. وعزاه لابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور ٥/٦٨٣، ولم أجده في تفسير ابن أبي حاتم.

نفارقكم حتى ندخل معكم الجنة[1] ﴿**وَلَكُمْ فِيهَا**﴾ في الآخرة ﴿**مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ**﴾ من الطيبات ﴿**وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ**﴾ ما تتمنون من افتعال الدعاء وهو الطلب، أي تدعون لأنفسكم، وهو أعم من الأول.

﴿**نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ**﴾، نصب على الحال[2]، من قوله: ﴿مَا تَدَّعُونَ﴾ والنزل هو ما يعد للضيف، وفي تقييده ما تدعون بالنزل إعلام بأن ما يتمنون بالنسبة لما يعطون من عظائم العطايا كالنزل الذي أعد للضيف، وقال تعالى: في نزل المكذبين [ل١٦١/ب] الضالين: ﴿فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ، وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ (الواقعة: ٩٣،٩٤)، وقال في الذين آمنوا وعملوا الصالحات: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ (الكهف: من الآية١٠٧).

﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ**﴾ بين الدعاء إليه تعالى قوله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: من الآية١٢٥) وقالت الجن لما سمعوه: ﴿قُرْآناً عَجَباً، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ (الجن: من الآية١،٢) وقوله: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ (الأحقاف: من الآية٣١) وقال: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ...﴾ الآية (الجن: من الآية١٩) فيدخل كل آمر بمعروف وناهٍ عن منكر، ومبلّغ للشرائع من كتاب وسنة، وهاد من الضلالة، ومعلّم من الجهالة يصدق عليه أنه قد دعا إلى الله، وأن قوله أحسن الأقوال، وصح قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي رضي

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد ٣١٤/١ (٣١٣)، وفيه حماد بن شعيب وهو ضعيف. انظر: الضعفاء والمتروكين للنسائي ص ٨٣ (١٣٧)، ولسان الميزان لابن حجر ٢٧٠/٣ (٢٧٣٤)، ولكن جاء له متابع عند الثعلبي في تفسيره٣٧٢/٥ عن الفضيل بن عياض عن منصور عن مجاهد به، والفضيل ثقة، عابد، إمام كما في التقريب ص٧٨٦ (٥٤٦٦). وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم: السيوطي في الدر المنثور٦٨٣/٥، ولم أجده في تفسير ابن أبي حاتم.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٨٦/٤، وإعراب القرآن للنحاس ص٧٨٩.

الله عنه: (لأن يهدي الله رجلاً على يديك خير مما طلعت عليه الشمس)[1]، ﴿**وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ**﴾ كما أمر الله تعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾ (المؤمنون: من الآية٥١) فجمع بين دعاء العباد إلى الله بأقواله، والعمل الصالح بأفعاله، وصرح بقوله: ﴿**إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ ابتهاجاً وسروراً بما رزقه الله من جَعْلِه منهم، وإلا فكونه دعا إلى الله وعمل صالحاً فرع عن إسلامه، ولبيان عظمة شأن الإسلام كما قال الخليل عليه السلام: ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ (البقرة: من الآية١٢٨) داعيا له ولإسماعيل، وكما قال أيضاً: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: من الآية١٦٣) وكما قال نوح: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس: من الآية٧٢) وهذا كثير في خطابات رسل الله.

﴿**وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ**﴾ ليس المراد الإخبار بعدم تساويهما، فهو معلوم عقلاً وشرعاً، بل المراد: الحث على العمل بالفرق بين المسيء والمحسن في المعاملة، فجزاء سيئة سيئة مثلها، و﴿هَلْ جَزَاءُ الإحسان إِلاَّ الإحسان﴾ (الرحمن: ٦٠) وقريب منه: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (القلم: ٣٥)، أي هذا الجعل لا يقضي به عقل ولا شرع، فهذا أصل، ويجوز الخروج عن مقابلة الإساءة بمثلها، لأنه إحسان والله يحبه ويأمر به[2]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإحسان﴾ (النحل: من الآية٩٠)، فجزاء سيئة بمثلها عدل، والعفو إحسان، ومقابلتها بالإحسان أحسن، ولذا قال تعالى: [ل١٦٢/أ] ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ أي ادفع السيئة بالخصلة التي هي أحسن منها، وهو الإحسان إلى من أساء ﴿**فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ**

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه ٦٩٠/٣، بهذا اللفظ من حديث أبي رافع، وفي البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد بلفظ: (خيرٌ لك من حُمْر النعم) انظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ١١٤٠/٣ (٣٧٠١)، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي رضي الله عنه ١٤٤/١٥ (٢٤٠٦)

(٢) قوله: "والله يحبه ويأمر به" جاء ملحقاً بالحاشية، وعليه: "صح".

عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ قريب شفيق، وأنت مأمور بالإحسان إليه فكذلك من كان عدواً أحسن إليه حتى كأنه هو، وهذا نتيجة الأمر بالدفع بالأحسن، إلا أنها خصلةٌ، **﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾** راضوا نفوسهم على الصبر ووطنوها عليه، وقهروها **﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾** من الأجر والمثوبة، وفسر الحظ العظيم بالجنة[1].

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ هو نحو قوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ (المؤمنون: ٩٧)، فإن النـزع والهمز متقاربان، وهو دون الأزّ الذي قال تعالى: ﴿أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً﴾ (مريم: من الآية٨٣)، والمراد: تزعجك[2] بأمر لا يرضاه الله تعالى، فإنه إنما يدعو إلى ذلك **﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾** التجئ إليه وافزع إلى إعاذته تعالى، فإنه هو الذي يعيذ عباده من كل مكروه، لأجل **﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾** لاستعاذتك **﴿الْعَلِيمُ﴾** بكيفية الإعاذة من عدوك.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ الدالة على قدرته وعلمه وحكمته ورحمته بعباده، **﴿اللَّيْلُ﴾**، إيجاده، وجعله سكناً، كما قال: ﴿جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً﴾ (الأنعام: من الآية٩٦) ولباساً، كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً﴾ (النبأ: ١٠) **﴿وَ﴾** إيجاده **﴿النَّهَارُ﴾** ولتبصروا فيه ولتبتغوا من فضله، **﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾** من آياته، إيجادهما ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ (الإسراء: من الآية١٢) وكرر تعالى ذكرهما وذكر منافعهما، وأن الكل مخلوق لله للاستدلال به عليه، ولما كان في جهلة العباد من يسجد للشمس والقمر ضلالةً وجهلاً نهاهم تعالى عن ذلك وقال: **﴿لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ﴾** فإنهما خلقان مسخران، إنما يُسجد لخالقهما كما أمر به، فقال: **﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾** أي الأربعة

---

(١) وهو قول ابن عباس، وقتادة. انظر: تفسير الطبري٢٤/١٣٨، ١٣٩.

(٢) كذا في الأصل، والأصوب أن يقال: "يزعجك".

المذكورة[1]، لأن حكم جماعة من لا يعقل حكم الأنثى، أو الآيات أو لأنها آيات، وضَمُّ الليل والنهار إلى ما يسجدون له للإعلام بكمال سقوطهما عن رتبة السجود، وأن الكل مخلوقات له تعالى، ودالة عليه ﴿**إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾ فإن السجود من أعظم [ل١٦٢/ب] أنواع العبادة، ولا يستحقه وينفرد به ويخصص إلا الله سبحانه.

﴿**فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا**﴾ أي الذين كفروا من الجن والإنس كما تقدم ذكرهم وأنفوا، كما قال في عاد فيما مر آنفاً ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (فصلت: من الآية١٥) ﴿**فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ**﴾ هم الملائكة، كما قال: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً﴾ (الزخرف: من الآية١٩)، وكما قال: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ (الأنبياء: من الآية ١٩، ٢٠)، وهذا ليس هو جواب الشرط؛ بل جوابه محذوف، كأنه قال: فإن استكبروا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فلنا عباد لا يستكبرون ولا يفترون عن العبادة[2]، ﴿**يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ**﴾، فهم لا تأخذهم سآمةٌ ولا فتورٌ ولا استحسارٌ عن العبادة، ولذا قالوا: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (البقرة: من الآية٣٠)، وقالوا: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ • وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ (الصافات١٦٥، ١٦٦).

﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ**﴾ الدالة على إلهيته: ﴿**أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ**﴾ حين يمسها الاحتياج إلى الماء ﴿**خَاشِعَةً**﴾ يابسة متطامنة، مستعار من الخشوع بمعنى التذلل، وفي آية الحج: ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً﴾ (الحج: من الآية٥) أي يابسة، وفي آية يس: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾ (يس: من الآية٣٣)، وفي الآية الأخرى: ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ (فاطر: من الآية٩)، ﴿**فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ**﴾، وذلك بعد إرسال

---

(١) أي يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿خلقهن﴾ للأربعة المذكورة، وهي الليل والنهار والشمس والقمر.

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠١/١١.

الرياح كما قال: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ﴾(الروم: من الآية٤٨) فطوى هنا ما نشر في غيره ﴿**اهْتَزَّتْ**﴾ تحركت بالنبات، وانتفخت؛ لأن النبات إذا دنا ظهوره ارتفعت الأرض وانتفخت، وفي الحج: ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج: من الآية٥) وفي لقمان: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (لقمان: من الآية١٠) طوى كما قدمناه[1]، ﴿**وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا**﴾ لأن يبسها إماتة لها، لذا تسمى أرضاً ميتة ﴿**لَمُحْيِي الْمَوْتَى**﴾ من الحيوانات؛ فإن الإحياء في قدرته تعالى لكل ميت واحد، فإنها تدفن الحبة في الأرض ثم ينزل الماء عليها، فتنفلق ثم تشق الأرض وتظهر، كذلك [ل١٦٣/أ] الحيوان يدفن في الأرض، ثم يريد الله إعادته وحياته فيعيده كما بدأه، ﴿**إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ بالغ القدرة.

﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ**﴾ تقدم: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ (الأعراف: من الآية١٨٠) ﴿**فِي آيَاتِنَا**﴾ المنزلة بالطعن فيها وتحريفها وإمالتها عن معانيها، وعدم الإيمان بها بالميل عنها، والاستهزاء بها وتكذيبها، ويدخل فيه[2]: تفسيرها بالباطل، وتقليب معانيها لمذاهب وأغراض ﴿**لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا**﴾ هو معلوم ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ (آل عمران: من الآية٥) ، وإنما هو إخبارٌ مرادٌ به التهديد، ونبه تعالى على كيفية الجزاء بقوله: ﴿**أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ**﴾ وفي قٓ: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (قٓ: ٢٤)، فالمراد بمن يلقى في النار ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ • الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ (قٓ: ٢٥،٢٦) ﴿**خَيْرٌ**﴾ هو من باب التهكم نحو قوله: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ﴾ (الفرقان: من الآية٢٤) ونحو: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ

---

(١) أي طوى إرسال الرياح وإثارة السحاب وبسطه في السماء، كما في الآية المتقدمة.

(٢) قوله: "ويدخل فيه" جاء ملحقاً في الحاشية، وعليه: "صح".

مَقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً﴾ (مريم: من الآية ٧٣) ﴿**أَمَّنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ وهم أهل الإيمان ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ (سبأ: من الآية ٣٧) ونحوها ﴿**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ**﴾ من خير وشر، وهو أمر للتهديد، وأخرج ابن مردويه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: هذا لأهل بدر خاصة. انتهى(١)، فعلى كلامه ليست للتهديد(٢) ﴿**إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ فيجازيكم على أعمالكم إن خيراً فخيرٌ، وإن شراً فشرٌ.

﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ**﴾ أي القرآن، وهذه الجملة بدل من قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾، وخبر إن: ﴿لا يَخْفَوْنَ علينا﴾(٣) (فصلت: من الآية٤٠)، ﴿**لَمَّا جَاءَهُمْ**﴾ أي لما شاهدوه وعرفوه ﴿**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ**﴾ كثير المنافع عديم النظير، أو منيع لا تتأتى معارضته وهي جملة حالية مفيدة لغاية شناعة الكفر به(٤).

﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ**﴾ أي ما يبطله ويكذبه ﴿**مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ أخرج عبد بن حميد عن مجاهد [في الآية ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾ قال](٥): الذي لا يدخل فيه الشيطان ما ليس منه ولا أحد من الكفرة(٦).

---

(١) نسبه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور ٦٨٨/٥، ولم أعثر على إسناده، ولكن يشهد له ما في الصحيحين من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قصة حاطب بن أبي بلتعة وفيها: فقال عمر يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال: (إنه شهد بدراً، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم). انظر: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس ٩٢٤/٢ (٣٠٠٧)، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر٤٦/١٦ (٢٤٩٤).

(٢) من قوله: "وأخرج ابن مردويه..." إلى هنا جاء ملحقاً في الحاشية، وعليه: "صح".

(٣) انظر: الكشاف ١٩٦/٤، والدر المصون ٥٢٩/٩، وتفسير أبي السعود ٤٤٦/٥.

(٤) انظر: البحر المحيط ٦٦٢/٧، وتفسير أبي السعود ٤٤٦/٥.

(٥) في الأصل: "الباطل الذي لا يدخل فيه الشيطان..." والعبارة فيها ركاكة، والتصويب من الدر المنثور٦٨٩/٥.

(٦) عزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور٦٨٩/٥، ولم أعثر على إسناده.

وقيل: من بين يديه: لا تكذبه الكتب التي سبقته ولا يكذبها[1]، كما وصفه الله بذلك في عدة آيات أنه ﴿مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (الأنعام: من الآية٩٢) فهو يصدقها وهي أيضاً تصدقه، ﴿**وَلا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ لا يأتي بعده كتاب من السماء ﴿**تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ ولذا وصفه بأنه ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ (هود: من الآية١) ووصفه أيضاً [ل١٦٣/ب] بالحكيم ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ (لقمان: ٢)، ثم...[2] الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

﴿**مَا يُقَالُ لَكَ**﴾ من الكفار أهل الضلال ﴿**إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ**﴾ فإن قوم نوح قالوا: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ (المؤمنون: ٢٥) ، فقالت قريش: ﴿نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ (الطور: من الآية٣٠) وقال قوم نوح: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ (هود: من الآية٣٥) وقالت قريش: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ (الأحقاف: من الآية٨) وقالوا له صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ (سبأ: من الآية٨) وقال قوم نوح: ﴿لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً﴾ (نوح: من الآية٢٣) وقالت قريش: ﴿أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾ (ص: من الآية٦) وقال قوم موسى[3]: ﴿سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (غافر: من الآية٢٤) وقالت قريش: ﴿هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (ص: من الآية٤) وقالت عاد لهود: ﴿أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ (القمر: ٢٥) وقالت قريش: ﴿أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ (ص: من الآية٨) وقالت عاد: ﴿مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ (المؤمنون: من الآية٣٣) وقالت قريش: ﴿مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان: من الآية٧) وإذا عَرَف صلى الله عليه

---

(١) ذكره الرازي في تفسيره و لم ينسبه إلى أحد ١٣٢/٢٧.

(٢) في الأصل غير واضحة، ولعلها: "آنس"، والمراد تسليته صلى الله عليه وسلم.

(٣) أي فرعون وقومه.

وآله وسلم ما قصه الله، تأسى بما وقع لرسل الله من قبل وصبر كما صبروا، وبالصبر أمره الله، فقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (الأحقاف: من الآية٣٥) وقيل: المراد ما يقال لك فيما يوحى إليك إلا ما قد قيل في الوحي للرسل[1]، وهو: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ**﴾ لمن تاب وأناب ﴿**وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ**﴾، كان الكفار يقولون: لو أنزل عليه القرآن بلغة العجم، فرد الله عليهم بقوله:

﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ**﴾ أي القرآن الدال عليه بذكر آياتنا وبالذِّكر ﴿**قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ**﴾ بينت ﴿**آيَاتُهُ**﴾ بلسان نفهمه ﴿**أَأَعْجَمِيٌّ**﴾ أي أكلام أعجمي ﴿**وَ**﴾ المرسل به ﴿**عَرَبِيٌّ**﴾ والمراد: بيان التنافي والتنافر بين الكلام والمرسل به، والمقصود: بيان أن آيات الله على أي وجه جاءهم وجدوا فيها متعنتاً وانفتح لهم فيها قَدْح، ﴿**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا**﴾ به وأيقنوا أنه كلام الله ﴿**هُدىً**﴾ يهتدون به إلى مصالح الدين والدنيا ﴿**وَشِفَاءٌ**﴾ لهم لأدواء الأديان من الشكوك والشبهات والشهوات، كما قال تعالى: ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ (يونس: من الآية٥٧) [ل١٦٤/أ] ولأدواء الأبدان ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الإسراء: من الآية٨٢) ﴿**وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ به ﴿**فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ**﴾ كما حكى الله عنهم في أول السورة أنهم قالوا: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ (فصلت: من الآية٥) ﴿**وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً**﴾ كما أنه لغيرهم نور وهدى، وكما قال: ﴿وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً﴾ (الإسراء: من الآية٨٢) ﴿**أُولَئِكَ**﴾ الذين لا يؤمنون ﴿**يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ**﴾ تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم لمن ينادي من مسافة بعيدة، لا يكاد يُسمع من مثلها الأصوات.

أخرج سعيد بن منصور عن الضحاك قال: يُنادَوْن يوم القيامة بأشنع أسمائهم[2].

---

(١) ذكر هذا القول في الكشاف ١٩٧/٤، ولم يعزه لأحد.

(٢) لم أجده في المطبوع من سنن سعيد بن منصور، وقد ذكره عن الضحاك: الطبري في تفسيره ١٤٨/٢٤ من =

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد قال: بعيد عن قلوبهم[1].

﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ**﴾ آمن به قوم وكفر به آخرون، كما صنع قومك، فهو تسلية له صلى الله عليه وآله وسلم عقب تسلية ﴿**وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ**﴾ وهي العِدَة بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة، كما تكرر ذكر ذلك ﴿**لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ**﴾ بين المؤمنين والمكذبين من كل طائفة ﴿**وَإِنَّهُمْ**﴾ أي كفار مكة ﴿**لَفِي شَكٍّ مِنْهُ**﴾ من القرآن ﴿**مُرِيبٍ**﴾ مُوْقِع في الريبة، وتقدمت هذه الآية بلفظها في آخر سورة هود[2].

﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً**﴾ بأن آمن بكتب الله وعمل بما فيها ﴿**فَلِنَفْسِهِ**﴾ يعمله لا لغيره ﴿**وَمَنْ أَسَاءَ**﴾ بأن كذب بآيات الله ﴿**فَعَلَيْهَا**﴾ وباله لا على غيره ونحوه: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: من الآية٢٨٦) ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾، تقدم الكلام على هذه الصيغة[3] ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ (الزخرف: ٧٦).

﴿**إِلَيْهِ**﴾ لا إلى غيره ﴿**يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ**﴾ وقت قيامها نحو: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ (الأحزاب: من الآية٦٣) ﴿يَسْأَلونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ (الأعراف: من الآية١٨٧) ﴿يَسْأَلونَكَ عَنِ

=

طريق سفيان عن أجلح عن الضحاك بن مزاحم به، وأجلح بن عبد الله، اختلفوا فيه بين موثِّق ومضعِّف، كما في تهذيب الكمال ٢٧٨/٢، ٢٧٧ وقال الحافظ في التقريب صدوق شيعي ص١٢٠ (٢٨٧)، والضحاك نفسه صدوق كثير الإرسال ولم يلق ابن عباس رضي الله عنهما، انظر: السير ٥٩٨/٤ (٢٣٨)، والعجاب ٢١١/١.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ١٤٨/٢٤، من طريق سفيان عن ابن جريج عن مجاهد به، وهو إسنادٌ صحيح كما قاله صاحب التفسير الصحيح ٢٧٩/٤، وعزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور ٦٩٠/٥ لكنه أخرجه عن قتادة وليس عن مجاهد.

(٢) سورة هود آية ١١٠.

(٣) تقدم في سورة غافر عند قوله تعالى: ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ﴾ (غافر: ٣١).

السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ● فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ● إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ (النازعات: ٤٢-٤٤) ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ (الزخرف: من الآية٨٥) وهي أحد الخمس التي استأثر الله بعلمها[1]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم لجبريل عليه السلام وقد سأله: (ما المسئول عنها بأعلم من السائل)[2] ﴿**وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا**﴾ جمع كِمٍ بكسر الكاف، وهو وعاء [ل١٦٤/ب] الطلع وغطاء النَّوَر[3] ﴿**وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى**﴾ هو نحو: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ﴾ (لقمان: من الآية٣٤) ﴿**وَلا تَضَعُ**﴾ من أنثى ﴿**إِلاَّ بِعِلْمِهِ**﴾ هو تخصيص لبعض معلوماته، وإلا فإنه يقول: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (الأنعام: ٥٩) ﴿**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ**﴾ فيقول: ﴿**أَيْنَ شُرَكَائِي**﴾ كثر في الكتاب العزيز هذا المعنى وأضافهم إلى نفسه، لأن المراد الإخبار عن زعمهم أن له تعالى شركاء، كما نص به قوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (القصص: من الآية٦٢) وأضافهم إليهم بقوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (الأنعام: من الآية٢٢) وإلى نفسه في قوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾ (النحل: من الآية٢٧) وإليهم ﴿وَإِذَا رَأى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ﴾ (النحل: من الآية٨٦) ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ (الكهف: من الآية٥٢) ﴿**قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ**﴾ أخبرناك ما أحدٌ منا يشهد لهم بالشِرْكة، إذ تبرأنا منهم لما عاينا لقوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ٣٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ٤٠/١ (٥٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ١٣٥/١ (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) انظر: لسان العرب ١٥٨/١٢، والقاموس المحيط ص١١٦٦.

﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ (البقرة: من الآية١٦٦) واعلم أنه حكى الله تعالى عنهم أجوبةً مختلفةً تارةً قالوا: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: من الآية٢٣) وتارة أجاب الذين حق عليهم القول: ﴿رَبَّنَا هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ (القصص: من الآية٦٣) وتارة قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً﴾ (القصص: من الآية٧٥) وهم الذين أرسلهم الله من الأنبياء عليهم السلام: ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ...﴾ الآية (القصص: من الآية٧٥) وغير ذلك، فيحتمل أنها مواقف يجيبون في كل مقام بمقال، ويحتمل أن كل أمة لها جواب.

﴿**وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ**﴾ أي غاب عنهم الذين عبدوهم ودعوهم آلهة، ﴿**وَظَنُّوا**﴾: أيقنوا ﴿**مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ**﴾ من مهرب من عذاب الله.

﴿**لا يَسْأَمُ الإنسان**﴾ لا يمل ﴿**مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ**﴾ من طلب السعة والنعمة والعافية وأسباب المعيشة، ﴿**وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ**﴾ العسر والضيق أدنى مس ﴿**فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ**﴾ مُبالغ في قطع الرجاء ونيل الفرج والخلوص مما مسه، وهي بصيغتي المبالغة في الأمرين للإعلام بقبح حال العبد، وهو نحو [ل١٦٥/أ]: ظلوم جهول، وتقدم: ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف: من الآية٨٧).

﴿**وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا**﴾ من فضلنا وعطائنا ﴿**مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ**﴾ شدة من أي الشدائد ﴿**مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي**﴾ أي حقي استحقه لما لي من الفضائل، وهو نحو قول قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ (القصص: من الآية٧٨) ﴿**وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً**﴾ شك منه في الإعادة ﴿**وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي**﴾ على تقدير قيامها ﴿**إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى**﴾ هو نحو قول العاص(١) حين قال: ﴿لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً﴾(٢) (مريم: من الآية٧٧) قال الله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ (مريم: من الآية٧٨) وقوله

---

(١) هو العاص بن وائل السهمي والد عمرو بن العاص رضي الله عنه، مات ولم يسلم.

(٢) الحديث أخرجه البخاري (٢٠٩١)، كتاب البيوع، باب ذكر القين والحداد، ومسلم (٢٧٩٥)، كتاب صفة =

في سورة الكهف عن صاحب الجنتين: ﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً﴾ (الكهف: من الآية٣٦) ﴿**فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ**﴾ لأن إذاقة الرحمة منه، فكفر فيذاق في الآخرة العذاب الغليظ.

﴿**وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإنسان**﴾ نعم الله على الإنسان لا تحصى، كما قال: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ (النحل: من الآية١٨) ولا يزال يذكرهم نعمه في عدة آيات، أخبر هنا أنه إذا أنعم على هذا النوع بأي نعمة ﴿**أَعْرَضَ**﴾ عن شكر نعم الله تعالى، وقد أخبر عن نعم كفروها فقال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإنسان كَفُوراً﴾ (الإسراء: ٦٧)، وقال: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ • فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ...﴾ الآية (يونس: من الآية٢٢،٢٣) وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإنسان الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾ (يونس: من الآية١٢) ومثلها ﴿وَإِذَا مَسَّ الإنسان ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ...﴾ الآية (الزمر: من الآية٨) ﴿**أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ**﴾ كناية عن إعراضه ﴿**وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ**[1] **عَرِيضٍ**﴾ وصفه في

=

الجنة والنار، باب سؤال اليهود النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح، ولفظ البخاري من حديث خباب رضي الله عنه قال: كنت قيناً في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه، قال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، فقلت: لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث، قال: دعني حتى أموت وأبعث فأوتى مالاً وولداً فأقضيك. فنزلت: ﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا • أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾.

(١) [ل١٦٥/ب].

الآية الأولى عند مس الشر بأنه يئوس قنوط، وهنا أنه عنده[1] ذو دعاء عريض، فيحتمل أنه باعتبار الأوقات، تارةً ييأس وأخرى كثير الدعاء، ووَصْف الدعاء بالعريض إشعارٌ بكثرته واستمراره، ولَّما افتتح هذه السورة بقوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ (فصلت: من الآية٢،٣) وأخبر بإعراضهم عنه وقولهم: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ...﴾ الآية (فصلت: من الآية٥) ختم الله السورة بما يناسب فاتحتها فقال:

﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ**﴾ أي القرآن ﴿**مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**﴾ جاء به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿**ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ**﴾ كذبتم وأتى بكلمة ثم للإشارة إلى بعد رتبة التكذيب بالقرآن لِما قام من الأدلة أنه كلام الله ﴿**مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**﴾ أي من أضل منكم أيها الكافرون بالقرآن، فوضع الموصول موضع الضمير تسجيلاً عليهم [أنهم أضَلُّ][2] العباد[3]، بأن القرآن لا ريب فيه، ولا يأتون بمثله.

﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ**﴾ جمع أفق، وهو الناحية[4]، أي في نواحي العالم العلوي والسفلي، كالشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والأمطار وما لا يدخل تحت الانحصار، فهي من آياته ﴿فِي الآفَاقِ﴾ كما قال في هذه السورة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ والشمسُ والقمرُ﴾ (فصلت: من الآية٣٧) ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ﴾ (الروم: من الآية٤٦) ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ﴾ (البقرة: من الآية١٦٤) ﴿**وَفِي أَنْفُسِهِمْ**﴾ يريهم آياته فيها فإنهم مشاهدون ما فيها من آياته من الإيجاد من نطفة، والإخراج من بطون الأمهات والتربية حالاً بعد حال، والضعف ثم القوة ثم الضعف ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١)

---

(١) أي عند مس الشر.

(٢) في الأصل: "أنه ضل" وهو غير موافق للسياق.

(٣) انظر: تفسير البيضاوي ٣٢٥/٨، وتفسير الشوكاني المسمى بفتح القدير ٧٤٣/٢.

(٤) انظر: لسان العرب ٥/١٠، والعين ٢٢٧/٥.

﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿الْحَقُّ﴾.

إن قلت: كيف يكون إراءةُ الآيات في الآفاق والنفس مثبتةٌ أن القرآن حق؟ قلت: لأن القرآن وصف آياتهما وبينها وأوضحها وكررها كما أشرنا إليه قريباً في الآيات[1]، ثم رأوا من آياته في الآفاق آثار من أهلكه الله من القرون، كما بينه القرآن، فآيات الآفاق والأنفس المشاهدة التي لا يمكن دفعها صدَّقت القرآن، لأنه حكاها بأبلغ حكاية، وعبَّر عنها بأبلغ عبارة،[ل١٦٦/أ] فتبين لهم أنه الحق بشهادة الآيات الآفاقية والأنفسية، وأنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وإذا تبين أنه الحق تبين أن الذي جاء به صادق نبي مرسل من عند الله، وإذا تبين أنه رسول بالحق تبين أن دين الإسلام الذي جاء به حق، فالقول بأن ضمير ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ للإسلام، أو لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، أو للقرآن مآله واحد[2]، والأقرب: أنه للقرآن، لأن السياق فيه ﴿**أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾، أي: أَوَلم يكف به شهيداً بأن القرآن حق وأنه كلامه وأنه ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ (الشعراء: ١٩٣) وأنه لو كان متقوّلاً عليه تعالى، تقوله واختلقه محمد صلى الله عليه وآله وسلم لما أقالهُ الله تعالى، ولا أبقاه ولعاجل بأخذه كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ • لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ • ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (الحاقة: ٤٤-٤٦)، وهذا الدليل على حقية القرآن بآيات الآفاق والأنفس، زيادة من الله تعالى في الإبلاغ وإيضاح الأدلة، وإلا فإن ما فيه من الإعجاز الذي أسكتهم عن معارضته من الإخبار بالمغيبات وغير ذلك كاف في الدلالة على أنه الحق.

---

(١) في أول الآية نفسها.

(٢) انظر: تفسير البيضاوي ٣٢٦/٨، وتفسير أبي السعود ٥/٦.

﴿**أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ**﴾ غير متيقنين بالإعادة ولقاء الله مع قيام الأدلة اليقينية على قيام المعاد، فهم منكرون لحقية القرآن مع وضوح أدلة أنه الحق، وشاكّون في المعاد مع قيام الأدلة عليه ﴿**أَلا إِنَّهُ**﴾ أي ربهم ﴿**بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ**﴾، فهو بإحاطته باعثهم، ومجازيهم بما عملوا.

سورة الشورى

مكية إلا ﴿قل لا أسألكم... ﴾[1] الآيات وهي ثلاث وخمسون آية[2].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ﴾. ﴿عٓسٓقٓ ﴾ الله أعلم بمراده[3].

﴿**كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾، كلام مستأنف مُحَقِّقٌ أن مضمون السورة موافق لما في تضاعيف الكتب المنزلة على الرسل في الدعوة إلى التوحيد والإرشاد إلى الحق، وما فيه صلاح العباد في المبدأ والمعاد، وهي نحو قوله: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا[4] إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ﴾ (النساء: من الآية١٦٣) وقوله: ﴿**اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ فاعل يُوحِي وتأخيره لأجل الفواصل ولما فيه من التشويق إلى ذكر الفاعل[5]، وخص وصفي العزة والحكمة لأن القرآن كتابٌ عزيز وكتابٌ حكيم، كما كرر ذلك في وصفه.

﴿**لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾ كما قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾ (مريم: ٩٣)، فكل ما فيهما ملك له

---

(١) وهذا الاستثناء مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة، حكاه القرطبي في تفسيره ٥/١٦، وابن الجوزي في زاد المسير ٥٨/٤، وقال ابن كثير رحمه الله: "وذِكر نزولها في المدينة فيه نظر لأن السورة مكية". انظر: تفسير ابن كثير١٦٩/٤.

(٢) وهذا بالعد الكوفي انظر: إتحاف فضلاء البشر ص٤٩١

(٣) سبق الكلام على الحروف المقطعة ص ٥١.

(٤) [ل١٦٦/ب].

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٩٣/٤، والكشاف ٢٠٢/٤، والدر المصون ٥٣٨/٩.

تعالى ﴿**وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾، وبهما وردت الأذكار في الركوع والسجود: سبحان ربي العظيم سبحان ربي الأعلى[1].

﴿**تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ**﴾ تنشق كل واحدة فوق التي تليها، وذلك من عظمة كلمة قالها المشركون، وهي نسبتهم الولد إليه تعالى، وهو كقوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً • لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً • تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً • أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً...﴾ الآية (مريم: ٨٨ -٩١).

أخرج عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ قال: من عظمة الله تعالى[2]. ﴿**وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ**﴾، كما قالوا: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (البقرة: من الآية٣٠) ونحوه، ﴿وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ (الزمر: من الآية٧٥) ﴿**وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ**﴾ من المؤمنين كما قالوا: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا...﴾ الآية (غافر: من الآية٧) فهو مقيد بتلك الآية، وبما علم من النصوص أنه لا غفران للمشركين فلا تَطلب لهم الملائكة ذلك بل قال: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ...﴾ الآية (التوبة: من الآية١١٣)، أخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن وهب بن منبّه في الآية قال: الملائكة يستغفرون للمؤمنين منهم[3]. ﴿**أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ**﴾ لمن

---

(١) أخرج أبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧)، وأحمد ١٥٥/٤ (١٧٤١٤)، وابن حبان ٢٢٥/٥ (١٨٩٨) عن عقبة بن عامر قال: لما نزلت ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ قال رسول الله ﷺ: (اجعلوها في ركوعكم) فلما نزل ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ قال: (اجعلوها في سجودكم) والحديث حسنه النووي في خلاصة الأحكام ٣٩٦/١ (١٢٥٥)، وضعفه الألباني في تعليقه على سنن أبي داود.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١٢/٢٥، وأبو الشيخ في العظمة ٥٥٠/٢، كلاهما من طريق محمد بن عبد الأعلى عن محمد بن ثور عن معمر عن قتادة به، وله متابعة عند الطبري أيضاً من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة وهو إسناد حسن تقدم الكلام عليه ص ٥٦، وعزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور ٦٩٣/٥.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١٥٩/٣ (٢٧٢٨)، عن معمر عن قتادة وليس عن وهب، وكذا قال السيوطي في الدر المنثور ٦٩٣/٥، وعزاه لابن المنذر وعبد بن حميد، والإسناد إلى قتادة إسناد صحيح كما =

عصاه[1] ﴿**الرَّحِيمُ**﴾ بهم وبرحمته غفر لهم.

﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ**﴾ أي من دون الله ﴿**أَوْلِيَاءَ**﴾: شركاء يتولونهم ﴿**اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ**﴾، ليجازيهم ﴿**وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ**﴾، حتى تخاطَب بهم، بل ما عليك إلا البلاغ.

﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**﴾ لما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (الشورى: من الآية٣) كرر الوحي إليه وبينه بقوله: ﴿**قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ**﴾، تخوف ﴿**أُمَّ الْقُرَى**﴾، مكة ﴿**وَمَنْ حَوْلَهَا**﴾ من قرى الدنيا[ل١٦٧/أ] كلها من عذاب الله، ﴿**وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ**﴾، خصه لأنه من أعظم ما ينكرونه، وهو يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ﴾ (هود: من الآية١٠٣)، وهو يوم الفصل: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ (المرسلات: ٣٨)، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ (آل عمران: من الآية٩)، ﴿**لا رَيْبَ فِيهِ**﴾ لقيام أدلة وقوعه، ﴿**فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ**﴾ وهم الذين هداهم الله كما قال: ﴿فَرِيقاً هَدَى﴾ (الأعراف: من الآية٣٠) وهم الذين سعدوا، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ﴾ (هود: من الآية١٠٨)، وهم الذين ﴿ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ (آل عمران: ١٠٧)، ﴿**وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**﴾، وهم الذين حقت عليهم الضلالة، ﴿وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ﴾ (الأعراف: من الآية٣٠) وهم الذين شقوا، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ﴾ (هود: من الآية١٠٦) وهم الَّذِينَ ﴿اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ (آل عمران: من الآية١٠٦) ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾ أي الفريقان فريقاً واحدا وجمعهم على الهدى، كما قال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ (السجدة: من الآية١٣)، وكما قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ (الأنعام: من الآية٣٥)، إلا أن حكمته اقتضت

=

تقدم ص ١٢٨.

(١) قوله: "لمن عصاه" جاء ملحقاً في الحاشية، وعليه: "صح".

عدم جمعهم عليه كما صرح به في آياتٍ أنّ سَبْق القول اقتضى ذلك، ﴿**وَلَكِن يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ**﴾، في جنته، كما قال: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ﴾ (الشورى: من الآية٧) وهم فريق الهداية الذين قبلوها ﴿**وَالظَّالِمُونَ**﴾ وهم فريق السعير، ﴿**مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ**﴾ من الذين اتخذوهم أولياء ﴿**وَلا نَصِيرٍ**﴾ يدفع عنهم، قال تعالى: ﴿لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ (الأعراف: من الآية١٩٧)، وقال المشركون: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ، وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (الشعراء: ١٠٠، ١٠١)

﴿**أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ**﴾، أي بل اتخذوا، لقوله قريباً: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ (الشورى: من الآية٦) ﴿**فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ**﴾ لا ولي سواه وكل من اتخذ سواه ولياً فقد اتخذ باطلاً لا يغني عنه شيئاً، وكما أنه مختص بأنه الولي فهو مختص بقوله: ﴿**وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾، ليس سواه كذلك.

﴿**وَمَا اخْتَلَفْتُمْ**﴾ أيها العباد ﴿**فِيهِ مِنْ شَيْءٍ**﴾ من أمر الدين وغيره ﴿**فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ**﴾ يفصله بينكم يوم الفصل كما كرر ذلك، ﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾، أرجع.

﴿**فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ موجدهما من العدم، ﴿**جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً**﴾ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ[(١)] مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: من الآية٢١)، ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (النساء: من الآية١)، ﴿**وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً**﴾ ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ...﴾ الآية (الأنعام: من الآية١٤٣)، أي جعل منها ذكراً وأنثى، وجعلها لمنافعكم كما قدمنا مراراً[(٢)]، لأنه تعالى قدم ذكر منافعها ﴿**يَذْرَؤُكُمْ**

(١) [ل١٦٧/ب].

(٢) كما في سورة غافر عند الآية ٨٠.

فِيهِ﴾ في ذلك الجعل أي يكثركم بمشيئته بالتوالد منكم ومن الأنعام بجعله للكل أزواجاً، ولما أخبر أنهم اتخذوا من دونه أولياء وأنداداً يحبونهم كحب الله، قال تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ والكاف زائدة، على قول[1]، أي لا يماثله شيء مما تعلمونه ولا مما لا تعلمونه، وهي نفي لجميع ما يتعلق به من صفات الأفعال والأقوال[2]، فكل ما تخيله الخيال وتوهمه الوهم فالله بخلافه؛ لأنه لا يتوهم ويتخيل إلا ما عرفه[3] ولقد أبلغ أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في قوله: التوحيد: أن لا تتوهمه[4]. فإنها كلمة في غاية بيان التوحيد، لأن كل ما تتوهمه فهو غير الله، واعلم أن هذه الآية محكمة اتفاقاً، فهي حاكمة لكل آية وردت في صفاته تعالى، مثل إثبات اليد والوجه وغير ذلك، فكل ما أثبته لنفسه فليس كمثله شيء، فلا يدخل تشبيه في صفاته تعالى أصلاً، ﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾، فسمعه وبصره ثابتان بالنص وليسا كسمع السامعين، ولا بصر المبصرين.

﴿**لَهُ مَقَالِيدُ**﴾ تقدم مِقْلاد كمفتاح، ومقليد كمنديل[5] ﴿**السَّمَاوَاتِ**

---

(١) قال به الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٣٩٥/٤، والنحاس في معاني القرآن ٢٩٧/٦، وذكر الأقوال ابن أبي العز في شرح الطحاوية ورجح هذا القول ص٩٧.

(٢) هذه الجملة خطأ؛ فليست الآية نافية الصفات عن الله عز وجل، وإنما تنفي أن يكون هناك شيء يماثل الله عز وجل في ذاته أو في صفاته. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " اتفق سلف الأمة وأئمتها أن ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله...الخ". انظر: مجموع الفتاوي١٢٦/٢. هذا وقد سبق في دراسة الكتاب أن المؤلف رحمه الله من أهل السنة والجماعة ص (٢٦) فلعل هناك سقط في هذه الجملة أو لعله يقصد نفي جميع ما يتعلق بالذهن من كنه الصفات، وقد قرر منهج أهل السنة والجماعة في الصفات بعد أسطر قليلة من هذا الكلام مما يؤكد ما قلته والله أعلم.

(٣) أي أن الإنسان لا يتوهم شيء إلا وقد عرفه بأن يكون قد رآه قبل ذلك مثلاً، وهذا لا يتصور في حق الله تعالى .

(٤) لم أجدها مسندة، وأوردها عدة من أهل العلم في كتبهم. انظر: أعلام النبوة للماوردي، ص٣٩، والمفردات للراغب الأصبهاني ص٤٩، والتفسير الكبير للرازي ٢٢٥/١.

(٥) سورة الزمر آية٦٣ ص ١٧٣ من هذا البحث.

﴿وَالأَرْضِ﴾ أي خزائنهما، قال: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ (الحجر: من الآية٢١) وكما قال: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ (الأنعام: من الآية٥٩)، ومن خزائن السماوات: الأمطار، ومن خزائن الأرض: الإنبات، **﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾** من كل رزق **﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾** ممن اقتضت حكمته البسط له **﴿وَيَقْدِرُ﴾**، أي يوسعه ويضيقه كل ذلك بحكمته وعلمه **﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**، يعلم من يستحق البسط ومن يستحق خلافه.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ﴾ الذي ارتضاه لنفسه ديناً، **﴿مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً﴾**، الذي هو أول الرسل بعد آدم، والمراد به: التوحيد، كما قال نوح لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف: من الآية٥٩)، وقال: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ (نوح: ٣)، **﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾** من دعاء العباد إلى التوحيد كما قال: [ل١٦٨/أ] ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ (يوسف: من الآية١٠٨)، **﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾** فإنه وصاهم بذلك كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥) فالرسالة بالدعاء إلى التوحيد عامة لكل رسول، وإن اختلفوا في تعيين أفراد التعبدات المشار إليها بقوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ (المائدة: من الآية٤٨) **﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾** كما تفرقت اليهود والنصارى كما أفاده حديث افتراق كل من الملتين إلى زيادة على سبعين فرقة[1] والآية تدل على

---

(١) ونص الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)، وقد أخرجه أحمد في مسنده ٣٠١/٨ (٨٣٧٧) من حديث أبي هريرة، وابن ماجه من حديث أنس بن مالك ص٦٥٩ (٣٩٩٣)، وأبو داود في سننه ص٦٨٩ (٤٥٩٦)، والحاكم في مستدركه من حديث أبي هريرة ٢١٧/١ (٤٤١)، وغيرهم، والحديث قال عنه الحاكم: "صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه". وقال الذهبي: "على شرط مسلم"، وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد". انظر: "مجموع الفتاوي" ٣٤٥/٣، وقال في موضع آخر بعد إيراد الحديث: "وإن كان بعض الناس -كابن حزم- يضعف هذه الأحاديث فأكثر =

عدم ثبوت حديث: (افتراق أمتي رحمة)[1]، وهو حديث لم نجد له تخريجاً ولا

=

أهل العلم قبلوها وصدقوها". انظر: "مجموع الفتاوي" ٤٩١/١٦، وقال الحافظ ابن كثير: "روي في المسانيد والسنن من طرق يشدّ بعضها بعضاً". انظر: تفسير ابن كثير ٧١٩/٢، وصححه الألباني. انظر: السلسلة الصحيحة ٤٠٨/١ وأسهب في الرد على من ضعفه كابن حزم وما نُقِل عن ابن الوزير اليمني والشوكاني، فليُرجع إليه، ولا يعني هذا أن قوله صلى الله عليه وسلم: (كلها في النار) خلودها فيها، بل مصير كل مسلم مات على الإسلام إلى الجنة وإن طُهّر في النار.

(١) قال السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٦٩: إن هذا الحديث أخرجه: "البيهقي في المدخل من حديث سليمان بن أبي كريمة عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به، لا عذر لأحد في تركه، فإن لم يكن في كتاب الله فسنة مني ماضية، فإن لم تكن سنة مني فما قال أصحابي، إن أصحابي بمنزلة النجوم في السماء فأيما أخذتم به اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة).

ومن هذا الوجه أخرجه الطبراني والديلمي في مسنده بلفظه سواء وجويبر ضعيف جداً، والضحاك عن ابن عباس منقطع.

وقد عزاه الزركشي إلى كتاب الحجة لنصر المقدسي مرفوعاً من غير بيان لسنده ولا صحابيه، وكذا عزاه العراقي لآدم بن أبي إياس في كتاب العلم والحكم، بدون بيان بلفظ: (اختلاف أصحابي رحمة لأمتي) قال: وهو مرسل ضعيف.

وبهذا اللفظ ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية بغير إسناد، وفي المدخل له من حديث سفيان عن أفلح بن حميد عن القاسم بن محمد قال: اختلاف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم رحمة لعباد الله.

ومن حديث قتادة أن عمر بن عبد العزيز كان يقول: ما سرني لو أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا؛ لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة...

وقد قرأت بخط شيخنا: إنه -يعني هذا الحديث- حديث مشهور على الألسنة، وقد أورده ابن الحاجب في المختصر في مباحث القياس بلفظ: (اختلاف أمتي رحمة للناس) وكثر السؤال عنه، وزعم كثير من الأئمة أنه لا أصل له، لكن ذكره الخطابي في غريب الحديث مستطرداً، وقال: اعترض على هذا الحديث رجلان، أحدهما: ماجن، والآخر: ملحد، وهما إسحاق الموصلي وعمرو بن بحر الجاحظ وقالا جميعاً: "لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق عذاباً". ثم تشاغل الخطابي برد هذا الكلام، ولم يقع في كلامه شفاء في عزو الحديث، ولكنه أشعر بأن له أصلاً عنده، ثم ذكر شيخنا شيئاً مما تقدم في عزوه".

وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار ٢٤/١: "وإسناده ضعيف".

وقد تتابع كثير من المصنفين على إيراد هذا الأثر في كتبهم دون إسناد، وبعضهم يذكره بصيغة التضعيف، انظر: أحكام القرآن للجصاص ٣١٤/٢، والمحرر الوجيز، لابن عطية ٤٨٤/١، وتفسير القرطبي ١٥٩/٤.

طريقاً. ﴿**كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ**﴾ عظم عند عاداهم...[1] ﴿**مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ**﴾ من التوحيد وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً﴾ (ص: من الآية٥)، ﴿**اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾ ممن علمه أهلاً للاجتباء، فإنه أعلم بكم إذ أنشأكم وإذ انتم أجنة في بطون أمهاتكم، ﴿**وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ**﴾ من رجع إليه تعالى، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً﴾ (محمد: من الآية١٧).

﴿**وَمَا تَفَرَّقُوا**﴾ أهل الكتاب ﴿**إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ**﴾ كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ (البينة: ٤)، فإنهم ما عبدوا العجل ولا قالوا لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا﴾ (الأعراف: من الآية ١٣٨) ولا ﴿بَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ (الأعراف: من الآية ١٦٢)، ولا قالوا: يا موسى ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (النساء: من الآية ١٥٣)، وغير ذلك من قبائح تفرقهم،...[2] ﴿**بَغْياً بَيْنَهُمْ**﴾ لأجل البغي، ويحتمل أن المراد تفرقهم في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ فإنهم تفرقوا، منهم من آمن به ومنهم من صدّ عنه، وهذا الأخير عليه يدل ما يأتي في سورة ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (البينة: من الآية١).

﴿**وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ**﴾ وهي كلمة تأخيره الفصل إلى يوم الفصل وهو المراد من قوله: ﴿**إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ**﴾، بين الفريقين بإهلاك من كذب الرسل، ﴿**وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ**﴾، قال المفسرون: المراد بالكتاب: القرآن أورثه كفار المشركين من بعد ما أورث أهل الكتاب كتابهم[3]. ﴿**لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ**﴾ وقيل: هم أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفي شك من كتابهم [ل١٦٨/ب] لا يؤمنون به حق الإيمان.

﴿**فَلِذَلِكَ**﴾ أي لتفرق الأمم عن إقامة الدين الذي أمروا بإقامته ﴿**فَادْعُ**﴾ الأمم إلى

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٢) في هذا الموضع جملة ساقطة من الأصل والسياق يقتضي أن تكون: "إلا من بعد ما جاءهم العلم".

(٣) انظر: تفسير أبي السعود١٣/٦، وقد ذكره القرطبي ١٥/١٦ بقوله: "وقيل"، وكذلك البيضاوي٣٤٠/٨.

الاتفاق على الدين وعدم التفرق والاختلاف ﴿**وَاسْتَقِمْ**﴾ على ما أنت عليه ﴿**كَمَا أُمِرْتَ**﴾ به في قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ (الروم: من الآية٣٠) في عدة من الآيات، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا...﴾ الآية (فصلت: من الآية٣٠) ﴿**وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ**﴾ كأنه ليس معهم في دينهم إلا اتباع الهوى ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ (الجاثية: من الآية٢٣). ﴿**وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ**﴾ إذ الكل كلام الله، لا كمن قال: ﴿نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ ففرقوا كتب الله ورسله، وفيه أن كتب الله يصدّق بعضها بعضاً، ولذا أمر الله العباد أن يؤمنوا بكل كتاب في قوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ -إلى قوله-: ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (البقرة: من الآية١٣٦) وغيرها من الآيات ولذا تكرر وصف القرآن بأنه مصدق لما بين يديه. ﴿**وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ**﴾ كما قال الله: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ (المائدة: من الآية٤٢)، وقال: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (المائدة: من الآية٨) ﴿**اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ**﴾ نحو قوله: ﴿وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: من الآية٤٦) وإذا كان الإله واحداً فلماذا فرقتم الدين ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ (الأنعام: من الآية١٥٩). ﴿**لَنَا أَعْمَالُنَا**﴾ ليس عليكم ولكم منها شيء ﴿**وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ**﴾ كذلك نحو: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون: ٦) ﴿**لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ**﴾ محاجّة لأنها قد قامت عليكم الحجة وظهر لكم الحق ولم يبق معكم إلا المكابرة ﴿**اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا**﴾ يوم القيامة[1] ﴿**وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾ لا إلى غيره ﴿أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ (الشورى: من الآية ٥٣)

﴿**وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ**﴾ في دينه ﴿**مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ**﴾ وانقاد من كان عاصياً ﴿**حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ**﴾ باطلة ﴿**عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**﴾ لما قدموه مما تقدم من القبائح.

﴿**اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ**﴾: القرآن أو جنس الكتاب ﴿**بِالْحَقِّ**﴾ بالصدق والهدى

(١) قوله: "يوم القيامة" جاء ملحقاً في الحاشية، وعليه: "صح".

﴿**وَالْمِيزَانَ**﴾ أي الشرع الذي سوّى بين العباد في الإنصاف أو الميزان الحقيقي ﴿**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ**﴾ الموعود بها ﴿**قَرِيبٌ**﴾ وقتها أو ذات قرب.

﴿**يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا**[1] **يُؤْمِنُونَ بِهَا**﴾ ويقولون: متى الساعة استهزاءً وتكذيباً ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا**﴾ لعلمهم بحقيقتها وما فيها[2] ﴿**أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ**﴾ عن الحق.

﴿**اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ**﴾ يريهم بليغ البرِّ بهم ﴿**يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ**﴾ الباهر القدرة ﴿**الْعَزِيزُ**﴾ الغالب الذي لا يغالب، فهو يرزق العصاة والمطيعين مع قدرته وعزته لطفاً بالفريقين، وما أحسن موقع صفتي القوة والعزة هنا.

﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ**﴾ أي من كان يريد بأعماله ثواب الآخرة ﴿**نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ**﴾ نزده هداية ولطفاً وإعانة من باب ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد: ١٧) ﴿**وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا**﴾ أي بأعماله متاعها ﴿**نُؤْتِهِ مِنْهَا**﴾ ما نشاء كما قال تعالى: ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ (الإسراء: من الآية١٨) ﴿**وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ**﴾ لأنه لم يرد بحرثه إلا الدنيا فأعطي منها ما أراد الله وتقدم: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ • أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (هود: ١٥، ١٦) ﴿**أَمْ لَهُمْ**﴾ أي بل لهم ﴿**شُرَكَاءُ**﴾ سَمَوْهُم شركاء لله ﴿**شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ**﴾ لما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ﴾ -إلى قوله-: ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ (الشورى: من الآية١٣) قال: أشَرَع لهم شركاؤهم ديناً غير ما شرعناه، وقريب منه: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ (الزخرف: ٢١) ﴿**وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ**﴾ وهي التي تقدم التعبير عنها ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ...﴾

---

(١) [ل١٦٩/أ].

(٢) سقط هنا جزء من الآية، وهو وقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾.

الآية (الشورى: من الآية١٤) ﴿**لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ في الآخرة بل وفي الدنيا.

﴿**تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا**﴾ من جزاء كسبهم وذلك يوم القيامة ﴿**وَهُوَ**﴾: الذي أشفقوا منه من الجزاء ﴿**وَاقِعٌ بِهِمْ**﴾ سواء أشفقوا أو لا، وكان في دار الدنيا يستعجلون بالساعة ويقولون: ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (النازعات: من الآية٤٢) وأهل الإيمان مشفقون منها وفي الآخرة صارت المخافة بالظالمين، والذين خافوا في الدنيا من قيام الساعة آمنون كما قال: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ (سبأ: من الآية٣٧) ﴿لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس: من الآية٦٢) ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ**﴾ مستقرون فيها ﴿**لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾ لهم فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ﴿**ذَلِكَ**﴾ أي ما هم فيه ﴿**هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**﴾ الذي تقصر العبارات عن وصفه وقد سمى الله الجنات بالفضل الكبير في قوله: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ • جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ...﴾ الآية (فاطر: من الآية٣٣) فإنها بدل من الفضل الكبير[1]

﴿**ذَلِكَ**﴾ أي الفضل الكبير ﴿**الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ تكررت البشرى منه تعالى لعباده المؤمنين كقوله: ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً • مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً﴾ (الكهف: ٢،٣) ﴿**قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ**﴾ على البلاغ ﴿**أَجْراً**﴾ تكرر: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (ص: ٨٦) ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ﴾ (سبأ: من الآية٤٧) قال تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ (الطور: ٤٠) أي لم تسألهم فليسوا بمغرمين فقوله ﴿**إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ استثناء منقطع، والقربى مصدر كالزلفى بمعنى القرابة[2]، روي أنها لما نزلت الآية قيل: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين

---

(١) انظر: الكشاف ٥٩٤/٣، والمحرر الوجيز ٤٤٠/٤.

(٢) انظر: معاني القرآن للأخفش ص ٢٨١، والكشاف ٢١٣/٤.

وجبت علينا مودتهم؟ قال: (علي وفاطمة وابناهما)[1] وأطال البغوي في الروايات والخلاف في القربى[2]، وأظهرها: محبة قرابته صلى الله عليه وآله وسلم، لكونهم قرابته وفي فضائلهم عدة روايات، بل كتب مؤلفات[3]، وأودعنا كتابنا الروضة الندية شطراً صالحاً من ذلك.

﴿**وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً**﴾ يكتسب ﴿**نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً**﴾ بالمضاعفة ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ (النمل: من الآية٨٩) ﴿**إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ**﴾ للمذنبين ﴿**شَكُورٌ**﴾ لأهل طاعته ولذا يقول أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر: من الآية٣٤).

﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى**﴾ محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿**عَلَى اللَّهِ كَذِباً**﴾ كما قالوا: ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ (سبأ: من الآية٨) ﴿**فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ**﴾ قال قتادة: [ل١٧٠/أ] ينسيك القرآن ويقطع عنك الوحي[4]. يعني: لو افترى

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٤٩/٣ (٢٦٤١)، وفيه حسين الأشقر قال ابن حجر في الكاف الشاف عنه: "ضعيف ساقط" ٢١٣/٤، وكذلك ضعفه ابن كثير في تفسيره ١٧٠/٤، وقال: "هذا إسناد ضعيف، فيه مبهم لا يعرف، عن شيخ شيعي محترق وهو حسين الأشقر" ا.هـ وقال ابن حجر في الموضع المتقدم: "وقد عارضه ما هو أولى منه"، ثم ذكر حديث طاووس عن ابن عباس عند البخاري، أنه سُئِل عن قوله تعالى: ﴿إلا المودة في القربى﴾ فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد صلى الله عليه وسلم، فقال ابن عباس: عجلت، إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة". ا.هـ انظر: صحيح البخاري كتاب التفسير باب قوله: ﴿إلا المودة في القربى﴾ ١٥٢٦/٣ (٤٨١٨).

(٢) انظر: تفسير البغوي ١٢٥/٤.

(٣) هذا اختيار المؤلف رحمه الله، وقد قال به سعيد بن جبير، وعمرو بن شعيب وغيرهم، كما هو في تفسير الطبري ٣٢/٢٥، واختار الطبري، وابن كثير ١٦٨/٤، والشنقيطي في أضواء البيان ١٢٣/٧، أن معنى الآية أي قل لا أسألكم عليه أجراً يا معشر قريش، إلا أن تودوني في قرابتي منكم، وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم، ا.هـ وهذا يؤيده حديث ابن عباس المتقدم عند البخاري، والله أعلم.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٤/٢٥ من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: ينسيك القرآن، وهو إسناد حسن قد تقدم الكلام عليه ص٥٦.

على الله كذباً لفعل به ذلك قلت: هو نحو ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ • لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ • ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (الحاقة: ٤٤-٤٦) ﴿**وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ**﴾ الذي هم عليه من البهت والتكذيب ﴿**وَيُحِقُّ الْحَقَّ**﴾[١] الذي هو عليه بالقرآن وبقضائه الذي لا مرد له ﴿**إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ فتجرى أحكامه اللائقة بها من المحو والإثبات.

﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ**﴾ لما ذكر قبائح العصاة من الكافرين أخبر أنه تعالى يقبل توبة من عصاه، وفي صفاته تعالى: ﴿قَابِلِ التَّوْبِ﴾ (غافر: من الآية٣) ومنها التواب وتقدم في براءة: ﴿هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ (التوبة: من الآية١٠٤) والتوبة هي الرجوع عن المعاصي بالندم عليها، والعزم على أن لا يعاودها أبداً، وهذا إخبار منه تعالى عن قبول التوبة، وهو لا يخلف الميعاد، وأما القول بأن قبولها واجب عليه فعبارة جافية، بل هو إخبار بأنه يقبلها فيعبر بعبارة القرآن[٢]. ﴿**وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ**﴾ أي سيئات من لم يتب[٣]، نحو قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء: من الآية٤٨) ﴿**وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾ كائن ما كان من خير وشر، فهو يقبل التوبة مع علمه بالتوبة وبالذنب الذي وقعت عنه ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ كذلك فهو عفو عالم قدير .

﴿**وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ بإجابة دعواتهم وتلبية ندائهم، وإثابتهم على الطاعات داخلة في ذلك، وخصّهم[٤]، وإن كان يجيب أيضاً غيرهم من الكفار كما صرحت به الآيات: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾ (الإسراء: من الآية٦٧) ونحوها وأمّا ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾ (غافر: من الآية٥٠) فالمراد دعائهم بالنجاة

---

(١) بعد هذه الجملة من الآية كلمة ساقطة من الأصل وهي قوله تعالى: ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾.

(٢) في هذه الجملة رد على المعتزلة الذين يقولون: إن قبول التوبة واجب على الله، كما في الكشاف١/٤٧٨، وقد رد عليه ابن المنير في الموضع نفسه.

(٣) هذا اختيار المؤلف رحمه الله، والذي ذهب إليه الطبري٢٥/٣٥، وابن كثير ٤/١٣٧، رحم الله الجميع أن معنى قوله تعالى: ﴿ويعفو عن السيئات﴾ أي سيئات الماضي.

(٤) أي خصهم بما تقدم من إجابة دعوتهم.

من النار وتخفيف يوماً من العذاب ﴿**وَيَزِيدُهُمْ**﴾ على ما طلبوه ﴿**مِنْ فَضْلِهِ**﴾ غير ما سألوه، وهذا واقع، قال زكريا: ﴿لا تَذَرْنِي فَرْداً﴾ (الأنبياء: من الآية٨٩) فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ (الأنبياء: من الآية٩٠) فزاده صلاح أهله وقال أيوب ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ (الأنبياء: من الآية٨٣) فقال تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ (الأنبياء: من الآية٨٤) فزاده الأهل ومثلهم، وقال ذو النون: ﴿لا إِلَهَ[1] إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: من الآية٨٧) فقال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء: من الآية٨٨) فزاده البشرى بنجاة أهل الإيمان، وقال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (القصص: من الآية٢٤) فأجابه الله بما سأل وزاده النجاة من القوم الظالمين، وتزويج إحدى بنتي شعيب، ومن تتبع رأى كل عجب، بل قد جرب هذا العبد في نفسه[2]، وقال زكريا: ﴿هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ (آل عمران: من الآية ٣٨)، فأجابه: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران: من الآية٣٩) فانظر كم زاده الله من فضله، مع أن مجرد الإجابة تصدق بهبته له بنتاً مثل مريم التي كانت سبباً لسؤاله الذرية ﴿**وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**﴾ يدل ما لأهل الإيمان من الفضل والمزية لما قال تعالى: ﴿يبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (الشورى: من الآية١٢) أبان وجه الحكمة في كونه لم يبسطه لكل أحد مع غَنَائه وخزائنه التي لا تنفذ وقال:

﴿**وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ**﴾: لتكبروا وأفسدوا فيها بطراً، ولعلا بعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلاء، كما قد وقع ذلك ممن بسط له كقارون ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ (القصص: من الآية٧٦) وقال له قومه: ﴿وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ﴾ (القصص: من الآية٧٧) وبسط تعالى لفرعون وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ﴾ -إلى قوله-: ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: من الآية٤) ولذا

---

(١) [ل١٧٠/ب].

(٢) المؤلف يقصد نفسه، وأنه وقع له شيءٌ من ذلك.

قال موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ (يونس: من الآية٨٨) وقال تعالى: ﴿كَلا إِنَّ الإنسان لَيَطْغَى • أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ (العلق: ٦، ٧) وكفى بقصة ثعلبة بن حاطب وإقسامُه لئن آتاه الله من فضله ليصدقن، فلما آتاه الله ما آتاه، كان منه ما كان، وأعقبه الله نفاقاً في قلبه[1]، فهو عز وجل المدبر لأحوال العباد بما يمنعنهم عن الفساد.

أخرج ابن أبي الدنيا وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات، وأبو نعيم في الحلية، عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جبريل عن الله قال: يقول الله: (من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وإني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث الحرد[2]، وما تقرب [ل١٧١/أ] إلي عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولا بد منه، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح له إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح له إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا السقم ولو صححته لأفسده ذلك، إني أدبر أمر عبادي لعلمي بقلوبهم إني عليم خبير)[3]. ﴿**وَلَكِنْ يُنَزِّلُ**﴾ من

---

(١) أخرجها ابن جرير في تفسيره ٢١٣/١٠، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٤٧/٦ (١٠٤٠٦)، والطبراني في الكبير ٢١٨/٨ (٧٨٧٣)، والبيهقي في شعب الإيمان ١٩٩/٦، وقال ابن حجر في فتح الباري ٣٣٦/٣: "حديث ضعيف لا يحتج به"، وقال في الكاف الشاف٢٨٣/٢: "إسناده ضعيف جداً"، وكذا قال الألباني في السلسلة الضعيفة (١٦٠٧).

(٢) الحرد: الغيظ والغضب، انظر: لسان العرب ١١١/٣، والقاموس المحيط ص ٣٠٠.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتابه الأولياء ص ٩، وأبو نعيم في الحلية ٣١٨/٨، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢٤٧/١، وابن عساكر في تاريخه ٩٦/٧، وفي إسناده صدقة بن عبد الله، وهو ضعيف. انظر: التقريب ص٤٥١ (٢٩٢٩)، والحديث لأوله شاهد عند البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول =

الأرزاق ﴿**بِقَدَرٍ**﴾ بتقدير ﴿**مَا يَشَاءُ**﴾ أن ينـــزله مما تقتضيه حكمته ﴿**إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَـــبِيرٌ بَصِيرٌ**﴾ محيط بخفايا أمورهم وجلاياهم، فيقدر لكل واحد منهم في كل وقت من أوقاتهم ما يليق بشأنهم، فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط حسبما تقتضيه حكمته، وإذا عرف العبد أن مولاه خبير بحاله بصيرٌ بتدبيره فلا يجزع من فاقة تصيبه، ولا يعرض عـــن شكر نعم ربه.

﴿**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ**﴾: المطر على عباده وبلاده ﴿**مِنْ بَعْدِ مَـــا قَنَطُـــوا**﴾ أي أيسوا من نزوله وخص ذلك وإلا فإنه نزّله مع عدم اليأس، تذكيراً للنعمة وتعظيماً للمنة كما قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ (يوسف: من الآية١١٠) ﴿**وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ**﴾ بركات الغيث ومنافعه في كل سهل وجبـــل، وللنبـــات والحيوان ﴿**وَهُوَ الْوَلِيُّ**﴾ الذي يتولى عباده بالأنعام ﴿**الْحَمِيدُ**﴾ الحقيق بكل حمد.

﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ إيجادهما من العدم وتكرر في الآيات ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (البقرة: من الآية ١٦٤) وأي آية أعظم من ذلك[1] ﴿**لَخَلْـــقُ**

=

الَّله صلى الله عليه وسلم: (إن اللَّهَ قال: من عادَى لي وَليّاً فقد آذَنْته بالحرب...) الحديث، كتاب الرقاق، باب التواضع ٢٠٣٩/٤ (٦٥٠٢)، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ٤٤٧/٢، عن أبي هريرة رضي الله عنه من طريق محمد بن عثمان بن كرامة وهو شيخ البخاري الذي روى عنه الحديث، وقد تكلم الألباني رحمه الله على هذا الإسناد عند البخاري قال: "وهو من الأسانيد القليلة التي انتقدها العلماء على البخاري رحمه الله"، -ثم ذكر كلام الذهبي وابن حجر عليه، وبحث المسألة بحثاً مطولاً- وذكر شواهد للحديث ثم قال: "وخلاصة القول: أن أكثر هذه الشواهد لا تصلح لتقوية الحديث بها، إما لشدة ضعف إسنادها، وإما لاختصارها، اللهم إلا حديث عائشة وحديث أنس بطريقيه فإنهما إذا ضما إلى إسناد حديث أبي هريـــرة اعتضـــد الحـــديث بمجموعهما وارتقى إلى درجة الصحيح إن شاء الله تعالى وقد صححه من سبق ذكره من العلماء". انظـــر: سلسلة الأحاديث الصحيحة١٨٣/٤. والحديث عزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور٧٠٤/٥.

(١) يعني المصنف رحمه الله بالآيات الآيات الكونية القدرية لأن الآيات الشرعية الدينية أعظم ولا شك، قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله: "لأن العلم بالدين وتعليمه والأمر به ينال به العبد رضوان الله وحـــده وصـــلاته وثوابه، وأما العلم بالكون والتأثير فيه فلا ينال به ذلك إلا إذا كان داخلا في الدين". انظر: مجموع الفتـــاوي ٣٢٣/١١.

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ (غافر: من الآية ٥٧) ﴿**وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ**﴾ من حي، من إطلاق السبب على المسبب، ويحتمل أن في السماء دواب فإنه ﴿وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: من الآية٨) ﴿**وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ**﴾ جمع الخلائق ﴿**إِذَا يَشَاءُ**[1] **قَدِيرٌ**﴾ وهو يوم يجمع الله الأولين والآخرين ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ﴾ (هود: من الآية١٠٣)

﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ**﴾ في الأبدان والأموال والأولاد والقلوب من هموم ونحوه ﴿**فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**﴾ هو متكرر في كتاب الله ذكر هذا ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ (آل عمران: من الآية١٦٥) ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (الحج: ١٠) أخرج الترمذي وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ وسأفسرها لك يا علي: ما أصابك من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يُثَنِّي عليكم العقوبة في الآخرة، وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يعود بعد عفوه)[2].

وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن البصري قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ قال رسول الله صلى الله

---

(١) [ل١٧١/ب].

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٤٤٦/١ (٦٤٩)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ١٧٥/٤ –ولم أجده في تفسيره–. والحاكم في مستدركه ٤٢٩/٤، وأبو يعلى في مسنده ص١٢٢ (٤٥٣)، والثعلبي في تفسيره ٣٩٧/٥، وفيه الأزهر بن راشد الكاهلي وهو ضعيف . انظر : مجمع الزوائد ٧ / ١٦٥، والتقريب ص١٢٢ (٣٠٧).

وأخرجه ابن ماجه في سننه ص٤٤٣ (٢٦٠٤)، والترمذي في سننه ص٥٩٢ (٢٦٢٦)، والحاكم في مستدركه ٤٢٨/٤ (٨١٦٥) من وجه آخر، قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب"، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وقال الذهبي في التلخيص: "على شرط البخاري ومسلم"، وضعفه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي ص٥٩٢.

عليه وآله وسلم: (والذي نفسي بيده ما من خدش عود ولا اختلاج عرق ولا نكبة حجر ولا عثرة قدم إلا بذنب وما يعفو عنه الله أكثر)[1].

قلت: ويناسبه: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ (النساء: من الآية١٢٣) قال أبو بكر...[2] ﴿**وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ عن عقوبة كثير مما كسبتم.

﴿**وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ**﴾ فيه فائتين عليه ﴿**فِي الأَرْضِ**﴾ تقدم في الروم[3] زيادة: ﴿وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ (العنكبوت: من الآية٢٢) ﴿**وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ**﴾ توالونه ﴿**وَلا نَصِيرٍ**﴾ ينصركم فإن الذين اتخذتموهم أولياء لينصرونكم لا يستطيعون نصر أنفسهم فضلاً عن غيرهم ﴿وَلا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ (الأنبياء: من الآية٤٣).

﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ**﴾ الدالة على توحيده وتوحده بصفات كل كمال ﴿**الْجَوَارِ**﴾ جمع جارية كما قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ﴾ (الرحمن: من الآية٢٤) سميت جارية اشتقاقاً لها من قوله: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ (يونس: من الآية٢٢) ومن قوله: ﴿وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ (الحج: من الآية٦٥) ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ[4] لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ (إبراهيم: من الآية٣٢) ﴿**فِي الْبَحْرِ**﴾ ظرف جريانها ﴿**كَالأَعْلامِ**﴾ جمع علم وهو الجبل ومنه:

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٥٨/٥٤، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢٧٨/١٠ (١٨٤٨١) من طريق إسماعيل بن مسلم هو المكي وهو ضعيف، قال الألباني في السلسلة الضعيفة ٢٧٩/٤ (١٧٩٦): "قلت: وهذا مع إرساله من الحسن البصري فإن الراوي عنه إسماعيل بن مسلم وهو المكي ضعيف". ولم أجده في المطبوع من سنن سعيد بن منصور، وعزاه لابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور ٧٠٦/٥.

(٢) بياض في المخطوط، وقد كتب بجواره في الحاشية: "بياض في الأم"، وقد أورد السيوطي في الدر المنثور آثاراً من أقوال أبي بكر عند هذه الآية، منها: ما أخرجه ابن جرير عن عائشة عن أبي بكر قال: لما نزلت ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾ قال أبو بكر: يا رسول الله كل ما نعمل نؤاخذ به؟ فقال: (يا أبا بكر أليس يصيبك كذا وكذا... فهو كفارة) وغيرها من الآثار، انظر: الدر المنثور ٤٠٠/٢.

(٣) بل في العنكبوت آية ٢٢.

(٤) [ل١٧٢/أ].

وإنَّ صَخْراً لتَأْتَمُّ الهداةُ بِهِ   كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ[1]

وقد كرر الله تعالى الاستدلال بهذه الآية العظمى ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ (يس: ٤١) ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ١٤).

﴿**إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ**﴾ التي جرت الجواري بها، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ -إلى قوله-: ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ﴾ (الروم: من الآية٤٦) والمراد بها في الآية الطيبة التي في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ (يونس: من الآية٢٢) ﴿**فَيَظْلَلْنَ**﴾ يبقين ﴿**رَوَاكِدَ**﴾ أي ثوابت ﴿**عَلَى ظَهْرِهِ**﴾ على ظهر الماء والمراد: غير جاريات لا غير متحركات ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ**﴾ أي جري السفن تارة وركودها تارة بمشيئة الله وقدرته ﴿**لَآيَاتٍ**﴾ عظيمة في أنفسها، كثيرة في عددها دالة على المتصرف فيها ﴿**لِكُلِّ صَبَّارٍ**﴾ كامل الصبر متدبر لآياته ﴿**شَكُورٍ**﴾ لنعمه، فإنه الذي فيه أهلية معرفة مقدار هذه الآيات ﴿**أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا**﴾ يهلكهن بسبب ذنوب العباد، وذلك بإرساله الريح عاصفةً، المشار إليها في قوله: ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ (يونس: من الآية٢٢) ﴿**وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ**﴾ من العصاة فلا يهلكهم عفواً منه وهو نحو قوله: ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ (الشورى: من الآية٢٥).

﴿**وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا**﴾ هو عطف على علّة مقدرة مثل: لينتقم منهم وليعلم[2] وهذا على تقدير قراءته بالفتح، وقرئ بالرفع على الاستئناف وبالجزم عطف يعف، ويكون المعنى: أو إن يشأ يجمع بين إهلاك قوم وإنجاء قوم وتحذير قوم[3] ﴿**مَا لَهُمْ**

---

(١) البيت من قول الخنساء في رثاء أخيها صخر، انظر: شرح ديوان الخنساء للحوفي ص ٤٠، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ١٥٩/٢، مادة (علم).

(٢) انظر: الكشاف٢٢١/٤، والبحر المحيط ٦٩١/٧، وتفسير أبي السعود٢٠/٦.

(٣) قرأ نافع وابن عامر: (ويعلمُ الذين) برفع الميم وقرأ الباقون بالنصب كابن كثير وأبي عمرو وعاصم وحمزة الكسائي، وأما قراءة الجزم فذكرها في البحر المحيط دون عزو، انظر: الحجة لأبي علي الفارسي٣/ ٣٦٣، =

مِنْ مَحِيصٍ من مهرب ﴿**فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ**﴾ مما ترغبون فيه وتنافسون فيه ﴿**فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ أي فهو متاعها تتمتعون به مدة حياتكم، وهو زمن قليل ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ (النساء: من الآية٧٧) ومتاع الغرور ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: من الآية١٨٥) ﴿فَمَا مَتَاعُ[1] الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ (التوبة: من الآية٣٨) ﴿**وَمَا عِنْدَ اللَّهِ**﴾ من ثواب الآخرة ونعيمها الدائم ﴿**خَيْرٌ**﴾ ذاتاً لخلوص نفعه ﴿**وَأَبْقَى**﴾ زماناً حيث لا يزول ولا يفنى ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ • أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ (القصص: ٦٠، ٦١) ولكن الخيرية ﴿**لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ فهم الذين هي خير لهم ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ﴾(آل عمران: من الآية١٩٨)

﴿**وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ**﴾ نحو ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ (النساء: من الآية٣١) وهو عطف على الذين آمنوا[2]. ﴿**وَالْفَوَاحِشَ**﴾ ما فحش من الكبائر، ويأتي في النجم تفسير الذين أحسنوا، بـ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ﴾ (النجم: من الآية٣٢) ﴿**وَإِذَا مَا غَضِبُوا**﴾ ما صلة ﴿**هُمْ يَغْفِرُونَ**﴾ لمن أغضبهم، وفيه ترجيح جانب العفو.

﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ**﴾ عاملين بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال: من الآية٢٤) ﴿**وَأَقَامُوا الصَّلاةَ**﴾ هو من الاستجابة بالفعل ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾ أي ذوو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا فيه.

أخرج عبد بن حميد والبخاري في الأدب وابن المنذر عن الحسن قال: ما تشاور قوم قط إلا هدوا وأرشد أمرهم. ثم تلا ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[3]. وأخرج الخطيب في

=

٣٦٤، والبحر المحيط ٦٩٠/٧، وإتحاف فضلاء البشر لشهاب الدين الدمياطي ص٤٩٢.

(١) [ل١٧٢/ب].

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس ص٨٠٤، والكشاف٢١٢/٤.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص٨٧، والطبري في تفسيره١٩٣/٤، وقال الحافظ في الفتح ٤١٦/١٣:
=

رواية مالك عن علي رضي الله عنه قلت: يا رسول الله الأمر ينـــزل بنا بعدك لم ينـــزل فيه قرآن و لم نسمع منك فيه شيء قال: (اجمعوا له العابدين من أمتي واجعلـــوه بيـــنكم شورى لا تقضوه برأي واحد) انتهى[1] وقد أمر الله رسوله بالمشاورة فقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ (آل عمران: من الآية ١٥٩). قال:

شَـــاوِرْ أَخَاكَ إذا نابَتْـــكَ نائبـــةٌ   يوماً وإن كُنْتَ مِن أَهْلِ المشُوراتِ

فالعينُ يُنْظَـــرُ منهـــا ما نأي ودَنا   وَلا تَـــــرى نَفْـــسَـــها إلا بمرآة[2]

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ كما سلف في أول البقرة ينفقون في سبل الخير بعض ما رُزقوا[3].

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ ممن بغى عليهم ﴿هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ من الباغي ﴿فَـــإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾ (الحجرات: من الآية٩) وقد وعد الله المبغـــي عليه بالنصر، وهو وصفٌ لهم بالشجاعة [ل١٧٣/أ] بعد وصـــفهم بســـائر مهمـــات الفضائل، وهو لا ينافي وصفهم بالغفران، فإن كلاً منهما فضيلة محمودة في موضـــعها،

=

"فأخرج البخاري في الأدب المفرد وابن أبي حاتم بسند قوي عن الحسن"، وذكره.

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في كتابه الفقيه والمتفقه ٤٧٦/١ (٥١٩)، وفي سنده سليمان بن بزيع، قال ابـــن حجر في لسان الميزان ١٣٣/٤ (٣٥٨٨) في ترجمته: "قال ابن عبد البَرِّ: هذا حديث لا يُعْرَف من حـــديث مالك إلا بهذا الإسناد، ولا أصل له في حديث مالك عندهم، ولا في حديث غيره، وإبراهيم وسليمان لَيْسَـــا بالقويين، ولا يحتج بهما. قلتُ: - القائل ابن حجر-: وقال الدارقطني في غرائب مالك: لا يصح؛ تفرد بـــه إبراهيم بن أبي الفَيَّاض، عن سليمان، ومن دون مالك ضعيف. وساقه الخطيب في كتاب الرواة عن مالك من طريق إبراهيم، عن سليمان وقال: لا يثبت عن مالك والله أعلم".

(٢) البيتان لناصح الدين الأرجاني. انظر: وفيات الأعيان ١٥٢/١، وشذرات الذهب لابن العمـــاد الدمشـــقي ١٣٧/٤، إلا أن في وفيات الأعيان قال في البيت الثاني:

فالعين تلقى كفاحاً من نأى ودنا

ونقل ابن العماد الدمشقي في شذرات الذهب:

فالعين تنظر منهـــا ما نأى ودنا

والله أعلم بالصواب.

(٣) انظر: مفاتح الرضوان للمؤلف بتحقيق الأخت: هدى القباطي ٢٥/٢.

ورذيلة مذمومة في موضعها، فإن الحلم عن العاجز وعور الكلام محمود، وعن المتغلب ولغو الليام مذموم، فإنه إغراء على البغي كما قيل:

إذا أنْتَ أكرمْتَ الكريمَ ملكتَهُ   وإن أنتَ أكْرَمْتَ اللَّئيمَ تمرَّدَا

فوضْعُ النَّدَى في مَوْضِعِ السَّيفِ بالعُلا   مُضِرٌ كَوَضْعِ السَّيفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى[1]

[أخرج][2] النسائي وابن ماجه وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلتْ عليَّ زينب، وعندي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأقْبَلَتْ علي فسبتني فردعها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم تنته فقال لي: (سبيها) فسببتها حتى جف ريقها في فمها، ووجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تهلل سروراً[3].

أخرج ابن جرير وابن مردويه عن علي بن زيد بن جدعان قال: لم أسمع في الانتصار مثل حديث [حدثتني به][4] أم ولد أبي محمد عن عائشة قالت: كنت في البيت وعندنا زينب بنت جحش، فدخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأقبلت عليه زينب فقالت: ما كل واحدة منا عندك إلا على خلابة[5]، ثم أقبلت علي تسبّني فقال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (قولي لها كما تقول لك) فأقبلت عليها وكنت أطول وأجود

---

(١) البيتان لأبي الطيب المتنبي من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة، انظر: العرف الطيب شرح ديوان أبي الطيب ٣٨٤، والتمثيل والمحاضرة للثعالبي ص ١١١.

(٢) ما بين المعقوفتين، بياض في الأصل، وانظر تعليق ١ ص ٨٨.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١٧/٣٨٥ (٢٤٥٠١)، وابن ماجه في سننه ص٣٤٢ (١٩٨١)، والنسائي في سننه الكبرى، كتاب التفسير، باب ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه﴾ ١٠/٢٤٩ (١١٤١٢)، وحسّن إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح ٥/١٢٤، وقال الألباني في تعليقه على سنن ابن ماجه: "صحيح" ص٣٤٢، وعزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور ٥/٧٠٨، والحديث في صحيح مسلم بنحو هذا اللفظ (٢٤٤٢)، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها.

(٤) في الأصل: "حدثني به ابن" والتصويب من الدر المنثور ٥/٧٠٨.

(٥) الخلابة: المخادعة، وقيل: الخديعة باللسان، انظر: كتاب العين ١/٤٣٠ مادة (خلب)، ولسان العرب ٤/١٦٥.

لساناً منها فقامت[1]. وتقدم ذلك، ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ (الحج: من الآية٦٠)

﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا**﴾ بيان لوجه كون الانتصار من الباغي من الخصال المحمودة، مع أنه في نفسه إساءة إلى الغير، بالإشارة إلى أن البادي هو الذي فعل لنفسه السوء، فإن الأعمال مستتبعة لأَجْزِيتها إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ، وفيه تنبيه على حرمة التعدي، وإطلاق السيئة على الثانية لأنها تسوء من نزلت به، وشَرَطَ لأنه من المماثلة بين الابتداء والجزاء[2] كما صرح به ﴿مِثْلُهَا﴾ وقوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ (النحل: من الآية١٢٦) أخرج أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله [ل١٧٣/ب] صلى الله عليه وآله وسلم: (المتسابان ما قالا من شيء فعلى البادي حتى يعتدي المظلوم) ثم قرأ: (﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾[3]). ﴿**فَمَنْ عَفَا**﴾ عمن أساء إليه ﴿**وَأَصْلَحَ**﴾ بينه وبين من يعاديه بالعفو والإغضاء، كما قال: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: من الآية٣٤) ﴿**فَأَجْرُهُ**﴾ أجر عفوه ﴿**عَلَى اللَّهِ**﴾ عِدَةٌ منه تعالى مبهمةٌ دالةٌ على عظم شأن الموعود، وخروجه عن المعهود، أخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا كان يوم القيامة أمر الله منادي ينادي ألا

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ص ٧٣٤ (٤٨٩٨)، والطبري في تفسيره ٤٧/٢٥، عن علي بن زيد بن جدعان، وقال ابن كثير رحمه الله: "وعلي بن زيد بن جدعان يأتي في رواياته بالمنكرات غالباً، وهذا فيه نكارة، والصحيح خلاف هذا السياق"، ا.هـ تفسير ابن كثير ١٧٩/٤، وضعف الألباني إسناده، انظر: تعليقه على سنن أبي داود ص٧٣٤، وعزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور ٧٠٨/٥.

(٢) يعني في قوله: "مثلها"، وكأن المصنف رحمه الله يقصد أن معنى الآية، أن من اعْتُديَ عليه بسيئة فيجوز له أن يرد بسيئة ولكن بشرط أن تكون مثل الأولى دون زيادة، والله اعلم.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٥١/٧ (٧٢٠٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن السباب١١٥/١٦، وأبو داود في سننه ص٧٣٤ (٤٨٩٤)، والترمذي في سننه ص٤٥٠ (١٩٨١)، غير أنهم لم يذكروا الآية بعد الحديث، وعزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور٧٠٩/٥.

ليقم من كان له على الله أجر، فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا) وذلك قوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[1].

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (قال موسى: يا رب من أعز عبادك عندك؟ قال: من إذا قدر غفر)[2] ﴿**إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ البادين السيئة، والمعتدين في الانتقام.

﴿**وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ**﴾ بأي أنواع الظلم ﴿**فَأُولَئِكَ**﴾ المنتصرون ﴿**مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ**﴾ من ملامة ولا عقاب، لأنه استوفى حقاً جعله الله له. أخرج عبد بن حميد وابن جرير والبيهقي في شعب الإيمان عن قتادة في الآية قال: هذا في الخُمَاشةِ[3] بين الناس فأما إن ظلمك رجل فلا تظلمه، وإن فجر بك فلا تفجر به، وإن خانك فلا تخنه، فإن المؤمن الموفي المؤدي، وإن الفاجر هو الخائن الغادر[4]. وأخرج ابن أبي شيبة والترمذي والبزار وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من دعا على من ظلمه فقد انتصر)[5].

---

(١) ورد هذا الحديث بعدة ألفاظ متقاربة، ذكرها الألباني رحمه الله في السلسلة وضعفها. انظر: السلسلة الضعيفة٦/٩٢، وعزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور٥/٧٠٩.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه في حديث مطول ٩/٥٣ (٦١٨٤)، والبيهقي مختصراً في شعب الإيمان ١٠/٥٥٠ (٧٩٧٤)، وضعفه الألباني. انظر: ضعيف الجامع وزيادته ص٥٩٢ (٤٠٦٦).

(٣) خُمَاشَة جمعها: خماشات، أي جراحات وجنايات، وهي ما كان دون القتل والدية من قطع أو جدع أو جرح، وهو ما ليس له أرش معلوم، انظر: النهاية في غريب الحديث ١/٥٣٣، ولسان العرب ٤/٢١٨.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٥/٤٨ بلفظ مقارب من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة وهو إسناد حسن تقدم الكلام عليه ص ٥٦، والبيهقي في شعب الإيمان١٠/٤٢٦ (٧٧٤٤) بهذا اللفظ من طريق شيبان عن قتادة به، وعزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور٥/٧١٠.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٠/١٢٣ (٣٠٠٧٠)، والترمذي في سننه ص٨٠٧ (٣٥٥٢)، وقال بعد أن أورده: "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي حمزة، وقد تكلم بعض أهل العلم في أبي حمزة من قِبل حفظه، وهو ميمون الأعور" .ا.هـ وقد ضعف الألباني الحديث. انظر: تعليقه على سنن الترمذي ص٨٠٧ (٣٥٥٢)، والسلسلة الضعيفة ص١٠٧ (٤٥٩٣)، ولم أعثر عليه في المطبوع من مسند البزار، وعزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور ٥/٧١٠.

﴿**إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ**﴾ يبتدؤنهم بالإضرار ويعتدون في الانتقام ﴿**وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾ أي يتكبرون فيها تجبراً وإفساداً ﴿**أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ بما ذكر من الظلم والبغي بغير الحق.

﴿**وَلَمَنْ صَبَرَ**﴾ على الإساءة ﴿**وَغَفَرَ**﴾ لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض إلى الله ﴿ **إِنَّ ذَلِكَ**﴾ أي الصبر والمغفرة ﴿**لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾[١] قالوا: وهذا فيما لا يؤدى فيه العفو إلى الشر[٢] [ل١٧٤/أ] كما سبق[٣]﴿**وَتَرَى الظَّالِمِينَ**﴾ الذين ذكروا أو غيرهم منهم ﴿**لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ**﴾ الذي وعدوا به في قوله: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الشورى: من الآية٢١) ﴿**يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ**﴾ رجوع إلى الدنيا ﴿**مِنْ سَبِيلٍ**﴾ لنعمل غير الذي كنا نعمل، هذا قولهم عند رؤية العذاب فإذا وقعوا قالوا: ﴿أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ (المؤمنون: من الآية١٠٧) ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ (فاطر: من الآية٣٧).

﴿**وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا**﴾ على النار الدال عليها ذكر العذاب ﴿**خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ**﴾ متذللين متضائلين مما دهاهم ﴿**يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ**﴾ يبتدأ نظرهم إلى النار من تحريكٍ لأجفانهم ضعيفٍ، كالمصبور ينظر إلى السيف، ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ في ذلك المقام: ﴿**إِنَّ الْخَاسِرِينَ**﴾ حقيقة ﴿**الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ**﴾ بالتعريض لها للعذاب الخالد ﴿**وَأَهْلِيهِمْ**﴾ بذلك ﴿**يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ لأنه الذي فيه تحقق خسارهم ﴿**أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ**﴾ يحتمل أنه من تمام كلامهم، أو أنه تصديق من الله لمقالهم.

﴿**وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ**﴾ يرفع[٤] العذاب عنهم ﴿**مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ كما كانوا يزعمونه في الدنيا ﴿**وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ**﴾ وبسبب مخالفته له وتكذيبه رسله لما قدمناه من أنه لا يضل إلا الفاسقين كما سلف في البقرة

---

(١) بعد هذه الآية آية ساقطة من الأصل، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾.

(٢) انظر: الكشاف٤/٢٢٤، وتفسير أبي السعود٦/٢١.

(٣) انظر: هذه السورة ص ٣١٦.

(٤) كذا في الأصل، ولعل الصواب: "برفع".

والأنعام[1] ﴿**فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ**﴾ إلى الهداية التي بها النجاة وتقدم: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ، وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ (الزمر: من الآية٣٦، ٣٧) وثبت في الحديث القدسي: (عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم)[2]

﴿**اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ**﴾ لتدخلوا في الذين استجابوا لربهم الذين مضى الثناء قريباً عليهم[3]، ﴿**مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ**﴾ أي لا يرده الله بعد ما حكم به، إن جعلت "من" صلة متعلقة بمرد، ويحتمل تعلقها بيأتي، من قبل أن يأتي من الله يوم لا يمكن رده[4]، ﴿**مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ**﴾[5] مكان تلجأون إليه ومهرب، ونحوه: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾(التوبة: من الآية٥٧) ﴿**وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ**﴾ من إنكار لما فعلتموه من قبائح الأعمال إذ شهد عليهم الجوارح.

﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا**﴾ عن اتباعك ولم يستجيبوا لما دعوتهم إليه ﴿**فَمَا أَرْسَلْنَاكَ**[6] **عَلَيْهِمْ حَفِيظاً**﴾ رقيباً ومحاسباً عليهم ﴿**إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ**﴾ وقد فعلته ﴿**وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإنسان مِنَّا رَحْمَةً**﴾ يعني من الصحة والغنى والأمن ﴿**فَرِحَ بِهَا**﴾ هو نحو قوله: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ (هود: ١٠) وأتى بكلمة: إذا التي تفيد الجزم بوقوع ما بعدها، ونسب الإذاقة إلى نون العظمة ونسبها إليه بقوله: ﴿مِنَّا﴾ وذلك لتحقق وقوع الرحمة وصدورها عن الجانب المقدس قطعاً، وقال

---

(١) يشير إلى قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾ (البقرة: من الآية٢٦)، وإلى قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (الأنعام: ١١٧).

(٢) هو جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم ١٦/١٠٨ (٢٥٧٧).

(٣) من سورة الشورى في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ...﴾ الآية (الشورى: من الآية٣٨).

(٤) انظر: الكشاف ٤/٢٢٥، وتفسير أبي السعود ٦/٢٢.

(٥) بعد هذا الجزء من الآية كلمة ساقطة من الأصل وهي قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾.

(٦) [ل١٧٤/ب].

في مقابلها: ﴿**وَإِنْ**﴾ وأتى بكلمة: إن التي لا[1] تفيد الجزم بوقوع مدخولها[2]. ﴿**تُصِبْهُمْ**﴾ جمع الضمير؛ لأنه أريد بالإنسان: الجنس[3] ﴿**سَيِّئَةٌ**﴾ من مرض أو فقر أو نحوهما ﴿**بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ**﴾ بسبب كسبهم ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (الشورى: من الآية٣٠) وهو مقابل قوله: ﴿مِنَّا﴾ أي من إفضالنا وإحساننا ﴿**فَإِنَّ الإنسان**﴾ وضع الظاهر موضع الضمير للإيذان بشؤم كفران النعم[4] ﴿**كَفُورٌ**﴾ هو نحو قوله: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإنسان مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ﴾ (هود: ٩) ونحو: ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ﴾ (فصلت: من الآية٤٩) والكل إخبارٌ عن جبلة الإنسان وطبعه، وتحذير له عن كفران النعمة عند إدرارها، واليأس والقنوط عند خلافه، بل عند الأولى يشكر وعند الثانية يصبر ويستغفر.

﴿**لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ يتصرف فيهما وفي سكافهم[5] بما يشاء ﴿**يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ**﴾ مما نعلمه وما لا نعلمه ﴿**يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ من عباده، ولفظ الهبة كثر في عبارات القرآن في الأولاد سؤالاً من العباد وإجابة من الرب ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً﴾ (مريم: من الآية٥) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى﴾ (الأنبياء: من الآية٩٠) ﴿لأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً﴾ (مريم: من الآية١٩) ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الصافات: ١٠٠) ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ (إبراهيم: من الآية٣٩) ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ (ص: من الآية٣٠) ﴿**إِنَاثاً**﴾ جمع أنثى أي فقط، ذُكِر في تقدم هبة الإناث لأنهن أكثر وجوداً لتكثير النسل أو لغير ذلك من الحِكم التي لا يعلمها إلا الله. أخرج ابن مردويه وابن عساكر عن واثلة بن الأسقع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: (من بركة المرأة ابتكارها

---

(١) قوله: "لا" جاء ملحقاً في الحاشية، وعليه: "صح".

(٢) انظر: تفسير الآلوسي ٦٦٣/١٤، والتحرير والتنوير ٢٩٧/١١.

(٣) انظر: الكشاف ٢٢٥/٤، وتفسير البيضاوي ٣٦٣/٨، وتفسير أبي السعود ٢٢/٦.

(٤) انظر: تفسير البيضاوي ٣٦٥/٨، وتفسير أبي السعود ٢٣/٦.

(٥) هكذا في الأصل والأفصح: "سكانهما".

بالأنثى؛ [ل١٧٥/أ] لأن الله تعالى قال: ﴿**يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ**﴾)[1] كما اقتضته حكمته أي فقط.

﴿**أَوْ يُزَوِّجُهُمْ**﴾ أو يجعل الهبة مزدوجة ﴿**ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً**﴾ فيجمع بينهما لمن يشاء ﴿**وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً**﴾ فلا يهب له شيئاً من الأولاد، فاقتضت حكمته جعل أصناف العباد أربعة أقسام، قيل: ووقع هذا في الأنبياء فوهب للوط وشعيب إناثاً لا غير، ووهب لإبراهيم الخليل ذكوراً[2]، ووهب لمحمد صلى الله عليه وسلم الصنفين، وجعل يحي وعيسى عليهما السلام عقيمين[3]. ﴿**إِنَّهُ عَلِيمٌ**﴾ مبالغ[4] في العلم فيوقع عطاياه عن علمه ﴿**قَدِيرٌ**﴾ على كل مقدور[5]، لما ذكر الله في صدر السورة إيحاؤه إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإلى الذين من قبله، ختمها ببيان أقسام الإيحاء فقال:

﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ**﴾ ما صح ولا استقام في الحكمة ﴿**أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ**﴾ بوجه من الوجوه ﴿**إِلاَّ وَحْياً**﴾ إلا بأن يُوْحَى إليه ويُلْهَم ويُقْذَف في قلبه، كما أوحى إلى أم موسى وإلى إبراهيم في ذبح ولده ﴿**أَوْ**﴾ يكلمه الله ﴿**مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾ كما كلم موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ﴾ (البقرة: من الآية٢٥٣) وقال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾(النساء: من الآية١٦٤) ﴿**أَوْ يُرْسِلَ**﴾ إلى البشر ﴿**رَسُولاً**﴾ أي مَلَكاً ﴿**فَيُوحِيَ**﴾ الرسول الملكي إلى الرسول البشري ﴿**بِإِذْنِهِ**﴾ بأمره تعالى وتيسيره ﴿**مَا يَشَاءُ**﴾ أن يوحيه إليه وهذا هو الغالب.

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٢٢٥/٤٧، وفي إسناده العلاء بن كثير وهو الليثي، متروك، رماه ابن حبان بالوضع. انظر: التقريب ص٧٦٢ (٥٢٨٩). وقال ابن الجوزي رحمه الله: "هذا حديث موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم". انظر: كتاب الموضوعات لابن الجوزي ٧٧/٣ (١٢٨٧)، وكذا قال الألباني في ضعيف الجامع (٥٢٩٣).

(٢) لا يلزم من ذكر الله عزوجل أن للوط وشعيب بنات ولإبراهيم ذكوراً أن ليس لهم غيرهم ولا يوجد ما يدل على الحصر.

(٣) نسبه القرطبي في تفسيره للنقاش١٦/٤٨.

(٤) هكذا قال المؤلف رحمه الله، ولو قال: واسع العلم لكان أليق.

(٥) هذه العبارة أشبه بقول المعتزلة اللذين يقولون إن علم الله وقدرته فيما تدركه العقول أما المستحيل فلا تتعلق به القدرة، وأهل السنة والجماعة يقولون: إن الله على كل شيء قدير.

أخرج البخاري ومسلم والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها: أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كيف يأتيك الوحي؟ قال: (أحياناً يأتيني الملك في مثل صلصلة[1] الجرس، فَيَفْصِمُ عني[2] وقد وعيت عنه ما قال، وهو أشده علي، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي عنه ما يقول). قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فَيَفْصِمُ عنه وإن جبينه ليتفَصَّد[3] عرقاً[4]. ﴿**إِنَّهُ عَلِيٌّ**﴾ متعال عن صفات المخلوقين لا يجري وحيه إلا بأحد الوجوه[5] ﴿**حَكِيمٌ**﴾ تجري أفعاله وأقواله على سنن الحكمة فيكلم تارة بواسطة وأخرى بغيرها إما إلهاماً وإما خطاباً.

﴿**وَكَذَلِكَ**﴾ كإيحاء البديع[6] ﴿**أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً**[7] **مِنْ أَمْرِنَا**﴾ هو القرآن الذي هو للأرواح بمثابة الروح للأبدان، حيث يحييها حياة أبدية. أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾ قال: القرآن[8]. ﴿**مَا كُنْتَ تَدْرِي**﴾ قبل الإيحاء ﴿**مَا الْكِتَابُ**﴾ أي شيء هو ﴿**وَلا الإِيمَانُ**﴾ بتفاصيل ما في الكتاب مما لا تهتدي العقول إليه ونحوها: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ (العنكبوت: من الآية48) وقريب منه: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ

---

(1) الصلصلة: صوت الحديد إذا حُرِّك، انظر: النهاية في غريب الحديث 46/2، ولسان العرب 392/7.

(2) يفصم عني: يقلع عني، انظر: النهاية في غريب الحديث 376/2، ولسان العرب 275/10.

(3) فصد عرقه: أي سال، انظر: النهاية في غريب الحديث 374/2، ولسان العرب 271/10.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم 21/1 (2)، ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب عرقه صلى الله عليه وسلم في البرد وحين يأتيه الوحي 71/15 (2333)، والبيهقي في الأسماء والصفات 514/1 (437).

(5) أي أحد الوجوه المتقدم ذكرها في الآية في كيفية الوحي.

(6) هكذا في الأصل، وفي تفسير أبي السعود: "(وكذلك) أي ومثل ذلك الإيحاء البديع" 24/6.

(7) [ل175/ب].

(8) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره 3280/10 (18493) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهو إسناد ثابت تقدم الكلام عليه ص 136، وعزاه لابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور713/5.

عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾ (يونس: من الآية١٦) ﴿**وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ**﴾ أي الكتاب أو الروح ﴿**نُوراً**﴾ وسماه الله نوراً في قوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (المائدة: من الآية١٥) على أحد الوجهين ﴿**نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا**﴾ نحو: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: من الآية٩) وسماه هدىً ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً﴾ (البقرة: من الآية٢) وقال الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً﴾ -إلى قولهم-: ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الأحقاف: من الآية٣٠) ﴿**وَإِنَّكَ**﴾ يا محمد ﴿**لَتَهْدِي**﴾ تدعو وتدل العباد ﴿**إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ هو الإسلام كما أقسم الله على ذلك بقوله ﴿يس • وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ • إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ • عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (يس من الآية ١- ٤) وفي آية المؤمنين[1]: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المؤمنون: ٧٣) وقال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾ (الأنعام: من الآية١٥٣) وصراط الرسول هو صراط الله كما قال:

﴿**صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾ تفخيم لشأن صراطه وأنه صراط من مَلِك المُظِلّة والمُقِلّة ﴿**أَلا إِلَى اللَّهِ**﴾ لا إلى غيره ﴿**تَصِيرُ الْأُمُورُ**﴾ كلها دقها وجلها سرها وعلانيتها، أمور من اتبع الصراط ومن عنه ناكب ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾ (المؤمنون: ٧٤).

اللهم يا من إليه تصير الأمور، أصلح القلوب التي في الصدور، واجعل لنا نوراً نمشي به يوم النشور. انتهى تفسيرها بعد عصر الخميس ٢١ من شهر جمادى الأخرى سنة ١١٧٩هـ.

---

(١) هكذا في الأصل، ولو قال المؤمنون على الحكاية فلا بأس.

سورة الزخرف

مكية، وهي تسع وثمانون آية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**حم**﴾ الله أعلم بمراده[2]، وقيل: إنه إقسام به بتقدير الباء كما يرشد إليه عطف. ﴿**وَالْكِتَابِ**﴾ فإنه قسم ويحتمل أنه قسم ابتداء لا عطف وقد صار لفظه علماً للقرآن[3]. ﴿**الْمُبِينِ**﴾ يحتمل أنه بمعنى البين لمن أنزل عليهم [لكونه][4] [ل١٧٦/أ]بلغتهم، أو المبين لطرق الهداية الموضح لكل ما يُحْتَاج إليه في أبواب الدين، ويدل لهذا ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل: من الآية٨٩).

﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ**﴾ أي الكتاب ﴿**قُرْآناً عَرَبِيّاً**﴾ جواب القسم[5] وهو نحو ما في صدر سورة يوسف: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ (يوسف: من الآية٢) ﴿**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ لكي تفهموه وتحيطوا بمعانيه الرائقة وألفاظه الفائقة، وتقفوا على ما تضمنه من الأدلة الناطقة بخروجه عن طوق البشر، وتعرفوا حق النعمة في ذلك وهو نظير ما يأتي: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (الدخان: ٥٨) وهو كما قال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ (فصلت: من الآية٤٤) تقدم.

﴿**وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ**﴾ أي في اللوح المحفوظ، فإنه أصل الكتب السماوية كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ، فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ (البروج: ٢١، ٢٢) قال ابن عباس: أي

---

(١) انظر: تفسير القرطبي ٦٠/١٦، وتفسير البيضاوي ٣٧١/٨، وتفسير ابن كثير ١٨٥/٤.

(٢) سبق الكلام على الحروف المقطعة ص (٥١).

(٣) انظر: التبيان في إعراب القرآن للعكبري ٣٤١/٢، وتفسير أبي السعود ٢٦/٦.

(٤) في الأصل: "لكونهم" والتصويب من تفسير أبي السعود، حيث ينقل عنه المؤلف كثيراً.

(٥) انظر: الكشاف ٢٢٩/٤، وتفسير أبي السعود ٢٦/٦.

كتبه الله في لوح محفوظ[1]. أخرج ابن مردويه والديلمي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السماوات والأرض وهو عنده فوق العرش، الخلق منتهون إلى ما في ذلك الكتاب"، وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾)[2].

﴿**لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أول ما خلق الله من شيءٍ القلم وأمره أن يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة والكتاب عنده. ثم قرأ: ﴿وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم﴾[3]. ونظيره ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ، لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٧٧-٧٩) كما يأتي إن شاء الله تعالى[4]، والعلي: رفيع القدر، والحكيم: ذو الحكمة البالغة، أو المحكم وهما خبران لـ﴿إنه﴾ وما بينهما بيان محل الكتاب ومحل علوه وحكمته[5]، وأما قوله: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ (آل عمران: من الآية٧) فالمراد هنالك بأم الكتاب غير ما هنا كما نحققه إن شاء الله تعالى.

﴿**أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ**﴾ أي نترك تذكيركم ونبعده وننحيه عنكم، من

---

(١) هذا اللفظ عن ابن عباس هو جزء من أثر مطول ذكره السيوطي في الدر المنثور٥/٧١٤، ولم أجد من ذكره غيره، وعزاه لابن مردويه ٥/٧١٤، ولم أقف على إسناده.

(٢) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في تاريخ أصبهان ١/٣٨٣، وفي سنده سعيد بن عيسى الكريزي قال الدارقطني عنه ضعيف. انظر: ميزان الاعتدال ٣/٢٢٣، وعزاه لابن مردويه والديلمي: السيوطي في جامع المسانيد والمراسيل ٢/٤٨٨، ولم أعثر عليه في مسند الفردوس.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٥/٥٩ من طريق ابن علية عن هشام الدستوائي عن القاسم بن أبي بزة عن عروة بن عامر أنه سمع ابن عباس يقوله، وهذا الإسناد قال عنه د/حكمت بشير: "إسناد صحيح". انظر: التفسير الصحيح٤/٢٩٧، وهو في تفسير ابن أبي حاتم ١٠/٣٢٨١ (١٨٤٩٤) بغير إسناد، وله شواهد من السنن عن عدة من الصحابة، كما قال ذلك ابن كثير ٣/٣٧٥.

(٤) في سورة الواقعة الآيات ٧٧-٧٩ ولكن هذا الجزء مفقود من المخطوط.

(٥) انظر: تفسير البيضاوي ٨/٣٧٣، وتفسير أبي السعود ٦/٢٦، وإعراب القرآن وبيانه للدرويش ٧/٦١.

[ضرب][1] غرائب الإبل عن الحوض ﴿**صَفْحاً**﴾ أي إعراضاً عنكم على أنــه مفعــول للمذكور[2] ﴿**أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ**﴾ منهمكين في الإسراف مصرين عليه، والمعنى أن حالكم وإن اقتضى تخليتكم [ل١٧٦/ب] حتى تموتوا على الكفر والضــلالة وتبقــوا في العذاب الخالد، لكن لسعة رحمتنا لا نفعل ذلك، بل نهديكم إلى الحق بإرســال الرســل وإنزال الكتب.

﴿**وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ**﴾ من الأمم.

﴿**وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾ هي نحو: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (يس: ٣٠) وهو تقرير لما قبله، وإخبــارٌ بــأن إسراف الأمم السالفة لم يمنعه تعالى من إرسال الأنبياء إليهم، وتسليةٌ لرســول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن استهزاء قومه، وقد فصَّل تعالى رسله وأحوالهم مع الأمم بما حكاه جملة.

﴿**فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشاً**﴾ كما قال تعالى: ﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾ (غافر: من الآية٨٢) في عدة آيات فلا يغتر هؤلاء المكذبون بك بقولهم ﴿**وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِــينَ**﴾ أي سلف في القرآن غير مرة ذكر قصصهم التي حقّها أن تسير مسير الأمثال.

﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾ من أوجدهما من العدم ﴿**لَيَقُــولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ**﴾ فيه الإخبار بإقرارهم بالله وكمال صفاته من العزة والعلم البــالغ لكن أدركتهم الشقاوة بتكذيب رسله عليهم السلام، وقولهم: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّــهُ لَأَنْــزَلَ مَلائِكَةً﴾ (المؤمنون: من الآية٢٤) ﴿لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ (هود: من الآيــة١٢) ولكنهم مع ذلك الإقرار جعلوا لله شركاء، قال تعالى استئنافاً وتعداداً لنعمه عليهم:

﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً**﴾ قد وصفها بأنه جعلها فراشاً وبساطاً وجعلــها

---

(١) في الأصل (ضرائب) والتصويب من أصل المؤلف وهو تفسير أبي السعود، وقد استشهد صاحب الكشــاف بقول الحجاج: ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل ٢٣٠/٤.

(٢) انظر: الكشاف ٢٣٠/٤، والدر المصون ٥٧٣/٩، وتفسير أبي السعود ٢٦/٦.

قراراً ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ (البقرة: من الآية٣٦) أي بسطها لتستقروا فيها ﴿**وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً**﴾ تسلكون حيث تريدون ﴿**لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ إلى مقاصدكم وتهتدون إلى ما ترونه من آثار من قبلكم، ومما بثه الله من آياته إلى الإيمان وزيادته.

﴿**وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ**﴾ بمقدارٍ اقتضته حكمته ورحمته ولطفه بخلقه، قدر أوقاته النافعة وقطراته الواقعة وساعاته، وهذا القيد مراد في كل آية أطلق فيها عنه ﴿**فَأَنْشَرْنَا بِهِ**﴾ أحيينا بذلك الماء ﴿**بَلْدَةً مَيْتاً**﴾ خالية عن النباتات بالكلية، والالتفات بنون العظمة لإظهار كمال العناية بالإحياء[1]، وقد كرر تعالى هذا المعنى في كتابه تذكيراً للعباد[ل١٧٧/أ] بالمنة واستدلالاً عليهم بالإعادة[2] كما قال: ﴿**كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ**﴾ تبعثون من قبوركم أحياء بعد الإماتة، والاستدلال بهذا قد ملأ الله به كتابه الكريم.

﴿**وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا**﴾ تقدم في يسٓ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ﴾ (يسٓ: ٣٦) والأزواج: أنواع المخلوقات، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الأزواج: الضروب والأنواع كالحُلو والحامض، والأسود والأبيض، والذكر والأنثى[3]. وقيل: ما سوى الله فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار إلى غير ذلك[4]. ﴿**وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ**﴾ التي سخرها للعباد ﴿**وَالأَنْعَامِ**﴾ هي الأزواج الثمانية، المركوب منها الإبل فهي المراد هنا، عبر عنها به تعظيماً لشأنها، من إطلاق الكل على البعض[5] كما دل له قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً﴾ -إلى قوله-: ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ (يسٓ:

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود٢٧/٦، والتحرير والتنوير١٧١/١٢.

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ...﴾ الآية (فاطر: من الآية٩)، وكقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ...﴾ الآية (النحل: من الآية٦٥).

(٣) نسبه أبو السعود لابن عباس رضي الله عنهما و لم أعثر على من ذكره غيره. انظر: تفسير أبي السعود٢٧/٦.

(٤) ذكره الرازي في تفسيره، وصدّره بقوله: "وقال بعض المحققين" التفسير الكبير ١٧٠/٢٧، وذكر الزمخشري كلاماً شبيهاً بهذا عن الحسن. انظر: الكشاف ٣٩٤/٤.

(٥) يعني إطلاق الكل وهو لفظ الأنعام وإرادة البعض وهي الإبل.

من الآية٧١، ٧٢) وهو يقرن بينهما كثيراً كقوله: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ • وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ﴾ (يس: من الآية٤١، ٤٢) ﴿**مَا تَرْكَبُونَ**﴾ ولذا يقال للأنعام: سفن البر.

﴿**لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ**﴾ الفلك والأنعام بيان لوجه جعله تعالى لهم ما ذكر أنه للعناية بهم في الركوب والإنعام عليهم به، ويتفرع عنه قوله: ﴿**ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ**﴾ مالككم عليكم ﴿**إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ**﴾ بأنه أنعم عليكم بحملها لكم تبلغون عليها ما تريدون من حاجاتكم ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (يونس: من الآية٢٢) ﴿**وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا**﴾ يسر وذلّل ﴿**هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ**﴾ مطيقين من أقرن الشيء إذا أطاقه[1].

﴿**وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ**﴾ الشيء بالشيء يذكر أمر مع ركوبهم لأسفارهم ونحوها أن يذكروا الانقلاب الحقيقي إلى لقاء الله.

﴿**وَجَعَلُوا**﴾ أي القائلون أن الله خلق السموات والأرض ﴿**لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً**﴾ بأن افتروا أن له ولداً والولد جزء من الأب وبضعة منه، ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلم: (إن فاطمة بضعة مني)[2]. ﴿**إِنَّ الإنسان لَكَفُورٌ مُبِينٌ**﴾ واضح الكفر [ل١٧٧/ب] بيّنه، وذلك الجعل بقولهم: الملائكة بنات الله، ولذا قال:

﴿**أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ**﴾ أم منقطعة وهي للانتقال من بطلان جعلهم له تعالى الولد[3] ﴿**وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ**﴾ أي خصكم بأشرف النوعين عندكم.

﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ**﴾

---

(١) انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ٣٨٤/٣ مادة (قرن)، وتاج العروس للزبيدي ٥٤٤/٣٥، مادة (قرن).

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب فاطمة رضي الله عنها ١١٥٤/٣ (٢٩)، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليه الصلاة والسلام ١٦/٤ (٢٤٤٩).

(٣) انظر: تفسير أبي السعود٢٨/٦.

تقدم في النحل: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ...﴾ الآية (النحل: من الآية٥٨، ٥٩) وهم يجعلون لله ما يسوء جعله لهم، وما تَسْوَدُّ به وجوههم، ويمتلؤن منه كرباً، فهو كما قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ (النحل: من الآية٦٢).

﴿**أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ**﴾ وهن الإناث، فإن الحلية لهن، ولذا أُحلّ لهن الذهب والحرير وحُرِّم على الرجال ولذا قيل:

كُتِبَ القَتْلُ والقِتَالُ عَلَيْنا وعلى الغانِيَاتِ جَرُّ الذُّيولِ[1]

﴿**وَهُوَ فِي الْخِصَامِ**﴾ في الجدال ﴿**غَيْرُ مُبِينٍ**﴾ لا يقوم بحجته وهو أيضاً تبكيت لهم وإبانة لقبح اختيارهم.

﴿**وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً**﴾ سموهم بذلك ﴿**أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ**﴾ حين خلقهم الله إناثاً، فإن الشهادة لا تكون إلا عن مشاهدة ﴿**سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ**﴾ يكتبها الحفظة ﴿**وَيُسْأَلونَ**﴾ عنها يوم القيامة.

﴿**وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ**﴾ عدم عبادتنا الملائكة ﴿**مَا عَبَدْنَاهُمْ**﴾ وقد تقدم قوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ...﴾ الآيات (سبأ: ٤٠) ومرادهم هنا: أنه لو شاء عدم عبادتنا إياهم لمنعنا لعموم قدرته ولكنه لم يمنعنا كما يطلبه الرسل منا، وهو نحو قولهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ (الأنعام: من الآية١٤٨) ﴿أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ (يس: من الآية٤٧) ﴿**مَا لَهُمْ بِذَلِكَ**﴾ مما يقولونه ﴿**مِنْ عِلْمٍ**﴾ بل يقولونه كذباً وافتراءً على الله ﴿**إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ**﴾ أي يظنون ذلك ويأتي بلفظ: ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ (الجاثية: من الآية٢٤) وفيه النهي عن التكلم بالظن فيما يتعلق بجناب الله تعالى فإنه لا يُتكلم فيه إلا بالعلم ولذا قال:

﴿**أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِنْ قَبْلِهِ**﴾ أي القرآن، أو من قبل محمد صلى الله عليه وآله

---

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة من قصيدة قالها لما قتل مصعب بن الزبير عمرة زوجة المختار بن أبي عبيد الثقفي، انظر: ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ١٧٦ (٣٢٥)، وتفسير القرطبي ٢٤٩/٢، ومجموع الفتاوى ١١٨/٢٢.

وسلم، فإنه لا يَتكلم بمثل هذا إلا من كان قد آتاه الله كتاباً يستدل به فهو نحو قوله: ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ (الأحقاف: من الآية٤) [ل١٧٨/أ] ونحو: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا﴾ (القصص: من الآية٤٩) ﴿**فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ**﴾ وعليه يعولون فيما يأتون ويذرون، وهو تبكيت لهم وإلا فقد قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا...﴾ الآية (سبأ: من الآية ٤٤) إنما الذي أتاه الكتاب وأمر باتباعه هو رسوله الذي قال له: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الزخرف: ٤٣)

﴿**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ**﴾. أخرج عبد بن حميد عن عاصم قال: الأمة في القرآن على وجوه ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ (يوسف: من الآية ٤٥): بعد حين، ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ (القصص: من الآية٢٣) قال: جماعة من الناس، ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ (الزخرف: من الآية٢٢) قال: دين[1]. ﴿**وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ**﴾ وهو نحو قولهم للخليل: ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: من الآية٥٣) وقولهم له: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً﴾ -إلى قولهم-: ﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (الشعراء: من الآية٧١-٧٤) ومنه قول فرعون وقومه: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ (يونس: من الآية٧٨) وقول قوم شعيب: ﴿أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا...﴾ الآية (هود: من الآية٨٧) ولذا قال تعالى:

﴿**وَكَذَلِكَ**﴾ أي ومثل هذا القول الذي قالوه لك قاله من قبلهم ﴿**مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا**﴾[2]: أهل النعم فيها والذين أوسعنا عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ (المؤمنون: من الآية٣٣) وقوله: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ (الإسراء: من الآية١٦) وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا

---

(١) عزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور٥/٧١٩، ولم أعثر على إسناده.

(٢) لم يذكر في الأصل بعد هذا الجزء من الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾.

أُرْسِلْتُمْ[(١)] بِهِ كَافِرُونَ﴾ (سبأ: ٣٤) وقوله لهم في طبقات النار: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ (الواقعة: ٤٥) والآية دالة على أن أهل الإتراف هم أهل الكفر والإسراف وهم الذين يضلون ضعفائهم ويقولون: ﴿لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ (سبأ: من الآية٣١) وأتباع الرسل هم الذين سماهم...[(٢)]أهل الإتراف أراذلهم وقالوا: ﴿وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾ (الشعراء: من الآية١١١) ﴿**وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ**﴾ مقلدون متبعون لا نعدل عنهم.

﴿**قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى**﴾ بدين أهدى ﴿**مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ**﴾ من دين كانوا عليه ﴿**قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ**﴾ أي قالت كل أمة لرسولها هذه المقالة، وأعلنوا بكفرهم [وجَحْدِهم][(٣)] لما أُرْسِلَت به رسل الله، وفي قولهم: ﴿بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ إقرارٌ بالرسالة من باب قوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ (النمل: من الآية ١٤) وهو الذي يوافق قوله:

﴿**فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ**﴾ لأنه لا ينتقم إلا بعد إقامة الحجة، ولا يرسل رسولاً إلا وأقام الأدلة على أن الذي يدعو إليه هو الحق، وعَلَّم مَنْ أُرْسِلَ إليهم أنه الحق، ولذا كرر الله ذكر أنه لا يعذب أحداً حتى يرسل إليه الرسل ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ (الإسراء: من الآية١٥) ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (النساء: من الآية١٦٥) فلا يقع منه تعالى الانتقام إلا بعد قيام الحجة، وإذعان المُرْسَل إليه بها وتصديقه، وإن جحدها لفظاً ﴿**فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ للحق وهذا الانتقام مجمل فصله في آيات كثيرة في قصص رسله، بالصيحة أو الإغراق أو الخسف أو قلب الأرض بهم والريح العقيم، ثم ذكر تعالى بعض من أجمله من الرسل في قوله آنفاً: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ﴾ (الزخرف: من الآية٢٣) بقوله:

﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ**﴾ اذكر وقت قوله ﴿**لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ**﴾ المكبين على متابعة آبائهم في

---

(١) [ل١٧٨/ب].

(٢) في الأصل زيادة لفظ: "الله تعالى" وهو خطأ بيّن ولعله سبق قلم من الناسخ.

(٣) في الأصل: "وجحدوهم" وما أثبت يقتضيه السياق.

الضلال ﴿**إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ**﴾ من الأوثان أي من عبادها، وقد فصَّل تعالى هذه البراءة وأمر المؤمنين بها حيث قال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ (الممتحنة: من الآية٤).

﴿**إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي**﴾ يحتمل أنه منقطع لأن كلمة ما لا تشمل أولي العلم ويحتمل الاتصال إذ كانوا يعبدون الله والأصنام(١)، والخليل كثير الاستدلال بفطرة الله لما في الأكوان ولها، كما قال بعد البراءة من ربوبية الكوكب والقمر والشمس: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ (الأنعام: من الآية ٧٩) وتبعه حفيده الصديق(٢) حيث قال: ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي...﴾ الآية (يوسف: من الآية١٠١) ﴿**فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ**﴾ يثبتني على الهداية.

﴿**وَجَعَلَهَا**﴾ أي البراءة عن عبادة غير الله ﴿**كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ**﴾ فأوصى بها بنيه كما قال تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ...﴾ الآية (البقرة: من الآية١٣٢) ودعا [ل١٧٩/أ] ربه لبنيه بذلك فقال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ (إبراهيم: من الآية٣٥) وقال في ذريته الذين أبقاهم في البيت الحرام: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ (إبراهيم: من الآية٣٧) وقوله: ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ (البقرة: من الآية١٢٨) ﴿**لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ أي جعلها كذلك لعل من أشرك يرجع إلى التوحيد إذا رأوا من يتبرأ من الشرك ويفرد الله بالعبادة، فضمير ﴿لعلهم﴾ و﴿يرجعون﴾ كضمير ﴿مما تعبدون﴾ للكفار وقوله:

﴿**بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلاءِ**﴾ إضراب عن شيء مطوي هو أن ما ترجاه الخليل عليه السلام من رجوعهم لم يقع ولا رجعوا(٣) ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاءِ﴾ (الأنبياء: من الآية٤٤) الذين عاصروا

---

(١) انظر: تفسير البيضاوي ٣٨٥/٨، وتفسير أبي السعود ٣٢/٦.

(٢) أي: يوسف عليه السلام.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود٣٢/٦، وتفسير الآلوسي ١٠٧/٢٥.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم من أهل مكة ﴿**وَ**﴾ متعنا ﴿**آبَاءَهُمْ**﴾ بالمد في أعمارهم وإدرار النعم عليهم ﴿**حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ**﴾ القرآن ﴿**وَرَسُولٌ**﴾ محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿**مُبِينٌ**﴾ ظاهر الرسالة واضحها بالمعجزات الباهرة، أو مبين للتوحيد بالأدلة العقلية، والبراهين بالآيات القرآنية التي لا يبقى معها شبهة للناظر ولا حجة لمناظر.

﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ**﴾ من القرآن أصروا على العناد وعلى الإقامة على عبادة الأنداد والاستهزاء بالرسول ﴿**قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ**﴾ مكذبون منكرون قرآنيته، ثم فاهوا بما عرفوه من قرآنيته بقولهم:

﴿**وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ**﴾ فهذا تصريح بأنه منزلٌ وأنه قرآنٌ، لا سحرٌ كما قالوه أولاً، فهو إخبار عن استيقان أنفسهم بأنه منزل وأنه قرآن، لكن كان الأولى أن ينزل على غير من جاءنا به، وقيل: بل قالوا إنه منزل وإنه قرآن تهكماً، والأول عندي أظهر وإلا لما عوقبوا في الآخرة كما قررناه مراراً وهم ردوا الحق بقولهم: سحر، وردوا الرسول بقولهم: ﴿**لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾ أرادوا بالرجل وبالقريتين ما أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سُئل ما القريتان؟ قال: الطائف ومكة، قيل: فمن الرجلان؟ قال: [عروة][(1)] بن مسعود وخيار قريش[(2)]. وأخرج عنه ابن جرير والثلاثة الأولون[(3)] أن الرجل [ل١٧٩/ب] العظيم: الوليد بن المغيرة القرشي، وحبيب بن عمير الثقفي[(4)]. وعيّن القائل ما أخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن قتادة: قال الوليد بن المغيرة: لو كان ما يقول محمد حقاً أنزل علي[(5)] هذا القرآن أو على عروة بن مسعود الثقفي. فأنزل الله

---

(١) في الأصل: "عمير" والتصحيح من مصادر التخريج.

(٢) عزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور ٧٢١/٥، ولم أعثر على إسناده.

(٣) أي عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٧٨/٢٥ من طريق عطية العوفي وهو ضعيف قد تقدم الكلام عليه ص (٦٧) وعزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور ٧٢١/٥.

(٥) قوله: "علي" جاء ملحقاً بالحاشية، وعليه: "صح".

الآية[1]. وأجاب تعالى عنهم بقوله:

﴿**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ**﴾ الرحمة: النبوة، هو نحو: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام: من الآية١٢٤) أي هو الذي يقسم النبوة ويعلم من هو أهل لها، فإنكم إنما تنظرون إلى الدنيا وعظماء أهلها برئاستها وأموالها وتظنون أن أولئك هم الذين يستحقون النبوة، ﴿**نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ بعد إنكاره عليهم ما قالوه من إنزال القرآن على من أرادوه، أقام عليهم الدليل بأن معاشهم وأسبابه هو الذي قسمها بينهم، ولو كانت إلى اختيارهم لاختار كل منهم هواه ونال ما تمناه، ولو كان كذلك لفسدت أمورهم وعظمت شرورهم كما قال تعالى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ (المؤمنون: من الآية٧١) ولذا قال: ﴿**وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ**﴾ في أرزاقهم وسائر أحوالهم، ولا يستطيع أحد أن يفعل إلا ما أقامه الله فيه، فيجب على كل إنسان القنوع والرضى والعلم بأن مالكه هو الذي وضعه حيث أقامه فيه، وتقدم في الأنعام ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾(الأنعام: من الآية١٦٥) وعليه قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (المائدة: من الآية٤٨) وتفسير الابتلاء هو ما علّل به هنا من قوله: ﴿**لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً**﴾ ثم ذكر حكمة القسمة والرفع بقوله: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً﴾ (الزخرف: من الآية٣٢) فيكون هذا رئيساً وهذا مرؤوساً، وهذا خادم وهذا مخدوم، فيتصرفون في مصالحهم ويستخدموهم في حوائجهم، وينال المعدم من الموسر، ويحتاج كل منهما إلى الآخر فيترافدون ويتعاضدون ويصلون إلى مرافقهم، ولو فُوِّض ذلك إليهم لضاعوا وهلكوا لسوء تدبيرهم وجهلهم بعواقب الأمور، فإذا عجزوا عن تدبير أحوالهم الخاصة بهم فكيف يعترضون على أمر النبوة [ل١٨٠/أ].

أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في الآية قال: قسم بينهم

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١٦٨/٣ (٢٧٦٢)، وابن جرير في تفسيره ٧٨/٢٥، كلاهما من طريق معمر عن قتادة، وهو إسناد حسن قد تقدم الكلام عليه ص (١٢٨)، وعزاه لابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور٧٢١/٥.

معيشتهم في الحياة الدنيا، قسم بينهم صورهم وأخلاقهم، وتبارك وتعالى ربنا ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ قال: فتلقاه ضعيف الحيلة عيي اللسان وهو مبسوط له في الرزق، وتلقاه شديد الحيلة بسيط اللسان وهو مُقْتَر عليه ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً﴾ قال: فبذلك يتسخر بعضهم بعضاً، بلاءٌ يبتلي الله به عباده، فالله الله فيما ملكت يمينك[1].

﴿**وَرَحْمَتُ رَبِّكَ**﴾ فسرها الأكثر بالنبوة[2]، وفُسِّرت في قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس: ٥٨) بالقرآن لأنه الذي تقدم[3] وفسرها قتادة بالجنة[4] ﴿**خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ من حطام الدنيا الدنية الفانية.

﴿**وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾ أخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يقول الله: لولا أن يجزع عبدي المؤمن لعصبت للكافر عصابةً من حديد فلا يشتكي شيئاً أبداً ولصببت عليه الدنيا صباً). قال ابن عباس: قد أنزل الله شبه ذلك في كتابه في قوله: ﴿وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ...﴾ الآية[5] (الزخرف: من الآية٣٣) ﴿**لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ**﴾ بدل اشتمال بإعادة اللام وجمع الضمير ذهاباً إلى معنى مَنْ[6]، وأفرده في ﴿**يَكْفُرُ**﴾ ذهاباً إلى لفظها ﴿**سُقُفاً**﴾ جمع سَقْف، كرُهُنْ جمع رَهْن[7] ومنه: ﴿وَجَعَلْنَا

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٨٠/٢٥ من طريق سعيد عن قتادة وهو إسناد حسن قد تقدم الكلام عليه ص؟؟؟، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور٧٢٢/٥.

(٢) انظر: تفسير القرطبي٨٢/١٦، وتفسير ابن كثير١٩٢/٤، ولم يعزوانه إلى أحد.

(٣) وهو مروي عن أبي سعيد الخدري، وعن قتادة. انظر: تفسير الطبري١٤٤/١١.

(٤) انظر: تفسير الطبري٨١/٢٥.

(٥) أخرجه ابن عدي في الكامل ٧٤٣/٢، في ترجمة الحسن بن الحسين العرني الكوفي، وأخرج قبله حديثاً آخر، ثم قال بعدهما: "وهذان الحديثان ليسا بمحفوظين يرويهما حسن بن الحسين، وللحسن بن الحسين أحاديث كثيرة ولا يشبه حديثه حديث الثقات"، ا.هـ وقال أبو حاتم عنه: "لم يكن بصدوق عندهم، وكان من رؤساء الشيعة، انظر: الجرح والتعديل ٨/٣ (٢٣١٣) عزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور٧٢٢/٥.

(٦) انظر: تفسيرالكشاف ٢٤٢/٤، والدر المصون ٥٨٤/٩، وتفسير أبي السعود ٣٣/٦.

(٧) معاني القرآن للفراء ٣٢/٣، والكشاف ٢٤٣/٤.

السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً﴾ (الأنبياء: من الآية ٣٢) ولعله يجعلها كجعله السماء سقفاً تامة لا يحتاجون إلى صنعتها، ويحتمل تُوَسَّع عليهم حتى يفعلوا ذلك بأنفسهم ﴿**مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ**﴾ جمع مَعَرج أي مصاعد من فضة ﴿**عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ**﴾ يعلون السطوح.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية قال: يقول: لولا أن أجعل الناس كلهم كفار لجعلت لبيوت الكفار سقفاً من فضة ومعارج من فضة وهي درج عليها يصعدون إلى الغرف وسرر فضة وزخرفاً[1].

﴿**وَلِبُيُوتِهِمْ**﴾ أي وجعلنا [ل١٨٠/ب] لبيوتهم ﴿**أَبْوَاباً وَسُرُراً**﴾ من فضة ﴿**عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ**﴾ وزيادة لفظ: بيوتهم لزيادة التقرير.

﴿**وَزُخْرُفاً**﴾ عطف على محل ﴿مِنْ فِضَّةٍ﴾ [2]، أو أريد به الزينة. أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن الحسن في الآية قال: لولا أن يكون الناس أجمعون كفاراً فيميلوا إلى الدنيا لجعل الله لهم الذي قال، قال: وقد مالت الدنيا بأكثر أهلها وما فعل ذلك فكيف لو فعله؟[3]. وأخرج أحمد والحاكم عن ابن مسعود في قوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب،

---

(١) علقه البخاري في صحيحه ص ١٠٣١، كتاب التفسير، سورة حمٓ الزخرف، ووصله الطبري في تفسيره ٨١/٢٥ من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وهو إسناد حسن قد تقدم الكلام عليه ص (١٣٦)، وهو في تفسير ابن أبي حاتم ٣٢٨٢/١٠ (١٨٥٠٤) بدون إسناد، وقد أورد الحافظ ابن حجر إسناد ابن أبي حاتم في تغليق التعليق ٣٠٥/٤ وهو من طريق علي بن أبي طلحة أيضاً، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم: السيوطي في الدر المنثور ٧٢٢/٥.

(٢) انظر: الكشاف ٢٤٣/٤، والبيان في إعراب غريب القرآن للأنباري ص٢٩٥.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٨١/٢٥ عن ابن بشار عن هوذة بن خليفة عن عوف عن الحسن به. وابن بشار هو محمد بن بشار العبدي تقدم الكلام عليه ص٩١، وهوذة بن خليفة بن عبد الله الثقفي أبو الأشهب البصري الأصم صدوق مات سنة ٢١٦هـ. انظر: السير١٢١/١٠ (١٣)، والتقريب ص١٠٢٥ (٧٣٧٧)، وعوف هو ابن أبي جميلة الأعرابي العبدي البصري ثقة رمي بالقدر والتشيع تقدم الكلام عليه ص٩١، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور ٧٢٢/٥.

ولا يعطي الدين إلا من يحب، فمن أعطاه الدين[1] فقد أحبه)[2] ﴿**وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ**﴾ الذي ذكره تعالى ﴿**لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ متاع قليل ثم يزول، وكل ذاهب لديه خيـــال[3] ولذا قيل:

أَشَدُّ الهَمِّ عندي في سُرورٍ تَيقَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ انْتِقَالا[4]

﴿**وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ الذي ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَـــوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ (الرعد: من الآية٣٥)

﴿**وَمَنْ يَعْشُ**﴾ من عشا يعشو إذا كان عن غير آفة، وعشى يعشي إذا كان في بصره آفة[5]، وبهما قُرِأ[6] أي من يتعامى ﴿**عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ**﴾ أي القرآن أي يتعامى قلبه عن تأمله ولسانه عن تلاوته، والعشى هنا للقلب كالعمى في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَـــا لا تَعْمَـــى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: من الآية٤٦) وتقدم: ﴿وَنَحْشُـــرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً﴾ (الإسراء: من الآية٩٧) ولذا يقول الكـــافر: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً﴾ (طـه: من الآية١٢٥)[7] ﴿**نُقَـــيِّضْ لَـــهُ**﴾ نيســـر

---

(١) كانت في الأصل: "الدنيا" ثم أصلحها الناسخ بين السطور.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥٣٩/٣ (٣٦٧٢)، والحاكم في مستدركه ٤٨٥/٢ (٣٦٧١) والبيهقـــي في شعب الإيمان ١١٩/٢ (٥٩٩)، وقال الحاكم: "حديث صحيح الإسناد ولم يخرجـــاه"، وقـــال الـــذهبي في التلخيص: "صحيح"، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: "رواه أحمد ورجاله وثقوا وفي بعضهم خلاف". انظر: مجمع الزوائد ٢٨٢/١٠، والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الجامع ص٢٣٥ (١٦٢٥).

(٣) هكذا في الأصل ولم يتبين لي مقصود المؤلف رحمه الله من هذه العبارة.

(٤) البيت لأبي الطيب المتنبي إلا أنه قال: "أشد الغم عندي"، انظر: العرف الطيب شرح ديـــوان أبي الطيـــب ص(١٤٠)، وتفسير البحر المحيط ١٦٩/٧.

(٥) انظر: الكشاف ٢٤٤/٤، وتفسير أبي السعود ٣٤/٦.

(٦) أي بضم الشين وفتحها، والضم هي القراءة المتواترة، والذي قرأ بالفتح هو يحيى بن سلام البصري وهي قراءة شاذة انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٥٥/٥، والبحر المحيط٢٤/٨، والدر المصون ٥٨٦/٩.

(٧) سياق الكلام يدل على أن المؤلف رحمه الله يستشهد بهذه الآية على عمى القلب بينما العمى فيهـــا عمـــى العين، وهو الذي رجحه الطبري في تفسيره ٢٦٧/١٦.

﴿**شَيْطَاناً**﴾ من شياطين الإنس أو الجن كما سلف: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ (فصلت: من الآية٢٥) ﴿**فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾ لا يفارقه بوسوسته وإغفاله عن ذكر الله تعالى، أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن) قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: (وإياي إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير)[1] وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما[ل١٨١/أ] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن) قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: (وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم)[2]. هذا القرين هو الذي قال الله إنه يقول له يوم القيامة: ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ (قّ: من الآية٢٣) كما يأتي في تفسير الآية[3]، وأنه أحد الوجهين[4] فقرين السوء عقوبة لمن أعرض عن الله وذكره.

﴿**وَإِنَّهُمْ**﴾ أي القرناء أي كل قرين قيض لإنسان ﴿**لَيَصُدُّونَهُمْ**﴾ جمع الضمائر باعتبار معنى ﴿من﴾ كما أفرده فيما قبل نظراً إلى لفظها[5]﴿**عَنِ السَّبِيلِ**﴾ الطريق التي دلهم عليها القرآن ﴿**وَيَحْسَبُونَ**﴾ أي المصدودين ﴿**أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ يعتقدون ذلك في أنفسهم لأنها قد وقرت في قلوبهم ما ألقاه القرناء، ويحتمل أن ضمير ﴿أَنَّهُمْ﴾ للقرناء أي حسب المصدودون أن القرناء مهتدون فتبعوهم، والأول الوجه[6].

﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَنَا**﴾ الصاد والمصدود ﴿**قَالَ**﴾ المصدود للصاد: ﴿**يَا لَيْتَ بَيْنِي**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قريناً ١٣٠/١٧ (٢٨١٤)، وعزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور ٧٢٤/٥.

(٢) عزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور ٧٢٤/٥، ولم أعثر على إسناده ويشهد له ما قبله.

(٣) سورة ق، آية ٢٣ لكنه في الجزء المفقود من المخطوط.

(٤) المقصود بالوجهين في قوله تعالى: ﴿هذا ما لدي عتيد﴾ قيل: إن القائل هو الملَك، وهو قول الحسن وقتادة والضحاك، وقيل: هو قول قرينه الذي قيض له من الشياطين وهذا قول مجاهد، انظر: تفسير القرطبي ١٩/١٧.

(٥) انظر: الدر المصون ٥٨٩/٩، وتفسير أبي السعود ٣٤/٦.

(٦) ذكر الوجهين القرطبي في تفسيره ٨٨/١٦، وأبو السعود في تفسيره ٣٤/٦، من دون عزو.

وَبَيْنَكَ﴾ في الدنيا ﴿**بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ**﴾ أي المشرق والمغرب أي تباعد ما بينهما وإنما غلب المشرق وثنى وأضيف [البعد][1] إليهما ﴿**فَبِئْسَ الْقَرِينُ**﴾ كنت في الدنيا أضللتني عن الذكر بعد إذ جاءني، وهو نحو قوله: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾ (العنكبوت: من الآية٢٥) ويقولون: ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً﴾ (الأحزاب: ٦٨).

﴿**وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ**﴾ إعلام من الله تعالى إخبارٌ لهم بأنه لا نفع للتأسي الذي يكون في الدنيا ما يحصل به نوع تخفيف وتسلية، فأخبرهم الله أن هذا النوع لا يكون في المشتركين في العذاب؛ فإن القرين لا يجد راحة بعذاب قرينه ولا أدنى فرح، وإن كان نفع ذلك في الدنيا كما قيل:

ولَوْلا كَثْرَةُ الباكِينَ حَوْلِي ... على إخْوَانِهِمْ لقَتَلْتُ نَفْسِي

وما يَبكونَ مِثلَ أخي ولكِنْ ... أُعَزِّي النَّفْسَ عَنهُ بالتَّأسِّي[2]

لما كان صلى الله عليه وآله وسلم شديد التهالك[3] والمحبة لإسلام من بُعِثَ إليهم أنزل الله [ل١٨١/ب] عز وجل تسلية له قوله:

﴿**أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ**﴾ قد سماهم الله صماً وعمياً في عدة آيات وأخبر أن على أبصارهم غشاوة[4] وقال: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: من الآية١٧١) ﴿**وَمَنْ كَانَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ أي من كمن فيه واستقر بحيث لا إرعواء له منه، والآية إعلام له صلى الله عليه وآله وسلم بأن استمرار ضلالهم ليس من جهة المبلِّغ

---

(١) ساقطة من الأصل وإضافتها من تفسير أبي السعود، وبها يستقيم الكلام، حيث ينقل عنه المصنف كثيراً.

(٢) البيتين للخنساء في رثاء أخيها صخر. انظر: شرح ديوان الخنساء للحوفي ص ٦٢، والكامل في اللغة المبرد ٥٤/١.

(٣) عبّر المؤلف رحمه الله بهذه العبارة، ومراده واضح، ولكن لو قال: شديد الحرص، لكان أليق بمقام النبوة على صاحبها الصلاة والسلام.

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة: ٧)

والداعي لهم إلى الهدى، بل لا يقدر إلا الله على هدايتهم.

﴿**فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ**﴾ بالوفاة قبل نصرك عليهم وشفاء صدرك منهم ﴿**فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ**﴾ لا محالة في الدنيا والآخرة، والآية نظير قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (غافر: من الآية٧٧).

﴿**أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ**﴾ توعدناهم من العذاب ﴿**فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ**﴾ أخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ﴾ قال: يوم بدر[1]. وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه، عن قتادة في قوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ قال: قال أنس: ذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبقيت النقمة فلم يُرِ الله نبيه في أمته شيئاً يكرهه حتى قُبِض، و لم يكن نبي قط إلا وقد رأى العقوبة في أمته[2] إلا نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم. قال قتادة: وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى ما يصيب أمته بعده فما رُئِي ضاحكاً منبسطاً حتى قبض[3].

قلت: وذلك ما يقع بعده من إلقاء بأسهم بينهم وقتال بعضهم لبعض كما صرحت به الأحاديث[4] على أن الآية ظاهرة هي ونظائرها في أن المراد إراءته ما يعذب تعالى به الكفار الذين لم يؤمنوا به، وهي أمة الدعوة لا أمة الإجابة[5].

---

(١) عزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور ٧٢٥/٥، و لم أعثر على إسناده.

(٢) في هذا الكلام نظر، بل يوجد من الأنبياء من لم ير العقوبة في أمته، مثل يونس وداود وسليمان، والله أعلم.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١٧٠/٣ (٢٧٦٩)، والطبري في تفسيره ٩٠/٢٥، كلاهما من طريق معمر عن قتادة، من قوله لا من قول أنس، وعند الطبري في تفسيره ٩٠/٢٥ متابع له من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة وهذه الأسانيد كلها حسان تقدم الكلام عليها ص ٥٦، وأخرجه الحاكم في مستدركه ٤٨٥/٢ (٣٦٧٢) عن معمر عن قتادة عن أنس رضي الله عنه به، وقال: "صحيح الإسناد و لم يخرجاه"، وقال الذهبي في التلخيص: "صحيح"، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور٧٢٤/٥.

(٤) كما جاء في صحيح مسلم: (سَأَلْتُ ربي ثلاثا. فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ ومنعني واحدة؛ سأَلت ربي أن لا يهلِك أمَّتِي بالسَّنَة فأَعطانيها. وسأَلته أَن لا يهلِك أُمَّتِي بالغرق فأعطانيها. وسَأَلته أَن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها). انظر: صحيح مسلم، كتب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ١٢/١٨ (٢٨٩٠).

(٥) قال العيني رحمه الله: "كل من على وجه الأرض من المسلمين والكفار أمته-يعني النبي صلى الله عليه وسلم- =

﴿**فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ**﴾ أي كن شديد التمسك بالقرآن، وذكر علة الأمر بذلك فقال: ﴿**إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ وهو نظير ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ﴾ (النمل: من الآية ٧٩) ونظير ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ • عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (يس: ٣، ٤) وهو صراط الله كما قال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ • صِرَاطِ اللَّهِ...﴾ الآية (الشورى: من الآية٥٢، ٥٣).

﴿**وَإِنَّهُ**﴾ أي القرآن ﴿**لَذِكْرٌ**﴾ أي شرف وفخر ﴿**لَكَ**﴾ إذ أنزله عليك ﴿**وَلِقَوْمِكَ**﴾ [ل١٨٢/أ] إذ نزل بلغتهم على رجل منهم، والمراد بهم من اتبعه كما أخرجه عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ﴾ يعني القرآن ﴿وَلِقَوْمِكَ﴾ يعني من اتبعك من أمتك[1]. ﴿**وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ**﴾ عنه وعن حقوقه.

﴿**وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا**﴾ أي اسأل أممهم وعلماءهم، كما دل له ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (يونس: من الآية٩٤) قال الفرّاء: هم إنما يخبرونه عن كتب الرسل وكأنه سأل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[2].

قلت: وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن سعيد بن جبير في الآية، قال: بلغنا أنه ليلة أسري به رأى الأنبياء صلى الله عليهم[3]. وأخرج ابن جرير عن ابن زيد في الآية قال: جمعوا له ليلة الإسراء

=

أما المسلمون فإنهم أمة إجابة، وأما الكفار فإنهم أمة دعوة". انظر: عمدة القاري ٢/١٧٥.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٥/٩١، من طريق بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة به، وهو إسناد ثابت تقدم الكلام عليه ص (٥٦)، وعزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور ٥/٧٢٥.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء٣/٣٤.

(٣) لم أجده في تفسير ابن جرير، ولا في المطبوع من سنن سعيد بن منصور، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور٥/٧٢٦، وقد ذكره القرطبي في تفسيره١٦/٩٣ عن سعيد بن جبير ولم أجد له سنداً، ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم للأنبياء ليلة أسري به ثابتة من أحاديث أخرى كحديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه عند البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج ٣/١١٨٦ (٣٨٨٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات وفرض الصلوات (١٦٤).

ببيت المقدس[(١)].

﴿**أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ**﴾ وسبق قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥) أي هل حكمنا بعبادة الأوثان؟ وهل جاءت عبادها في ملة من مللهم؟ والمراد: الاستشهاد على إجماع الأنبياء على التوحيد، والتنبيه على أنه ليس ببدع ابتدعه حتى يُكَذَّب ويُعَادى، ثم قص الله تعالى عليه بعض قصص من أرسله قبله، تسليةً له واستشهاداً على أن الرسل لم يأتوا إلا بالدعاء إلى التوحيد فقال:

﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ تقدم تفاصيل القصة وتكررها وجواب فرعون بقوله: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وجواب موسى[(٢)].

﴿**فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا**﴾ بعد اقتراحٍ لها بقوله: ﴿إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الأعراف: من الآية١٠٦) ﴿**إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ**﴾ يستهزؤون بها فيضحكون وتقدمت أقوالهم أنها سحر[(٣)].

﴿**وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا**﴾ قد ذكر تعالى أنه أرسل موسى بتسع آيات ثم أخبر هنا أن كل واحدة أكبر من أختها، قال المفسرون: أي وهي بالغة أقصى درجات الإعجاز بحيث يحسب الناظر فيها أنها أكبر مما يقاس من الآيات إليها،[ل١٨٢/ب] والمراد وصف الكل بالكِبَر كقولك رأيت رجالاً بعضهم أفضل من بعض[(٤)] وقوله:

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره٢٥/٩٢ من طريق يونس عن ابن وهب عن ابن زيد من قوله، وهو إسناد ضعيف قد تقدم الكلام عليه ص٥١.

(٢) تقدم في سورة الشعراء من آية (١٠) إلى آية (٦٨).

(٣) كما في قوله تعالى في سورة النمل: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (النمل: ١٣).

(٤) انظر: الكشاف٤/٢٤٩، وتفسير أبي السعود٦/٣٦.

مَنْ تَلقَ مِنْهُمْ تَقُلْ لاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِها السَّارِي[1]

﴿**وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ**﴾ أي بما أرسله تعالى عليهم الذي أفاده قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ...﴾ الآية (الأعراف: من الآية١٣٣) ﴿**لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ عن كفرهم وتكذيب موسى عليه السلام، والآية نظير قوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (السجدة: ٢١) وهذا كله من حلم الله ومبالغته في إقامة الحجة[2]، وإرادة نجاة العصاة، أولاً يقيم الحجة بخلق العقل والفطرة على الإيمان، ثم بإرسال الرسل وإراءة المعجزات، ثم إذا تمادوا في الكبر أرسل عليهم الآيات من القحط والأمراض وغيرها لعلهم يرجعون عن كفرهم، فإذا تمادوا حق عليهم العذاب.

﴿**وَقَالُوا**﴾ فرعون وقومه ﴿**يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ**﴾ قيل: كانوا يسمون العالم ساحراً[3] وقيل: بل جروا على عقولهم وضلالهم[4] ﴿**ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ**﴾ من إجابة دعوتك ﴿**إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ**﴾ فسروا اهتداءهم ما سلف من قولهم ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرائيلَ﴾ (الأعراف: من الآية١٣٤).

﴿**فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ**﴾ تقدم التعبير عنه بالرجز وتقييده بقوله: ﴿إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ﴾ (الأعراف: من الآية١٣٥) فيُعَذَّبون فيه أو يُهْلكون ﴿**إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ**﴾ ما وعدوا به من الإيمان، وفيه أن الوعد المشروط إذا لم يف به الشارط يعد نكثاً وتقدم: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ...﴾ الآية (الأعراف: من الآية١٣٦) وهنا بسط قوله:

﴿**وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ**﴾ مفتخراً على موسى ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ**﴾ أتصرف فيها كيف أريد، وهذا إقرار منه بأنه مَلَكَ قريةً من قرى الدنيا، فكيف

---

(١) البيت لعبيد بن العرندس الكلابي يصف أقواماً نزل بهم، انظر: الكامل في اللغة للمبرد ١٣٣/١، وشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف لمحمد المرزوقي٢٤٩/٤.

(٢) لا شك أن المبالغة أسلوب من أساليب لغة العرب، والقرآن نزل بلسان عربي مبين، لكن لو عبّر المؤلف رحمه الله بقوله. وزيادته في إقامة الحجة لكان أليق، والله أعلم.

(٣) وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: تفسير القرطبي٩٥/١٦.

(٤) المصدر السابق.

يقول: أنا ربكم الأعلى؟ ﴿**وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي**﴾ يريد به النيل نهر مصر ﴿**أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ عظمة ملكي.

﴿**أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ**﴾ حقير ضعيف من المهانة وهي القلّة ﴿**وَلا يَكَادُ يُبِينُ**﴾ قيل: في العبارات؛ لأنه بقي[ل١٨٣/أ] فيه لثغة في لسانه[١]، وقيل: لا يبين له بطش ولا قوة ولا قهر كما هو لي[٢]. وهو الأوفق بقوله تعالى: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ (طـه: من الآية٣٦) بعد سؤاله الله أن يحلل عقدة من لسانه.

﴿**فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ**﴾ كما يكون ذلك للملوك، فكأن عادتهم ذلك، وهذا نظير قول أهل مكة: ﴿لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف: من الآية٣١) وهكذا الكفار إنما يستعظمون الدنيا وأهلها ﴿**أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ**﴾ يقرن بعضهم ببعض، وهو نحو قول كفار أهل مكة: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً﴾ (الإسراء: من الآية٩٢) ونحو ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ • لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ...﴾ الآية (الحجر: من الآية٦، ٧) وقولهم: ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً...﴾ الآية (فصلت: من الآية١٤) ومنه إقرار فرعون بالملائكة مع إنكاره لرب العالمين، والتحقيق أنه موقن بالكل، جحد بما استيقن كما قاله الله[٣]، وكما قال موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الإسراء: من الآية١٠٢) ﴿**فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ**﴾ حملهم على الخفة في طاعته كما قال: ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ (هود: من الآية٩٧) ﴿**فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ**﴾ خارجين عن طاعة الله مُيَسْرِين للعسرى.

﴿**فَلَمَّا آسَفُونَا**﴾ أغضبونا أشد الغضب، من آسف إذا أشتد غضبه[٤] ﴿**انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ علل هنا الانتقام بالإغضاب، وتقدم تعليله بقوله ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ

---

(١) وهو قول قتادة والسدي. انظر: تفسير الطبري٢٥/٩٧، وتفسير ابن كثير٤/١٩٧.

(٢) لم أجد من قاله.

(٣) قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ...﴾ الآية (النمل: من الآية١٤).

(٤) انظر: لسان العرب١/١٤٢ مادة (أسف)، والقاموس المحيط ص٨٠٨.

كَذَّبُوا بِآياتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: من الآية١٤٦) وهذا سبب الإغضاب فعلل بالسبب تارة وبسبب السبب أخرى وزيد هنا.

﴿**فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً**﴾ قدوةً لمن بعدهم من الكفار يسلكون في استيجاب مثلما حل بهم نظير قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٦٦) ﴿**وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ**﴾ عِظَةً لهم أو قِصَةً عجيبةً تسير مسير الأمثال، وقد ضرب تعالى بها الأمثال في عدة آيات من قوله: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ (آل عمران: من الآية١١) في آل عمران و﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ (الأنفال: من الآية ٥٢، و٥٤)آيتان في الأنفال وغير ذلك.

ثم أخذ تعالى في قصة أخرى من كفريات قريش فقال: ﴿**وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً**﴾ [ل١٨٣/ب] ذكر المفسرون أنه لما أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ (الأنبياء: من الآية٩٨) قال ابن الزبعري[1] لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هذا لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم؟. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم). فقال ابن الزبعري: خصمتُك ورب الكعبة. أليست النصارى يعبدون المسيحَ، واليهود: عزيراً، وبنو مُلَيح[2]: الملائكة، فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم. ففرح به قومه وضحكوا وارتفعت أصواهم[3]. وذلك

---

(١) هو عبد الله بن الزبعري بن قيس بن عدي القرشي السهمي الشاعر كان أشعر قريش وكان من أشد الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فر يوم الفتح إلى نجران ثم عاد وأسلم وحسن إسلامه وشهد ما بعد الفتح من المشاهد. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٩٠١/٣ (١٥٣٣)، وأُسد الغابة في معرفة الصحابة ٢٣٩/٣ (٢٩٤٦).

(٢) هم بنو مليح بن عمرو بن ربيعة بطن من خزاعة. انظر: تاج العروس ١٤٩/٧، مادة (ملح)، ونسب معد واليمن الكبير ص ١٠٣.

(٣) أورده الزمخشري في الكشاف وقد حقق القول فيه ابن حجر فقال: "هكذا ذكره الثعلبي ثم البغوي بغير إسناد. لم أجده هكذا إلا ملفقاً، فأما صدره ففي الطبراني الصغير في أواخره من حديث ابن عباس قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعلى الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً قد شدت أقدامها برصاص -الحديث، وأما قوله: وكانت صناديد قريش .... فقصة أخرى ذكرها ابن إسحاق في المغازي والطبري من طريقه قال: جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً في المسجد مع رجال من قريش فعرض له النضر بن =

قوله: ﴿**إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ**﴾ أي يرتفع لهم جلب وضجيج فرحاً وجذلاً، فنائب ﴿ضرب﴾ هو ضمير ابن الزبعري[1] وقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رد عليه فقال: (ما أجهلك بلغة قومك أما فهمت أن ما لما لا يعقل)[2].

﴿**وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ**﴾ ابن مريم أي هو خير من آلهتنا، فحيث كان هو في النار فلا بأس بكوننا مع آلهتنا فيها ﴿**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً**﴾ أي لأجل الجدل لا لطلب الحق بل للخصام والجدال ﴿**بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾ شديدو الخصومة.

﴿**إِنْ هُوَ**﴾ أي ابن مريم ﴿**إِلاَّ عَبْدٌ**﴾ لا يستحق أن يعبد فمن عبده فهو في النار ﴿**أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ**﴾ بإعطائه النبوة وخصائصها[3] ﴿**وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرائيلَ**﴾ أي كالمثل السائر بينهم.

﴿**وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ**﴾ من نسلكم أو بدلاً عنكم ﴿**مَلائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ**﴾ أي يخلفونكم مثل أولادكم، فكما خلقنا المسيح من أم بلا أب، وخلقنا

= الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه- فذكر نحو المذكور هنا إلى آخره وفيه: إن كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنهم إنما يعبدون الشياطين، وروى ابن مردويه والواحدي من طريق أبي رزين عن أبي يحي عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ الآية شق ذلك على قريش وقالوا: يشتم آلهتنا. فجاء ابن الزبعري. وقال: يا محمد هذا شتم لآلهتنا خاصة، أم لكل من عبد من دون الله؟ قال: لكل من عُبد من دون الله. قال: خصمتك ورب الكعبة-فذكر نحوه.

(**تنبيهان**) أحدهما: اشتهر في ألسنة كثير من علماء العجم وفي كتبهم: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه القصة لابن الزبعري: (ما أجهلك بلغة قومك. فإني قلت: وما تعبدون وهي لما لا يعقل. ولم أقل: ومن تعبدون) ا.هـ. وهو شيء لا أصل له. ولا يوجد لا مسنداً ولا غير مسند. الثاني: قال السهيلي اعتراض ابن الزبعري غير لازم لأن الخطاب مخصوص بقريش وما يعبدون من الأصنام. ولذلك أتى بما الواقعة على ما لايعقل ا.هـ. وحديث ابن عباس الذي تقدم ينقض عليه هذا التأويل. فإنه صرح بأن المراد كل ما يعبد من دون الله". انظر: الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ٣/١٣٣ بتصرف يسير.

(١) أي ضربه ابن الزبعري. هكذا في تفسير أبي السعود ٦/٣٨.

(٢) سبق الكلام عليه في الحاشية قبل السابقة.

(٣) كالاطلاع على بعض علوم الغيب ورؤية الملائكة وسماع كلامهم مما تختص به النبوة.

الملائكة اختراعاً وإبداعاً من غير أصول، كذلك قدرتنا بالغة نجعل منكم ملائكة أو نبدلكم بملائكة والآية كقوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ (النساء: من الآية١٣٣) وقوله: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد: من الآية٣٨) وقوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ (الأنعام: من الآية١٣٣) والكل يحدث عن عموم مشيئته وسعة قدرته.

﴿**وَإِنَّهُ**﴾ أي ابن مريم ﴿**لَعِلْمٌ**﴾ قرأ بكسر العين وسكون اللام[1] ﴿**لِلسَّاعَةِ**﴾ أي نزوله من السماء شرط من أشراطها، سماه عِلْماً لحصوله به وبفتح العين واللام أي علامة[2]. أخرج الحاكم وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ قال: [ل١٨٤/أ] خروج عيسى بن مريم قبل يوم القيامة[3].

وأخرج عبد بن حميد، عن أبي هريرة رضي الله عنه ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ قال: خروج عيسى يمكث في الأرض أربعين سنة ويكون من تلك الأربعين أربع سنين يحج ويعتمر[4]. ﴿**فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا**﴾ أي لا يحصل لكم شك في وقوعها ﴿**وَاتَّبِعُونِ**﴾ على ما

---

(١) وهي قراءة الجمهور، وقرأ ابن عباس والأعمش وغيرهما بفتح العين واللام أي لعَلامة وهي قراءة شاذة. انظر: الطبري٢٥/١٠٨، والبحر المحيط٨/٣٦، قال الطبري: "والصواب من القراءة في ذلك الكسر في العين لإجماع الحجة من القراء عليه".

(٢) التعليق السابق.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٣/٢٨٣ (٢٩٢١)، والطبري في تفسيره ٢٥/١٠٦، والطبراني في الكبير ١٢/١٥٣ (١٢٧٤٠)، والحاكم في مستدركه ٢/٢٧٨ (٣٠٠٣)، عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً، إلا عند الطبراني والحاكم فقالا: عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الحاكم: "حديث صحيح"، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع ٧/١٦٦: "رواه أحمد والطبراني وفيه: عاصم بن بهدلة، وثقه أحمد وغيره، وهو سيء الحفظ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح"، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١١/٨٣ (٣٢٤٠٩) من طريق أبي معاوية عن عمار بن رزيق عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس بنحوه، وعند الحاكم ٢/٤٨٦ طريقٌ آخر موقوفٌ على ابن عباس من طريق إسرائيل، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، صححه الحاكم ووافقه الذهبي، ولعل هذه الطرق يعضد بعضها بعضاً.

(٤) عزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور٥/٧٢٩، ولم أعثر على إسناده.

أدعوكم إليه ﴿**هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**﴾ فيها نجاتكم وهو الذي دعا إليه أمته كل نبي.

﴿**وَلا يَصُدَّنَّكُمُ**﴾ عن اتباعي ﴿**الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ**﴾ ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً﴾ (فاطر: من الآية٦) ﴿أتتخذونه وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ (الكهف: من الآية٥٠) ﴿**مُبِينٌ**﴾ بيّن العداوة ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (فاطر: من الآية٦).

﴿**وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ**﴾ تقدم ما حكاه تعالى عن عيسى من قوله لبني إسرائيل: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى﴾ (آل عمران: من الآية٤٩) وكل ذلك بإذن الله وأنه ينبئهم بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم، فهذه هي البينات المذكورة هنا، فالمراد لما جاء إلى بني إسرائيل كما قال: ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ﴾ (آل عمران: من الآية٤٩) ﴿**قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ**﴾ كما قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ والإنجيل﴾ (آل عمران: ٤٨) ﴿**وَلأُبَيِّنَ لَكُمْ**﴾ عطف على مقدر[1] أي لأعلمكم الحكمة ﴿**وَلأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ**﴾ تقدم في قصته بلفظ: ﴿وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ (آل عمران: من الآية٥٠) فيحتمل أنه المراد هنا ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**﴾ تفريع على ما قبله أي إذا قامت الحجة بأني رسول الله فقد لزمكم تقوى الله وطاعتي، فإنها من تقواه وتقدم بلفظه في قصته في آل عمران كما تقدم أيضاً فيها:

﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**﴾ إنما لم يأت بلفظ هو[2]، وهو أمر لهم بعبادة الله وحده وأنه صراط الله الذي جاءت به رسله جميعاً، وتكررت هذه

---

(١) لم أجد من نص عليه.

(٢) يعني في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ • إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (آل عمران: ٥٠، ٥١).

العبارة منه بلفظ ربي وربكم في عدة آيات ذكر الله أنه يقولها يوم القيامة، حيث يقال له: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ -إلى قوله-: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ (المائدة: من الآية١١٦، ١١٧) فقدم اعترافه بربوبية [ل١٨٤/ب] الله له ثم لهم.

﴿**فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ**﴾ من بين من بُعِثَ إليهم وتقدمت الآية بلفظها في سورة مريم[1] والمراد بالأحزاب: النصارى فإنهم تحزبوا في شأنه ثلاثة أحزاب، حزب منهم قال: هو ابن الله، وحزب قال: هو إله معه، وحزب قال: هو ثالث ثلاثة، وهذا التحزيب وقع بعد أن رفعه الله إليه ﴿**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾ أنفسهم بما ادعوه له ﴿**مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ**﴾ وتقدم في وعيد الأحزاب بلفظ: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (مريم: من الآية٣٧) والمعنى مُتَّحِد.

﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً**[2]﴾ كما قال تعالى: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً﴾ (الأعراف: من الآية ١٨٧). أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (تقوم الساعة والرجلان يحلبان اللقحة[3]، والرجلان يطويان الثوب ثم قرأ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾)[4] بإتيانها.

﴿**الأَخِلاءُ يَوْمَئِذٍ**﴾ يوم القيامة ﴿**بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ**﴾ أي المتخالون في حب الدنيا، وعلى ما لا يرضاه الله، ولذا يقول الخليل لخليله: ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً

---

(١) في قوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (مريم: ٣٧).

(٢) لم يذكر المصنف في الأصل قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾.

(٣) اللقوح: الناقة الحلوب، انظر: كتاب العين ٩٥/٤ مادة (لقح)، والقاموس المحيط مادة (لقح) ص٢٦٥.

(٤) عزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور٧٣٠/٥، ولم أجد من ذكره غيره إلا أن للحديث شاهد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (... ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعم...). انظر: صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب خروج النار ٢٢٢٥/٤ (١٧٢١)، وصحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة ٧٢/١٨ (٢٩٥٤).

خَلِيلاً • لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً﴾ (الفرقان: ٢٨، ٢٩) ولذا قيل: المرء على دين خليله[١] وقال:

وقارِن إذا قَارَنْتَ حُراً فَإِنَّمَا   يَزينُ ويُزْرِي بالفَتى قُرَنَاؤه[٢]

﴿**إِلاَّ الْمُتَّقِينَ**﴾ فإنه لا عداوة بينهم، بل ﴿إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (الحجر: من الآية٤٧) كما يأتي في سورة الطور[٣]. وقوله:

﴿**يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ**﴾ تستقبلونه ﴿**وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾ على فائتٍ، خطاب للمتقين أنه قد حصل لهم الأمان من الخوف والحزن، لأنه كان ذلك معهم في دار الدنيا حيث قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ • فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ (الطور: من الآية٢٦، ٢٧).

﴿**الَّذِينَ آمَنُوا بِآياتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ**﴾ صفة للعباد الذين أضافهم تعالى إلى نفسه[٤] ويقال لهم:

﴿**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ**﴾ تُسَرُّون بكل ما أنتم فيه فنفى عنهم الخوف والحزن وأبدلهم الحبور والسرور وهذه [ل١٨٥/أ] نِعَم الأرواح ثم ذكر نِعَم الأشباح[٥]. بقوله:

﴿**يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ**﴾ جمع صحفة، وطوى ذكر ما فيها من المأكول

---

(١) هذا جزء من حديث مرفوع ونصه "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل" أخرجه أحمد في مسنده ١٣٠/٨ (٨٠١٥)، وأبو داود في سننه كتاب الأدب باب من يؤمر أن يجالس ص٧٢٥ (٤٨٣٣)، والترمذي في سننه كتاب الزهد باب قوله صلى الله عليه وسلم: "الرجل على دين..." ص٥٣٥ (٢٣٧٨)، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وحسَّنه الألباني انظر: تعليقاته على سنن أبي داود وسنن الترمذي.

(٢) تقدم توثيقه ص (٢٧٢).

(٣) سورة الطور، الآيات من (١٧) إلى (٢٨) وهذا الجزء مفقود من هذا التفسير المبارك.

(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس ص٨١٩، والبحر المحيط ٤٧/٨.

(٥) تقدم تعريفها ص (٢٠٧).

﴿**وَأَكْوَابٍ**﴾ جمع كوب، وهو كوز لا عروة له[1] و لم يذكر الطائف بهما وقد صرح به في مثل: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ﴾ (الطور: من الآية٢٤) ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ (الواقعة: ١٧) ثم عمَّ بعد أن خصَّ فقال ﴿**وَفِيهَا**﴾ أي الجنة ﴿**مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ**﴾ كلها ينالونها عند شهوتهم له ﴿**وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ**﴾ برؤيته وأعظم من ذلك قوله ﴿**وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ لأن كل نعيم يزول هو والعدم سواء بل قيل:

أشدُّ الهمَّ عِنْدِي فِي سُرُوْرٍ ... تَيَقَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ انتِقَالا[2]

فجعل الانتقال عن السرور أشد الهم ويقال لهم:

﴿**وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا**﴾ كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ • الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠، ١١) وقد ثبتت الأحاديث أن المؤمنين يرثون منازل الأشقياء التي أعدت لهم في الجنة لو كانوا من السعداء[3]، ﴿**بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ بسبب عملكم الصالح فإنه السبب القريب للميراث، والسبب الأصلي: رحمة الله بهدايته، ولذا يقول أهل الجنة فيها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ (الأعراف: من الآية٤٣).

﴿**لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ**﴾ كما قال: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٢٠) وقال: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ • لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾ (الواقعة: ٣٢، ٣٣) ﴿**مِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾ ولما ذكر حال السعداء وصف حال أضدادهم على قاعدة القرآن في ذلك، ليزداد السعداء سروراً وأضدادهم شروراً فقال:

﴿**إِنَّ الْمُجْرِمِينَ**﴾ المشركين ﴿**فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ**﴾.

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري ٢١٥/١ مادة (كوب)، وتاج العروس للزبيدي ١٨١/٤، مادة (كوب).

(٢) تقدم توثيقه ص ٣٣٧.

(٣) كما جاء في سنن ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحدٍ إلا له منزلان: منزلٌ في الجنة، ومنزلٌ في النار، فإذا مات فدخل النار، وَرِث أهل الجنة منزله، فذلك قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ صححه الألباني. انظر: سنن ابن ماجه ص٧٢٠ (٤٣٤١).

﴿**لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ**﴾ لا يخفف عنهم، وقد طلبوا ذلك وقالوا للخزنة: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذَابِ﴾ (غافر: من الآية٤٩) ﴿**وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ**﴾ آيسون عن التخفيف، وطلبهم التخفيف مع الإياس منه من تعلق الغريق بكل حبل.

﴿**وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ**﴾ ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: من الآية١٠٨) ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (فصلت: من الآية٤٦) ﴿**وَلَكِنْ كَانُوا**[١] **هُمُ الظَّالِمِينَ**﴾ لأنفسهم باتخاذ الأنداد، وتكذيب الرسل، ومجانبة ما تدل عليه العقول.

﴿**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ**﴾ أي ادع الله ليقضي علينا بالموت، كقوله: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ (القصص: من الآية١٥) وقد أخبر الله أنه لا يموت الأشقى فيها ولا يحيا ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى • الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى • ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى﴾ (الأعلى: ١١- ١٣) كما يأتي، ﴿**قَالَ**﴾ ما لك ﴿**إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ**﴾ أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه، والبيهقي في البعث والنشور، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾ قال: يمكث عنهم ألف سنة ثم يجيبهم ﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾[٢]. ونحو الآية ﴿لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ (فاطر: من الآية٣٦).

قال تعالى: ﴿**لَقَدْ جِئْنَاكُمْ**﴾ في دار الدنيا ﴿**بِالْحَقِّ**﴾ وقيل: الضمير في قوله: ﴿قال﴾ للرب عز وجل[٣] ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**﴾ والمراد: جاءتكم رسلنا

---

(١) [ل١٨٥/ب].

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١٧٧/٣ (٢٧٩٠)، والطبري في تفسيره ١١٧/٢٥ كلاهما من طريق عطاء بن السائب عن أبي الحسن عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وأبو الحسن هو سالم البراد أبو عبد الله الكوفي وهو ثقة. انظر: التقريب ص٣٦١ (٢١٩٩)، وجاء له متابع عند الحاكم من رواية عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس مثله. انظر: المستدرك٤٨٧/٢، وكذلك عند البيهقي في البعث والنشور ص ٣٢٢ (٥٨٨)، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وقال الذهبي في التلخيص: "صحيح"، وهو في تفسير ابن أبي حاتم ٣٢٨٦/١٠ (١٨٥٢٥) بدون إسناد.

(٣) قاله الزمخشري في الكشاف ٢٥٨/٤.

كقوله: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ • أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (المؤمنون: ٦٩، ٧٠) ونحوه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد: ٩) ثم أشار إلى حال قريش وإرادتهم السوء برسولهم فقال:

﴿**أَمْ أَبْرَمُوا**﴾ أحكموا ﴿**أَمْراً**﴾ في كيدهم لرسولهم، وذلك ما أشار إليه تعالى في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ...﴾ الآية (الأنفال: من الآية٣٠) ﴿**فَإِنَّا مُبْرِمُونَ**﴾ ونحوه: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ (الطور: ٤٢).

﴿**أَمْ يَحْسَبُونَ**﴾ يظنون ﴿**أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ**﴾ أي ما حدَّثوا به أنفسهم أو غيرهم في مكان خال، ﴿**وَنَجْوَاهُمْ**﴾ أي ما يتكلمون به فيما بينهم بطريق التناجي ﴿**بَلَى**﴾ نسمعها ﴿**وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ**﴾ كل ما صدر عنهم، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ • كِرَاماً كَاتِبِينَ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الانفطار: ١٠-١٢) لمّا ادَّعوا أن لله ولداً قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿**قُلْ**﴾ للكفرة تحقيقاً للحق ﴿**إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ**﴾ كما قلتم ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً • لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً • تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً﴾ (مريم: ٨٨-٩٠) ﴿**فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ**﴾ [ل١٨٦/أ] أخرج عبد بن حميد عن الحسن وقتادة ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾: ما كان للرحمن ولد ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ أي أول من عبد الله من هذه الأمة[1]. يريد بنفي الولد عنه، فجعلا[2] كلمة إن نافية ومثله أخرج ابن جرير عن زيد بن أسلم[3]. وفي كتب التفسير

---

(١) عزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور ٧٣٥/٥، ولم أجد له سنداً.

(٢) يعني الحسن وقتادة.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١٢٠/٢٥ من طريق ابن عبد الرحيم عن عمرو قال: سألت زيد بن أسلم وذكره، وابن عبد الرحيم البرقي هو أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقي شيخ الطبري اشتهر بنسبته إلى جده، هكذا قال أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري ١٤٥/١، وصفه الذهبي بالمحدث الحافظ الصادق. انظر: السير ٤٧/١٣ (٣٣)، وعمرو هو بن التنيسي، قال ابن حجر في التقريب: صدوق له أوهام ص٧٣٧ (٥٠٨٧).

أقوال[1]، هذا أحدها، وثانيها: فأنا أول العابدين له لأنه عليه الصلاة والسلام أعلم بشؤون الله وبما يجوز عليه وما لا يجوز، وأولاهم بمراعاة حقوقه من واجب تعظيم الوالد بتعظيم ولده، وغايته أنه جائز استلزام المحال للمحال، ثم نزه نفسه فقال:

﴿**سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ به الله من اتخاذه الولد وغير ذلك.

﴿**فَذَرْهُمْ**﴾ دعهم ﴿**يَخُوضُوا**﴾ في باطلهم الذي هو أحد أسباب سلوكهم في سقر حيث يقولون: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ (المدثر: ٤٥) ﴿**وَيَلْعَبُوا**﴾ في دنياهم وفيه تسلية له صلى الله عليه وآله وسلم بأنه قد أبلغ ما يجب عليه فليتركهم وما هم فيه، نحو قوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ • لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ (الغاشية: من الآية٢١، ٢٢) ﴿**حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ**﴾ أي اليوم الذي يرجعون فيه إلى الله، وهو اليوم العسير المراد من قوله: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ • عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ (المدثر: ٩، ١٠) وهو اليوم الذي ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً﴾ (المزمل: من الآية١٧) واليوم الذي ﴿لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً﴾ (البقرة: من الآية٤٨) فلذا أضيف إليهم، وأضيف إلى الذين سبقت لهم الحسنى في قوله: ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٣) فهو يوم السرور لأهل الإيمان ويوم الأهوال والشرور لأهل العصيان ﴿**الَّذِي يُوعَدُونَ**﴾.

﴿**وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ**﴾ الظرفان يتعلقان بالمعنى الوصفي الذي يشعر به الاسم الجليل من معنى المعبود بالحق، كأنه قيل: وهو الذي يستحق أن يعبد فيهما[2] وهو نحو قوله في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي

---

(١) انظر: تفسير الطبري ١١٩/٢٥.

(٢) يعني في هذه العبارة أن الظرفان ﴿في السماء﴾ و﴿في الأرض﴾ يتعلقان بـ﴿إله﴾ لأنه صفة بمعنى معبود، لأن إله بمعنى عُبِدَ فيكون المعنى وهو الذي في السماء يُعبد وفي الأرض يُعبد. انظر: تفسير الطبري ١٢٣/٢٥، وتفسير ابن كثير ٢٠٧/٤.

الأَرْضِ...﴾ الآية (الأنعام: من الآية٣) أخرج عبد بن حميد وابن جرير والبيهقي في الأسماء والصفات، عن قتادة في الآية قال: هو الذي يعبد في السماء،[ل١٨٦/ب] ويعبد في الأرض(١). ﴿**وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ**﴾.

﴿**وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا**﴾ من كل ما نعلمه كالهواء والطير وما لا نعلمه ﴿وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: من الآية٨) ﴿**وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ**﴾ وقت إتيانها ﴿**وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ لا إلى غيره كما قال مؤمن آل فرعون: ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾ (غافر: من الآية٤٣).

ولما قال الكفرة في معبوداتهم: ﴿هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ (يونس: من الآية١٨) قال تعالى: ﴿**وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ**﴾ لهم عند الله ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة: من الآية٢٥٥) ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ (الأنبياء: من الآية٢٨) ﴿**إِلاَّ مَنْ شَهِدَ**﴾ لله ﴿**بِالْحَقِّ**﴾ بالتوحيد وذلك مثل عيسى وعزير والملائكة، فهم يملكون الشفاعة إذا إذن الله لهم، ولكنهم لا يشفعون لمن عبدهم فإنهم ظالمون، وما للظالمين من شفيع ﴿**وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ أنه الحق، عن بصيرة ويقين وإخلاص.

أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة ﴿إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قال: الملائكة وعيسى وعزير فإن لهم عند الله شفاعة(٢). وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر في الآية –لعله عن ابن عباس رضي الله عنهما– قال:

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١٧٨/٣ (٢٧٩٥)، والطبري في تفسيره ١٢٣/٢٥من طريق معمر عن قتادة، وهو إسناد صحيح تقدم الكلام عليه ص (١٢٨)، وكذلك أخرجه الطبري في تفسيره ١٢٣/٢٥ من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة وهو إسناد حسن قد تقدم الكلام عليه ص٥٦، ومن هذا الطريق الأخير أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ٣٤٣/٢، وعزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور٧٣٦/٥.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١٧٩/٣ (٢٧٩٧)، والطبري في تفسيره ١٢٤/٢٥ كلاهما من طريق معمر عن قتادة، وهو إسناد صحيح تقدم الكلام عليه ص (١٢٨)، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور ٧٣٦/٥.

عزير والملائكة ﴿إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ قال: كلمة الإخلاص ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أن الله حق وعيسى وعزير والملائكة، يقول: لا يشفع وعيسى وعزير والملائكة إلا لمن شهد بالحق وهو يعلم الحق[1]

﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ**﴾ أي العابدين والمعبودين ﴿**مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ فإنهم مقرون بذلك، وتقدم في صدر السورة ما هو أعم من هذا ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ (الزخرف: ٩) ﴿**فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره مع إقرارهم أنه خالقهم.

﴿**وَقِيلِهِ**﴾ قُرِأ بالنصب عطف على سرهم، أو على محل الساعة، وبالكسر عطف على الساعة، أي عنده علم الساعة وعلم قيله أي قيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فإن القول والقيل والقال كلها مصادر[2] ﴿**يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ**﴾ أي كفار قريش ونحوهم ﴿**قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ فإنه آيس من إيمانهم بعد طول دعائهم إليه وإقامة الأدلة عليهم[3]. [ل١٨٧/أ].

﴿**فَاصْفَحْ عَنْهُمْ**﴾ أعرض عن دعوتهم، ونسخ هذا بالأمر بالقتال، وهي نظير

---

(١) أخرجه الطبري في تفسير ١٢٤/٢٥، من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وليس عن ابن عباس كما ذكر المصنف، وهذا الطريق ثابت قد تقدم الكلام عليه ص (٦٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر: السيوطي في الدر المنثور ٧٣٦/٥، وذكر أنه عن مجاهد.

(٢) القراءتان سبعيتان متواترتان، فقرأ عاصم وحمزة بالكسر، والباقون بالنصب. انظر: الحجة لأبي علي الفارسي٣٨٢/٣، وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي ص٤٩٨.

(٣) ومع هذا فقد واصل النبي ﷺ دعوتهم وإقامة الحجة عليهم، بدليل أن هذه السورة مكية، فاستمر النبي صلى الله عليه وسلم في دعائهم حتى فتح الله عليه مكة، وأيضاً الحديث الذي فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه ملك الجبال وقال: مرني فيهم بما تشاء... الحديث. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً) أخرجه البخاري ومسلم. فهذا يدل على طول صبره ومصابرته، فصلوات ربي وسلامه عليه.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾ (السجدة: ٣٠) ﴿**وَقُلْ سَلامٌ**﴾ أي تسليم مبارك نحو: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ (القصص: من الآية٥٥) ﴿**فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾ وعيد من الله لهم نحو قوله: ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (التكاثر: ٣، ٤) انتهت سورة الأحزاب[1].

(١) هكذا في الأصل و لم أجد من نص على أن سورة الزخرف تسمى الأحزاب، ولعل المصنف اشتق لها هذا الاسم من قوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ...﴾ الآية (الزخرف: من الآية٦٥) أو لعله خطأ وسبق قلم.

سورة الدخان

مكية[1]، وهي ست أو سبع أو تسع وخمسون آية[2]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ﴾. ﴿**وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ**﴾. تقدم لفظها والكلام فيه في التي قبلها[3] وأخرج في فضل سورة الدخان العلماء أحاديث كثيرة، منها ما أخرجه الترمذي والبيهقي في شعب الإيمان، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من قرأ سورة الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك)[4]، وأخرج الترمذي ومحمد بن نصر وابن مردويه والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من قرأحمٓ الدخان في ليلة جمعة أصبح مغفوراً له)[5]، أخرج ابن مردويه عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(١) انظر: تفسير الطبري ١٢٧/٢٥، وتفسير ابن كثير ٢٠٩/٤، والإتقان ١٨/١.

(٢) ذكر المؤلف رحمه الله هذا بناءً على الخلاف في عد آياتها، ففي العد الكوفي تسع وخمسون، وفي العد البصري سبع وخمسون، وعدّ الباقون ست وخمسين، انظر: البيان في عد آي القرآن لأبي عمرو الداني ص٢٢٥، وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي ص ٤٩٩.

(٣) سورة الزخرف الآيتان ١، ٢.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ص٦٤٦ (٢٨٨٨)، والبيهقي في شعب الإيمان ١٠٣/٤، وقال الترمذي: "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وعمر بن أبي خثعم، يُضعَّف. قال محمد -يعني البخاري-: هو منكر الحديث" ا.هـ، وكذلك قال البيهقي، وحكم الألباني على الحديث بأنه موضوع. انظر: تعليقه على سنن الترمذي ص٦٤٦ (٢٨٨٨).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه ص٦٤٦ (٢٨٨٩)، وابن نصر في مختصر قيام الليل ص٢٥٢، وأبو يعلى في مسنده ص١٠٩٨ (٦٢١٧)، وابن السني في عمل اليوم والليلة ص ٤١١ (٦٧٩)، والبيهقي في شعب الإيمان ١٠٣/٤ (٢٢٤٧)، وقال الترمذي: "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وهشام أبو المقدام يضعَّف". وضعفه الألباني رحمه الله، انظر: السلسلة الضعيفة ١٥٠/١٠، ١٥١ (٤٦٣٢).

(من قرأ سورة حمٓ الدخان في ليلة جمعة أو يوم جمعة بنى الله لـه بيتاً في الجنـة)[1].

وأحاديث فضلها كثيرة.

﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ**﴾ أي الكتاب المبين ﴿**فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ**﴾ تقدم: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّـذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (البقرة: من الآية١٨٥) ويأتي: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: ١) ومعلوم يقيناً أنه أُنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ثنتي وعشرين سنة[2]، فالإخبار هنا عن إنزاله من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، أخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضـي الله عنهما قال: أُنزل القرآن في ليلة القدر، ونزل به جبريل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نجوماً[3]. وأخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن جبير قال: نزل القرآن مـن السماء العليا إلى السماء الدنيا جميعاً في ليلة القدر، ثم فصل بعد ذلك في تلك السنين[4].

واختلف السلف في الليلة المباركة على قولين:

الأول: ليلة القدر وأن فيها يفرق كل أمر حكيم، [ل١٨٧/ب] فأخرج عبـد بـن حميد ومحمد بن نصر وابن جرير عن ربيعة بن كلثوم[5]، قال: كنت عند الحسن فقال له رجل: يا أبا سعيد! ليلة القدر في كل رمضان ؟ قال: أي والله إنها لفي كل رمضان، وإنها الليلة التي فيها يفرق كل أمر حكيم، فيها يقضي الله كـل عمـل وأجـل ورزق، إلى مثلها[6]. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه، والبيهقـي

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٦٤/٨ (٨٠٢٦)، وقال الهيثمـي في مجمـع الزوائـد٣١٥/٢ (٣٠١٧): "رواه الطبراني في الكبير وفيه فضال بن جبير وهو ضعيف جداً"، وقال الألباني: "وهذا إسناد ضعيف جداً، فضال بن جبير قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به بحال، يروي أحاديث لا أصل لها". انظـر: السلسـلة الضـعيفة ١٩١/١١ (٥١١٢).

(٢) المشهور ثلاث وعشرون سنة إلاّ إذا لم تحتسب سنة البعثة أو الوفاة.

(٣) تقدم تخريجه والكلام عليه ص (١٢٧).

(٤) تقدم تخريجه ص (١٢٩).

(٥) هو ربيعة بن كلثوم بن جبْر البصري، قال ابن سعد في الطبقات: "كان شيخاً عنده أحاديث"، وقال الحافظ ابن حجر في التقريب: "صدوق يهم"، انظر: الطبقات لابن سعد ٢٠٤/٧، والتقريب ص ٣٢٣ (١٩٢٧).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ١٢٨/٢٥ من طريقين: أحدهما عن يزيد بن هارون عن ربيعة ، والآخر عن ابـن علية عن ربيعة بن كلثوم مثله، والإسناد الأول فيه مجاهد بن موسى الخوارزمي الختلي ثقة. انظر: التقريـب =

في شعب الإيمان، عن ابن عباس مثله[1]، وعن غير من ذكر. أو ليلة النصف في شعبان ثبتت فيه روايات عن السلف كثيرة وأحاديث مرفوعة[2]، فأخرج

=

ص٩٢١ (٦٥٢٥)، وتحقيق أحمد شاكر١/٣٨٤، ويزيد بن هارون بن زاذان السلمي ثقة. انظر: السير٩/٣٥٨ (١١٨)، والتقريب ص ١٠٨٤ (٧٨٤٢)، وربيعة بن كلثوم، قال ابن أبي حاتم: "انفرد به مسلم"، وقال الذهبي في الكاشف: "ثقه" ١/ ٢٣٩ (١٥٦٩)، وقال الحافظ ابن حجر: "صدوق يهم". انظر: التقريب ص٣٢٣ (١٩٢٧)، وهو في قيام رمضان لمحمد بن نصر (١/٥٨)، وللأثر شاهدٌ مرفوع عند أبي داود عن ابن عمر قال: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أسمع عن ليلة القدر فقال: (هي في كل رمضان). انظر: سنن أبي داود ص٢١٦ (١٣٨٧). وقال ابن كثير ٤/٨٤٤: "إسناد رجاله ثقات"، وعزاه لعبد بن حميد ومحمد بن نصر: السيوطي في الدر المنثور ٥/٧٣٩.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٥/١٢٩، والحاكم في مستدركه ٢/٤٨٧ (٣٦٧٨)، والبيهقي في شعب الإيمان ٥/٢٥٤ (٣٣٨٨)، وقال الحاكم: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وقال الذهبي في التلخيص: "صحيح على شرط مسلم"، ولم أجده في تفسير ابن أبي حاتم.

(٢) وهذا هو القول الثاني في المراد بالليلة المباركة، وقال به عكرمة وغيره، وهو خلاف الصواب، بل الراجح أنها ليلة القدر كما هو قول الجمهور واختيار الطبري وابن كثير وغيرهما من المحققين من أهل العلم، قال صاحب أضواء البيان: "وقد بين تعالى أن هذه الليلة المباركة هي ليلة القدر، التي أنزل فيها القرآن من شهر رمضان، في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ فدعوى أنها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة وغيره، لا شك في أنها دعوى باطلة لمخالفتها لنص القرآن الصريح. ولا شك كل ما خالف الحق فهو باطل والأحاديث التي يوردها بعضهم في أنهم من شعبان المخالفة لصريح القرآن لا أساس لها، ولا يصح سند شيء منها، كما جزم به ابن العربي وغير واحد من المحققين فالعجب كل العجب من مسلم يخالف نص القرآن الصريح، بلا مستند كتاب ولا سنة صحيحة"، ا.هـ ٧/٢٠٨.

وأما قول المؤلف: "ثبتت فيه روايات عن السلف كثيرة وأحاديث مرفوعة" فغير مسلّم بل من قال بهذا القول من السلف قليلون، والجمهور على خلافه، قال القاضي ابن العربي في أحكام القرآن ٤/١١٧: "ومنهم من قال إنها ليلة النصف من شعبان وهو باطل" -إلى أن قال-: "فمن زعم أنه في غيره فقد أعظم الفرية على الله، وليس في ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه لا في فضلها ولا في نسخ الآجال فيها"، ا.هـ.

قلت: أما في نسخ الآجال فيها فنعم لم يثبت فيه حديث، وأما في فضلها فقد ورد حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يطّلع الله تبارك وتعالى إلى خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلا المشرك أو المشاحن)، قال الألباني رحمه الله: "حديث صحيح روي عن جماعة من الصحابة من طرق يشد بعضها بعضا" -ثم ساق طرق الحديث وقال بعدها-: "وجملة القول أن الحديث بمجموع هذه الطرق صحيح بلا

=

الدينوري[1] في المجالسة عن راشد بن سعد[2] أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: (في ليلة النصف من شعبان يوحي الله إلى ملك الموت بقبض كل نفس يريد قبضها تلك السنة)[3] ﴿**إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ**﴾ على لسان الرسل.

﴿**فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**﴾ من الأرزاق والآجال وغيرها.

﴿**أَمْراً**﴾ قيل: الحال منه فاعل ﴿يفرق﴾ والمصدرية بمعنى فرقاً[4] ﴿**مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ**﴾ (الدخان: الآية٥) الرسل الذين خاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم بين حكمة الإنذار والإرسال بقوله:

﴿**رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ**﴾ لأجل رحمته لعباده أرسل إليهم من يدعوهم إليه، ﴿**إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ**﴾ لأقوال العباد ﴿**الْعَلِيمُ**﴾ بأحوالهم وبحاجاتهم إلى ربهم.

﴿**رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا**﴾ مما خلقه مما نعلمه ومما لا نعلمه، وهو شامل لما فيهما وقرئ (ربِ) بالجر بدلاً مما قبله، وبالرفع على خبريته لضمير (إنه)[5]، ثالث ﴿**إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ**﴾ بربوبيته لِمَا ذُكِر يقيناً لا شك فيه، لِما أقامه من الأدلة.

= ريب، والصحة تثبت بأقل منها عدداً ما دامت سالمة من الضعف الشديد، كما هو الشأن في هذا الحديث"، ا.هـ سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٣٨/٣، ويُنبه على أنه وإن ثبت فضلها إلا أنه لم يثبت في فضل قيامها شيء فلينتبه إلى ذلك، والله أعلم.

(١) أحمد بن مروان الدينوري المالكي، أبو بكر الفقيه العلامة مصنف كتاب المجالسة، كان بصيراً بمذهب مالك، قال الذهبي: لم أظفر بوفاة الدينوري، وأُراها بعد الثلاثين وثلاث مائة، انظر: السير ٤٢٧/١٥ (٢٣٩)، والديباج المذهب لابن فرحون ١٢٨/١ (١٦).

(٢) هو راشد بن سعد الحُبْراني، ويقال: المقرائي الحميري، الفقيه محدث حمص، وثقه غير واحد، مات سنة ١٠٨هـ، وقيل: سنة ١١٣هـ، واختار الأول ابن سعد في الطبقات، وقال: توفي في خلافة هشام بن عبد الملك، انظر: الطبقات لابن سعد ٣١٧/٧، والسير ٤٩٠/٤ (١٨٩).

(٣) أخرجه الدينوري في المجالسة ص ١٦٤ (٩٤٤)، وفيه أبو بكر بن أبي مريم، وهو ضعيف، وكان قد سُرق بيته فاختلط كما في التقريب ص ٦٢٣ (٧٩٧٤)، والحديث مرسل كما ترى.

(٤) انظر: معاني القرآن للأخفش ص ٢٨٤، ومعاني القرآن للزجاج ٤٢٤/٤، والدر المصون ٦١٦/٩.

(٥) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بجر الباء، وباقي القرَّاء برفعها، انظر: الحجة لأبي علي الفارسي ٣٨٦/٣، والبحر المحيط ٤٧/٨.

﴿**لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ**﴾ يختص بهذين الأمرين، وقدم الإحياء لأنه إحياء الموجودات من العدم الأول، كما عبر عنه بقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ (البقرة: من الآية٢٨) فهي إماتتان وإحياءان[1]، ﴿**رَبُّكُمْ**﴾ أيها المخاطبون ﴿**وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ**﴾ مالك الكل من المعدومين والموجودين.

﴿**بَلْ هُمْ**﴾ كفار قريش ﴿**فِي شَكٍّ**﴾ مما ذكر من شؤونه تعالى، [ل١٨٨/أ] أي كالشاكين وإلا هم موقنون بأنه ربهم وأنه خالقهم، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (الزخرف: من الآية٨٧)، لكنهم في يقينهم كالشاكين لما كذبوا رسله، ﴿**يَلْعَبُونَ**﴾، حيث يقرون بربوبيته، ويكذبون ويستهزئون برسله، ﴿**فَارْتَقِبْ**﴾ حيث هم في تلك الصفة، فانتظر ﴿**يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ**﴾، أي يوم شدة ومجاعة فإن الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان إما لضعف بصره أو لأن الهواء في عام القحط يُظْلِم لقلة الأمطار وكثرة الغبار، أخرج ابن مردويه عن عبد الله[2]، قال: الدخان جوع أصاب قريشاً، حتى كان أحدهم لا يبصر السماء من الجوع[3]، وأخرج أيضاً عن ابن مسعود قال: الدخان قد مضى، كان أناس قد أصابهم مخمصة وجوع شديد، حتى كانوا يرون الدخان فيما بينهم وبين السماء[4]، وأخرج البيهقي في الدلائل عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الناس إدباراً قال: (اللهم سبعاً كسبع يوسف)، فأخذهم سنة، حتى أكلوا الجلود والميتة، فجاء أبو سفيان وناس من أهل مكة، فقالوا: يا محمد إنك تزعم أنك قد بُعثت بالرحمة، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ (غافر: من الآية١١).

(٢) هو ابن مسعود رضي الله عنه، وهذا القول مشهور عنه.

(٣) عزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور ٧٤٣/٥، وأصل الأثر حديث في صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم (اجعلها عليهم سنين...) ٣٠١/١ (١٠٠٧)، وصحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الدخان ١١٧/١٧ (٢٧٩٨).

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور عن ابن مردويه من طريق عتبة بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن مسعود، وهو منقطع فإن عتبة لم يدرك ابن مسعود، انظر: الدر المنثور ٧٤٣/٥.

لهم، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسُقوا الغيث.. الحديث[1].

﴿**يَغْشَى النَّاسَ**﴾ يحيط بهم ﴿**هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾، يحتمل أنه من قولهم أو من كلامه تعالى، وفيه تسمية الجوع عذابا مؤلماً[2].

وقولهم:

﴿**رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ**﴾ القحط ﴿**إِنَّا مُؤْمِنُونَ**﴾، يظهر أنه من كلامهم وأنهم وعدوا بالإيمان إن كُشِفَ عنهم، نظيره قول قومٍ لرسلهم: ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرائيلَ﴾ (الأعراف: من الآية١٣٤)[3] وقوله:

﴿**أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ**﴾ رد لكلامهم واستدعائهم الكشف وتكذيب لهم في الوعد بالإيمان المبني على التذكير والاتعاظ بما اعتراهم من العذاب بالقحط، أي كيف تتذكرون ومن أين تتذكرون، ويقولون إنهم يؤمنون، والحال أنهم قد جاءهم [ل١٨٨/ب] رسول عظيم الشأن بيّن المعجزة والبرهان، يدعوهم إلى الإيمان فلم يؤمنوا به ولا صدقوه، فلو كانوا ممن يتذكر لكفى به تذكرة أو ممن يتعظ لكفى به

---

(١) انظر: الدلائل للبيهقي ٣٢٦/٢، وتقدم قريباً قبل هذا أن أصل الحديث في الصحيحين، وهذه الآثار عن ابن مسعود رضي الله عنه تدل على رأيه، وقد تبعه جمع من العلماء كالطبري وغيره ومنهم المؤلف رحمهم الله جميعاً، وذهب علي وابن عباس رضي الله عنهم، وغيرهما إلى أن الدخان لم يأت بعد، وأنه يأتي في آخر الزمان، وهو الذي رجحه ابن كثير في تفسيره ٢١٣/٤، وابن حجر في الفتح ٧٢٨/٨، قال ابن كثير بعد أن أورد أثراً عن ابن عباس يدل على هذا المعنى: "وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما حبر الأمة وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما التي أوردوها مما فيه مقنع، ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة مع أنه ظاهر القرآن، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ أي: بيّن واضح يراه كل أحد ، وعلى ما فسر به ابن مسعود رضي الله عنه إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد، وهكذا قوله تعالى: ﴿يغشى الناس﴾ أي يتغشاهم ويعمهم، ولو كان أمراً خيالياً يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه: ﴿يغشى الناس﴾ ا.هـ.

(٢) هذا على ما اختاره المؤلف، والصواب أنه دخان حقيقي يأتي في آخر الزمان على ما مضى ذكره.

(٣) هم قوم فرعون وقالوا ذلك لموسى عليه السلام.

موعظة، هذا وقد ورد في أحاديث مرفوعة أن الدخان من اشراط الساعة، وأنه سيأتي.

أخرج ابن جرير والطبراني بسند جيد، عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن ربكم أنذركم ثلاثاً؛ الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة ويأخذ الكافر فيتنفخ حتى يخرج من كل مسامعه، والثانية: الدابة، والثالثة: الدجال)[1]، وأخرج ابن جرير عن حذيفة في حديث، وفيه قال حذيفة: يا رسول الله وما الدخان؟ قال: (يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً وليلة، فأما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام، وأما الكافر فبمنزلة السكران يخرج من منخرية وأذنيه ودبره)[2]، ولا بد أنه أتى في حياته تعذيباً لمن لم يؤمن به، ويأتي الأعظم في أشراط الساعة.

﴿**ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ**﴾ أعرضوا عن الرسول المبين ﴿**وَقَالُوا مُعَلَّمٌ**﴾ كما قالوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ (النحل: من الآية١٠٣)، وقولهم: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ (الفرقان: من الآيــة٥)، وتارةً قالوا ﴿**مَجْنُونٌ**﴾، وقالوا غير ذلك في حقه، أي فهل يتوقع من قوم قالوا ذلك في رسولهم أنهم يتأثرون بالوعظ والتذكير؟ وما مثلهم إلا مثل

(١) أخرجه الطبري في تفسير ٢٥ /١٣٥، من طريق محمد بن عوف عن محمد بن إسماعيل بن عياش، عن أبيه عن ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن أبي مالك الأشعريّ مرفوعاً، وقد ضعَّف الحافظ ابن حجر في الفتح ٧٢٨/٨ هذا الإسناد، وقال بعده: "ولكن تضافر هذه الأحاديث يدل على أن لذلك أصلاً"، وأخرجه الطبراني في الكبير ٢٩٣/٣ (٣٤٤٠)، من طريق هاشم بن مرثد عن محمد بن إسماعيل بن عياش مثله، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢١٢/٤، عنه إنه إسناد جيد.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣٥/٢٥ من طريق رواد بن الجراح عن سفيان عن منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما مرفوعاً، ثم قال بعده: " وإنما لم أشهد له بالصحة، لأن محمد بن خلف العسقلاني حدثني أنه سأل روّاداً عن هذا الحديث، هل سمعه من سفيان؟ فقال: لا، فقلت له: فقرأته عليه، فقال: لا، فقلت له: فقرئ عليه وأنت حاضر فأقر به، فقال: لا، فقلت: فمن أين جئت به؟ قال: جاءني به قوم فعرضوه علي وقالوا لي: اسمعه منا فقرءوه علي، ثم ذهبوا، فحدثوا به عني، أو كما قال، فلما ذكرت من ذلك لم أشهد له بالصحة"، وقال ابن كثير رحمه الله بعد أن ساق كلام الطبري: "فإنه موضوع بهذا السند وقد أكثر ابن جرير من سياقه في أماكن من هذا التفسير، وفيه منكرات كثيرة جداً". انظر: تفسير ابن كثير٢١٢/٤، وقد ضعفه الحافظ في الفتح ٧٢٨/٨، وقال في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ٢٦٥/٤: "وفي إسناده رواد بن الجراح وهو متروك، وقد اعترف بأنه لم يسمع هذا الحديث".

الكلب إذا جاع ضَغَا وإذا شبع طغى[1]، ولذا قال تعالى:

﴿**إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ**﴾ بالجوع ﴿**قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ**﴾ إلى ما أنتم عليه من الطغيان وعدم الإيمان، نحو قوله في قوم فرعون: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٥).

﴿**يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى**﴾ يظهر أنه يتعلق بـ﴿فَارْتَقِبْ﴾، أي ارتقب يوم تأتي السماء بدخان، وارتقب يوم نبطش[2]، والبطشة الكبرى فُسِّرت بيوم القيامة، أو بيوم بدر[3]. أخرج عبد بن حميد وابن جرير بسند صحيح عن عكرمة قال: قال ابن عباس: قال ابن مسعود: البطشة الكبرى يوم بدر، وأنا أقول: هي يوم القيامة[4]، [ل١٨٩/أ] وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي العالية قال: كنا نتحدث أن قوله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾، يوم بدر[5]. والآثار كثيرة أنها يوم بدر، **قلت:** ويؤيده ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ (الزخرف: من الآية٥٥)، في قوم فرعون، فإنه فسره بقوله: ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الزخرف: من الآية٥٥)، فالانتقام في الدنيا، ولذا قال: ﴿**إِنَّا مُنْتَقِمُونَ**﴾ من كل

---

(١) قال ابن دريد في جمهرة اللغة ٢٧١/٢: "**الضَّغْو**: مصدر ضغا الذئبُ يضغو ضَغْواً وضُغاءً، وهو صياحه وتضوّره إذا جاع، والاسم: الضُّغاء"، وقال الميداني في مجمع الأمثال ٥٢٧/١: "أصل الضَّغْو في الكلب والثعلب إذا اشتدَّ عليه أمر عَوَى عُوَاء ضعيفاً، ثم كثر ذلك حتى جعل لكل مَنْ عَجَز عن شيء، وضَغَا المُقَامِرُ ضَغْواً وضُغَاءً، إذا خان و لم يَعْدِلْ، يضرب لمن لا يقدر من الانتقام إلا على صِياح".

(٢) انظر: تفسير القرطبي ١٣١/١٦، لكنه لم يذكر أنه يتعلق بـ (ارتقب).

(٣) وممن فسرها بيوم القيامة: ابن عباس رضي الله عنهما، وفسرها ابن مسعود رضي الله عنه بيوم بدر، انظر: تفسير الطبري ١٣٨/٢٥.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره من طريق عكرمة عن ابن عباس، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره بعد أن أورده: "وهذا إسناد صحيح عنه، وبه يقول الحسن البصري، وعكرمة في أصح الروايتين عنه"، انظر: تفسير الطبري ١٣٩/٢٥، وتفسير ابن كثير ٢١٤/٤، وعزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور ٧٤٥/٥.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٨٨/١٣ (٣٧٧٣٤)، من طريق أبي أسامة عن ابن عون عن أبي العالية، وله متابع عند الطبري في تفسيره ١٣٨/٢٥ من طريق ابن بشار عن ابن أبي عدي عن أبي العالية، وقد صحح أحمد شاكر في تحقيقه على الطبري إسناداً فيه ابن بشار عن ابن أبي عدي، وقال: "هذا إسناد صحيح". انظر: تحقيق أحمد شاكر على الطبري ٣٩٣/١.

من أصر على تكذيب الرسل، ثم أسّى رسوله بمن سبقه فقال:

﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ**﴾: قبل قريش ﴿**قَوْمَ فِرْعَوْنَ**﴾ هم القبط أي وفرعون، وإرسال الرسل فتنة واختبار لمن يؤمن بهم ومن يكفر، ولذا قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ (الفرقان: من الآية٢٠) وقال: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت: ٣)، ﴿**وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ**﴾ موسى عليه السلام ﴿**كَرِيمٌ**﴾ على الله.

﴿**أَنْ أَدُّوا**﴾ بأن ﴿**إِلَيَّ عِبَادَ**﴾ أي أظهروا إيمانكم بالطاعة لي، وقيل: سلِّموا إلي عباد ﴿**اللَّهِ**﴾ وهم بنو إسرائيل[1]، كما تدل له آيات، ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرائيلَ﴾[2] (الشعراء: ١٧) ﴿**إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ**﴾ على وحي الله ورسالته، وقد وصف الله رُسُلَه بلفظ أمين في عدة مواضع، منها: في الشعراء في خمسة مواضع، في خمسة أنبياء، أولهم: نوح، وآخرهم: شعيب[3]، ووصف به جبريل ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ (الشعراء: ١٩٣)، و﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ (التكوير: ٢١) فالأَمَنَةُ رُسُلِ الله من الملائكة والبشر.

﴿**وَأَنْ لا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ**﴾ أي بأن، عَطَفَ على أدوا[4]، وقد وصف فرعون بالعلو في الأرض ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ﴾ (القصص: من الآية٤) ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ﴾ (يونس: من الآية٨٣) أي لا تتكبروا ﴿**إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ**﴾ ببرهان واضح، لَّما ادَّعى أنه رسول أقام البينة على دعواه، ولذا قال له فرعون: ﴿مَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الشعراء: ١٥٤)، وقال -لما قال له موسى: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ (الشعراء: ٣٠)- قال: ﴿فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الشعراء:

---

(١) وهذا القول مرويٌ عن مجاهد وقتادة وابن زيد، انظر: تفسير الطبري ١٤٠/٢٥.

(٢) جاء نحو هذه الآية في الأعراف قوله تعالى: ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرائيلَ﴾ (الأعراف: ١٠٥) وفي سورة طه كما في قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرائيلَ﴾ (طه: ٤٧)، وكما في الآية التي ذكرها المؤلف في سورة الشعراء.

(٣) في سورة الشعراء الآيات، ١٠٧، ١٢٥، ١٤٣، ١٦٢، ١٧٨.

(٤) بل العطف على أن الأولى، انظر: إعراب القرآن للنحاس ص٨٢٣، والدر المصون ٦٢٠/٩.

٣١)، لذا لما ألقى عصاه خرَّ السحرة ساجدين لَمَّا بهرهم سلطانه ووضح لهم برهانه، ولما قال فرعون: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ (غافر: من الآية٢٦) عاذ موسى بربه، قال موسى: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (غافر: من الآية٢٧)، [ل١٨٩/ب] وقال هنا:

﴿**وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ**﴾ بالحجارة أو بالشتم، وهذا دأب الكفار مع رسلهم، قالوا: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ (الشعراء: من الآية١١٦).

﴿**وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا**﴾ تُذعنوا ﴿**لِي فَاعْتَزِلُونِ**﴾ اتركوني من أذيتكم لأني قد أبلغتكم، فلم يتركوه من الأذية.

﴿**فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ**﴾ كما دعاه نوح عليه السلام بقوله: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ (القمر: من الآية١٠) وقد بسط الله قصة موسى عليه السلام في مواضع، كالبقرة والأعراف وطه والشعراء وغيرها، وهنا أتى بإشارة إليها، قال الله تعالى:

﴿**فَأَسْرِ**﴾ بوصل الهمزة وقطعها[1] ﴿**بِعِبَادِي**﴾ الذين آمنوا ﴿**لَيْلاً إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ**﴾ وفي الشعراء: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ (الشعراء: ٥٢) يتبعكم فرعون وجنوده.

﴿**وَاتْرُكِ الْبَحْرَ**﴾ الذي أمره أن يضربه بعصاه، فانفرق وجعل تعالى فيه طريقاً يبساً ﴿**رَهْواً**﴾ ساكنا منفرجاً، ليدخله فرعون وقومه، ﴿**إِنَّهُمْ جُنْدٌ**﴾ أي فرعون ومن معه، كما قال تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾ (يونس: من الآية٩٠) ﴿**مُغْرَقُونَ**﴾ كما قال تعالى: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ (طه: من الآية٧٨) وكما قال: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الزخرف: ٥٥) ثم أخبر عما تركوه من النعم التي سلبهم الله إياها بكفرهم، فقال:

﴿**كَمْ تَرَكُوا**﴾ إخبارٌ بكثرة ما تركوا ﴿**مِنْ جَنَّاتٍ**﴾، بساتين كافة على جانبي النيل

---

(١) وهما قراءتان متواترتان؛ فقرأ بالوصل نافع وابن كثير وأبو جعفر، والباقون بقطع الهمزة، انظر: إتحاف فضلاء البشر ص٤٩٩، والبدور الزاهرة ص ٣٦٣.

﴿**وَعُيُونٍ**﴾ تجري من النيل في أراضيهم ودورهم.

﴿**وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ**﴾ مجلس حسن.

﴿**وَنَعْمَةٍ**﴾ متعة ﴿**كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ**﴾ وتقدم: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ (الشعراء: ٥٧، ٥٨) فطوى هنالك شيئاً وهنا شيئاً والكل مراد.

﴿**كَذَلِكَ**﴾ أي الأمر كذلك، تقريرٌ لما ذكر ﴿**وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ**﴾ أجملهم هنا، وسبق أنهم بنو إسرائيل ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرائيلَ﴾ (الشعراء: من الآية٥٩) وفي الأعراف: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ (الأعراف: من الآية١٣٧).

﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ**﴾ مؤخرين للتوبة، حمل الزمخشري[1] البكاء على المجاز أو على حذف مضاف، أي أهلهما[2]، قلت: وأخرج الترمذي وابن أبي الدنيا في ذكر الموت، وأبو يعلى[ل١٩٠/أ] وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية، والخطيب عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما من عبد إلا وله بابان، باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه، فإذا مات فقداه وبكيا عليه)، وتلا هذه الآية: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾. وذكر أنهم لم يكونوا يعملون في الأرض عملا صالحاً يبكي عليهم، ولم يصعد لهم إلى السماء من كلامهم كلام صالح، ولا من عملهم، فيفقدهم فيبكي عليهم[3]. وأخرج عبد بن

---

(١) هو محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي النحوي، أبو القاسم كبير المعتزلة صاحب الكشاف والمفصل، ولد بزمخشر سنة ٤٦٧هـ، وكان رأساً في البلاغة والعربية والمعاني والبيان، وكان داعية للاعتزال، مات سنة ٥٣٨هـ، انظر: الأنساب للسمعاني ٢٩٧/٦، والسير ١٥١/٢٠ (٩١).

(٢) انظر: الكشاف ٢٧٠/٤.

(٣) أخرجه الترمذي كتاب التفسير، باب ومن سورة الدخان ص٧٣٦ (٣٢٥٥) ولكن دون ذكر بعض الألفاظ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢٨٩/١٠ (١٨٥٥٠)، وابن أبي الدنيا في ذكر الموت ص ١٦١ (٢٨٨)، وأبو يعلى في مسنده ص٧٧١ (٤١٣٣)، وأبو نعيم في الحلية ٣٢٧/٨ ولكن دون قوله: وتلا هذه الآية...الخ، والخطيب في تاريخ بغداد ٢١١/١١، وقال الترمذي: "هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، =

حميد وابن جرير عن قتادة في الآية، قال: هم أهون على الله من ذلك. قال: وكذلك المؤمن تبكي عليه بقاعه التي كان يصلي فيها في الأرض، ويصعد من[1] عمله إلى السماء[2]، وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد قال: إن العالم إذا مات بكت عليه الأرض والسماء أربعين صباحاً[3]، وأخرج عبد بن حميد عن وهب قال: إن الأرض لتحزن على العبد الصالح أربعين صباحاً[4]، وأخرج ابن المبارك وأبو الشيخ عن ثور بن يزيد عن مولى لهذيل، قال: (ما من عبد يضع جبهته في بقعة من الأرض ساجداً لله، إلا شهدت له بها يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت)[5]، والآثار فيه كثيرة ولها حكم الرفع.

﴿**وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرائيلَ**﴾ الذين كان فرعون يُذَبِّح أبناءهم ويستحي نسائهم ﴿**مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ**﴾.

﴿**مِنْ فِرْعَوْنَ**﴾ بدل من العذاب المهين كأنه كان في نفسه عذاباً مهيناً، لإفراطه في تعذيبهم[6] ﴿**إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِنَ الْمُسْرِفِينَ**﴾، تقدم وصف الله له بالعلو.

=

وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث". وقال الهيثمي في مجمع الزوائد١٦٦/٧: "روى بعضه الترمذي ورواه أبو يعلى وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف"، وكذلك ضعفه الألباني. انظر: تعليقه على سنن الترمذي ص٧٣٦ (٣٢٥٥).

(١) قوله: "من" جاء ملحقاً بالحاشية، وعليها: "صح".

(٢) لم أجده بهذا اللفظ عند الطبري في تفسيره، وإنما وجدت قول قتادة في الآية قال: "بقاع المؤمن التي كان يصلي عليها من الأرض تبكي عليه إذا مات، وبقاعه من السماء التي كان يرفع فيها عمله" ا.هـ، تفسير الطبري١٤٨/٢٥، وإسناده حسن كما قال صاحب التفسير الصحيح ٣١٨/٤، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٤٧/٥، إلى عبد بن حميد وابن جرير.

(٣) عزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور ٧٤٧/٥، ولم أعثر عليه بهذا اللفظ عن مجاهد، وقد أخرج الطبري عنه قوله: إن المؤمن إذا مات بكت عليه الأرض والسماء أربعين صباحاً، تفسير الطبري ١٤٧/٢٥، وهكذا قال ابن كثير بعد أن أورد لفظ الطبري هذا قال: "وكذا قال مجاهد"، انظر: تفسيره ٢١٧/٤.

(٤) عزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور ٧٤٨/٥، ولم أعثر عليه عند غيره، ويشهد له ما قبله.

(٥) أخرجه ابن المبارك في الزهد ٣١٧/١ (٣١٨)، وأبو نعيم في الحلية ١٩٧/٥ عن عطاء قوله، وإسناده صحيح إلا أنه مقطوع، والأثر الذي أورده المؤلف فيه من لم يعرف.

(٦) انظر: الكشاف ٢٧٠/٤، والدر المصون ٦٢٤/٩، وتفسير أبي السعود ٥١/٦.

﴿**وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ**﴾ أي بني إسرائيل ﴿**عَلَى عِلْمٍ**﴾ منا لهم ﴿**عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ عالمي زمانهم، وقيل: على الناس جميعاً لكثرة الأنبياء منهم[1].

﴿**وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الآيَاتِ**﴾ من نحو فَلْق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى، وغير ذلك من الآيات التي لم يظهرها في غيرهم ﴿**مَا فِيهِ بَلاءٌ مُبِينٌ**﴾ نعمة ظاهرة، لأنه تعالى يبلو بالنعمة كما يبلو بالمصيبة قال: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (الأنبياء: من الآية٣٥) ثم أخبر عن كفار [ل١٩٠/ب] مكة فقال:

﴿**إِنَّ هَؤُلاءِ لَيَقُولُونَ**﴾.

﴿**إِنْ هِيَ**[2]﴾ أي الموتة التي بعدها الحياة الأولى وهم غير موجودين، وهي التي عبر الله عنها بقوله: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ﴾ (البقرة: من الآية٢٨) فقالوا: ما نقر إلا بهذه الميتة الأولى، وأنتم أيها الرسل، تدَّعون موتةً بعدها ثم حياة، وما نعرف موتةً تعقبها حياة إلا الأولى، وإنه لا موتة بعدها حياة إلا الموتة الأولى، وليس في تسميتهم إياها إقرارٌ بالثانية، ولذا قالوا: ﴿**وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ**﴾ أي ليس لنا حياة ونشور، ثم طلبوا من الرسل ما في قوله:

﴿**فَأْتُوا بِآبَائِنَا**﴾ الذين ماتوا ﴿**إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ أنا نُبْعَث، ويأتي في السورة الثانية إذا أمروا بالإيمان بالبعث: ﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الجاثـية: من الآية٢٥) ويأتي جوابه تعالى عليهم[3].

﴿**أَهُمْ خَيْرٌ**﴾ في القوة والمنعة ﴿**أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ**﴾ كان رجلاً صالحاً وقيل: نبياً[4]، أخرج

---

(١) أورده القرطبي في تفسيره وقال: "حكاه ابن عيسى والزمخشري"، انظر: تفسير القرطبي ١٤٠/١٦، والكشاف ٢٧١/٤.

(٢) بعد هذا الجزء جملة من الآية ساقطة من الأصل وهي قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولَى﴾.

(٣) وهو قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثـية: ٢٦)، ولكنَّ المؤلف لم يكتب في سورة الجاثية شيئاً، كما في لوح ١٩٢/ب.

(٤) وهذا القول مأثور عن ابن عباس رضي الله عنهما، انظر: تفسير القرطبي ١٤٣/١٦، والبحر المحيط ٥٥/٨.

أحمد والطبراني وابن ماجه[1] وابن مردويه عن [سهل][2] بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تسبوا تبعاً فإنه قد كان أسلم)[3]، ومثله أخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما[4] وأخرج الحاكم وصححه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان تبع رجلاً صالحاً، ألا ترى أن الله ذم قومه و لم يذمه[5] والروايات الدالة على إيمانه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقبل بعثته كثيرة ﴿**وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ أي عاد وثمود وأشباههم من كل جبار عنيد، وهو نحو قول مؤمن آل فرعون: ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ (غافر: من الآية٣١) ﴿**أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾ تعليل لإهلاكهم ليعلم أن من شاركهم في الإجرام هالك مثلهم.

---

(١) كذا في الأصل، والظاهر أنه تصحيف، والصواب: "ابن أبي حاتم" كما في الدر المنثور ٧٥٠/٥، وكذا لم أجده عند ابن ماجه.

(٢) في الأصل: "محمد" والصواب ما أُثبت بالرجوع إلى مصادر الحديث.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٤٥٤/١٦ (٢٢٧٧٨)، والطبري في تفسيره ١٨٠/٢٦، والطبراني في الكبير ٢٠٣/٦ (٦٠١٣)، والبغوي في تفسيره ١٥٤/٤، وفي الإسناد ابن لهيعة و عمرو بن جابر، قال الحافظ ابن حجر في الكاف الشاف ٢٧٢/٤: "وهما ضعيفان، وروى حبيب عن مالك عن أبي حازم عن سهل مثله، قال الدارقطني: تفرد به حبيب وهو متروك"، انتهى كلام ابن حجر رحمه الله، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩٣/٨: "رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه عمرو بن جابر وهو كذاب".

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٩٦/١١ (١١٧٩٠)، وقال الهيثمي في المجمع ٩٣/٨: "رواه الطبراني في الأوسط وفيه أحمد بن أبي بزة المكي و لم أعرفه وبقية رجاله ثقات"، ا.هـ وأحمد بن أبي بزة ضعيف ضعفه أبو حاتم الرازي كما في الجرح والتعديل لابنه ٢٦/٢ (١٢٩)، وقال العقيلي: "منكر الحديث" ١٤٤/١ (١٥٥) ، وقال الحافظ في الفتح ٧٢٥/٨ عن هذا الإسناد إنه أصلح من إسناد حديث سهل المتقدم، وعزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور ٧٥٠/٥.

هذا وقد جمع الألباني رحمه الله أطراف هذا الحديث والذي قبله، وحكم على الأول الذي هو من رواية سهل بالضعف في السلسلة الضعيفة ٤١٣/٤ (١٩٣٩)، ثم ذكر طريقاً آخر بلفظ (لا تسبوا..) وقال: "وهو بهذا اللفظ ثابت لأن له شواهد" ا.هـ. ثم ذكر شواهده في السلسلة الصحيحة ٥٤٨/٥ (٢٤٢٣).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٨٨/٢ (٣٦٨١) وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه". ووافقه الذهبي، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة ٥٤٩/٥: "وهو كما قالا".

﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ**﴾ تقدم في السورة ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ثم نفى اللعب عن خلقهم لا عن حكمة، بل خلقهما بالحق كما يأتي: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ (الحجر: من الآية٨٥) وتقدم: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ﴾ (الأنبياء: ١٦) وصرح بالحكمة فقال: ﴿**مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [ل١٩١/أ] وجه الحكمة، وقليلٌ يعلمونه الذين ﴿يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً﴾ (آل عمران: من الآية١٩١) وأجاب على القائلين: ﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا﴾ (الدخان: من الآية٣٦) بقوله:

﴿**إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ**﴾ بين الخلائق وهو يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ﴾ (المرسلات: ٣٨) ﴿**مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ الأولين والآخرين والآباء والأبناء ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ (هود: من الآية١٠٣).

﴿**يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلىً**﴾ بقرابة أو غيرها ﴿**عَنْ مَوْلىً شَيْئاً**﴾ من الإغناء، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر: ٣٨)، ﴿لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً﴾ (لقمان: من الآية٣٣) ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً﴾ (البقرة: من الآية٤٨) ﴿**وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾، الضمير لمولى الأول باعتبار معناه لأنه عام[(١)].

﴿**إِلاَّ مَنْ رَحِمَ اللَّهُ**﴾ بعفوه عنهم أو قبول شفاعة شافع ﴿**إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ**﴾ الذي لا يغالَب ﴿**الرَّحِيمُ**﴾ لمن أراد أن يرحمه.

﴿**إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ**﴾ تقدم بيانه في سورة الصافات[(٢)].

﴿**طَعَامُ الأَثِيمِ**﴾ الكثير الآثام، وأريد به الكافر لما بيَّنه الله تعالى في صفة أكلها في سورة الصافات[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير البيضاوي ٤٣٤/٨، وتفسير أبي السعود ٥٣/٦.

(٢) انظر: مفاتح الرضوان، سورة الصافات، في الجزء الذي حققه الأخ: أمين المزيني ص٣٤٠، ٣٤١.

(٣) المصدر السابق.

﴿**كَالْمُهْلِ**﴾ هو ما يُمْهَل في النار حتى يذوب، وقيل إنه دردي الزيت[1]، ويدل عليه قوله: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ (المعارج: ٨)، مع قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (الرحمن: من الآية٣٧) كما يأتي وفي الواقعة: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ• لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ...﴾ الآية (الواقعة: ٥١، ٥٢)، يأتي تفسيرها[2]، وفي غيرها في بيان محل الشجرة ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ • طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ...﴾ الآية (الصافات: ٦٤، ٦٥)، وطوى هنا ذلك كما طوى: ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾ (الواقعة: ٥٤) وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ﴾ (الصافات: ٦٧) كما طوى هنالك ﴿**يَغْلِي فِي الْبُطُونِ**﴾ فكل صفاتٍ ذكرت لها في محل وطويت في آخر فهي مرادة .

﴿**كَغَلْيِ الْحَمِيمِ**﴾ هو الماء الحار الذي قد انتهى غليانه فإنهم يشربون الحميم بعد أكلها فتغلي به البطون.

﴿**خُذُوهُ**﴾ خطاب للزبانية مثل قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ (الحاقة: ٣٠) ﴿**فَاعْتِلُوهُ**﴾ أي قودوا بعنف وغلظة، سوقوه ﴿**إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ**﴾ إلى وسطها ومعظمها نحو [ل١٩١/ب] قوله: ﴿فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ (الصافات: من الآية٥٥) فطوى هنا: ﴿فَغُلُّوهُ...﴾ الآية (الحاقة: من الآية٣٠).

﴿**ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ**﴾ وصُبَّ الحميم.

﴿**ذُقْ**﴾ أي العذاب نحو: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً﴾ (النبأ: ٣٠) ﴿**إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ**﴾ في الدنيا ﴿**الْكَرِيمُ**﴾ عند أهلها وهو تهكم به وإلهاب لقلبه بذكر ما كان عليه من تجبره وتكبره ﴿**إِنَّ هَذَا**﴾ العذاب ﴿**مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ**﴾ (الدخان: الآية٥٠) تشكّون وتمارون وتلاحون كقوله: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ...﴾ الآية (يونس: من

---

(١) قاله ابن عباس رضي الله عنهما، انظر: تفسير الطبري ١٥٤/٢٥، ودردي الزيت هو ما يبقى في أسفله، انظر: لسان العرب ٣٢٣/٤، والقاموس المحيط ص ٣٠٤.

(٢) هذا الجزء الذي أحال إليه المؤلف من سورتي الرحمن والواقعة مفقود كما سبق بيانه في المقدمة ص ٤.

الآية٤٨) نحو: ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ (الطور: ١٤) ونحو: ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (الذاريات: من الآية١٤) ﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (المرسلات: ٢٩) هذه أحوال فريق الأشقياء، ثم ذكر أحوال السعداء فقال:

﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ**﴾ بفتح الميم موضع القيام، وبالضم موضع الإقامة، وبهما قريء[1]، وهو موضع الصدق في قوله: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[2]، ﴿**أَمِينٍ**﴾ هو ضد الخائن وصف به المكان استعارة، لأن المكان المخيف يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره، أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة قال: أمين من الشيطان والأوصاب والأحزان[3].

﴿**فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**﴾ بدل من المقام[4]،

﴿**يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ**﴾ هو ما رقّ من الديباج ﴿**وَإِسْتَبْرَقٍ**﴾ هو ما غلظ منه، ﴿**مُتَقَابِلِينَ**﴾[5]، كما قال تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (الصافات: ٤٤).

﴿**يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ**﴾، ﴿لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (المؤمنون: من الآية١٩) ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (الزخرف: ٧٣).

﴿**لا يَذُوقُونَ فِيهَا**﴾ في الجنات ﴿**الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى**﴾ وهو تعليق بالمحال وإخبارٌ بأن الموتة الأولى هي التي ذاقوها في الدنيا لا يستقيم ذوقها بعد ذلك، أخرج ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه حديث ذبح الموت بين الجنة والنار[6]، كما تقدم في

---

(١) قرأ نافع وابن عامر بضم الميم، والباقون بفتحها، وهما قراءتان سبعيتان، انظر: الحجة للفارسي ٣/٣٨٨، والبحر المحيط ٨/٥٨.

(٢) من قوله: "بفتح الميم..." إلى هنا جاء ملحقاً بالحاشية، وعليه: "صح".

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٥/١٥٩، من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وهو إسنادٌ حسن قد تقدم الكلام عليه ص ٥٦، وعزاه لعبد بن حميد: السيوطي في الدر المنثور ٥/٧٥٣.

(٤) انظر: الدر المصون ٩/٦٢٩، وتفسير أبي السعود ٦/٥٤.

(٥) بعد هذه الآية آية ساقطة من الأصل وهي قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾.

(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه لابن مردويه عن أنس، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه =

الحديث المرفوع وأنه يذبح بين الجنة والنار، فييأس أهل النار من الموت ، ويأمن منه أهل الجنة[1]، وأخرج البزار والطبراني وابن مردويه والبيهقي في البعث بسند صحيح، عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال: قيل يا رسول الله أينام أهل الجنة؟ قال: (لا، النوم أخو الموت، وإن أهل الجنة لا ينامون ولا يموتون)[2] [ل١٩٢/أ] ﴿**وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ**﴾ الذي يُخَلَّد فيه أعداء الله.

=

وسلم قال: (يجاء بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيعرفه هؤلاء، ويعرفه هؤلاء، فيقول أهل النار: اللهم سلطه علينا، ويقول أهل الجنة: اللهم إنك قضيت أن لا نذوق فيها الموت إلا الموتة الأولى، فيذبح بينهما، فييأس أهل النار من الموت، ويأمن أهل الجنة من الموت)، و لم أعثر عليه عند غير السيوطي، ولكن يشهد له ما بعده.

(١) جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (يؤتى بالموتِ كهيئةِ كبش أملح، فينادِي منادٍ: يا أهل الجنة فَيَشْرَئِبُّونَ وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. وكلهم قد رآه. ثم يُنادي: يا أهلَ النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. وكلُهم قد رآه. فيُذْبح. ثم يقول: يا أهلَ الجنة، خُلودٌ فلا مَوت. ويا أهلَ النار، خلودٌ فلا موت). ثم قَرَأ: ﴿وأنذِرهم يومَ الْحَسرةِ إذ قُضيَ الأمرُ وهم في غفلة﴾ -وهؤلاء في غفلةِ أهلِ الدنيا- ﴿وهم لا يؤمنون﴾، (مريم: ٣٩) ، انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ ١٤٧١/٣ (٤٧٣٠)، وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، ١٥٣/١٧ (٢٨٤٩).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ٢٨٢/١ (٩١٩)، وأبو نعيم في الحلية ٩٠/٧، وقال: "غريب من حديث الثوري تفرد به عبد الله"، وقال العقيلي في كتابه الضعفاء ٧٠٣/٢ (٨٧٨): "ابن المغيرة هذا كان يخالف في بعض حديثه ويحدث بما لا أصل له. فمن حديثه الذي يخالف فيه ..." وذكره. وفي الإسناد أيضاً: المقدام بن داود، ضعيف. انظر: ميزان الاعتدال للذهبي ٥٠٧/٦ (٨٧٥١)، والكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث لسبط ابن العجمي ص٤٢٨ (٧٨٢)، وأخرج الحديث البيهقي في الشعب ٤٠٩/٦ (٤٤١٦)، وفي البعث والنشور ص٢٥٧ (٤٣٩) من طريق معاذ بن معاذ العنبري عن سفيان مثله ويعتبر متابع لعبد الله بن محمد بن المغيرة، وله متابعات أخرى، لذلك قال الألباني بعد أن ذكر كلام أبي نعيم: "وقد فاتته المتابعات" وجمع الألباني تلك المتابعات وحكم عليها وخلُص بقوله: "وبالجملة فالحديث صحيح من بعض طرقه عن جابر والله أعلم" ا.هـ. انظر: السلسلة الصحيحة ٧٨/٣ (١٠٨٧)، و لم أجد الحديث في مسند البزار، وعزاه لابن مردويه: السيوطي في الدر المنثور وصحح إسناده ٧٥٤/٥.

﴿**فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ**﴾ هو مفعول له لقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ...﴾ الخ (الدخان: من الآية ٥١) أي لأجل أفضاله على المتقين[1]، ﴿**ذَلِكَ**﴾ أي جميع ما ذكر للمتقين ﴿**هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ فمن أدخل الجنة وزحزح عن النار فقد فاز.

﴿**فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ**﴾ أي القرآن أي سهلناه ﴿**بِلِسَانِكَ**﴾ العربي المبين ﴿**لَعَلَّهُمْ**﴾ أي من أُنزل إليهم ﴿**يَتَذَكَّرُونَ**﴾ ما فيه من أدلة التوحيد وأدلة رسالتك وأدلة المعاد، فإنه لا لسان أبلغ في إفادة المعاني من اللسان العربي، وبعد هذا الإبلاغ والمبالغة في الاستدلال أمره الله تعالى بقوله: ﴿**فَارْتَقِبْ**﴾ فانتظر عاقبة المكذبين، نحو قوله: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾، ﴿**إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ**﴾ ما يحل بك.

انتهت سورة الدخان.

(١) انظر: الدر المصون ٦٣٢/٩، وتفسير النسفي ٥٤٠/٢.

الفهارس

١- فهرس الأحاديث.

٢- فهرس الآثار.

٣- فهرس الأبيات الشعرية.

٤- فهرس الأعلام.

٥- فهرس مصادر المؤلف ومراجعه التي نص على ذكرها في كتابه هذا.

٦- فهرس مصادر ومراجع التحقيق.

٧- محتوى الموضوعات.

أولاً: فهرس الأحاديث

الحديث......................................**الراوي** .... **الصفحة**

الحديث...الراوي .... الصفحة

الحديث..**الراوي** .... **الصفحة**

ثانياً: فهرس الآثار

الأثـــــر	القائل	الصفحة
مقتوا أنفسهم لما دخل المؤمنون الجنة	الحسن	٢٠٤
الملائكة	الأعمش، قتادة، مجاهد	٢٣٠
الملائكة وعيسى وعزير	قتادة	٣٥٥
الملائكة يستغفرون للمؤمنين	وهب بن منبه	٢٩٥
ملة عيسى يريد	محمد بن كعب	٥٥
من حدثكم بحديث داود الذي يرويه القصاص	علي بن أبي طالب	٦٨
من قال: لا إله إلا الله فليقل على إثرها	ابن عباس	٢٤١
نفرت قلوب الكافرين من ذكر الله	ابن عباس	١٦٣
نزل القرآن جملة على جبريل	النخعي	١٢٩
نزل القرآن في السماء العليا	سعيد بن جبير	١٢٩، ٣٥٩
نزلت بالمدينة في وحشي	ابن عباس	١٢٦
نطفة ثم علقة ثم مضغة	ابن عباس	١٣٦
هؤلاء أولياء الله	قتادة	١٥٢
هذا في الخماشة	قتادة	٣١٧
هذا لأهل بدر خاصة	ابن عباس	٢٨٤
هم أهون على الله من ذلك	قتادة	٣٦٩
همزهُ وإغماضه بعينيه فيما لا يحب الله	قتادة	٢١٢
هو ابن آدم الذي قتل أخاه	علي بن أبي طالب	٢٧٥
هو الذي يُعبد في السماء	قتادة	٣٥٥
هي ليلة القدر	قتادة	١٢٨
وجدنا أنصح عباد الله	مطرف بن عبدالله بن الشخير	٢٠٣
يا أبا سعيد ليلة القدر في كل رمضان	الحسن	٣٥٩

ثالثاً: فهرس الأبيات الشعرية

رابعاً: فهرس الأعلام

العلـــم .... **الصفحة**

العلـــم.. الصفحة

العلـــم .... الصفحة

العلــم .... الصفحة

العلـــم .... الصفحة

العلـــم .... **الصفحة**

العلـــم .... الصفحة

العلـــم.. الصفحة

العلـــم .... الصفحة

خامساً: فهرس مصادر المؤلف ومراجعه التي نص على ذكرها في كتابه هذا

مصادر المؤلف................................... الصفحة

مصادر المؤلف........................ الصفحة

مصادر المؤلف............................ الصفحة

مصادر المؤلف........................ الصفحة

سادساً: فهرس مصادر ومراجع التحقيق

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المخطوطات.

- الروض النضير، إبراهيم بن محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني.

ثالثاً: المراجع المطبوعة:

- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي الشهير بـ البنا، علق عليه أنس مهرة، ١٤٢٢هـ دار الكتب العلمية (بيروت).
- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية (بيروت).
- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، لابن القيم، تعليق خالد عبد الغني محفوظ، ط١، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- أحكام القرآن، أحمد بن علي الجصاص، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ.
- أحكام القرآن، محمد بن عبد الله المعروف بـ ابن العربي، تعليق محمد بن عبد القادر عطا، ط٣، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم، ط١، ١٤٠٤هـ، دار الحديث (القاهرة).
- أخبار القضاة، وكيع بن الجراح، عالم الكتب، بيروت، لبنان.
- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط١، ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، دار الكتب العلمية.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للشوكاني، دار الكتب العلمية (بيروت).

- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي (بيروت).
- أساس البلاغة، الزمخشري، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط١، ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- أسباب النزول، علي بن أحمد بن محمد الواحدي، تحقيق ماهر بن ياسين الفحل، ط١، ١٤٢٦هـ، دار الميمان (الرياض).
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، تحقيق علي محمد، ط١، ١٤١٢هـ، دار الجيل (بيروت).
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير الجزري، تحقيق علي محمد معوض، وعادل أحمد، ط٢، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق عبد الله بن محمد الحاشدي، ط٢، ١٤٢٢، مكتبة السوادي (جدة).
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق علي بن محمد البجاوي، ط١، ١٤١٢هـ، دار الجيل (بيروت).
- إصلاح المنطق، يعقوب بن السكيت، دار المعارف، القاهرة.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، ط١، ١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ.
- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، ط٩، ١٤٢٤هـ، دار ابن كثير (بيروت)، ودار اليمامة (بيروت).
- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق د/ زهير غازي زاهد، ط١، ١٤٢٦هـ، عالم الكتب (بيروت).

- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، رتبه وضبطه محمد عبد السلام إبـــراهيم، ط٢، ١٤١٤هـــ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- أعلام النبوة، الحسن بن محمد الماوردي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعـــة الأولى، ١٤٠٧هـــ.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط١٥، ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين (بيروت).
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، شرح يوسف علي طويـــل، ط٤، ١٤٢٢هـــــ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، للأمير الحافظ ابن ماكولا، تحقيق عبد الرحمن المعلمي، دار الكتاب الإسلامي (القاهرة).
- الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، تحقيق عبدالرحمن بـــن يحيى المعلمي اليماني، ط٢، ١٤٠٠هـــ، مكتبة ابن تيمية (القاهرة).
- الأولياء، لابن أبي الدنيا، تحقيق محمد السعيد، ط١، ١٤١٣هـــ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، لمحمد بن إبراهيم بن الوزير، ط٢، ١٩٨٧م، دار الكتب العلمية (بيروت).
- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين الخطيب القزويني، وضع حواشـــيه إبـــراهيم شمس الدين، ط١، ١٤٢٤هـــ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- البحر المحيط، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، ضبط محمد محمد تامر، ط١، ١٤٢١هـــ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- البحر المحيط، محمد بن يوسف بن علي الشهير بـــأبي حيـــان الأندلســـي، تحقيـــق د.عبد الرزاق المهدي، ط١، ١٤٢٣هـــ-٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي.
- بدائع الفوائد، لابن القيم، تحقيق محمد بن إبراهيم الزغلي، ط١، ١٤٢٠هـــــ، دار المعالي (عمان).
- البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق د/ عبد الله التركي، ط١، ١٤١٧هـــ، دار هجر.

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، محمد بن علي الشوكاني، دار الكتب العلمية.
- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح القاضي، ط١، ١٤٢٣هـ، مكتبة أنس بن مالك (مكة المكرمة).
- البدور السافرة في أحوال الآخرة، السيوطي، تحقيق محمد حسن الشافعي، ط٢، ١٤٢٣هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، خرج أحاديثه وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا، ١٤٢٢هـ دار الكتب العلمية (بيروت).
- البعث والنشور، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق عامر أحمد حيدر، ط١، ١٤٠٦هـ، دار يعرب للدراسات والنشر (دمشق).
- البعث، عبد الله بن أبي داود السجستاني، تحقيق محمد زغلول، ط١، ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- البلغة في تاريخ أئمة اللغة، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق محمد المصري، ط١، ١٤٠٧هـ، جمعية إحياء التراث الإسلامي (الكويت).
- البيان في إعراب غريب القرآن، أبو البركات عبد الرحمن بن الأنباري، علق عليه بركات بن يوسف هبود، دار الأرقم بن أبي الأرقم، (بيروت).
- البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو الداني.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن مرتضى الزبيدي، تحقيق عبد العليم الطحاوي، ط٢، ١٤٠٧هـ، مطبعة حكومة الكويت.
- تاريخ أصبهان، أبو نعيم الأصبهاني، تحقيق سيد كسروي حسن، ط١، ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- تاريخ الأمم والملوك ، محمد بن جرير الطبري ، ١٤١٧ه ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية (بيروت).

- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط٢، ١٤٢٥هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- تاريخ دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، ١٤١٥هـ، دار الفكر (بيروت).
- تأويل مختلف الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق محمد محيي الدين، ط٢، ١٤١٩هـ، المكتب الإسلامي (بيروت)، مؤسسة الإشراق (الدوحة).
- التبيان في آداب حملة القرآن، النووي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ط١، ١٤٠٣هـ، مكتبة دار البيان (دمشق).
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، وضع حواشيه محمد ابن حسين شمس الدين، ط١، ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- التبيان في إعراب القرآن، العكبري، نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ط١، دار سحنون.
- تحفة الأحوذي، محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، ط٣، ١٤٢٢هـ، دار إحياء التراث العربي (بيروت).
- تخريج أحاديث الكشاف، جمال الدين الزيلعي، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- تذكرة الحفاظ، للذهبي، دار الكتب العلمية (بيروت).
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي، تحقيق محمد بن تاويت الطبخي، ط٢، ١٤٠٣هـ، طبعة المملكة المغربية وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية.
- الترغيب والترهيب، إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني المعروف بـ قوام السنة، ط١، ١٤١٤هـ، دار الحديث (القاهرة).
- الترغيب والترهيب، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية.

○ التعديل والتجريح، سليمان بن خلف الباجي، تحقيق أحمد البزار، المملكـــة المغربيـــة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
○ التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، محمـــد ناصـــر الـــدين الألبـــاني، ط١، ١٤٢٤هـــ، دار با وزير (جدة).
○ تغليق التعليق، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـــ.
○ تفسير ابن أبي حاتم، محمد بن إدريس بن أبي حاتم، تحقيق: أسعد بن محمد الطيـــب، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان.
○ تفسير البيضاوي، دار الفكر، بيروت، لبنان.
○ تفسير البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر بـــن محمـــد، ط ١، ١٤١٧هـــــ-١٩٩٧م، دار الكتب العلمية.
○ تفسير الثعلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـــ.
○ تفسير الثوري، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، دار الكتب العلمية، بـــيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـــ.
○ تفسير الجلالين طُبِعَ بهامش القرآن الكريم، جلال الدين محمد بن أحمد المحلى وَ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، قدم له وراجعه مروان سوار، دار المعرفة.
○ تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير الدمشقي، تحقيق حسين بـــن إبـــراهيم بـــن زهران، ط١، ١٤١٢هـــ-١٩٩٢م، دار الفكر.
○ تفسير القرآن الكريم سورة ص، محمد بن صـــالح العثـــيمين، ط١، ١٤٢٥هـــــ-٢٠٠٤م، دار الثريا.
○ تفسير القشيري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـــ.
○ تفسير النسفي المسمى مدارك التنـــزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، ضبط الشيخ زكريا عميرات، ط١، ١٤١٥هـــــ-١٩٩٥م، دار الكتـــب العلمية.

- تفسير عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق محمود محمد عبده، ط١، ١٤١٩هـ دار الكتب العلمية(بيروت).
- تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر، المنشورات العلمية، بيروت، لبنان.
- تقريب التهذيب، أحمد بن حجر، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق صغير أحمد شاغف الباكستاني، ط٢، ١٤٢٣هـ، دار العاصمة (الرياض).
- التمثيل والمحاضرة، عبد الملك بن محمد الثعالبي، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة).
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر بن عبد البر، اعتنى به: محمد بو خبزة، وسعيد أحمد إعراب، المملكة المغربية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ط١، ١٤٢١هـ، مؤسسة الرسالة (بيروت).
- تهذيب الكمال، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، تحقيق بشار عواد معروف، ط١، ١٤١٣هـ، مؤسسة الرسالة (بيروت).
- التوحيد، محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق د/ عبد العزيز إبراهيم الشهوان، ط٦، ١٤١٨هـ، مكتبة الرشد (الرياض).
- التوحيد، محمد بن إسحاق بن منده، تحقيق د/ محمد بن عبد الله الوهيبي، د/ موسى عبد العزيز الغصن، ط١، ١٤٢٨هـ، دار الهدي النبوي (مصر)، ودار الفضيلة (السعودية).
- تيسير لمعة الاعتقاد، لابن قدامة المقدسي، شرح د/ عبد الرحمن بن صالح المحمود، ط١، ١٤٢٣هـ، دار الوطن (الرياض).
- الثقات، لابن حبان، ط١، ١٤٠٠هـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد (الهند).

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ضبط وتعليق محمود شاكر، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي.
- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، لمحمد بن اسماعيل البخاري، مراجعة وضبط وفهرسة محمد بن علي القطب، وهشام البخاري، ط١، ١٤١٧هـ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر(بيروت).
- جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، تحقيق د/ محمد بن عبد الرزاق الرعود، ط٢، ١٤٢٠هـ، دار الفرقان (عمان).
- جامع المسانيد والمراسيل، جلال الدين السيوطي، جمع وترتيب عباس أحمد، وأحمد عبد الجواد، ١٤١٤هـ، دار الفكر (بيروت).
- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، أعد فهارسه سيد إبراهيم صادق ومحمد علي عبد القادر، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، دار الحديث.
- الجامع لشعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد، ط٢، ١٤٢٥هـ، مكتبة الرشد (الرياض).
- الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- جمهرة اللغة محمد بن دريد الأزدي، علق عليه إبراهيم شمس الدين، ط١، ١٤٢٦هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق د/ فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، ط١، ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم، تحقيق خليل محمود شيحا، ط١، ١٤٢٤هـ، دار الكتاب العربي (بيروت).
- حاشية الشهاب، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، ضبط عبد الرزاق المهدي، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، دار الكتب العلمية.

- الحجة للقراء السبعة، أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي، تحقيق كامل مصطفى الهنداوي، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، دار الكتب العلمية.
- حلية الأبرار وشعار الأخيار المعروف بـ(الأذكار للنووي)، يحيى بن شرف النووي، تحقيق علي الشربجي وقاسم النوري، ط١، ١٤١٢هـ، مؤسسة الرسالة (بيروت).
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العلمية (بيروت).
- الحماسة المغربية، أحمد بن عبد السلام الجراوي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
- خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري، تحقيق عصام شعيتو، ط١، دار مكتبة هلال (بيروت).
- خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، النووي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ه.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق د.أحمد محمد الخراط، ط١، ١٤١٤ه-١٩٩٣م، دار القلم.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن السيوطي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية.
- دلائل النبوة، للبيهقي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط١، ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- الديباج المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد المعروف بـ ابن فرحون، تحقيق علي عمر، ط١، ١٤٢٣هـ، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة).

- ديوان أبي العتاهية إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، ١٤٠٦هـ، دار بيروت للطباعة والنشر (بيروت).
- ديوان الأمير الصنعاني ، محمد بن إسماعيل الصنعاني، ط٢، ١٤٠٧هـ، دار التنوير (بيروت).
- ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار القلم (بيروت).
- ديوان لبيد بن ربيعة، شرح الطوسي، وضع حواشيه د/ حنا نصر الحتي، ط١، ١٤١٤هـ، دار الكتاب العربي (بيروت).
- ذكر الموت، ابن أبي الدنيا.
- الرؤية، علي بن عمر الدارقطني، تحقيق إبراهيم محمد العلي، وأحمد فخري الرفاعي، ط١، ١٤١١هـ، مكتبة المنار (الأردن).
- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، محمد بن جعفر الكتاني، ط٥، ١٤١٤هـ، دار البشائر الإسلامية (بيروت).
- روح البيان، حقي البروسوي، دار إحياء التراث العربي (بيروت).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، ت محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، دار إحياء التراث العربي.
- الروح لابن القيم، تحقيق عصام الدين الصبابطي، ط٢، ١٤١٩هـ، دار الحديث (القاهرة).
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لابن حبان، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية (بيروت).
- رياض الصالحين، النووي، تحقيق علي بن حسن الحلبي، ط١، ١٤٢١هـ، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية).
- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط١، ١٤٢٢هـ-، دار الكتاب العربي.

- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، ط٣، ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة (بيروت).
- زغل العلم، للذهبي، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، مكتبة الصحوة الإسلامية.
- الزهد لابن المبارك، تحقيق أحمد فريد، ط١، ١٤١٥هـ، دار المعراج الدولية (الرياض).
- الزهد: هناد بن السري، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- السحر الحلال في الحكم والأمثال، أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان ابن جني، تحقيق د/ حسن هنداوي، ط٢، ١٤١٣هـ، دار القلم (دمشق).
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، ١٤١٥هـ، مكتبة المعارف (الرياض).
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، ١٤٢٠هـ، مكتبة المعارف (الرياض).
- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، لمحمد بن خليل بن علي المرادي، دار البشائر الإسلامية، ودار ابن حزم.
- السنة لابن أبي عاصم، أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط٤، ١٤١٩هـ، المكتب الإسلامي (بيروت).
- السنن الصغرى للنسائي، أحمد بن شعيب بن علي الشهير بالنسائي، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، ط١، مكتبة المعارف (الرياض).
- السنن الكبرى للنسائي، أحمد بن شعيب بن علي الشهير بالنسائي، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، ط١، ١٤٢١هـ، مؤسسة الرسالة (بيروت).
- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط٣، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).

○ السنن لابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، حكم على أحاديثه وآثاره وعلـق عليـه محمد ناصر الدين الألباني، ط١، مكتبة المعارف(الرياض).

○ السنن لأبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، ط١، مكتبة المعارف(الرياض).

○ السنن للترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، ط١، مكتبة المعارف(الرياض).

○ السنن، سعيد بن منصور، تحقيق سعد بن عبد الله آل حميد،ط٢، ١٤٢٠هـ، دار الصميعي (الرياض).

○ سير أعلام النبلاء، للذهبي، ط١١، ١٤٢٢هـ، مؤسسة الرسالة (بيروت).

○ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، دار ابن كـثير، دمشـق، ١٤٠٦هـ.

○ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن العماد الحنبلي، ط٢، ١٣٩٩هـ، دار المسيرة (بيروت).

○ شرح الأربعين النووية، لابن دقيق العيد، اعتنى بت أحمد بن محمد طـاحون، ط١، ١٤٠٣هـ، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر (جدة).

○ شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق أحمد شاكر، طبـع تحت إشراف الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشـاد، (الرياض).

○ شرح العقيدة الواسطية، محمد خليل هراس، ط٢، ١٤١٤هـ، دار الهجرة (الرياض).

○ شرح ديوان الخنساء، عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية (بيروت).

○ الشريعة، محمد بن الحسين الآجري، تحقيق د/ عبد الله بن عمـر الـدميجي، ط١، ١٤١٨هـ، دار الوطن (الرياض).

○ الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، تحقيق عبد السلام محمد أمين، ط٢، ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).

- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، ١٣٩٩هـ، دار العلم للملايين (بيروت).
- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، ١٤٠٨، المكتب الإسلامي (بيروت).
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط ١،١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- الصفات، علي بن عمر الدارقطني، تحقيق نشأت بن كمال المصري، ط١، ١٤٢٥هـ، مكتبة ابن تيمية (القاهرة).
- صفة الجنة، ابن أبي الدنيا، تحقيق عبد الرحيم العساسلة، ط١، ١٤١٧هـ، مؤسسة الرسالة (بيروت)، دار البشير (الأردن).
- صفة الجنة، ابن أبي الدنيا، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- الصلاة، محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، تحقيق د/ مصطفى حميدة، ط١، ١٤١٧هـ دار الكتب العلمية (بيروت).
- الضعفاء الكبير، محمد بن عمر العقيلي، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط١، ١٤٢٠هـ، دار الصميعي (الرياض).
- الضعفاء والمتروكين، للنسائي، تحقيق بوران الضناوي، وكمال يوسف الحوت، ط١، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الكتب الثقافية (بيروت).
- ضعيف الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض.
- ضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، ١٤١٠، المكتب الإسلامي (بيروت).

- طبقات الحفاظ، جلال الدين السيوطي، تحقيق د/علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة).
- طبقات الحنابلة، لأبي يعلى، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، طبعة الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية.
- طبقات الشافعية، عبد الرحيم الأسنوي، تحقيق كمال يوسف الحوت، ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- طبقات الفقهاء، لأبي إسحاق الشيرازي، تحقيق د/ علي محمد عمر، ط١، ١٤١٨هـ، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة).
- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد الهاشمي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط١، ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- طبقات المفسرين، للأدنه وي، ط١، ١٤١٧هـ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
- طبقات المفسرين، للسيوطي، ط١، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- طبقات علماء الحديث، محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي، تحقيق أكرم البوشي، وإبراهيم الزبيقا، ط٢، ١٤١٧هـ، مؤسسة الرسالة (بيروت).
- العجاب في بيان الأسباب، أحمد بن علي المعروف بـ ابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الحكيم بن محمد الأنيس، ط١، ١٤١٨هـ، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية).
- العظمة، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بـ أبي الشيخ، تحقيق رضا الله بن محمد المباركفوري، ط٢، ١٤١٩، دار العاصمة (الرياض).
- علل الحديث، عبد الرحمن بن أبي حاتم، ط١، ١٤٢٤هـ، مكتبة الرشد (الرياض).
- عمل اليوم والليلة، أبو بكر أحمد بن محمد الدينوري المعروف بـ ابن السني، تحقيق عبد الرحمن كوثر، ط١، ١٤١٨، دار الأرقم بن أبي الأرقم (بيروت).
- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط١، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بـــن حجـــر العســـقلاني، ط١، ١٤١٨هـــ، دار السلام (الرياض)، ودار الفيحاء (دمشق).
- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشـــوكاني، ط٢، ١٤٢٢هـــــ-٢٠٠١م، دار الكتاب العربي.
- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، سليمان بن عمر العجيلـــي الشهير بالجمل، ضبط إبراهيم شمس الدين، ط١، ١٤١٦هـــ-١٩٩٦م، دار الكتب العلمية.
- الفتوى الحموية الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيـــق حمـــد التـــويجري، ط١، ١٤١٩هـــ، دار الصميعي (الرياض).
- الفردوس بمأثور الخطاب، شيرويه بن شهردار الديلمي، تحقيق سعيد زغلـــول، ط١، ١٤٠٦هـــ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق أحمد بن عبد الواحد الخياطي، مطبعة فضالة (المغرب).
- الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي، تحقيق عادل يوسف العزازي، ط١، ١٤١٧هـــ، دار ابن الجوزي (الرياض).
- فيض القدير، محمد عبد الرءوف المناوي، ضبطه أحمد عبد السلام، ١٤٢٢هـــ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، علق عليه نصـــر الهـــوريني، ط١، ١٤٢٥هـــ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن صالح العثيمين، علـــق عليـــه أشرف بن عبد المقصود، ١٤١٦هـــ، مكتبة أضواء السلف (الرياض)، ومكتبة أصداء المجتمع (بريدة).
- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للـــذهبي، ط١، ١٤٠٣هـــــ، دار الكتب العلمية (بيروت).

- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي، ط١، ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- الكامل في ضعفاء الرجال، عبد الله بن عدي الجرجاني، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ.
- الكامل في ضعفاء الرجال، عبد الله بن عدي الجرجاني، ط١، ١٤٠٤هـ، دار الفكر (بيروت).
- كشاف اصطلاح الفنون، محمد علي بن علي التهانوي، وضع حواشيه أحمد حسن، ط١، ١٤١٨هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، رتبه محمد عبد السلام شاهين، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، دار الكتب العلمية.
- الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث، سبط بن العجمي برهان الدين الحلبي، تحقيق صبحي السامرائي، مطبعة العاني (بغداد).
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني، ضبطه محمد بن عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية (بيروت).
- الكشف والبيان في تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق سيد كسروي حسن، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، دار الكتب العلمية.
- لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، على هامش تفسير الجلالين، دار المعرفة (بيروت).
- اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط١، ١٤١٩هـ دار الكتب العلمية (بيروت).
- لسان العرب، لابن منظور، اعتنى به أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ط٣، ١٤١٩هـ، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي (بيروت).
- لسان العرب، محمد بن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان.

- لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، اعتنى به عبد الفتاح أبوغدة، ط١، ١٤٢٣هـ، دار البشائر الإسلامية (بيروت).
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، علق عليه د/ محمد بن فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، (القاهرة).
- المجالسة وجواهر العلم، أحمد بن مروان الدينوري، دار ابن حزم، لبنان، ١٤٢٣هـ.
- مجمع الأمثال، أحمد بن محمد الميداني، قدم له وعلق عليه نعيم حسين زرزور، ط٢، ١٤٢٥هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط١، ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، ١٤١٢هـ، دار عالم الكتب (الرياض).
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط٢، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، دار الفكر.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، دار الكتب العلمية.
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، اعتنى به محمود خاطر، ١٤٠١هـ، دار الفكر (بيروت).
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، عبد الله بن أسعد اليافعي، وضع حواشيه خليل المنصور، ط١، ١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- مرويات ابن مردويه في التفسير من أول سورة (يسٓ) إلى نهاية سورة الحديد، جمع ودراسة د/ فايز بن حبيب الترجمي.
- المزهر في علوم اللغة، جلال الدين السيوطي، ضبط فؤاد علي منصور، ط١، ١٤١٨هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).

- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط٢، ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- المستصفى من علم الأصول، للغزالي، ضبط إبراهيم محمد رضوان، دار الأرقم بن أبي الأرقم (بيروت).
- مسند أبي عوانة، يعقوب بن إسحاق، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، تحقيق خليل مأمون شيحا، ط١، ١٤٢٦هـ، دار المعرفة (بيروت).
- مسند البزار، أحمد بن عمر العتكي البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين، ط١، ١٤٠٩هـ، مؤسسة علوم القرآن (بيروت)، ومكتبة العلوم والحكم(المدينة المنورة).
- المسند، للإمام أحمد بن حنبل، وضع فهارسه وعلق عليه أحمد شاكر، ط١، ١٤١٦هـ، دار الحديث (القاهرة).
- مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف، محمد عليان المرزوقي، ط١، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- مشاهير علماء الأمصار لابن حبان، دار الكتب العلمية (بيروت).
- مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي (بيروت).
- المصنف، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق حمد بن عبد الله الجمعة، ومحمد بن ابراهيم اللحيدان، ط١، ١٤٢٥هـ، مكتبة الرشد (الرياض).
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ابن حجر، تحقيق غنيم عباس وياسر إبراهيم، ط١، ١٤١٨هـ، دار الوطن (الرياض).
- معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار، ط٤، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، دار المعرفة.
- معاني القرآن الكريم، أبو جعفر النحاس، تحقيق محمد علي الصابوني، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام.

- معاني القرآن وإعرابه للزجاج، أبي إسحاق إبراهيم السري، تحقيق د/عبد الجليل شلبي، ط١، ١٤٠٨هـ، دار عالم الكتب (بيروت).
- معاني القرآن، أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي المعروف بالأخفش الأوسط، ت إبراهيم شمس الدين، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، ط٣، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، عالم الكتب.
- معجم الأدباء، ياقوت بن عبد الله الحموي، ط٣، ١٤٠٠هـ، دار الفكر (بيروت).
- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق طارق عوض الله، وعبد المحسن إبراهيم، دار الحرمين (القاهرة).
- معجم البلدان، لياقوت الحموي، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية (بيروت).
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية (القاهرة).
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ط١، ١٤١٤هـ، مؤسسة الرسالة (بيروت).
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس الرازي، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، ط١، ١٤٢٠هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- المعرفة والتاريخ، يعقوب بن يوسف البسوي، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط١، ١٤١٠هـ، مكتبة الدار (المدينة المنورة).
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام، ط١، ١٤٢٢هـ، دار السلام (القاهرة).
- مفاتح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن، لابن الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق هدى بنت محمد القباطي، ط١، ١٤٢٥هـ، مركز الكلمة الطيبة، (صنعاء).

- مفاتح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن، لابن الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق عبد الله بن سوقان الزهراني (رسالة ماجستير).
- مفاتح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن، لابن الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق أمين بن عايش المزيني (رسالة ماجستير).
- مفاتح الغيب، محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر، ط١، ١٤٠١هـ دار الفكر (بيروت).
- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، ط٣، دار القلم.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، محمد بن عبدالرحمن السخاوي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ.
- مقالات الإسلاميين، علي بن إسماعيل الأشعري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ.
- منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، أحمد بن محمد الأشموني، ط٢، ١٣٩٣هـ.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد بن عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي وشركاه.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي، تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا، ط٢، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ.د/ حكمت بن بشير بن ياسين، ط١، ١٤٢٠هـ، دار المآثر (المدينة المنورة).
- الموضوعات، لابن الجوزي، تحقيق نور الدين بن شكري، ط١، ١٤١٨هـ، مكتبة أضواء السلف (الرياض).
- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، تحقيق سليم الهلالي، مكتبة الفرقان (دبي).

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي، دار الكتب العلميـــة، بـــيروت، لبنان، ١٩٩٥م.
- ميزان الاعتدال، للذهبي، تحقيق علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، ط١، ١٤١٦هـــ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغـــري الأتابكي، علق عليه محمد حسين شمس الدين، ط١، ١٤١٣هـــ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- نسب معد واليمن الكبير، هشام بن محمد بن الكلبي.
- نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، محمد بن محمد زبارة الصنعاني، ١٤٠٥هـــ، دار الآداب (بيروت).
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، ط٢، ١٤١٣هـــــ دار الكتاب الإسلامي (القاهرة).
- النكت والعيون، علي بن محمد الماوردي، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية (بيروت).
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أحمد بن علي القلقشندي، ط١، ١٤٠٥هـــ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- النهاية في الفتن والملاحم، ابن كثير، ضبط أحمد عبد الشافي، ط٣، ١٤٠٤هـــ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الجزري المعروف بـــ ابن الأثـــير، تحقيق خليل مأمون شيحا، ط١، ١٤٢٢هـــ، دار المعرفة (بيروت).
- نوادر الأصول في معرفة حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، محمد بن علي المعروف بالحكيم الترمذي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر (بيروت).
- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار العلـــوم الحديثة (بيروت).

- الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، ط١، ١٤٢٠هـ، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، لبنان.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر (بيروت).
- الوفيات، أحمد بن حسن بن علي الشهير بـ ابن قنفذ القسنطيني، تحقيق عادل نويهض، ط٤، ١٤٠٣هـ، دار الإقامة الجديدة (بيروت).

سابعاً: محتوى الموضوعات